المجلّد الثّاني

روائع التاريخ والعلوم والفنون

Mngool.com

الموسوعة العلميّة المبسّطة

هيئة التحرير والترجمة للصّيغة العربيّة : الدّكتورة خالدة سعيد
الدّكتور منيف موسى
عبلة خوري
هادي العلوي
سامي مبسوط
ليلى زهر الدّين
أحمد سعيد محمدية

دار العودة . بيروت

الطَبعَة الأولى

١٩٨٩

يُطلب مِن دَار العَـودَة - بَيرُوت
كورنيش المزرعة - بناية ريفيرا سنتر
تلفون ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥
تلكس MEREBI ٢٣٦٨٢ - L - E
ص . ب ١٤٦٢٨٤

هذه الموسوعة

تمَّ نقل هذه الموسوعة عن اللغة الانجليزية(*) ، إلاّ ان فريق العمل الـذي قام بتعريبها قد أضاف اليها الكثير وطبعها بطابع عربي موضوعي .

ولذلك فإن قسماً كبيراً منها هو مؤلفٌ عن طريق إضافة ما يلزم من موضـوعات ناقصة ، أو عن طريق كتابة موضوعات جديدة لم ترصدها الموسوعة بنصها الأجنبي .

لقد توخيّنا الدقة في اختيار المواضيعَ التي تَخدم القارىء العـربي ، وحرصنـا حرصاً مؤكداً على ابراز معالم الحضارة العربية التي أغفلها النص الاجنبي ، كما أكدنا على دور أمتنا العربية في صياغة الحضارات القديمة ، وعلى دورها الفاعل في ذلك ، دون أن نلجـأ الى الخطابـةِ أو الزعمِ ، وإنمـا عن طريق احقـاق الحقائق التـاريخية والعلمية المعروفة والمقررة . وقد فعلنا كل ذلك بلغة مبسطة يستطيع قراءتها الفتيات والفتيان ، وأيضاً الكبار المتمرسين بفن القراءة .

ان دار العودة ، لا تملك وهي تقدم ـ هذا العمل في خمس مجلدات ـ إلاّ ان تشعر بشيء من الاعتزاز لأنها وهي تمارس عملها في النشر لم تنسَ واجبَها القومي . وأن تشكر هيئة التحرير ـ التي أشرفت على الترجمة والتعريف والتأليف والصياغة ـ وأن تخصَّ بالشكر الأستاذة الدكتورة خالدة .

أحمد سعيد محمدية
مدير دار العودة المسؤول

* استخلصت من سبعة مجلدات صدرت بعنوان «أخبرني لماذا» 'Tell me why»

متى بدأت الحضارة ؟



استغرقَ الإنسانُ أزمنةً طويلةً كي يصلَ إلى ما نُسمّيه وضْعيَّةً حضارِيَّةً . فقد عاشَ في البدايةِ حالةً من التوحُّشِ ، قريبةً من حيـاةِ الحيوانِ . لم يكنْ يملكُ اللغةَ ، وكان يلتمسُ الغذاءَ حيثما أمكنَهُ العثورُ عليه .

وبمرورِ الزمنِ توصَّلَ إلى العيشِ ضمنَ **نظامِ الأسرةِ** ، وتعلَّمَ **إشعالَ النارِ** ، وفيما بعد تعلَّمَ كيف يصنعُ بعضَ الأدواتِ ويصطادُ لتأمينِ غذائِهِ . واخترَعَ الفخّارَ وصنعَ الأوانيَ الفخّاريّةَ ليتمكَّنَ من طهوِ طعامِهِ ، وبدأ يعيشُ في تجمُّعاتٍ إنسانيةٍ أوسعَ هي القبائل . وقد مكّنهُ هذا التجمُّعُ الواسعُ من التنقُّلِ إلى أماكنَ جديدةٍ .

المرحلةُ التاليةُ التي بلغَها الإنسانُ هي « **المرحلةُ البدائيّةُ** » . وقد توصَّلَ في هذه المرحلةِ إلى **استنباتِ الموادِّ الغذائيةِ** عن طريقِ بذْرِ البذورِ ، كما أخذَ **يُدَجِّنُ الحيوانات** . ثم بدأ **يصهَرُ المعادنَ** ، كالنحاسِ والحديدِ ، **ويصنعُ منها أسلحةً** أفضلَ من الأدواتِ الحجريةِ كما بدأ **يبني البيوتَ** . ولمَّا اخترَعَ الإنسانُ **نظاماً للكتابَةِ** عن طريقِ الرسومِ والرموزِ وكان هذا الإختراعُ نهايةَ المرحلةِ البدائيةِ وبدايةَ **الحضارة** .

وقد اعتُبِرَ **اختراعُ الكتابةِ بدايةَ الحضارةِ** ، لأنَّ الكتابةَ مكَّنتِ الإنسانَ من **تسجيلِ أحداثِ الماضي وتخزينِ إنجازاتِهِ** . وهكذا صارَ بإمكانِ الإنسانِ أن يتعلَّمَ من تجاربِ الآخرين ومعارِفِهم . وهذا الإنتقالُ للمعارِفِ عجَّلَ في مسيرَةِ الحضارةِ . ويرجعُ اختراعُ الكتابةِ إلى ما قبلَ ستةِ آلافِ سنةٍ .

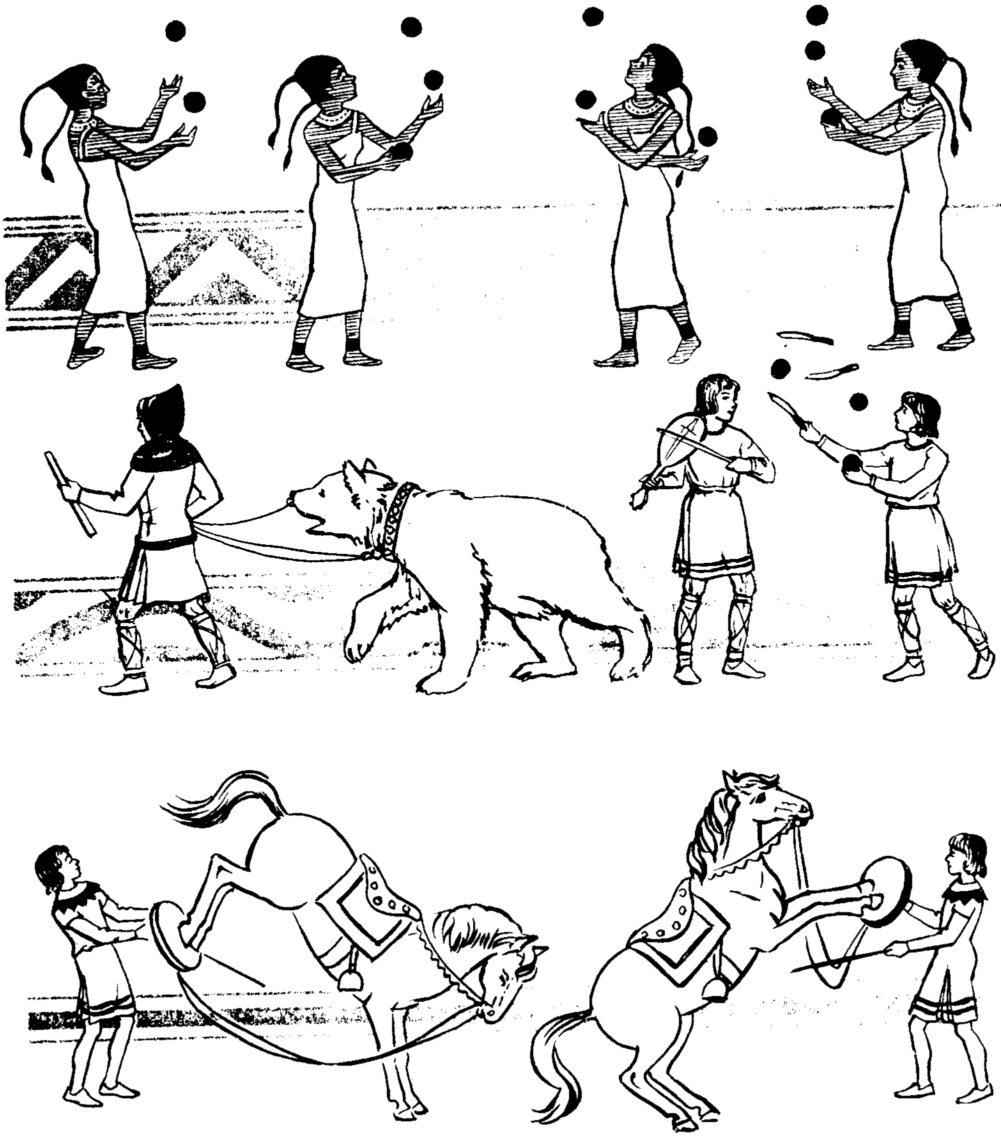
لمّا بلَغَ الإنسانُ هذه المرحلةَ ، كانَ قد تطوّرَ من نواحٍ أخرى ، **فقد طوَّرَ** الزراعةَ والصناعَةَ ، وهذا ما دفعَ الناسَ إلى الإستقرارِ والعيشِ في قرى ومدنٍ . **ونظَّمَ الإنسانُ مجتمعاته البشريَّة فأوجَدَ أنظمةً للحكمِ** ، **وقوانينَ عامةً** ، وبدأتِ التجارةُ ، كما بدأتِ الهجراتُ البشريَّةُ .

أقدمُ الحضاراتِ المعروفةِ في التاريخِ هي الحضاراتُ السومريَّةُ والمصريَّةُ والبابليَّةُ . كان لدى المصريين شكلٌ من أشكالِ الكتابةِ منذُ أربعةِ آلافٍ وخمسمئةِ

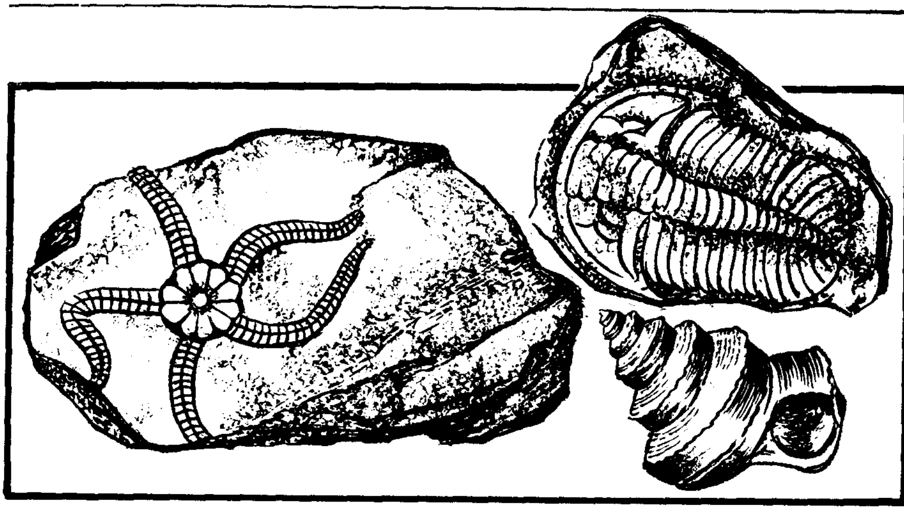
سنةٍ . وكانوا يعيشون حياة اجتماعيةً متطوِّرةً تتعدّى القبيلةَ والمدينةَ إلى الدولةَ . كما توصّلوا إلى مستوى متطوِّرٍ من الرياضياتِ ولا سيَّما الهندسة واستخدموا ذلك في بناءِ الأهرامِ . وأوجدوا تقويماً لحساب الوقت ، وظهرَ لديهم المهندسون المعماريّون ، واستخدموا الآلاتِ المتنوِّعة التي طوَّروها .

أما الشعوب التي ظهرت في منطقةِ ما بينَ النهرين (دجلة والفرات) أي في العراقِ القديمِ فقد أنشأَتْ أقدمَ الحضاراتِ . من هذه الحضاراتِ الحضارةُ السومريَّةُ التي ترجعُ إلى أكثرِ من خمسةِ آلافِ سنةٍ (حوالى ٣٨٠٠ سنة قبل الميلاد) . وقد أنشأ السومريون مدناً تُحيطُ بها الأسوارُ وتتوسَّطُها الهياكلُ والأسواقُ ، وتوصَّلُوا إلى شكلٍ من الكتابةِ يُعرفُ بالكتابةِ المسماريةِ وأنشأُوا ممالِكَ كانَت لها سلالاتٌ حاكمةٌ . وتركُوا تراثاً أدبياً غنيا . وقد قامت في الوقتِ نفسِهِ ، في بلادِ ما بينَ النهرين ، في المنطقةِ الممتدةِ بين شمالي شرقي سوريةَ حتى العراق ، حضاراتٌ ساميَّةٌ مزدهرةٌ . من هذه الحضارات الحضارةُ البابليةُ والأشوريّةُ .

كما قامَتْ في جزيرةِ كريت حضارةٌ عريقةٌ منذ أربعةِ آلافِ سنةٍ .



أين وُجِدَت المستحاثات الاولى ؟



هناكَ أشكالٌ كثيرةٌ من الحياةِ ، الحيوانيةِ والنباتيةِ ، قد ظهرت على الأرضِ خلالَ المليارات الأخيرةِ من السنين ، ثمّ انقرَضَتْ ، وما نعرفه عنها هو نتيجةُ دراسةِ المستحاثاتِ وتحليلِ ما تُقدِّمُهُ من معلومات .

لقد كانَتِ المستحاثاتُ موجودةً قبلَ أَنْ يبدأ الإنسانُ دراسَتها بملايينِ السنين . مع ذلك ، فإنَّ الأدلَّةَ تؤكِّدُ أنّ بعضَ البشرِ الأوائِلِ رأَوْا مستحاثاتٍ ، وأدركوا أنّها شيءٌ خاصٌّ . فقد وُجِدَ عقدٌ من متحجّراتِ الأصدافِ البحريةِ مع الهيكلِ العظميِّ لإمرأةٍ ماتَتْ منذ ثلاثينَ أَلفَ سنةٍ .

أهلُ الفكرِ والعلمِ ، من قدامى اليونانِ والرومانِ ، وجدوا متحجراتِ أصدافٍ بحريةٍ في أعالي الجبال . وأدركوا أنّ هذه الأصدافَ المتحجّرةَ هي بقايا

حيواناتٍ عاشت في البحرِ . وهكذا استنتجوا أنّ هذهِ الجبالَ كانت ، ذاتَ يومٍ ، مغمورةً بماء البحرِ .

لم يبدي العلماءُ بدراسةِ المستحاثاتِ دراسةً فعليَّةً إلَّا في أواخرِ القرنِ الثامنَ عشرَ (أي أواخرِ سنوات ١٧٠٠ بعد الميلاد) . وأحد أوائلِ الأشخاصِ الذين درسوها يُدعى البارون جورج كوفييه ، وهو عالمٌ طبيعيٌّ فرنسي . فقد وجَدَ كوفييه ، على ضفافِ النهرِ ، قربَ باريسَ ، عظامَ حيواناتٍ من نوعِ الفيلِ وفرسِ النهرِ وغيرِها من الحيواناتِ التي لم يبقَ لها وجودٌ هناكَ . فاستنتَجَ أنَّ مناخَ المنطقةِ التي تشملُ باريسَ كانَ ، ذاتَ يومٍ ، مختلفاً ، يشبهُ المناخَ الحاليَّ للهندِ وإفريقيا .

عند ذاكَ ، بدأَ عالمٌ انكليزيٌّ ، يُدعى وليام سميث ، بدراسةِ المستحاثاتِ في أنحاءِ انكلترا . واكتشَفَ أنَّ لكلِّ نوعٍ من الصخورِ مجموعةَ مستحاثاتٍ خاصّة . **الصخورُ الأكثرُ قِدماً تحوي على مستحاثاتِ حيواناتٍ أبسَطَ أوْ أدنى ممّا تحتوي عليه الصخورُ الأحدثُ عمراً** . واستطاعَ بذلِكَ أن يعرفَ العمرَ النسبيَّ للصخورِ . ثم جاءَ تشارلز دارْوِن واعتمدَ ما استطاعَ جمعَه من المعلوماتِ عن المستحاثاتِ ، **ليبيّنَ كيف تطوَّرتْ أنواعُ حيوانيّةٌ من أنواعٍ سابقةٍ لها ، وكيف أنَّ أشكالَ الأحياءِ الأكثرَ تعقيداً وتقدُّماً قد تطوَّرَتْ انطلاقاً من أشكالٍ أبسطَ منها .**

هَل عاش الناسُ دوماً ضِمن عائلة ؟



لم يُعْرَفْ ، حتّى اليوم كيف بدأتِ العائلةُ . فالحفريّاتُ التي أُجرِيَتْ على الكهوفِ القديمَةِ أظهَرَتْ أنّ الناسَ كانوا يعيشون معاً ، في جماعاتٍ صغيرةٍ ، مؤلَّفةً من رجالٍ ونساءٍ وأطفالْ . لكن ليس مُؤكّداً أنَّ هذهِ الجماعاتِ الصغيرة كانَت ، منذُ البدايةِ أسرةً ، بالمعنى الذي نفهمُهُ اليومَ ، أي ليس مُؤكّداً أنها كانَتْ

تتألّفُ من أبٍ وأمٍّ وأولادِهما ، يمكنُ فقط أن نُرجِّحَ اهتمامَ الأمِّ بأولادِها هي ، منذُ البدايةِ . كانت هذه « العائلةُ » تجتمعُ حولَ النّارِ وتتعاونُ لحمايةِ نفسِها من الحيواناتِ المفترسةِ بأسلحةٍ بدائيةٍ بسيطةٍ .

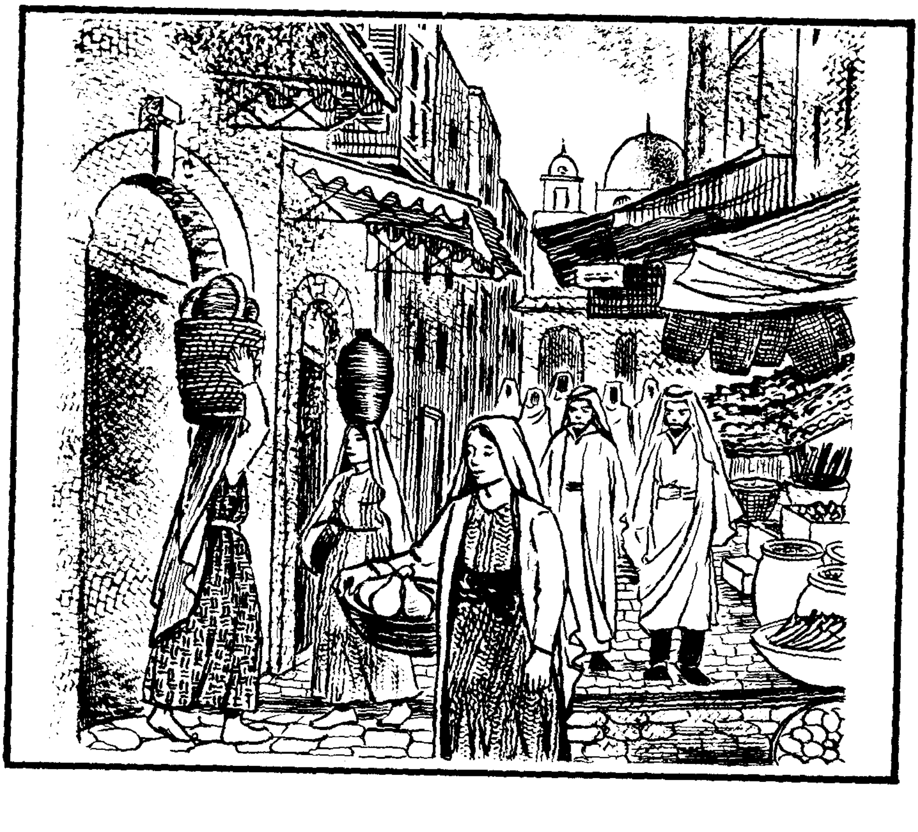
صيغةُ الحياة العائليةِ ضروريٌّ للإنسانِ أكثرَ مما هو ضروريٌّ لبقيّةِ الكائناتِ . وسببُ ذلكَ أنَّ طفلَ الإنسانِ هو أضعفُ صغارِ الكائناتِ اطلاقاً وأعجزُها . معظمُ الحشراتِ ، وغيرِها ، من أشكالِ الحياةِ المتدنّية ، يقدرُ أنْ يتحرّكَ ويلتمسَ طعامَه حالما ينقفُ أو يخرجُ من البيضة ، لكنّ صغارَ الكائناتِ العُلْيا ، كطفل الإنسانِ ، وصغارِ الدّببةِ ، تحتاجُ إلى مَنْ يغذّيها ويحميها .

الأبُ (في النّوعِ الإنسانيّ والحيوانيّ) يأْتي عادةً بالطعامِ للأمِّ ويحمي الصغارَ من الأعداءِ . لكنّ الأمَّ أكثرُ أهميّةً لأنّها تُرضِعُ الصغيرَ . وهكذا تألّفتِ العائلةُ لضرورةِ اجتماعِ الصغارِ والكبارِ معاً .

خلالَ مئاتِ آلافِ السنينِ من وجودِ الحياةِ العائليّةِ ، تطوَّرت أشكالٌ عائليَّةٌ مختلفةٌ لدى شعوبٍ مختلفةٍ، ففي بعضِ القبائلِ يُعتبرُ الخالُ رأسَ الأسرةِ ، بينما ارتباطُ الأبِ بالأبناءِ ضعيفٌ . وما يزالُ هذا الشَّكلُ العائليُّ قائماً لدى بعضِ القبائلِ الأفريقية .

وكانَتِ المرأةُ ، لدى بعضِ الشعوبِ ، تقدِرُ أن تتزوجَ أكثرَ من رجلٍ واحدٍ في الوقتِ نفسه . والديانتان الاسلاميةُ واليهوديةُ تسمحانِ للرجلِ بأكثرِ من زوجةٍ واحدةٍ . هذا ما يُسمَّى بالتعدُّدِ الزوجي . لكنّ الممارسةَ العمليةَ لهذا التعدّدِ قد تراجعت كثيراً ، ولعلّها في طريقِها إلى الزّوال .

كيف بَدأت الأسواق والمَعارض الزراعيّة؟



كانَ الناسُ في العهودِ القديمَةِ يعيشونَ في مزارعَ أو وسطَ أراضٍ زراعيةٍ واسعةٍ . ولم تَكُنْ هناك مخازنُ أو حوانيتُ ، بسببِ قلّةِ الإزدحامِ وبُعدِ المسافاتِ بين البيوتِ. كما أنّ البضائعَ لم تكنْ كثيرةً متنوِّعَةً بحيثُ تستوجبُ الشراءَ كلَّ يومٍ .

لكنَّ الناسَ كانوا يتجمّعون وقتَ الإحتفالاتِ والأعيادِ الدينيّةِ . فكانَ التجارُ ينتظرون هذه المناسباتِ كي يعرضوا بضائعَهم . وهكذا بدأتِ الأسواقُ أو المعارضُ الزراعيةُ في الأزمنةِ القديمَةِ . بل إنَّ كلمةَ « معرضٍ » في اللغاتِ الأوروبيّةِ مُشتَقّةٌ من أصلٍ لاتيني يعني العيد .

وكان قدماءُ المصريين يقيمونَ المعارضَ والأسواقَ ، عندما يتجمّعون حولَ المقابرِ ليمارسوا طقوسَهم الدينيّةَ . وكانَ اليونانُ يُقيمونَ الأسواقَ أيامَ الإحتِفالاتِ الدينية ، ولا سيَّما في معبدِ « دِلْف » حيث كانوا يستخيرون آلِهَتهم (أي يطلبون مشورَتَها بواسطةِ الكَهَنَةِ) .

ومعلومٌ أنَّ مكّةَ المُكرَّمةَ كانَتْ مُلتقى العربِ قبلَ الإسلامِ ، حيث كانَتِ الأسواقُ تُقامُ بمناسبةِ اجتماعِ الناسِ للأغراضِ الدينيةِ . وبعدَ انقضاءِ مراسمِ الحجِّ كان كثيرٌ من الحجاجِ يبقى ليعرضَ ما يحملهُ من النفائسِ . وقد كانَت لمثلِ هذه المعارِضِ أهميّةٌ كبيرةٌ في الهندِ والصينِ وفارسَ وبين شعبِ الآزتيك في المكسيك .

في زمنِ الإمبراطوريةِ الرومانيّةِ ارتبطت المعارضُ الزراعيةُ باحتفالاتِ الحصادِ ذات الطابعِ الديني . فكانَ أهلُ الريفِ يحملونَ منتجاتهم الزراعيةَ إلى هذه المعارضْ . هناكَ كانوا يبادلونَها ببضائعَ أخرى كالأقمشةِ وغيرِها من المصنوعات .

في تلكَ العهودِ القديمَةِ كان الحقُّ في إقامةِ المعارِضِ محصوراً ببعضِ المدنْ . هذا الحقُّ كان يُمنَحُ منحةً لسيِّدِ المدينَةِ من الملكِ أو أي حاكمٍ أعلى . وكان التّجّارُ الذين يريدون بيعَ بضائِعهم في المعرضِ يدفعون المالَ للسيدِ الذي مُنِحَ هذا الحقْ .

وكانت هناك أنظمةٌ وقوانينُ خاصةٌ بهذه المعارِض . الأمانـةُ كانت على جانبٍ كبيرٍ من الأهميةِ وذلِكَ حرصاً على منعِ الغش . وفي عهودِ الحضـاراتِ الأولى كان المتحاربون يمتنعونَ عن الإقتتالِ إذا التقوا في سوقٍ موسمية . كانت لأرضِ السوقِ ذاتِها حرمةٌ ومهابة .

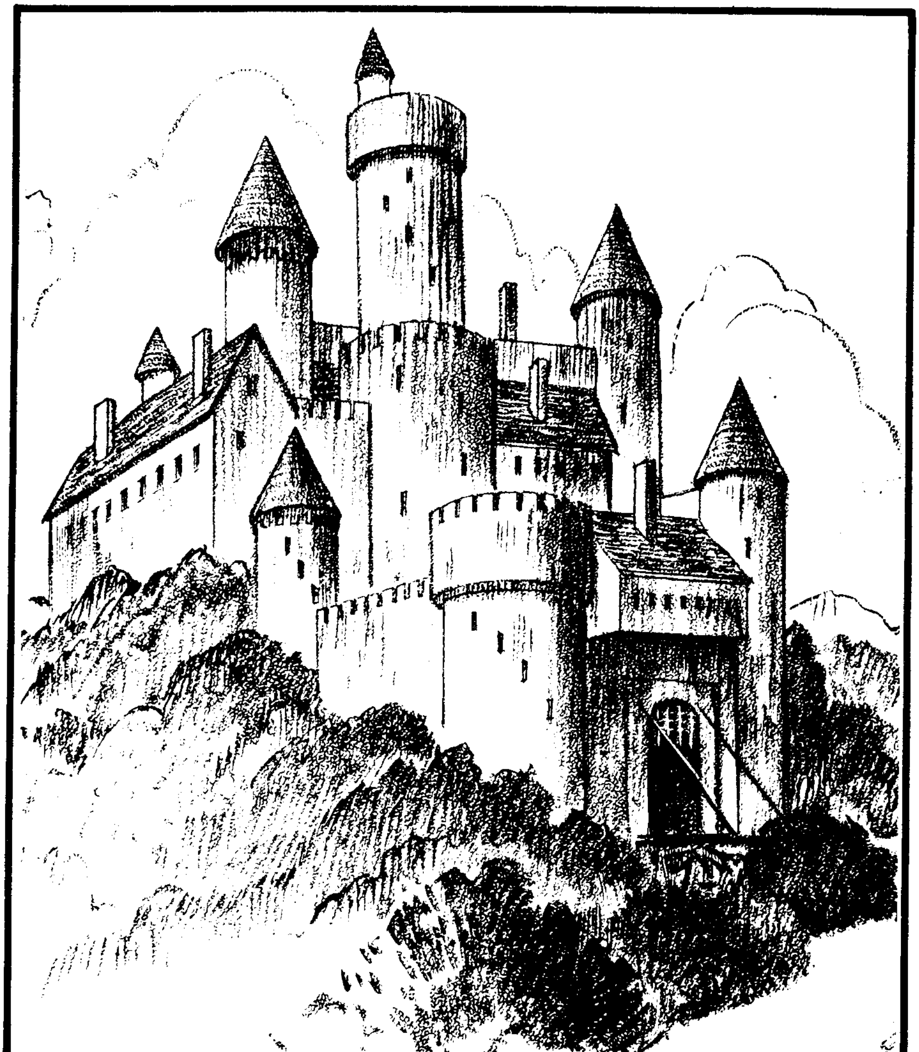
وقـد لعبت المعارضُ الأسواقُ المـوسميةُ دوراً مهمـاً في تطوّرِ التجـارةِ . ويَسَّرَتِ التبادلَ بين الشرق وأوروبا الشرقية والشمالية .







من بنى الحصن الأول ؟



فكرةُ بناءِ الحصونِ مصدرُها الدِّفاعُ . وكلمةُ **حُصْنٍ** العربيّةُ تعني المكانَ المنيعَ الذي يحمي . والكلماتُ التي تقابلُ كلمةَ حصنٍ بالفرنسيةِ والإنكليزيةِ ترتبطُ بمعنى القوةِ . والحصونُ التي شاعَ بناؤها في أوروبا في القرونِ الوسطى ، كانت منازلَ للحكامِ والسادةِ . وقد بُنِيَتْ بشكلٍ يُحصِّنُها من الهجماتِ الخارجيّةِ .

وبالطبعِ فإنَّ بناءَ الحصونِ قديمٌ عرفته حضاراتُ الشرقِ القديمة . فقد كانَتْ قصورُ الملوكِ تُبنى وفقَ هندسةٍ خاصةٍ تضمنُ لها القوة ، كما في قصور الفراعنةِ مثلاً . الأبراجُ البابليّةُ كانت ، بدورِها ، قصوراً حصينةً . حكامُ اليونانِ أيضاً اعتَنَوْا بتحصينِ قصورِهم .

وإذا كانت الحصونُ في أوروبا القرونِ الوسطى بيوتاً للسادةِ تمنعُ عنهم الغاراتِ فإن الشرقَ كان أكثرَ اهتماماً بالأسوارِ . فالأسوارُ تهدفُ إلى الحمايةِ الجماعيةِ لأنَّها تحصِّنُ المدينةَ وسكّانَهَا . أقدمُ الأمثلةِ على هذه الأسوارِ **سورُ مدينةِ أوروك السومرية** . وتتغنى ملحمةُ جلجامش ، التي وُضِعَتْ منذ أربعةِ آلافٍ وخمسمئةِ سنةٍ بالبطلِ جلجامش باني هذا السور . وهناك ، طبعاً ، **أسوارُ طروادةَ** ، التي وردَ وصفُها في ملحمةِ الإلياذة . ثم هناك **سورُ الصينِ العظيمِ** ، الذي يبلغ طوله ثلاثة آلاف كيلومتر ، والذي أقيم بين الصين ومنغوليا منذ حوالي (٣٠٠) سنة قبل الميلاد ، **وسورُ عكّا** الذي ردَّ نابليونَ على أعقابِهِ .

أما الحصونُ والقلاعُ فقد انتشرتْ في أوروبا خلالَ القرونِ الوسطى ولا سيَّما بين القرنِ الحادي عشر (عام ١٠٠٠ وما بعدَه) والقرنِ الخامسَ عشرَ (أي حتى عام ١٥٠٠) .

انتشَرَتْ هذه الحصونُ نتيجةً للنظامِ الإقطاعيِّ . كان كلُّ نبيلٍ من طبقةِ

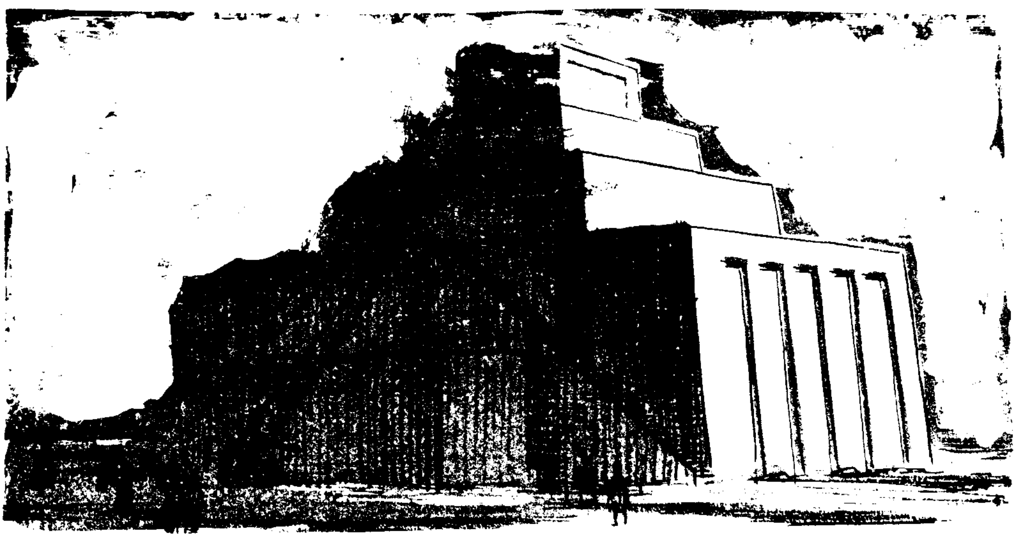
النبلاءِ يحكمُ إقطاعيته أو المنطقةَ التابعةَ له بمن فيها من السكانِ . وكانَ النبيلُ يهاجمُ الإقطاعاتِ المجاورةَ ليوسّعَ أرضَه ويدعمَ قوَّتَها ؛ وكان بدورِهِ مُعرَّضاً للغزو . لذلك كان على كلِّ نبيلٍ أن يحوّلَ بيتَهُ إلى قلعةٍ منيعةٍ ، وهذا ما دعا إلى بناء الحصون .

وبما أنَّ النظامَ الإقطاعي كان متشابهاً في أنحاءِ أوروبا كما كانتِ الظروفُ العامةُ ، فقد جاءتِ الحصونُ متشابهةً هي أيضاً ، سواء أكانت في فرنسا وألمانيا أم في اسبانيا وانكلترا . ومن أوائلِ هذه الحصونِ الإقطاعيةِ « **برجُ لندن** » الذي شُرِعَ في بنائهِ زمنَ « وليام الفاتح » .

كان هذا الحصنُ يتألَّفُ من عدةِ أدوارٍ ، وجدرانُهُ مزدوجةَ السماكةِ ، له نوافِذُ ضيِّقةٌ وأبراجٌ يُصْعَدُ إليها بأدراجٍ لولبيةٍ ، كانَ النبيلُ وحاميتُهُ يعيشونَ في هذا الحصن .

من أوائِلِ الحصونِ أيضاً « **حصنُ هيدنجهام** » في إيسّيكس بإنكلترا. بُنِيَ هذا الحصنُ عام ١١٣٠ . كانَتْ لهُ جدرانٌ من الحجرِ مزدوجةُ السَّماكَةِ تبلُغُ سماكتُها عشرينَ قدماً (ستة أمتار) ، أما حجارةُ الزوايا فكانت أكثرَ سماكةً ، تتوسَّطُ الحصنَ قاعةٌ فسيحةٌ بعلوّ دورين ، والنورُ الوحيدُ يتسرَّبُ من فتحاتٍ ضيّقةٍ قليلةِ العددِ شديدةِ الإرتفاعِ ، وقد صُمِّمَتِ الحصونُ بهذه الطريقةِ لغاياتٍ دفاعيةٍ .

فيما بعد ، تطوَّرَ بناءُ الحصونِ ، صارت تُبنى حولَ ساحاتٍ داخلِيّةٍ واسعةٍ بحيث تتّسعُ لعددٍ كبيرٍ من الناسِ وتوفّرُ المزيدَ من وسائلِ الراحةِ.



مَن اخترَعَ المِحراثَ الاول ؟



لا بدّ للفلاّح من أن يحرثَ التربةَ قبلَ أن يغرسَ البذورَ في الأرض . المحراثُ يشقُّ الأرضَ الصلبةَ ويقلبُ التربةَ .

المحراثُ اختراعٌ قديمٌ جداً ، ولا يُعلَمُ تماماً أيُّ شعبٍ صنعَ أولَ محراث . أقدمُ المحارِثِ التي وُجِدَتْ ترجعُ إلى ما قبل خمسةِ آلافِ سنة . الوظيفةُ الأساسيَّةُ لكلِّ محراثٍ هي تحريكُ التربةِ عن طريق جرِّ جسمٍ صلبٍ يخترقُها . في البدايةِ كان المحراثُ مجرَّدَ قضيبٍ متشعّبٍ أو جذعٍ ، يجرُّهُ الرجالُ أو النساءُ . ثم تعلَّمَ الناسُ فيما بعد أن يستخدموا الحيواناتِ للجرّ .

وشيئاً فشيئاً تطورَ شكلُ المحراثِ . تحوَّلَ أسفلُ القضيبِ إلى شفرةٍ مُدَبَّبةٍ حادةِ الرأسِ تُسمّى السكةَ ، وهكذا صارَ المحراثُ يشقُّ الأرضَ بسهولةٍ أكبر .

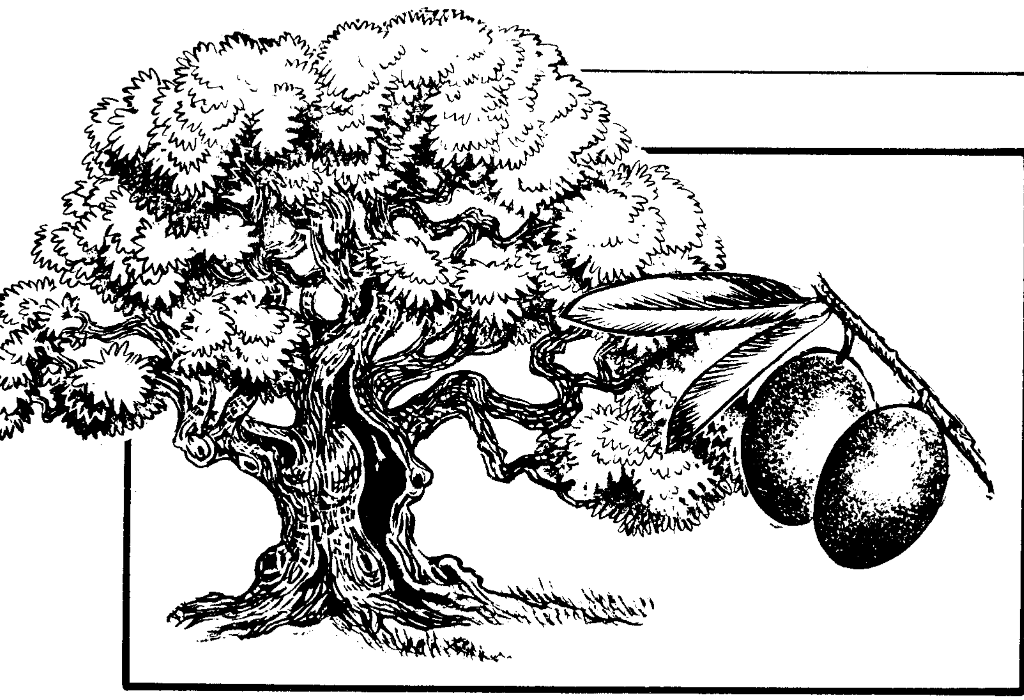
في مراحلَ متأخّرةٍ أُضيفت إلى سكّةِ المحراثِ صفائحُ مُقَعَّرةٌ . هذه الصّفائحُ تقلّبُ الترابَ فيما تشقُّه ، وتسمّى هذه الصفائحُ الدُّجرَ . السكةُ والدُّجرُ أو الصّفائحُ معاً تشكّلُ آلةَ حِراثةٍ متطوِّرَةً . هذا المحراثُ المكوّنُ من السكةِ والصفائحِ معاً هو اليومَ الأكثرُ انتشاراً في البلدانِ المُصَنَّعَةِ .

صارتْ سكّةُ المحراثِ أقوى وأكثرَ مضاءً لأنها صُنِعَتْ من المعدن . في القرنِ الثامنَ عشرَ بدأ الإنكليزُ صنعَ المحراثِ من الحديدِ الصلبِ (أي المسبوك) . المحاريثُ الحديثةُ تُصنعُ من الحديدِ الصلبِ أو من الفولاذِ ، وذلكَ بحسبِ نوعِ التربةِ التي سيُستخدَمُ المحراثُ فيها .

هل تعرفون أنّ جفرسون (وهو أحدُ الذين طوّروا المحراثَ) قد استخدمَ الرياضيات ليتوصَّلَ إلى أفضلِ شكلٍ من أشكالِ السكَّةِ ، بحيثُ يسهلُ استعمالُهُ ويتمُّ انتشارُهُ .

في التربةِ الجافَّةِ المتصلّبَةِ يُستخدَمُ المحراثُ المكوّنُ من إسطواناتٍ بدلَ المحراثِ المكوّنِ من السكّةِ العاديّةِ . وذلكَ لأنَّ للمحراثِ الأوَّلِ إسطواناتٍ حادةِ الأطرافِ بدلَ السكَّةِ ذاتِ الرأْسِ المثلّثِ الشَّكل المحراثُ ذو الإسطواناتِ يناسبُ الأرضَ المليئةَ بالصخورِ والحجارةِ ، لأنّ الإسطواناتِ تقدرُ أن تدورَ فوقَ الصخورِ التي يمكنُ أن توقِفَ السكةَ أو تُتْلفَها . كما أنَّ محراثَ الإسطواناتِ صالحُ للأرضِ المغطاةِ ببقايا النباتِ ، أو بما يبقى بعدَ الحصاد ، لأنّه يقلبُها ويدفنُها في التربةِ ، ومتى تحلّلتْ هذه البقايا النباتيةُ تحوّلتْ إلى سمادٍ يُغني التربةَ .

أين نشأت شجرة الزيتون ؟



الموطنُ الأصليُّ لشجرةِ الزيتونِ هو جنوبي غربي آسيا . وقد ظلت أشجارُ الزيتونِ طوالَ قرونٍ عديدةٍ تقدِّمُ للناسِ الغذاءَ ، وكانَتِ القوافلُ تحملُ منتجاتَها إلى الأسواقِ البعيدة .

لكنَّ الغريبَ في ثمارِ الزيتونِ هو أنها لا يمكنُ أن تُؤكلَ حين تُقطفُ ، ولا تُؤكلُ طازجةً . ولا بُدَّ أن يُزالَ طعمُها المُرَّ عن طريقِ التّحليةِ . وتتمُّ هذه التَّحلِيةُ بتجريحِ حبوبِ الزيتونِ ووضعِها في الماءِ العذبِ أياماً ، يتمُّ خلالَها تغييرُ الماء . بعد ذلكَ تُحفظُ في الماءِ المملح .

وقد كانَ الزيتُ الذي يُؤْخَذُ من الزيتونِ مهماً جداً بالنسبةِ للقُدامى ، حتى أنّ الملوكَ كانوا يقيِّمون ثرواتِهِم بعددِ جرارِ الزيتِ المخزونةِ لديهم . ففي جزيرةِ كريت (جنوبي الجزرِ اليونانية تجاه منطقة الحدودِ بين مصرَ وليبيا) وُجِدَتْ بقايا مخازنَ لحفظِ الزيتِ ترجعُ إلى ما قبلَ أربعة آلافِ سنةٍ .

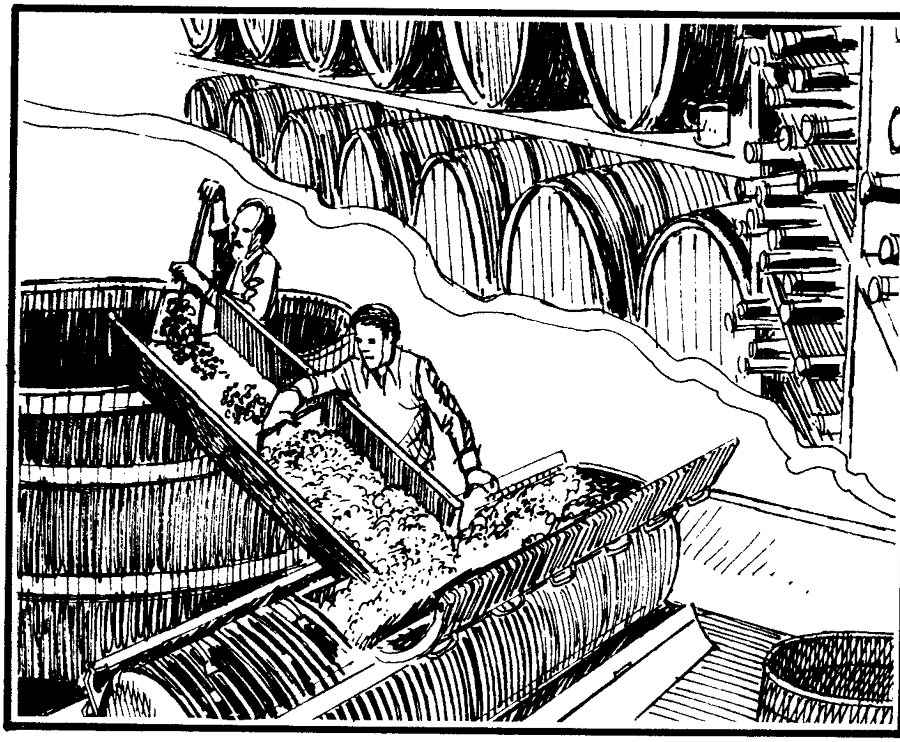
زُرِعَتْ أشجارُ الزيتونِ في البلدانِ الواقعةِ على سواحِلِ البحرِ الأبيضِ المتوسّط . المناطقُ الصحراويةُ في شمالي أفريقيا ، نفسُها ، كانت مغطّاةً بأشجارِ الزيتونِ . وانتشارُ شجرةِ الزيتونِ في حوضِ البحرِ المتوسطِ ، وفي سواحِلِهِ الشرقيةِ خاصةً جعلَ الناسَ يروون أخباراً مُضَخَّمَةً عن كثرةِ الأشجار . فيُروى أن الإنسانَ كان في الماضي يقدرُ أن يسافرَ من مراكشَ إلى مكةَ سائراً في ظلالِ الزيتونِ والنخيلِ وأشجارِ التينِ .

بعد إكتشافِ القارّةِ الأميركيةِ حملَ المهاجرون من سكّانِ حوضِ المتوسطِ ، بذورَ الزيتونِ وأغْراسه . وأمكنَ غرسُ الزيتونِ في حقولِ كاليفورنيا بالولاياتِ المتّحدةِ ، لأنَّ مناخَها شبيهٌ بمناخِ حوضِ المتوسِّطِ . لكنَّ بلدانَ هذا الحوضِ ما تزالُ أهمَّ البلدانِ المُنتجةِ للزيتونِ والزيتِ كإيطاليا واسبانيا وتونس واليونان ولبنان وفلسطين .

تُسْتَنبتُ أشجارُ الزيتونِ من البذورِ أو من الأغراسِ . والأغراسُ هي (أفراخٌ) أو فروعٌ جديدةٌ تنبت عند جذعِ الشجرةِ . هذه الأغراسُ يمكنُ أن تتحوَّلَ إلى أشجارٍ جديدةٍ إذا أُحسِنَ غرسُها .

أشجارُ الزيتونِ تعمِّرُ طويلاً . يُقالُ إن في بستانِ الزيتونِ ، في جبلِ الزيتونِ بفلسطين أشجاراً عمرُها ألفا سنة . طبعاً لا بدّ أن تكونَ قد تجدّدت بنموِّ أفراخٍ جديدةٍ تحوَّلَتْ بدورِها إلى أشجارٍ .

متى بَدَأ الإنسان يَصنع النبيذ ؟



النبيذُ هو عصيرُ العنبِ المُخَمَّرُ . وقد صنعهُ الإنسانُ وشربَهُ منذ آلافِ السنين .

من أقدم الشعوبِ التي صنعتِ النّبيذَ السومريّون في بلادِ ما بين النّهرين والفرسُ القدماءُ في مناطقِ بحرِ قزوين . ثم تعلّمَ منهم المصريّون صناعةَ النّبيذ

منذ (٣٠٠٠) سنة قبل الميلاد . فقد وُجِدَتْ على جدرانِ المدافنِ داخلَ الأهرامِ صورٌ تمثّلُ أشخاصاً يصنعونَ النّبيذَ .

وكانَ النّبيذُ والخمرُ عامةً مألوفاً كشرابٍ يومي في حياةِ قُدامى اليونانِ والرومانِ . وكان عنصراً مهماً في احتفالاتِهم الدينية الوثنيةِ . بل إنهم جعلوا للخمرِ إلهاً سمّاهُ اليونانُ ديونيسوس وسمّاه الرومانُ باخوس .

وقد نَقَلَ الفاتحُ اليوناني الإسكندرُ الأكبرُ أشجارَ الكرمَةِ وعادَةَ صنعِ الخمرِ إلى آسيا الوسطى أثناءَ فتوحاتِهِ . كما حَمَلَ اليونانُ أشجارَ الكرمةِ إلى جنوبي فرنسا . ثم حملَها الرومانُ إلى شمالِ فرنسا وألمانيا في القرونِ التالية .

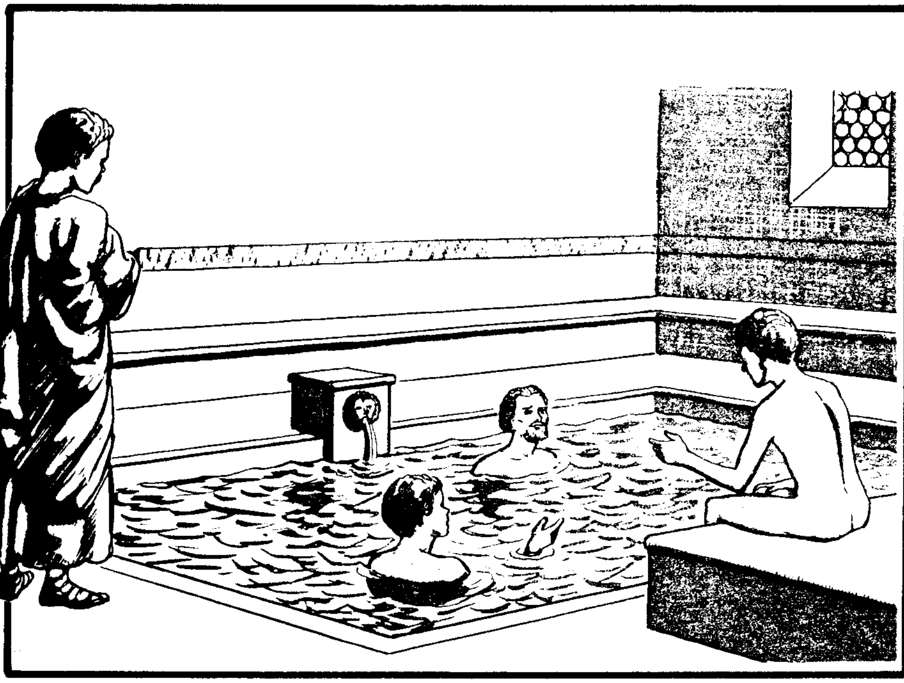
وعندما رسا مركبُ ليف إيكسون على الشاطىءِ الشرقي لشمالي أميركا حوالى عام ١٠٠٠ بعد الميلاد وجدَ الكثير من أشجار الكرمة البريّةِ ، حتى أنّه أطلقَ على المنطقةِ اسمَ « فينلاند » (أي أرض الكرمة) . ولما تمَّ اكتشافُ القارةِ الأميركيةِ حَمَلَ الروادُ الاسبانُ أشجارَ الكرمةِ من أوروبا إلى كاليفورنيا .

كان النّبيذُ يُشربُ في الإحتفالاتِ والطقوسِ الدينيةِ القديمَةِ . ويُشربُ اليومَ أثناءَ المراسِمِ والطقوسِ الدينيةِ لدى المسيحيين واليهودِ . وقد كانَ الخمرُ يُعتَبَرُ صحيّاً ونظيفاً في الزمنِ القديمِ ، لمّا كانَ الماءُ النقيُّ النظيفُ نادراً . الإسلام يُحرِّم النبيذ كما يحرِّم أنواع الخمور المختلفة .

يمكنُ أن يُصنعَ الخمرَ من فواكهَ ونباتاتٍ عديدةٍ متى كانت تحتوي على السكّرِ . غير أنَّ معظمَ النّبيذِ يُصنعُ من العنبِ وعندما نذكُرُ النبيذَ دون أن نتبعَ ذلك بأيِّ تحديدٍ ، كأن نقولَ نبيذُ الكرزِ أو « نبيذُ الخوخِ » فإنّنا نعني نبيذَ العنب .

هناك أكثرُ من ثمانيةِ آلافِ نوعٍ من أنواعِ العنبِ تصلحُ لإستخراجِ النبيذِ . كما يمكنُ أن تُستخرَجَ من العنبِ خمورٌ أخرى غيرُ النبيذ .

متى استخدمت أحواض الاستحمام للمرة الاولى ؟



كان الناسُ ، في الأزمنةِ القديمَةِ ، يستحمّونَ بالماء لسببين ، للنظافةِ وكجزءٍ من الطقوسِ الدينية .

وكان قُدماءُ اليونانِ يستحمّون بالماءِ الدّافىءِ للمتعةِ وراحةِ الأعصابِ ، وصارتِ الحمّاماتُ مراكزَ يجتمعُ فيها الناسُ . كما صارَ الإستحمامُ طريقةً من طرقِ معالجةِ الأمراضِ .

وكانَ الإستحمامُ بالنسبةِ للسومريين والبابليين والفينيقيين في العراقِ القديمِ وسوريا ، مظهراً من مظاهِرِ الفرحِ والتجدّد بالإضافةِ إلى ارتباطهِ بالشعائِرِ الدينيّةِ . أما عندَ قدامى المصريين فقد كانَ طقساً دينياً في الدرجةِ الأولى . كذلك ارتبطَ الإستحمامُ عندَ اليهودِ بالمناسباتِ الدينيّةِ ، وهو عندَ الهندوسِ جزءٌ من الطقوسِ الدينية . أما عندَ المسلمين فطهارةُ الجسدِ شرطٌ للصلاةِ ، وهي طهارةٌ تتحقَّقُ بالوضوءِ والاستحمام . وبما أنّ المسلمَ يصلّي خمسَ مراتٍ في اليوم باتَ الاغتسالُ جزءاً من النظامِ اليومي في حياتِهِ .

أقدمُ الحمّاماتِ التي بقيت آثارُها أو صُورُها ، حتى أيامِنا هٰذه نجدُها في « كنوسّوس » بجزيرةِ كريت . وهي تعودُ إلى ما قبل أربعةِ آلافِ سنةٍ . القصر الكبير في هذه المدينةِ كانت له حمَّاماتٌ فيها أحواضٌ . وقد عُثِرَ في جناحِ الملكةِ ، في القصرِ نفسِه ، على حوضٍ يرجعُ إلى زمنٍ يتراوحُ بين سنة (١٧٠٠) قبل الميلاد وسنة (١٤٠٠) ق. م. وهو كثيرُ الشبهِ بالأحواضِ الحديثةِ . ويبدو أنَّ شكلَ الأحواضِ لم يتغيَّرْ كثيراً بمرورِ القرونِ .

على أيةِ حالٍ كانَ الإستحمامُ في الأحواضِ قد أصبحَ مأْلوفاً منذُ قدماءِ اليونانِ . وكانت هذه الأحواضُ تُصنعُ من الحجرِ المصقولِ والرّخامِ والخشبِ . وقد وصفَ هوميروس الشاعرُ اليونانيُّ الكبيرُ (شاعرُ الأوذيسّة والإلياذة) حوضاً جميلاً من الفضَّةِ جيءَ بِهِ من مصرَ .

في أيامِ الدولةِ الإسلاميَّةِ أصبحَ الحمّامُ جزءاً أساسياً من كلِّ بيت ، وذلك لكونِ الاغتسالِ مقدمةً للصلاةِ ، ولتعدُّدِ الوصايا والأحاديثِ التي تدعو إلى النظافةِ . كما تطوَّرَتْ هندسةُ الحمّاماتِ وبلغَتْ حدّاً كبيراً من الفخامةِ .

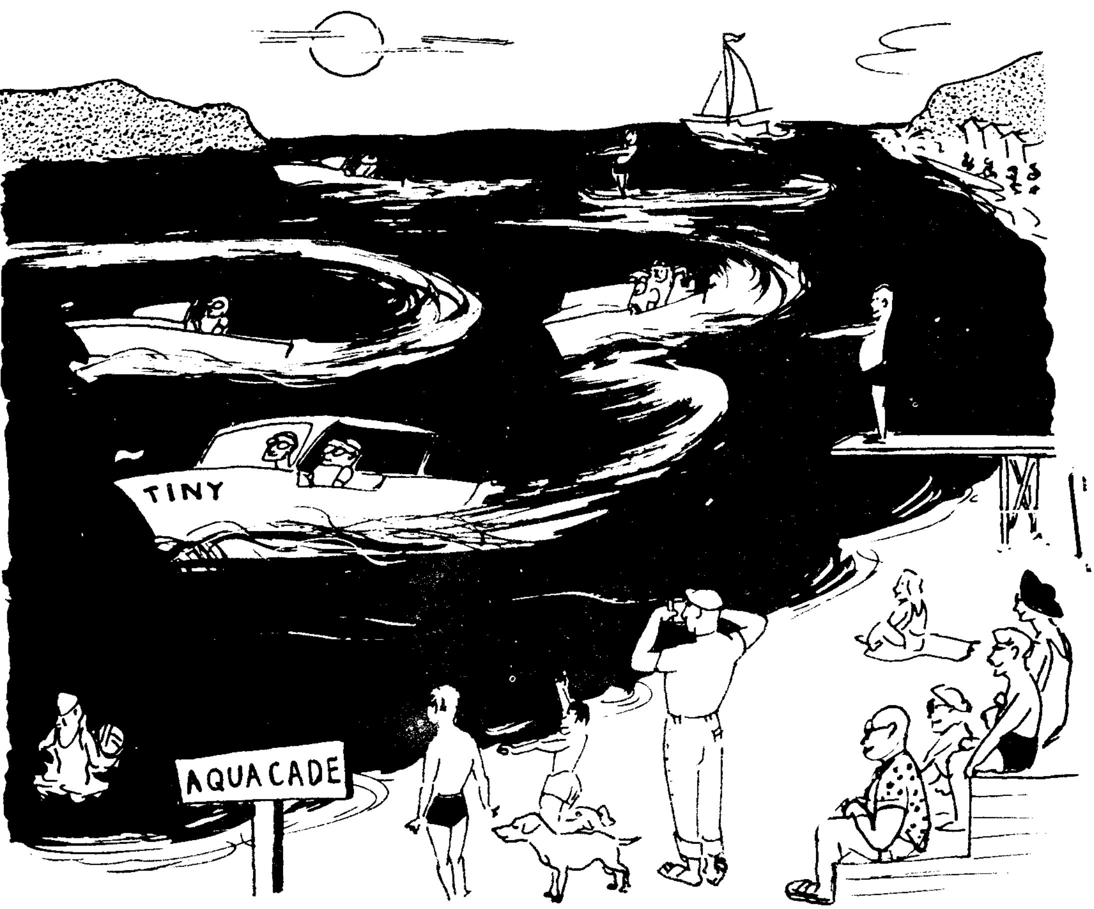
وانتشرتِ الحمّاماتُ العامّةُ والشعبيّةُ بأقسامِها المختلفةِ ، لا سيّما في

العصرِ العباسيِّ وما بعدَهُ . وبالغَ المعماريون في زخرفةِ الحمّاماتِ ورصفِ أرضِها بالرخامِ وتجصيصِ جدرانِها . ولم تعُدِ الغايةُ من ارتيادِ هذه الحمّاماتِ مقتصرةً على النظافةِ ، بل صارَ الحمّامُ فوقَ ذلكَ وسيلةً لراحةِ الأعصابِ . ويُطلقُ اليوم على حمّامات البخارِ في أنحاءِ العالمِ اسم الحمّامِ التركي .

الكنيسةُ المسيحيَّةُ الأولى لم توصِ بالإغتسالِ ولم تربطِ النظافةَ بالدّينِ . بل إنَّ بعضَ المسيحيين في العهود الأولى قد اعتبروا تحمُّلَ القذارَةِ طريقةً للتكفيرِ عن الخطايا . وقد بدأَ هذا النوعُ من التقشُّفِ يتراجعُ في القرونِ الوُسطى .

في أواخرِ القرونِ الوسطى بدأَ معظمُ الأوروبيين يستخدمُ العطورَ ومستحضراتِ الزينةِ بدلاً من الإستحمامِ . وكانَتِ الحمّاماتُ الخاصةُ في البيوتِ نادرةً . حتّى المستعمرون الأوروبيون الأوائلُ ، الذين ذهبوا إلى القارّةِ الأميركيةِ ، كانوا ينفرون من الاستحمامِ . ولم تبدأْ عادةُ الاستحمامِ اليوميِّ في الولاياتِ المتّحدةِ نفسِها إلا منذ مئةِ سنة .

أما في أوروبا فلم يصبحِ الحمّامُ قسماً مستقِلاًّ من البيتِ إلا في العصرِ الفيكتوري (زمن الملكةِ فيكتوريا ملكةِ بريطانيا ١٨١٩ ـ ١٩٠١ م) . قبلَ ذلكَ كانَتْ أحواضُ الاستحمامِ تُصنعُ من الخشبِ أو النحاسِ أو الحديدِ ، وكانت توضعُ في الغرفِ وتُغَطَّى لتظهرَ كالمقعدِ أو الأريكةِ .


TINY
AQUACADE

كيفَ تطوَّرتِ الملابسُ ؟



اهتمَّ الإنسانُ دوماً بتحسينِ مظهرِهِ . كان الإنسانُ القديمُ يرتدي جلودَ الحيوانِ ويضعُ حولَ عنقِهِ خيوطاً أو أشرطةً نظِمَتْ فيها كراتٌ صغيرةٌ لامعةٌ ملوّنة . وقد حوَّلَ أليافَ الشجرِ والأوراقَ والريشَ أو أيَّ مادةٍ توفرت له ، إلى ملابسَ .

كانَت للملابِسِ ، لدى الإنسانِ القديمِ خصائصُ سحريةٌ . وربما كانَ يحاولُ إبعادَ الأرواحِ الشريرةِ عن طريقِ لفِّ جسمِهِ بجلدِ حيوانٍ مُعَيَّنٍ . ثم اضطرَّ الناسُ، في عصرِ الجليدِ ، إلى إرتداءِ فراءِ الحيواناتِ طلباً للدفء .

كان يقشرُ الجلدَ ثم يُحدِثُ فيه ثقوباً . بعد ذلك يُدخِلُ أشرطةً من الجلدِ أو أوتاراً حيوانيةً في تلك الثقوبِ كي يربطَ أقسامَ الفراءِ إلى بعضِها البعضِ

ويُبقيَها مشدودةً إلى جسمِهِ .

وشيئاً فشيئاً تعلَّمَ الإنسانُ أن يُعالِجَ الجلدَ بحيث يصبحُ أكثرَ نعومةً وليونةً . ومنذ خمسين أو أربعين ألف سنةٍ اخْتُرِعتِ الإبرةُ ، اختراعُ الإبرةِ مهَّدَ الطريقَ لتطوّرِ صنعِ الثياب .

وتعلّمَ الإنسانُ ، فيما بعد ، كيف يغزِلُ الصوفَ ووبرَ الحيوانِ ويحوّلُهُ إلى خيوطٍ طويلة . وقد نسجَ المصريون القدماءُ الأقمشةَ الرقيقةَ من خيوطِ الكتَّانِ والقطنِ التي كانت تنبتُ في وادي النيلِ . وكان الصوفُ يُغزَلُ ويحوَّلُ إلى خيوطٍ تُنسجُ منها الملابسُ والأتبُ (ثوبٌ قصيرٌ ضيقٌ) ، وغيرها مما كان القدماءُ يرتدونه .

حيث سادتِ المناخاتُ الباردةُ اضطُرَّ الناسُ إلى تغطيةِ أجسامِهِم كلِّها لحفظِها من أذى العناصر . وكانتِ الملابسُ التي تُحاكُ للمناطقِ الباردةِ تُجعلُ لاصقةً بالجسمِ . ولذلك جاءت السراويل الضيقة والأتبُ . والمعاطفُ الثقيلة والمشالحُ (أو البرانسُ) من هذه المناطق .

ومع تقدّمِ وسائلِ النقلِ والإتّصالِ بين مختلفِ مناطقِ الأرضِ ، بدأ تأثيرُ الأزياءِ المحليّةِ الخاصةِ بعضُها في البعضِ الآخرِ . غيرَ أنَّ كلَّ فئةٍ من فئاتِ المجتمعِ انفردتْ بلباسٍ خاصّ . وبصورةٍ عامّة ، فإنّ الطبقاتَ الشعبيَّةَ العاملةَ تميّزت بملابسَ واسعةٍ تساعدُ على الحركةِ والعملِ . أما الطبقاتُ الغنيّةُ فقد تفرّدَتْ بملابسَ أكثر تعقيداً تدلُّ على أنّ أصحابَها لا يحتاجون إلى العملِ اليدويّ أو الجهدِ الجسديّ .

مَتى بدأت النسَاء تصفيف الشعْر ؟



استناداً إلى الآثارِ والوثائقِ التي عَثَرَ عليها علماءُ التاريخِ يمكنُ القولُ إنَّ تصفيفَ الشعرِ فنٌّ قديمٌ جداً . فليست هناك أيةُ تماثيلَ أو رسومٍ أو آثارٍ تنتمي إلى مرحلةٍ لم يكنِ الشعرُ فيها مُصفَّفاً ، لدى النساءِ والرجالِ على السّواء !

كانَ استعمالُ الأمشاطِ شائعاً منذ أزمنةٍ بعيدةٍ جداً . وقد صنعَ الإنسانُ البدائيُّ الأمشاطَ من العظمِ ، والخشبِ ، وحتى من البرونز .

البشرُ المتوحشون أنفسُهم قد أظهروا اهتماماً كبيراً بالشَّعرِ . بعضهم صبغَ الشَّعرَ باللونِ الأسودِ ، أو الأبيضِ أو الأحمرِ . كان بعضُ قبائلِ الزنوجِ في

الكونغو يستخدمُ زيتَ الخَروْعِ لتصفِيفِ الشعرِ ، وبعضُ القبائلِ الأخرى استعملت موادَّ لاصقةً للغايةِ نفسِها .

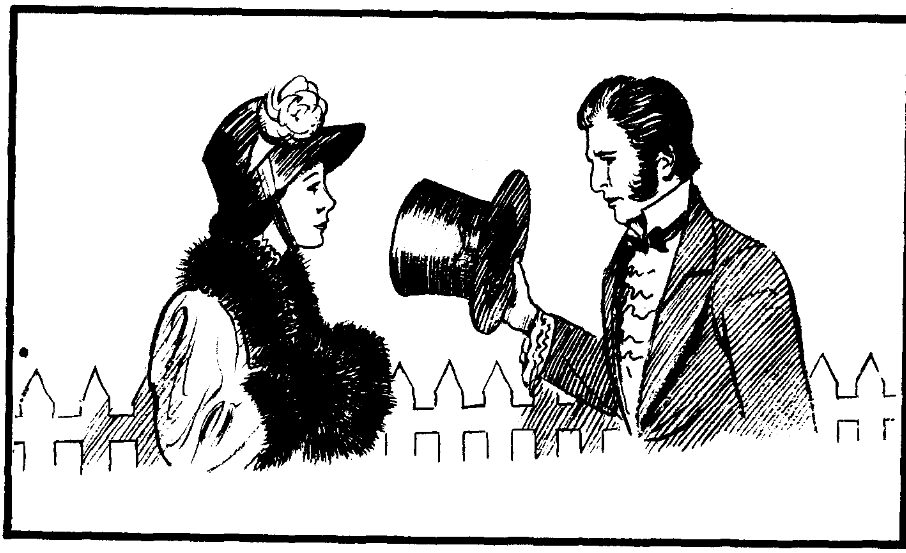
وقد درجَتْ نساءُ سومرَ وبابلَ ومصرَ القديمةِ وفينيقيا وآشورَ على استخدامِ أنواعٍ من الدبابيسِ الطويلةِ ذاتِ الأشكالِ الزُّخرفيَّةِ ، وكانت هذهِ الدّبابيسُ تنتهي أحياناً بتماثيلَ صغيرةٍ . وفي المناسباتِ الخاصةِ كانَ الشعرُ يُزيَّنُ بأكاليلِ الزّهرِ أو الشرائطِ .

وقد اختلفت أساليبُ تصفيفِ الشعرِ من بلدٍ إلى آخرٍ ومن عصرٍ إلى آخرٍ . لكن يبدو أنَّ هناك أسلوبين قد غلَبا على تزيينِ الشعر وهما الضفائرُ بأشكالِها المختلفةِ ، وتجعيدُ الشعرِ . كما يبدو أنَّ إعجابَ الناسِ بالشعرِ المجعَّدِ قد فاقَ إعجابهُم بالشعرِ الأملسِ . وتكثرُ الصورُ التي تُظهِرُ الشعرَ يصطفُّ بشكلِ حلقاتٍ فوقَ الجبينِ وحولَ الصِّدْغَيْنِ . ولا بدَّ أن هذه الحلقاتِ كانت تُثَبَّتُ بواسطةِ مادّةٍ ما . ولم يقتصرْ تجعيدُ الشعرِ على النساءِ ، بل كان الرجالُ يجعّدونَ شعرَ رؤوسِهِم ولحاهم .

مع تقدُّمِ المدنيةِ صارت أزياءُ الرأسِ وتصفيفِ الشعرِ أكثرَ تنوُّعاً . في بعضِ المناطقِ يميلُ الناسُ إلى الشعرِ المُجَعَّدِ بينما يُفضَّلُ الشعرُ الأملسُ في مناطقَ أخرى .

أما عادةُ تقصيرِ الشعرِ لدى الرجالِ وإرسالِهِ لدى النساءِ فهي عادةٌ حديثةٌ في تاريخِ الإنسانِ ، لم تبدأْ إلا مع نهايةِ القرونِ الوسطى .

لماذا يَرفَعُ الرجَال قبّعاتِهم للنِسَاء ؟



مرّتْ هذه العادةُ ، شأنَ الكثيرِ من العاداتِ الأخرى بمراحلَ وتطوُّراتٍ عديدةٍ قبلَ أن تصلَنا بشكلِها الحالي .

في الأزمنةِ الغابرةِ كان كشفُ الجسمِ أمامَ الآخرين دليلَ احترامٍ وتهيُّبٍ . والقسمُ العُلْويُّ من الجسمِ هو الذي كان يُكشفُ عادةً . ثم تطوّرتْ هذه العادةُ وصارَ كشفُ الرأسِ كافياً ، وبالتدريجِ صارَ مجردُ رفعِ القبّعةِ كافياً .

في عصرِ الفرسانِ كانتِ العادةُ تقضي على الفارسِ ارتداءَ دروعِهِ

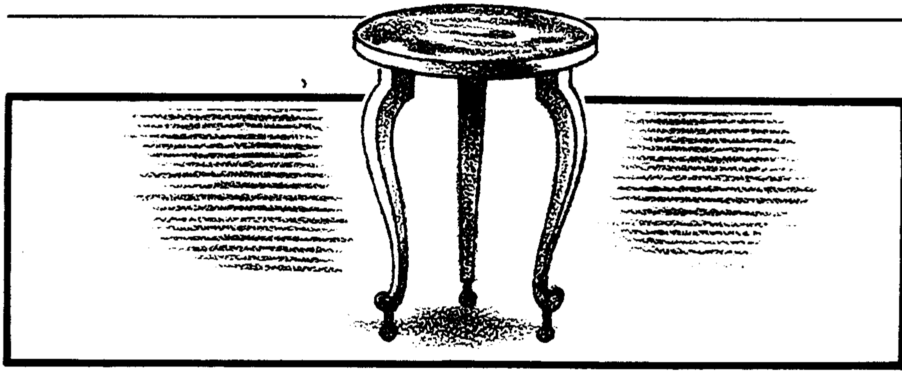
وأسلحتِهِ كاملةً . لكنْ عندما كان الفارسُ يدخلُ على أصدقاء أو أشخاصٍ يحملُ لهم الإحترامَ كان يخلعُ خوذتَه . رفعُ الخوذةِ كان إشارةً إلى أنَّهُ يشعرُ بالأمانِ بين هؤلاءِ الناسِ ولا يحتاجُ إلى حمايةِ الخوذةِ .

واتَّفَقَتْ هذه العادةُ مع عادَةِ كشفِ الرأسِ احتراماً ونشأتْ عادةُ رفعِ القبّعةِ تهذيباً ولياقةً . هذه العادةُ سَرَت على الرجالِ وليس على النساءِ فالرجالُ هم الذين يرفعون قبعاتِهِم أمامَ النساءِ وليس العكس . فبينما نرى الرجالَ يخلعون قبّعاتِهِم أو يكشفون رؤوسَهم في أماكِنِ العبادةِ ، المسيحية والإسلاميةِ على السّواء ، نرى النساءَ يضعْنَ القبعاتِ أو المناديلَ على رؤوسِهنّ في المناسباتِ الدينيةِ .





مَن صَنع الطاولة الاولى ؟



تُعتبرُ الطاولةُ جزءاً ضرورياً من أثاثِ البيتِ . فهي تُستَخْدَمُ لأغراضٍ كثيرةٍ ، تُستخدمُ كمائدةٍ للطعام ، ومنضدةٍ للكتابةِ أو للألعاب ، وكحاملٍ للمصباحِ وغيرِ ذلكَ . ولهذا فقد وُجدتِ الطاولةُ مع فجرِ الحضارة .

أوَّلُ الطاولاتِ التي أمكنَ تتبُّعَ آثارِها في المدنياتِ القديمَةِ وُجدت لدى السومريين . كانت الطاولةُ عندهم صغيرةً تُصنَعُ من المعدنِ أو الخشبِ . ثم اقتبَسَها عنهم البابليون والآشوريون ، وكذلك فعلَ الفينيقيون والمصريون . وقد صنعَ المصريونَ طاولاتٍ صغيرةٍ منخفضةٍ تغطّيها النقوشُ الجميلةُ التي حُفِرَتْ حفراً دقيقاً .

اليونانُ الذين اقتبسوا أشياءَ كثيرةً عن الحضاراتِ المصريةِ والفينيقيةِ وحضاراتِ ما بين النهرين ، اقتبسوا كذلك المفروشاتِ وبينها الطاولةُ . وقد صُنِعَتِ الطاولاتُ اليونانيةُ من الرُّخامِ والمعدنِ والخشبِ المُطَعَّمِ (أو المُرَصَّعِ) .

ثم جاءَ الرومانُ وطوَّرُوا صناعةَ الأثاثِ فبلغوا بذلك مستوى رفيعاً . ولم يكتفوا بصنعِ طاولاتٍ من المعدنِ أو الخشبِ بل أنتجوا طاولاتٍ منحوتةٍ ومطعَّمَةٍ بالعاجِ والمعادنِ النفيسةِ . وكانَت قوائمُ الطاولاتِ تُنحتُ على شكلِ حيواناتٍ خرافيةٍ أو أعمدةٍ أو على صورةِ قوائمِ الأسدِ أو الكبشِ .

وكان من عادةِ الرومانِ أن يتَّكِئُوا عند تناولِ الطعامِ بدلَ أن يجلسوا إلى المائدةِ جلوساً ، لذلك جاءت طاولاتُهم منخفِضَةً . ولا بدّ من القولِ إنّ الأغنياءَ وحدَهم كانوا يملكون الطاولاتِ في الأزمنةِ القديمَةِ .

في القرونِ الوسطى صار للطاولاتِ أشكالٌ مختلفةٌ ، دائريّةٌ وبيضاويّةٌ ومستطيلةٌ . لكنّها كانت بسيطةً جداً ، مكوَّنةً من لوحٍ مثبتٍ على قاعدةٍ ثابتةٍ أو متحركةٍ يمكنُ طيُّها . وكانت تُغطّى بملاءةٍ تتدلّى حتى الأرض لإخفاءِ الحاملِ . وكانت تُطوى بعد الطعامِ وتوضعُ جانباً .

واستُخدِمتِ الطاولة أو « الخِوانُ » في العصورِ الإسلاميةِ الأولى للطعامِ خاصةً ، وتبارى الأغنياءُ في اقتناءِ الطاولاتِ المزخرفةِ . وقد صُنِعَت منذ العصرِ العباسيِّ طاولاتٌ نُقشت فيها الزخارفُ العربيّةُ الدّقيقةُ ، وازدهرت في العهدين المملوكي والعثماني صناعةُ الخشبِ المطعَّمِ بالأصدافِ والمعادنِ ، كما تطوَّرَتْ صناعةُ الأخشابِ المُزَيَّنَةِ بنقوشٍ فُسيفسائية . وفي المتاحفِ العربية والإسلامية عامَّةً طاولاتٌ بديعةُ الصنعِ .

وفي القرنِ السادسَ عشرَ أصبحتِ الطاولاتُ الكبيرةُ جزءاً مهماً من الأثاث . فقد كانت هذه الطاولاتُ تتوسطُ القاعاتِ الكبرى في الحصونِ الإقطاعيةِ . أما الطبقاتُ الشعبيّةُ فقد كانت تستخدمُ الطاولاتِ الصغيرةَ أو الألواحَ المستطيلَةَ .

متى بَدَأ حِفظُ الأُطعِمَة في الثلج ؟



ربّما حسِبْنا أنَّ حفظَ الأطعمةِ في الثلجِ اختراعٌ جديدٌ ، مع أنّه من أقدمِ الطرقِ التي عرفَها الإنسانُ لحفظِ الطعام . فمنذ أن سكنَ الإنسانُ المناطقَ الباردةَ أخذ يضعُ الأسماكَ والطرائدَ وغيرَها من اللحومِ في الثلجِ كي تبقى صالحةً للأكلِ في المستقبل .

أولُ اختراعٍ لتثليجِ الأغذية تمَّ تسجيلُه في انجلترا عام ١٨٥٢ . كانت

الطريقةُ تقضي بغمرِ الأطعمةِ في مزيجٍ من الثلجِ والماءِ المملَّحِ . وقد حصلَتْ اختراعاتٌ عديدةٌ في ذلك الوقتِ على براءةِ الاستثمار وكانت كلُّها تقومُ على استخدامِ الثلجِ والماءِ المملَّح .

لكنَّ تثليجَ الطعامِ لم ينتشرْ انتشاراً حقيقياً قبلَ اختراعِ التبريدِ الآلي . هذا التبريدُ أتاحَ تثليجَ اللحومِ ونقلَها مسافاتٍ طويلةً .

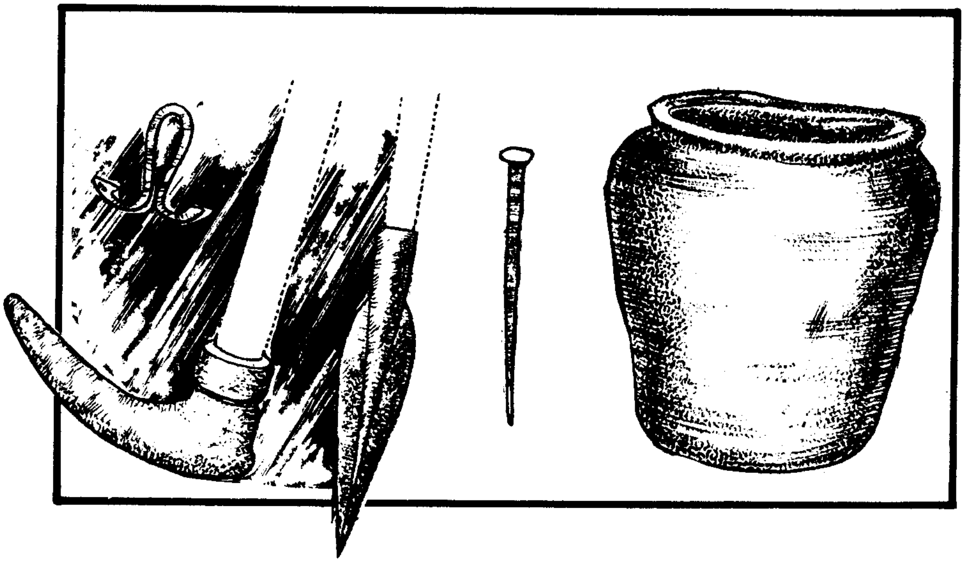
ومنذُ مطلعِ القرنِ العشرين ظهرَتْ محاولاتٌ لحفظِ أنواعٍ من الأطعمةِ بالإضافةِ إلى اللحومِ عن طريقِ التثليجِ . فقد حاولَ شخصٌ من كولورادو يُدعى هـ . س . بيكر أن يثلجَ الفاكهةَ منذ عام ١٩٠٨ . وكانت الغايةُ من محاولتِهِ حفظُ المحاصيلِ التي لم يتمَّ استهلاكُها أو بيعُها ليُصارَ إلى بيعِها فيما بعد .

لكنَّ الفاكهةَ التي أمكنَ تثليجُها كانت قليلةً واقتصرتْ على الفراولة أو الفريز ، والكرز . ولكنَّ التثليجَ في هذه الحالةِ قد تمَّ عن طريقِ تبريدِ الجو . فقد وُضِعَتْ الأوعيةُ التي تحوي الفاكهةَ في غرفٍ مبرّدةٍ واسعةٍ درجةُ حرارتِها تنخفضُ كثيراً عن درجةِ تجمّدِ الماءِ .

وفي عام ١٩١٦ أظهرتِ التجاربُ التي أُجرِيَتْ في ألمانيا أن الطعامَ يمكنُ أن يُحفظَ بالتبريدِ السريعِ بحيثُ يُثلَّجُ خلالَ ثلاثِ ساعاتٍ بدلَ أن يستغرقَ ذلكَ أياماً . هكذا بدأ العملُ على تثليجِ الأطعمةِ المعبَّأةِ في أوعيةٍ صغيرةٍ يسهلُ توزيعُها في المخازنِ التجاريةِ . ولم يتحقَّقْ هذا النوعُ من التَّسويقِ إلا في عام ١٩١٩ .

ثم تبيَّنَ ، نتيجةً لهذه التجاربِ وغيرِها أنَّ بالإمكانِ حفظَ العديدِ من الخضارِ بهذه الطريقةِ . وما تزالُ أساليبُ حفظِ الطعامِ بالتبريدِ تتقدَّمُ وتتطوَّرُ .

مَتى بَدَأ استعمال المعَادن ؟



كان الإنسانُ يعيش ، قبلَ ستّةِ آلافِ سنةٍ في ما نسمّيه العصرَ الحجريّ . وذلكَ لأنَّه كان يصنعُ معظمَ أدواتِهِ وأسلحتِهِ من الحجرِ . فلم يكنْ بعدُ قد عرفَ كيف يستخدمُ المعادنَ .

ربّما كانَ النحاسُ والذّهبُ أقدمَ المعادنِ التي توصَّلَ الانسانُ إلى استخدامِها . وسببُ ذلك أنّ هذين المعدنين يوجدانِ في الطبيعةِ في حالةٍ خالصةٍ كما يوجدان في حالةِ فلزات . وقد وجدَ الإنسانُ كُتَلاً وشذَراتٍ من النحاسِ والذهبِ وكان قادراً على طرقِها وإعطائها أشكالاً مختلفةً دون حاجةٍ إلى تذويبِها . لا نعرفُ متى اكتشفَ الإنسانُ كيفيةَ استعمالِ هذين المعدنين،

لكننا نعرفُ أنّ النحاسَ قد استُعْمِلَ منذ خمسةِ آلافِ سنةٍ قبل الميلاد . أمَّا الذهبُ فقد استعمِلَ منذ ما يقاربُ أربعةِ آلافِ سنةٍ قبل الميلاد .

حوالى عام (٣٠٠٠) قبل الميلاد تعلَّمَ الإنسانُ أهمَّ الأشياءِ حول استعمالِ المعادنِ . وفي هذه الأثناءِ كانت معادنُ أخرى كالفضَّةِ والرَّصاصِ قد اكتُشِفَتْ ، لكنَّ النحاسَ ظلَّ الأكثرَ استعمالاً لأنّه كان أقوى من غيرِهِ وأوفرَ .

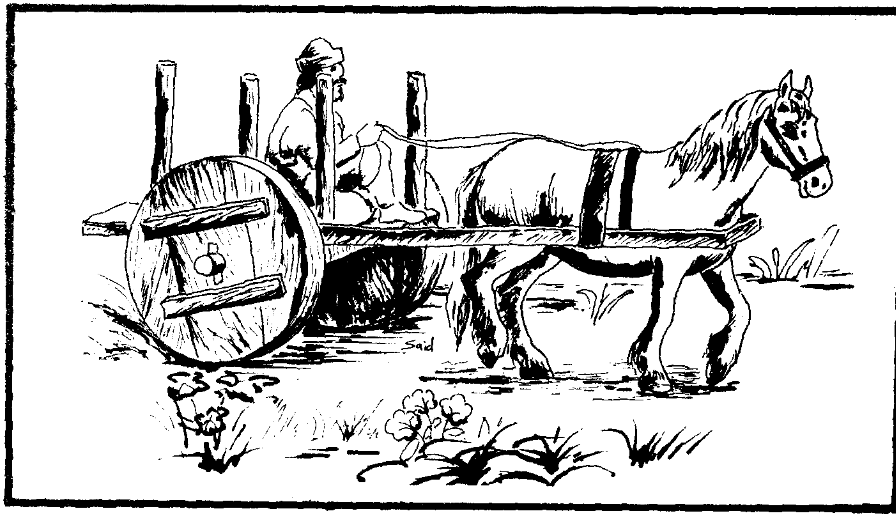
في البدايةِ تعلَّمَ الإنسانُ كيف يطرقُ المعادنَ ويعطيها أشكالاً عمليّةً ، فيحوّلُها إلى أوانٍ وأدواتٍ وأسلحةٍ . ولمّا بدأ يستخدمُ المعادنَ اكتشفَ عمليَّةَ التقويةِ (وهي العمليةُ التي تجعلُ المعادنَ قويةً ومرنةً عن طريقِ التَّحمِيَةِ ثمَّ التَّبريدِ البطيءِ) ، كما اكتشفَ صهرَ المعادِنِ وصَبَّها وتصفيتها . واستخرجَ النحاسَ من الفلزاتِ ، وهي أوفرُ من الكتلِ في الحالةِ الصافيةِ .

اكتشفَ الإنسانُ فيما بعد معدنَ القصديرِ ، وتعلَّمَ كيف يمزجُ النحاسَ والقصديرَ ليحصلَ على البرونز . وبدءاً من المرحلةِ التي تمتدُّ بين (٣٥٠٠) قبلَ الميلادِ حتى (١٢٠٠) قبل الميلاد كان البرونزُ أهمَّ مادةٍ تُصنعُ منها الأدواتُ والأسلحةُ . هذه المرحلةُ هي ما يُعرَفُ بعصرِ البرونز .

أمّا الحديدُ فقد تعرَّفَ الإنسانُ إليه بواسطةِ النيازكِ التي وجدَها . تمَّتْ له هذه المعرفةُ قبلَ أن يتعلَّمَ كيف يصهرُ الحديدَ ويستخرجهُ من فلزاتِهِ . وقد تعلَّمَ الإنسانُ كيف يعالجُ الحديدَ ، وانتشرَت هذه المعرفةُ في أنحاءِ العالم ، وهكذا بدأ عصرُ الحديدِ .

لمَّا جاءَ العهدُ الرومانيُّ كان الإنسانُ قد تعرَّفَ إلى سبعةِ معادن هي : الذهبُ ، والنحاسُ ، والفضةُ ، والرصاصُ ، والقصدير ، والحديدُ ، والزئبقُ .

مَتى اختُرِعَ الدّولاب ؟



الدولابُ أو العجلةُ من أعظمِ اختراعاتِ الإنسانِ . قبلَ اختراعِ الدولابِ كان رفعُ الأثقالِ يتمُّ عن طريقِ الجرِّ فوقَ المنحدرات . وكان لا بدّ من ربطِها بحبالٍ يجرُّها البشرُ أو تجرُّها الثيرانُ .

أقدمُ دولابٍ صنعَهُ الإنسانُ كان في بلادِ ما بين النّهرين (العراق) بين سنةِ (٣٥٠٠) و (٣٠٠٠) قبلَ الميلادِ . وكانتِ العجلاتُ يومذاك على نوعينِ ، عجلاتُ عرباتِ النقلِ الصغيرةِ ، ودولابُ الخزّافِ . ودولابُ الخزّافِ هو الأصلُ الذي تفرَّعَتْ منه الآلاتُ التي تتحرّكُ على دواليبَ ومُسَنَّناتٍ كالنَّواعيرِ والتّروسِ وما يُشبهُ آليّةَ الساعةِ وغيرِ ذلكَ .

كانتِ العرباتُ الأولى عبارةً عن ألواحٍ مُركَّبةٍ على عجلتين . ولعلَّ الإنسانَ قد اهتدى إلى فكرةِ تثبيتِ الألواحِ فوقَ العجلاتِ عندما لاحظَ أنَّ الجذوعَ التي توضعُ تحتَ الألواحِ والأثقالِ كي تتدحرَج وتُسهِّلُ عمليةَالنقلِ ، تتقدَّمُ تاركةً وراءها الألواحَ والأثقالَ .

وقد ثُبِّتت العجلاتُ الأولى إلى محاورِها تثبيتاً شديداً . وهكذا لم تكنِ العجلةُ تدورُ إلا إذا دارَ المحورُ . وعندما تصلُ عربةٌ من هذا النوعِ إلى منعطفٍ لا تستطيعُ أن تدورَ إلّا إذا جُرّتْ إحدى العجلتينِ جَرّاً .

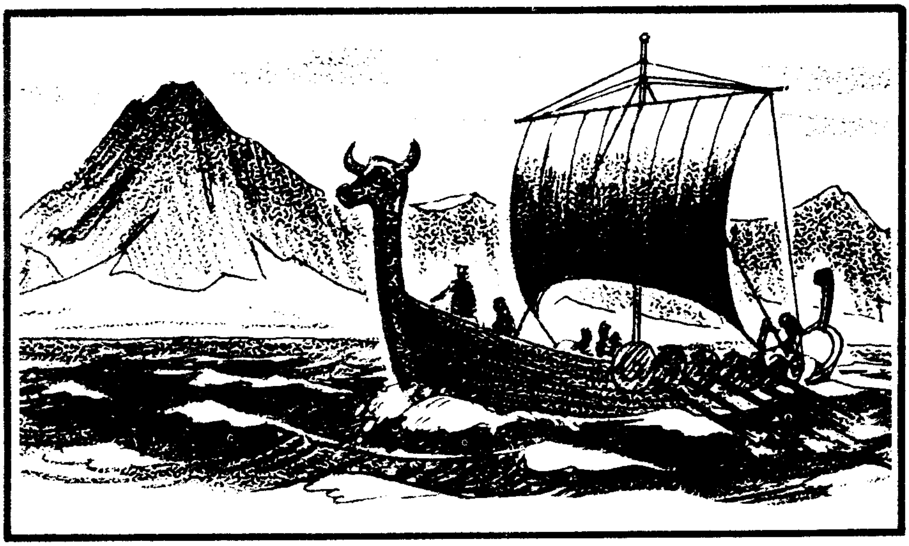
وكانَ لا بدّ أن يمرَّ هذا الإختراعُ بمرحلةٍ جديدةٍ من التطوّر . وبدأ المحورُ يُثَبَّتُ إلى العربةِ مع إعطاءِ العجلةِ حريةَ الدورانِ وتغييرِ الإتِّجاهِ ممّا يسهِّلُ انعطافَ العربة .

العرباتُ الأولى كانت عرباتِ المزارعين والعرباتِ الحربيةَ ، والعرباتِ الملكيةَ ، ثم العرباتِ المقدّسةَ الموقوفةَ على أسماءِ الآلهةِ .

وقد كانتِ العرباتُ الأولى ذاتَ عجلتين أو أربعِ عجلاتٍ . لكنّ عرباتِ العجلاتِ الأربع لم تكن عمليةً . فمحورُ العجلتين الأماميتين ومحورُ العجلتين الخلفيتين كانا مثبتين إلى جسمِ العربةِ. وبما أنّ المحورين معاً كانا عاجزين عن الحركةِ المستقلةِ فلم تكُنِ العربةُ تستطيعُ أن تقومَ بالانعطافِ الشديدِ . وقد تمَّ تطويرُ المحورِ الأمامي ، منذ ألفَيْ سنةٍ ، وذلك بجعلِهِ يرتكزُ إلى مفصلٍ يتيحُ له الدورانَ يميناً ويساراً.

أما العجلةُ التي يمكنُ التحكُّمُ بها وإيقافُها بواسطةِ الكابحِ (الفرامل) فقد اختُرعَت في جنوبي غربيّ آسيا (الكنعانيون والفينيقيون) حوالى عام (٢٠٠٠) قبل الميلاد .

مَن صَنع المركَب الأول ؟



لو كنتَ تعيشُ قريباً من مجرى مائي ولم ترَ يوماً مركباً ، ولم تسمعْ عن شيءٍ من هذا النوع ، ماذا كنت تفعل ؟ لو أنك اضطُررتَ إلى عبورِ الماءِ لاستَعَنْتَ بأيِّ شيءٍ قادرٍ على رفعِك فوق الماء .

ولا بدّ أن الإنسانَ البدائيّ قد تعلّمَ ، بهذه الطريقةِ ، كيف يجمعُ جذوعَ الأشجارِ إلى بعضِها البعضِ كي تحملَه فوق الماءِ . فإذا استخدمَ غصناً أو عصا كمجذافٍ استطاعَ عبورَ النهرِ أو البحيرةِ ، وهكذا وُلدت فكرةُ المركب .

هذا المركبُ المؤلَّفُ من قطعٍ قادرةٍ على العومِ مشدودٌ بعضُها إلى

بعضٍ كان طوْفاً حقيقياً ، غير أنَّ المُشكلَ في هذا الطّوْفِ أنّه لا يتحرّكُ بسرعةٍ ، كما أنّ الماءَ يعلوه ويمرُّ خلالَ أجزائه .

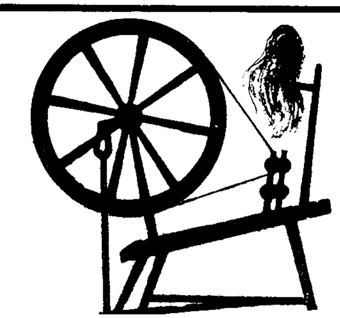
هكذا اهتدى الإنسانُ ، نتيجةَ بحثِهِ عن مركبٍ يؤمّنُ الجفافَ ويتحرّكُ بسرعةٍ ، إلى تجويفِ جذعِ شجرةٍ . هذا الجذعُ كتيمٌ لا يخترقهُ الماءُ كما أنّه أسرع . لكنَّ هذا المركبَ لا يتّسعُ لما يمكنُ أن يتّسعَ له الطّوفُ ، ثمّ أنّه ينقلبُ بسرعة .

وهكذا بدأ الإنسانُ البدائيُّ في تحسينِ نوعيّةِ الزورقِ الشجري . فقلّد شكلَ الشجرةِ المجوّفةِ وجعلَ المقدّمةَ دقيقةَ الرأسِ بينما جعلَ مؤخّرةَ الزورقِ قَطْعاً عريضاً لزيادةِ السرعةِ . وجعلَ الأطرافَ تميلُ نحو الخارجِ لتحقيقِ التوازنِ ، وجعلَ القعرَ مسطّحاً . ثمّ اخترعَ العارضة ورفعَ جوانب الزورقِ عن طريقِ إضافةِ ألواحٍ خشبيةٍ .

في هذهِ الأثناءِ ، بدأَ الناسُ ، الذين كانوا يستخدمون الطّوفَ ، يُدْخِلُون عليه التحسيناتِ ، غطّوا أرضَه بالألواحِ الخشبيةِ بعدَ نشرِها وإعطائِها شَكْلاً منظّماً . بنوا فوقَه سطحاً لتوفيرِ الراحةِ والحمايةِ . (ومن هنا تطوَّرَ ظهرُ السفينةِ كما نعرفهُ اليوم) . ورفعوا جوانبَ الطَّوْفِ وجعلوا الأطرافَ معقوفةً . هذا النوعُ تطوَّرَ حتى أنتجَ الفُلْكَ ، والبنْطَ (قاربٌ ذو قعرٍ مسطّحٍ) وسائرَ المراكبِ ذاتِ القعرِ المسطّحِ .

وبمرورِ الزمنِ بدأ الزورقُ الشجريُّ والطَّوفُ يكتسبانِ خصائصَ مشتركةٍ . وأخذَ الإنسانُ يؤلِّفُ بين أفضلِ الخصائصِ ، ويكيّفُها بحسب الحاجةِ ونوعِ المركبِ الذي يريدهُ . وهكذا يمكنُ القولُ ، إنَّ المراكبَ التي نعرفُها اليومَ هي نتيجةُ تطوّرِ هذين النوعين .

مَا الثَّورةُ الصِّناعية ؟



منذُ أقدمِ العصورِ والانسانُ يحيا على هذه الأرض . لكنَّ التبدّلَ الأهمَّ الذي طرأ على حياتِهِ اليوميةِ ، لم يتحقّقْ إلّا في المئتي سنةٍ الأخيرة .

هذا التبدلُ في حياةِ الانسانِ وعملهِ ارتَكزَ على تَطوّرِ الآلةِ ، وقَدْ سُمِّيَ بالثورةِ الصناعية . وحتى عام (١٧٥٠ م) ألف وسبعمئةٍ وخمسين كان إنتاجُ الانسان مُقْتَصراً على صُنْعِ **الأدوات** ، وبَعْدَ هذا التاريخِ أُخْتُرِعَتْ **الآلاتُ** الحقيقية .

فالآلةُ شبيهةٌ **بالأداةِ** ولكنَّها تختلفُ عنها من حَيْثُ إنجازُها جميعَ الأعمال ، وتوفيرُها لكاملِ الطاقة .

وهذا التطوُّرُ من صُنْعِ **الأداةِ** الى صُنْعِ **الآلةِ** له أثرٌ كبيرٌ على مُختلفِ مراحلِ حياتِنا ونَسْتَطِيعُ معرفةَ ذلك بوضوحٍ من استعراضِنا كيفيةَ الإنتقالِ من تطوُّرٍ إلى آخر .

كان على الإنسان قبلَ إستعمالِهِ « الآلةَ » أن يَكْتَشِفَ مصادرَ جديدةً للطاقةِ .

ففي الحُقْبَةِ السابقةِ للثورةِ الصناعيةِ إقتصرت الطاقةُ على عضلاتِ الانسانِ **وعضلاتِ الحيواناتِ** وقوةِ الرياح ، **والدفع المائي** . ولكي يتمكَّنَ الانسانُ من تشغيلِ الآلاتِ الجديدةِ التي ابتكَرها توجَّبَ عليه تطويرُ مصدرٍ جديدٍ للطاقةِ ونعني به : **البُخار** .

وقَدْ ساعَدَ هذا التطوُّرُ الانسانَ على بناءِ المصانِعِ حيثُ توفَّرتِ الموادُّ الأوليةُ ، وحيثُ تهيَّأتِ الأسواقُ . ومع تَزايُدِ استعمالِ الآلاتِ ظهرتِ الحاجةُ إلى مزيدٍ من الحديدِ والفولاذِ ، ولهذا بَرَزَتْ حاجةٌ ملحّةٌ لأساليبَ جديدةٍ في استخراجِ الفحمِ الحجري .

ومع ازديادِ حَجْمِ إنتاجِ الآلاتِ كان من الضروريّ تحسينُ وسائلِ النَقْلِ لإيصالِ تلكَ البضائعِ إلى الأسواقِ ، وقد أدَّى هذا الى تطويرِ شبكةِ الطرق ، وحَفْرِ القنواتِ وإنشاءِ سِكَكِ الحديد وبناء السُفُنِ الضخمةِ كي تنقلَ البضائعَ إلى الأسواقِ البعيدة .

هكذا تزايدت نِسْبَةُ التبادلِ التجاريّ بين مختلفِ أقطارِ العالم . فبرَزَتْ أهميةُ وسائلِ الاتصالِ فاْخْتُرِعَ التلغرافُ والهاتف .

ولمّا تطوّرتِ المصانعُ وشاعَ استخدامُ الآلاتِ الضَخْمَةِ المرتفعةِ الثمنِ ، لمْ يَعُدْ باستطاعةِ الانسان أن يعملَ في منزلِهِ أو مُحترفِه ، فبدأ الرجالُ يغادرون تلك المنازل قاصدين المتجمعات الصناعيةَ لكَسْبِ العيش . وأدّى هذا التطوُّرُ بمرورِ الزمن ، إلى **تَقْسِيمِ العملِ** بمعنى أنه أصبحَ يتوجَّبُ على كلِّ عاملٍ أن يقومَ بعملٍ واحدٍ محددٍ طيلةَ اليوم بعد أن كان في منزلِهِ ينجزُ السلعةَ كاملةً ويؤدي مراحلَ العَمَليةِ الانتاجيةِ بمفردهِ بكامِلِها . وقد أمَّنتِ الثورةُ الصناعيةُ إنتاج الكثيرِ من أنواعِ البضائعِ فتدنَّتِ الأسعارُ بسببِ غزارةِ الانتاجِ وصار بإمكانِ المواطنِ العادي والعاملِ أن يشتريها بأسعارٍ رخيصة .

مَا هِيَ براءة الإختراع ؟

لو أحصينا القيمة الناتجة من جميعِ كمياتِ الذَهَبِ والفضةِ والمَاس ، المستخرجَةِ خِلالَ عامٍ واحدٍ لما وازتِ الأرباحَ التي يُمْكِنُ أنْ تَدُرَّها براءَاتُ الإختراعاتِ الأميركيّة ـ مثلاً ـ خلالَ العامِ ذاته .

ما براءَةُ الإختراع ؟ هي عبارةٌ عن إتفاقٍ بَيْنَ الحكومةِ ممثلةِ الشعبِ من جهة ، والمُخْترعِ من جهةٍ أخرى . بهذا الإتفاقِ تَضْمَنُ الدولةُ للمخترعِ وحدَهُ حُقوقَ تصنيعِ اختراعِهِ واستعمالِهِ أو بَيْعِهِ لمدةِ سبعةَ عشرَ عاماً ، إلاَّ في حال موافقةِ المخترعِ على قيامِ طرفٍ آخر باسْتِثْمَارِ إختراعِهِ . مقابلَ ذلكَ يَضَعُ المخترعُ إكتشافَهُ في تَصَرُّفِ مكتبِ براءات الإختراعِ ليستطيعَ جميعُ الناسِ الاستفادة منه بَعْدَ إنتهاءِ مدةِ الأعوامِ السبعةَ عشرَ . ويقومُ المبدأُ في مَنْح براءَةِ الإختراعِ على سؤالين : هَلْ هذا الإختراعُ جديدٌ ، وهَلْ هو مفيدٌ ؟

يُراعى هذا المبدأُ في جميعِ أنحاءِ العالمِ لدى مَنْحِ براءَةِ الإختراع . فأيُّ شخصٍ يَكْتَشِفُ أو يخترعُ فناً أو آلةً أو صناعةً أو مادةً مركبةً جديدةً ومفيدةً ، يستطيعُ الحُصُولَ على براءَةِ اختراعٍ ، ويَشْمَلُ هذا أيضاً أيَّ تحسينٍ جديدٍ ومفيدٍ .

على المخترعِ أنْ يُقدِّمَ طلباً للحصولِ على تِلْكَ البراءَةِ ، ويُساعِدُهُ في ذلك محاميهِ أو « وكيله » ، وعليهِ عند ذلك أن يُعِدَّ شرحاً خطياً مَرفقاً بصورٍ للإختراعِ ، بالإضافةِ للرسوماتِ الضروريةِ ويقدمه إلى مكتبِ براءات الإختراع . يشملُ هذا المكتبُ أكثرَ من مئةِ فرعٍ يَهْتَمُّ كلٌّ منها بفرعٍ معينٍ من فروعِ البحث .

قَبْلَ مَنْحِ **براءَةِ الإختراعِ** يقوم خبراءُ من قِبَل الدولةِ بالكَشْفِ على الإختراعِ ، وإذا امتنعَ الخبراءُ عن إعطاءِ البراءَةِ ، يَحقّ للمخترعِ استئنافَ قضيتهِ أمامَ المحكمةِ العليا . أما في حالِ مَنْحِ البراءَةِ فيُصْبحُ الإختراعُ مُلْكَ المُخترعِ . وبإمكانِهِ أن يبيعَ البراءَةَ أو يوكّلَ طرفاً آخر باستثمارها . هذه الوكالةُ يجب أن تُسَجَّلَ في مَكْتَبِ براءاتِ الإختراعِ أما في حالِ تنكُّرِ أحَدِهم لبراءَةِ إختراعٍ ما ، فبإمكانِ المخترعِ أن يَمْنَعَهُ مِن إستثمارها ومقاضَاتِهِ في الأرباحِ التي يَجنيها . أمَّا السَّلعَةُ الناتجةُ عن الاختراعِ الذي مُنِحَ البراءَةَ فَيَتِمُّ دَمْغُها « **برقمِ** » **الإختراعِ** .



كيف يعمل المحرّك البخاري ؟

لمَّا حاولَ الانسانُ صُنْعَ آلاتٍ تؤدي العَمَلَ بدلاً منه اضطرّ إلى تحويلِ قِوى الطبيعة أو تحريرها أو التحكّم بها وتأطيرها.

عندما نَغْلِي الماءَ نحوِّلُهُ إلى غازٍ يُعْرَفُ « بالبخارِ » ، هذا الغازُ يتمدَّدُ دافعاً ما يَقِفُ بوَجْهِهِ . والمحركُ البُخاري يَعْتَمِدُ على هذه القوةِ للقيامِ بعمله .

عندما ننظرُ إلى إبريقِ الشاي حينما يغلي الماءُ داخِلَهُ نستطيعُ رؤ يةَ البُخارِ وهو ينتشِرُ مصحوباً بفوران الشاي مِنْ فُوهةِ الإبريق . فإذا أقفَلْنَا هذه الفوهةَ بسدادةِ « فلين » وأحكمنا إقفالَ غطاءِ الإبريق رأينا البُخارَ يقذِفُ السدَّادةَ بقوة . والمحرِّكُ البُخاري يَعْمَلُ بطريقةٍ مشابهةٍ لِعَمَلِيَّةِ إبريقِ الشاي ، ولكنَّ غطاءَهُ يَعْلُو ويَهْبِطُ لِيُعطيَ الطاقةَ المطلوبةَ ، وهذا الغطاءُ يُدْعَى : **المَكْبَس** .

وقد حَاوَلَ الكثيرُ من الأشخاصِ صُنْعَ المحرِّكاتِ البُخاريةِ ولكنَّهم عَجزُوا عَنْ مُجابهةِ بَعْضِ العقباتِ . وفي بعضِ الأحيان بَرَزَتْ الحاجةُ لإيصالِ البُخارِ إلى درجةٍ قُصوى من الضغطِ للقيامِ بعملِهِ مِمَّا أدَّى إلى انفجارِ « المغلاة » أو **المِرجل** .

وفي حالاتٍ أخرى أُضْطُرَّ أصحابُ التجارب لِغَلْيِ الماءِ عِدَّةَ مرَّاتٍ مِمَّا أدَّى إلى هَدْرِ كمياتٍ كبيرةٍ مِنَ الفحمِ .

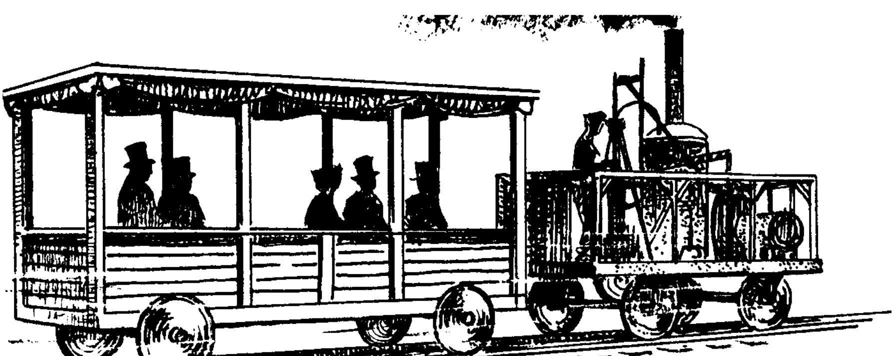
وأخيراً قامَ **جيمس واط** باختراعِ مُحرِّكٍ بُخاريٍّ يَنْتَقِلُ فيه ضَغْطُ البخارِ مباشرَةً إلى المكبسِ خِلالَ تحرُّكِهِ لأداءِ العَمَلِ المطلوب ، ويقومُ البُخارُ في هذا المُحرِّكِ بدفعِ المكبسِ مسافةَ ثلاثِ أقدامٍ داخلَ « إسطوانة » .

يسقطُ المكبس تلْقائيّاً إلى وضعه الأساسي بتأثيرِ ثقلهِ ويُدْعى هذا المُحرّك : **موحد القوة** وهذه العملية كانت تتسبَّبُ في ضياعِ البُخارِ بكمياتٍ كبيرة .

أما في المحركاتِ البخاريةِ الحديثةِ فإنَّ كميةً قليلةً مِنَ البُخار تَدْخُلُ إلى الإسطوانة ويَتِمُّ العملُ هنا بِفَضْلِ تمدُّدِ هذا البُخارِ .

وبعد ذلِكَ أضافَ « **واط** » قطعةً ثالثةً إلى محرِّكِه سُمِّيَت : **بجهازِ التكثيف** وهو عبارةٌ عن إناءٍ مجوفٍ يَتَّصِلُ بالأسطوانة بواسطةِ أنابيبَ وصمَّاماتٍ ، يَدْخُلُهُ البُخار حيثُ يُكَثَّفُ ويَتَحَوَّلُ مرةً أخرى إلى ماء فيُفَوِّرُ كمياتٍ كبيرةً من البخار .

وثالثُ تطوُّرٍ كبير أدْخَلَهُ « **واط** » يَكْمُنُ في اكتشافِهِ طريقةً تجعلُ البُخارَ يَدْفَعُ المكبسَ صعوداً وهبوطاً ويُسمَّى هذا المحرِّكُ : « **المُحرِّكُ المزدوج** » ويمكنُنا رَبْطُ « **المحرك المزدوج** » البخاريّ بمضخَّةٍ أو رافعةٍ أو بمرفقٍ لِتَتِمَّ عمليةُ تَحْرِيكِ الآلاتِ .



كيف تم صنع لافتات "النيون" ؟

نكادُ لا نتصوَّرُ مدينةً حديثةً دُونَ لافِتَاتِ « **النيون** » . هذا المظهر قد لَبِسَتْهُ المَدينَةُ الحديثةُ وأَصْبَحَ عاماً في كل أقطارِ العالم تقريباً .

فما هو « النيون » وكيف تنظمُ لافتاتُهُ ؟

« **النيون** » نوعٌ من « الغازِ » وهو موجود في الهواء بنسبة جزء واحد إلى خمسة وستين ألف جزءٍ . ومع أن القليلَ من « النيون » موجودٌ في الكمياتِ الكبيرة من الهواء فقد وُفِّقَ الخبراءُ في جَعْلِهِ صالحاً للإِعْلاناتِ الكهربائية .

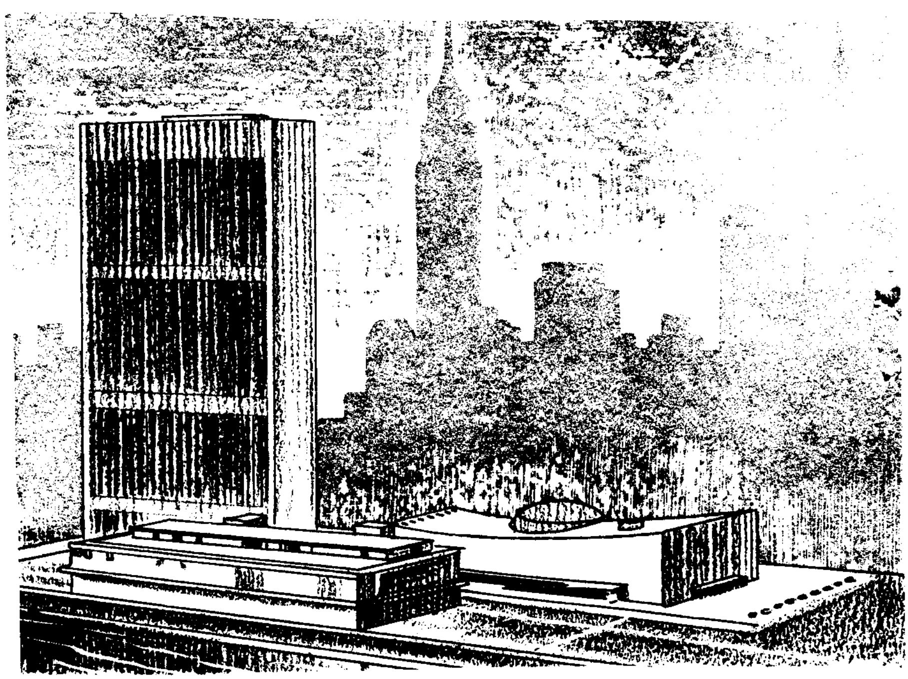
عام **١٨٩٨** م تمكّن العالمان البريطانيان « **السير وليم رامسي** » و« **م . و . تراقرس** » من تَكْوِيرِ الهواءِ السَّائلِ واكتشفَا بقايا رواسب ظلت في قاعِ الآنية المُسْتَعمَلَة ، وهذا الباقي من الهواء أسمياه « **نيون** » بِمَعنى « **الجديد** » . **والنيون هو نوعٌ من الغاز الَّذي لا رائحة له ، ولا طعم ولا لوْن** . إنَّهُ نوعٌ من الغازاتِ السَّاكِنَة التي تُشْبِهُ « **الهِلْيُوم** » وغيره من الغازاتِ الثقيلةِ . وهو لا يتَّحدُ مع أيّ عُنْصرٍ آخر ولذلك يبقى طليقاً .

مصباحُ النيون الذي يَحْتَوي على هذا الغاز يخترقه تيارٌ كهربائيٌّ ، وبما أنّ هذا التيارَ يكونُ مشحوناً **بالكهارب** (الإلكترونات) فانّهُ يَنْدَفِعُ داخِلَ الغازِ وتصْطدمُ هذه الكهاربُ بذَرَّاتِ الغازِ وتنقلُ إليها قسماً من الطاقة .

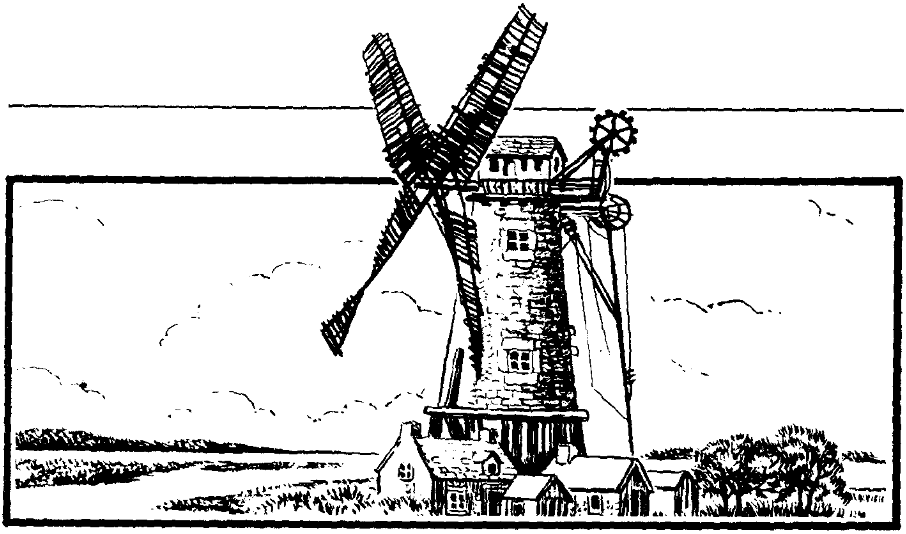
والكهاربُ تدورُ ، عادةً ، حول نواة الذرة . لكن عندما يحدث الاصطدام بذرات النيون فإنَّ بعض هذه الكهارب يخرجُ عن وضعيَّتِهِ الإعتياديّةِ . والذرَّة التي

تحتوي على هذه الكهارب المشوشة تُوصَفُ بأنّها في « **حالة التشوش** » تَفْقِدُ طاقتها الفائضة بعد فترةٍ قصيرةٍ جدّاً وترجع إلى وضعيتها المعتادة . وكلّما حدثت مثل هذه العملية تولدت حِزَمٌ من الضوء وشعّت عبر المصباح الذي تجري بداخله والنورُ الذي يتولَّدُ من هذه العملية يكون برتقاليّ اللَّون برّاقاً ، وهو شأن الأشعة الحمراء جميعها أقدر من غيره على اختراقِ الهواء والضباب الكثيفِ .

وإذا أُضيفت كمية قليلةٌ من « الزئبق » فبالإمكانِ الحصولُ على اللَّوْن الأزرق الشفَّاف (الباهت) . ويمكنُ أن يُمزجَ النيون ببعضِ الغازاتِ النَّادِرَةِ مِثْلَ « الهليوم » والأَرْغُون للحصول على لافتاتٍ من مختلفِ الألوانِ .



كيف تدورُ طَاحُون الهَوَاء ؟



ما زلنا نجهلُ أينَ اختُرِعَتْ طاحونُ الهواءِ ومتى تمَّ اختراعُها . ولعلَّ اختراعَها كان بوحيٍ من شراعِ القاربِ ، إذْ يُمْكِنُ للقاربِ أن يَسيرَ في اتجاهٍ يشكِّلُ زاويةً قائمةً مع الريحِ إذا حُرِفَ الشراعُ قليلاً . وكذلِكَ تَعْمَلُ المِرْوَحَةُ أو « شراعُ » طاحونِ الهواءِ ، إذْ يمكنُ أن تُحرِّكَ حركةً دائريةً عندما تتعاقدُ شفراتُ المروحةِ مع اتجاهِ الريحِ .

وطاحونُ الهَوَاءِ عبارةٌ عن مروحةٍ ضخمةٍ تشبهُ مروحةَ الطائرةِ وتعملُ بقوةِ دفعِ الرياحِ بدلَ المحرِّكات . أمَّا اسْتِعْمَالُ طاحونِ الهواءِ فيُرَجَّحُ أنَّه بدأ في هولندا وفي سهولِها الغَرْبِيَّةِ الشاسعة مُنْذُ ثمانمئة سنَة . وكانت تستخدمُ في اسْتِخْرَاجِ المياهِ وَجَرِّهَا إلى الحُقُولِ وفي بعضِ المراحِلِ كانت طواحينُ الهواءِ شائعةً في سائرِ الأراضي المنخفضةِ القريبةِ من هولندا . وكانت تُستخدَمُ في مطاحِنٍ لِسَحْقِ الحبوبِ خاصَّةً . كما كانت تُبنى قُرْبَ الأَنْهُرِ ومَجَارِي المِيَاهِ حَيْثُ تُسْتَغَلُّ السُّدُودُ المائيةُ

لتَشْغِيلِها .

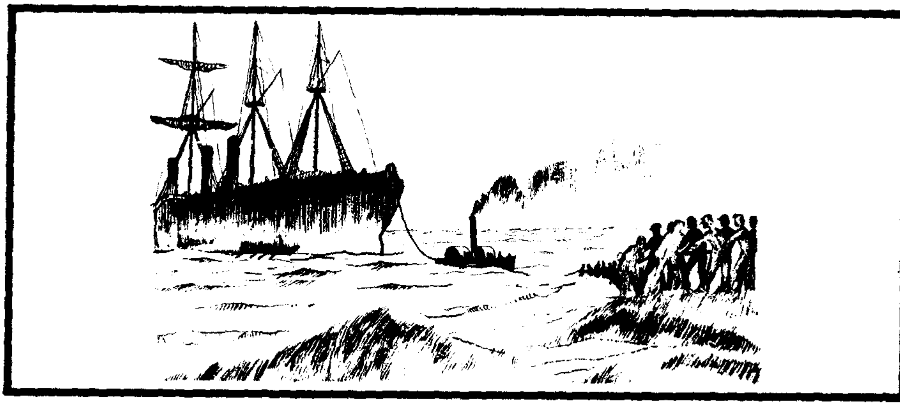
غيرَ أَنَّ المجاري المائيةَ في « الأراضي المنخفضة » (بلجيكا وهولندة خاصة) تكونُ غالباً مُوْحِلَةً ولا يُمْكِنُ استعمالُها لِمِثْلِ هذِهِ الأغراضِ لذلكَ اعْتَمَدَ الناسُ على « مطاحِنَ الهواءِ » لطحنِ الحُبُوبِ . وفي ألمانيا مطاحنُ يمكنُ أن تُدارَ أبراجُها بكامِلِها كَي تصبحَ في اتجاهِ الريح مهما تَقَلَّبَتْ . أمَّا في هولندا فالدَوَرَانُ يقتصِرُ على قِمَّةِ الطاحُونَةِ ويتمُّ ذلكَ بواسطةِ طاحونٍ أي (مروحةٍ) صغيرةٍ تُثَبَّتُ على القِمَّةِ في الجهةِ المقابلةِ للمروحةِ الكبيرةِ بحيث تتعامدُ معها . عندما تبدأُ المروحةُ الصغيرةُ الدورانَ تحرِّكُ مجموعةً من الآلاتِ فتدورُ قمةُ البرجِ على عجلاتٍ حتى تصبحَ المروحةُ الكبيرة في مواجهةِ الريحِ .

تُتَّخَذُ أذرعُ طاحونِ الهواء من الأخشابِ ويُشَدُّ فوقها قِماشٌ متينٌ خشنٌ ، وتُرْبَطُ أذرعُ المروحةِ بَعْضُها بِبَعْضٍ بواسِطَةِ الحِبَالِ لكي يَسْهُلَ التحكُّم بِها أَمَامَ الرياحِ الشديدةِ . ويبلغُ طولُ أذرعِ المروحة أو الطاحون أرْبعينَ قدماً (١٢ متراً) في الغالبِ .

أمَّا في الولاياتِ المُتَّحدةِ الأميركيةِ وفي أوستراليا فما تزالُ بعضُ مَطاحِنِ الهواءِ المتطوِّرَةِ قَيْدَ الإسْتِعْمالِ . في هذه الطواحين تُستخدمُ صفائحُ من الفُولاذِ مطليةٌ بالزنكِ ، تَنْفَرِدُ كلُّ واحدةٍ مِنْهَا بدَفَّةٍ تُحَرِّكُ الدُولاب في اتجاهٍ دائريّ تَرْتَكِزُ هذه الدَّفَّةُ على قاعدةٍ مِحْوَرِيَّةٍ ، وهذا ما يُمَكِّنُها من استقبالِ الرِيحِ كيفما اتَّجهت . وفي وِلايةِ « كاليفورنيا » وبَعْضُ المناطِقِ الجافة غربي الولايات المُتحدة يكثُرُ اسْتِعْمَالُ مَطَاحِنِ الهواءِ كَمَصْدَرٍ للطاقةِ زهيدِ الثَّمنِ .

يُستفادُ من هذه الطواحينِ في ضَخِّ مياهِ الآبارِ وهكذا يمكنُ ضخُّ المياهِ لريِّ الحقولِ وسقايةِ المواشي .

كيف مُدَّ الكابل البحري عبر المحيط ؟



بإمكانِكَ الآن أن تتناولَ سماعةَ الهاتف ، وبَعْدَ دقائق معدودة تكلِّمُ أيَّ إنسانٍ في قارةٍ أخرى . أو بإمكانِكَ أن تَضعَ في مركز التلغراف في بلدِكَ رسالةً ، وبعدَ بُرْهةٍ قصيرةٍ يقرأها شخصٌ ما في أيّ مكان من العالمِ .

كان تحقيقُ هذا كلهِ مستحيلاً لولا الأسلاكُ المُرَكَّزةُ في قَعْرِ المحيطاتِ لتصلَ ما بينَ القاراتِ .

المشكلةُ الأولى التي توجَّبَ حلُّها كانت تأمينُ عزلِ الأسلاكِ لِمَنْعِ تسرُّبِ الكهرباءِ . وبَعْدَ القيامِ بتجاربَ عديدةٍ اكتُشِفَتْ موادٌّ مختلفةٌ يمكنُ أن تحاطَ بها الأسلاكُ (الكابلاتُ) لضمانِ عزلِها . بعدَ ذلكَ باشرَ الناسُ بتَمْدِيدِ الكابلاتِ لربطِ عدةَ مناطق بعضها بالبعض الآخرِ .

وفي عام ١٨٤١ ـ ١٨٤٢ م تمَّ تمديدُ « كابل » تحت مرفأ نيويورك . وعام

١٨٥٠ أمْكَنَ تمديدُ كابل عَبْرَ بحر المانش بواسطةِ غواصةٍ بحريةٍ . وبعد ذلك بمدةٍ وَجيزَةٍ تمَّ رَبْطُ اسكوتلندا بإيرلندا كما تمَّ ربطُ السويدِ بالدانمركِ وإيطاليا بكورسيكا بواسطة الكابلات البَحْرِيَّةِ . وثم في عام ١٨٥٧ قامَ العالمان سيروس فيلد واللورد كالفن بأوّلِ مُحَاوَلَةٍ لرَبْطِ إيرلندا بنيوفاوندلاند بواسطةِ كابلٍ بحريٍّ وكانت هذه خطوةً هامةً رافقَهَا الكثيرُ مِنَ القَلق قَبْلَ أن تُكلَّلَ بالنجاح .

ولقد وَضَعَتِ الحكومةُ البريطانيةُ وحكومةُ الولاياتِ المتحدةِ بارِجتَينِ حَرْبِيَّتَيْنِ بتصرُّفِ القائمين بتلك المهمةِ . التقت البارجتان في نقطة متوسطةٍ في المحيطِ ، وحملت كلٌّ منهما نصفَ الكابلِ البَحْرِيّ ، وأبحرت في اتِّجاهٍ معاكسٍ تاركةً الكابلَ يسقطَ غائصاً في المياهِ . وقد تقطَّع الكابلُ أثناءَ مَدِّهِ في البحرِ عِدَّةَ مرَّاتٍ .

وفي الثالثِ عشر من آب (أغسطس) عام ١٨٥٨ قَطَعَتِ المحيطَ أوَّلُ رِسالَةٍ موجَّهة بواسطةِ هذا الكابلِ (السلكِ) الجديدِ لَكِنَّ الكابل لم يَعْمل أكثرَ من ثلاثة أشهر حتى احترق ، ذلك أنَّ ارتِفَاعَ التيّارِ الكهربائيّ قد أثَّرَ على المادَّةِ العازِلَةِ وأتْلَفَها . ولم يَقُمْ أحدٌ بأيةِ محاولة لإبداله حتى عام ١٨٦٥ حين تمكَّنَ اللورد « كالفن » من اختراعِ آلةِ تلغرافٍ حديثةٍ لا تحتاجُ إلى تيارٍ كَهْرُبائيّ قويّ .

واستُخدمَتْ الباخرةُ المسمَّاة : « **الشرق العظيم** » (جريت إيسترن) في تمديدِ الكابلِ ، كانت يومذاك أكبر باخرةٍ في العالمِ . فجهَّزَتْ خصيصاً لحمل هذا الكابل ومدِّه . وأثناءَ وصولها إلى ثلثيْ المسافة بين إيرلندا و« نيوفاوندلاند » انقطَعَ الكابل كما حصلَ في السابقِ . وفي عام ١٨٦٦ تمت عملية تمديد كابل آخر وصل إلى « نيوفاوندلاند » بسلام . ثمَّ تمكَّنُوا مِنَ ٱلتِقَاطِ رأْسِ الكابِلِ المَقْطُوعِ والغارقِ في المُحِيطِ وعملوا على رَبْطِهِ بكابلٍ آخر.

وبدأ بذلكَ عهدٌ جديدٌ في عالمِ الإتِّصالاتِ . أما الآن فإنَّ أطولَ اتصالٍ سلكيٍّ يؤمنه الكابلُ الواصلُ بين كولومبيا البريطانية وأستراليا يبلغُ طولُهُ ثمانيةَ آلاف ميل (٨٠٠٠) وهو مُوزَّعٌ على عدَّةِ أقسام وله محطاتٌ فوق الجزرِ الواقعةِ في طريقِهِ .

كيف ينتقل الضوء؟

الضوءُ من الأسرارِ الكبيرةِ في عالمنا . فنحن لا نزالُ نجهلُ ما هو بالضبط ، وكل ما نستطيعه هو وصف ما يقومُ به من أدوارٍ .

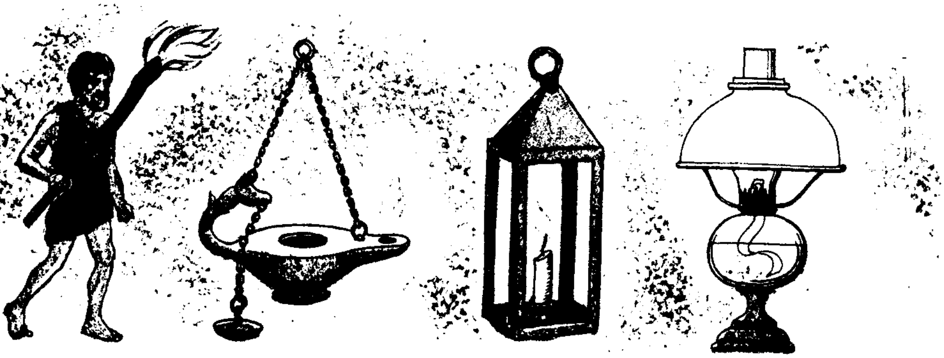
نعرف أنَّ **الضوءَ هو شكلٌ من أشكالِ الطاقةِ** ، وشأنَ سائرِ أشكالِ الطاقةِ - الحرارة ، الموجاتُ اللاسلكية ، وأشعةُ إكس - **يمكنُ قياسُ أطوالِ موجاتِهِ** ، وذبذباتِهِ ، وسرعتِهِ . كما ان سلوكَه في سائرِ المجالاتِ يجعلهُ مماثلاً لهذا الأشكال الأخرى من الطاقةِ .

إنَّنا نعرفُ سرعةَ الضوءِ ، فهو يقطعُ حوالى (١٨٦) مئة وستة وثمانين ألفَ ميلٍ في الثانية . ويعني ذلك أن شعاعاً ضوئياً معيَّناً يقطعُ في السنةِ (٥٥,٨٨٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) خمسة وخمسين ألف وثمانمئة وثمانين مليون ميل . وهذه هي المسافةُ التي يسمِّيها الفلكيّون « **سنةً ضوئية** » وهي وحدةُ قياسِ المسافاتِ في الفضاءِ الخارجي .

في محاولةِ الكشفِ عن ماهيّةِ الضوءِ وكيفيةِ انتقالِهِ ظهرت عدةُ نظرياتٍ يرجعُ أقدمُها إلى **الحسنِ بن الهيثمِ** في القرنِ الحادي عشر الميلادي . وقد تطوَّرت إلى مدى بعيدٍ على يدِ **اسحٰق نيوتن** من القرنِ السابعَ عشر . تقولُ فرضيةُ نيوتن إن الضوءَ يجبُ أن يكونَ مؤلَّفاً من حُبَيْبَاتٍ تشبهُ إلى حدٍّ ما اطلاقاتٍ صغيرة متتابعة من مصدرِ الضوءِ . لكنَّ **النظريةَ الحبيبيةَ** هذه لم توفَّقْ إلى تبيانِ كيفيةِ سلوكِ الضوءِ . وفي وقتٍ مقاربٍ جاءَ

كريستيان هيوجنز بالنظريةِ المَوْجِيَّةِ الَّتي تقولُ إنَّ جسيماتِ الضوءِ تبدأُ كموجاتٍ أو نبضاتٍ قريبةِ الشبهِ بالتموجاتِ الناشئة من القاءِ حجرٍ في غديرٍ أو بركةٍ .

وقد استمرَّ الجدالُ حولَ هاتين النظريتين قرابةَ (١٥٠) مئة وخمسين سنة ولكن مع انكشاف المزيدِ من تأثيراتِ الضوءِ أصبحت نظريةُ الحُبَيْباتِ في عِدادِ المُهمَل . ومع ذلكَ فإنَّ العلماءَ يعتقدونَ الآنَ أنَّ الضوءَ يجمعُ بين سلوكِ الموجةِ والجُسَيْمِ . وقد أظهرتِ التجاربُ احتمالَ صدقِ كلا النظريتين . وعلى أيَّةِ حال فإنَّ هذا يُرينا انَّ الإجابةَ الكاملةَ عن سؤالِ : « **ما هو الضوءُ** » ليست ميسورةً بعد .



مَـا هو الضَّجيج ؟

الصوتُ نتاجُ التردّدِ . والتردُّدُ بمعناه البسيطِ هو تحرُّكُ الشيءِ للأمامِ والخلفِ . ولكنْ لكي يمكنُ سماعُ هذه الترددات يجبُ أن يكونَ هناكَ وسطٌ أي وسيطٌ ، شيءٌ مايحملُ الصوتَ من مصدرِهِ إلى السامع . **وقد يكونُ هذا الوسطُ هواءً أو سائلاً أو جامداً .**

عندما يكونُ التردُّدُ شديدَ الانتظامِ ، وهو ما يحدُثُ حين يرسِلُ الجسمُ المصوِّتُ موجاتهُ على فتراتٍ منتظمةٍ جداً ، فإنَّ النتيجةَ تكونُ **الصوتَ الموسيقيَّ** . وحين لا يكونُ منتَظِماً فالنتيجةُ هي صوتٌ غيرُ مريحٍ لأذنيك وهو « **الضوضاء** » أو الضجيجُ .

تختلفُ الأصواتُ في ثلاثةِ أمورٍ هي : الجهارةُ ، والدَّرجةُ أو الطبقةُ ، ونوعيةُ النغمةِ . تعتمدُ الجهارةُ جزئياً على المسافةِ بين الأذنِ والجسمِ المصوِّتِ ، وجزئياً على مدى أو نطاقِ التردُّدِ . والمدى هنا هو المسافةُ التي يتحرَّكُ فيها الجسمُ المُرَدَّدُ في حركتِهِ المتناوبة (من - إلى) . وبقدرِ ما تكونُ هذهِ الحركةُ كبيرةً يكونُ الصوتُ أجهرَ .

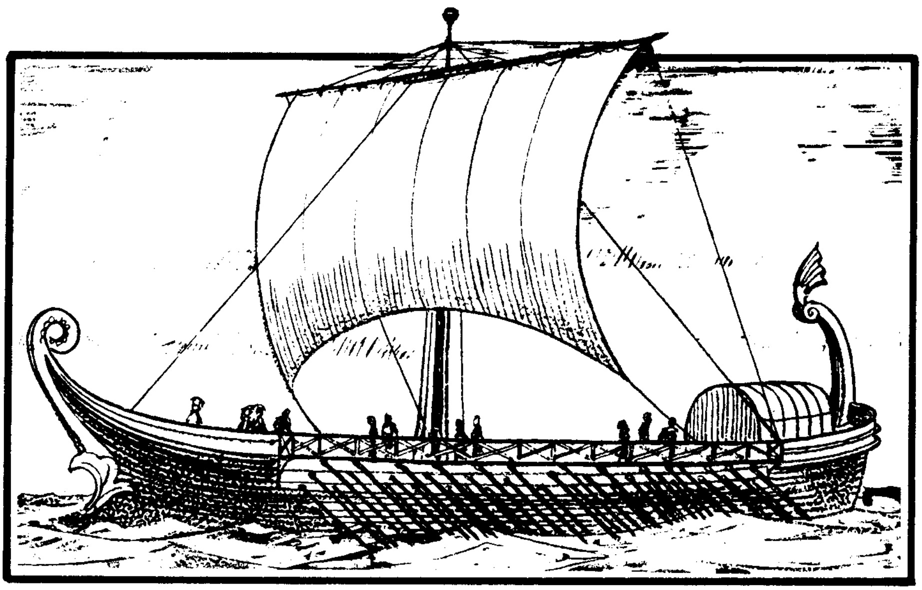
إنّ ارتفاعَ أو انخفاضَ الصوتِ يُدعى : درجتَهُ أو طبقَتَهُ . وتتوقَّفُ الدرجةُ على سرعةِ تردُّدِ الجسمِ المصوِّتِ . وبقدرِ ما يكونُ عددُ التردّداتِ الواصلةِ إلى الأذنِ كبيراً تكونُ الدرجةُ أعلى .

إنَّ تماثُلَ صوتين في **الدرجةِ والجهارةِ** لا يمنعُ من اختلافِها . ويعتمدُ الصوتُ

الموسيقيُّ على العددِ والشدةِ في النغمةِ التوافُقيَّةِ للصوتِ . فلو أننا صنعنا وترَ كمانٍ مُكرَّسٍ لإعطاءِ تردُّدٍ طويلٍ واحدٍ على امتدادِ طولِهِ الكليِّ ، لأعطى أوطأَ نغمةٍ مُمكِنَةٍ . وتسمَّى هذه النُّوته « **الأساس** » . ولو تردَّدَ الوترُ في أكثرِ من جزءٍ لسمعتَ منه نوتات ذاتِ طبقةٍ أعلى . وبالجمعِ بين هذه النُّوته وبين الأساسِ نحصلُ على نوعيةٍ مخصوصةٍ للكمان . إنَّ هذه النُّوتات الأعلى هي النغماتُ التوافُقيَّةُ ، التي تخلقُ النوعيةَ النغميةَ للصوتِ .



مَن الشعبُ السابقُ إلى اختراعِ الشِراع ؟



حقّق الإنسانُ هذا الإختراعَ العظيمَ منذ زمنٍ بعيدٍ يصعبُ تحديدهُ . هذا الاختراعُ جعلَ المراكبَ تتحركُ بسهولةٍ في اتّجاهِ الريحْ .

كان يكفي أن يرفعَ الإنسانُ رقعةً كبيرةً من الجلدِ أو القماشِ أو غيرِهِ فوق عصا أو عمود . بهذا الشراعِ البدائيّ أمكنَ للمراكبِ أن تتحرَّكَ بسهولةٍ دونَ حاجةٍ إلى المجاذيف .

طبعاً ، لا يملكُ هذا المركبُ الشراعيُّ البسيطُ قدرةَ السفينةِ الشراعيةِ . فالسفينةُ الشراعيةُ تقدرُ أن تُبحرَ في عكسِ اتّجاهِ الريحِ . ولا بدّ لهذا من

ضبطٍ دقيقٍ لزاويةِ الشراعِ . وقد مرَّ وقتٌ طويلٌ قبلَ أن يطوِّرَ الإنسانُ هذا النوعَ من المهارة .

قبل الوصولِ إلى هذه المرحلةِ قطعت صناعةُ الأشرعةِ مراحلَ عديدةً . وطبيعيٌّ أن تكونَ الحضاراتُ القديمةُ التي ظهرت على شواطىءِ المتوسطِ قد أنجزَتْ كثيراً من مراحلِ هذا التطوُّر . هكذا أوصلَ الفينيقيون (وهم شعبٌ ساميّ من فرعِ الكنعانيين) المراكبَ الشراعيةَ إلى طورٍ متقدّم . فقد اشتُهروا بالملاحةِ فجابوا سواحلَ البحرِ الأبيضِ المتوسطِ والبحر الأسود ، وصعدوا في المحيطِ الأطلسي إلى جنوبي انكلترا . كما طافَ بعضُهم حول أفريقيا وأسَّسوا المستعمراتِ والمراكزَ التجاريةِ في المغربِ وشمالي إفريقيا ، ولا سيّما مدينة قرطاجة (منذ حوالى ثلاثة آلاف سنة) . هذا النشاطُ البحري ما كان ليتحققَ لو لم يكونوا قد طوّروا صناعةَ المراكبِ الشراعيّةِ وبلغوا بذلك مستوى متقدّماً .

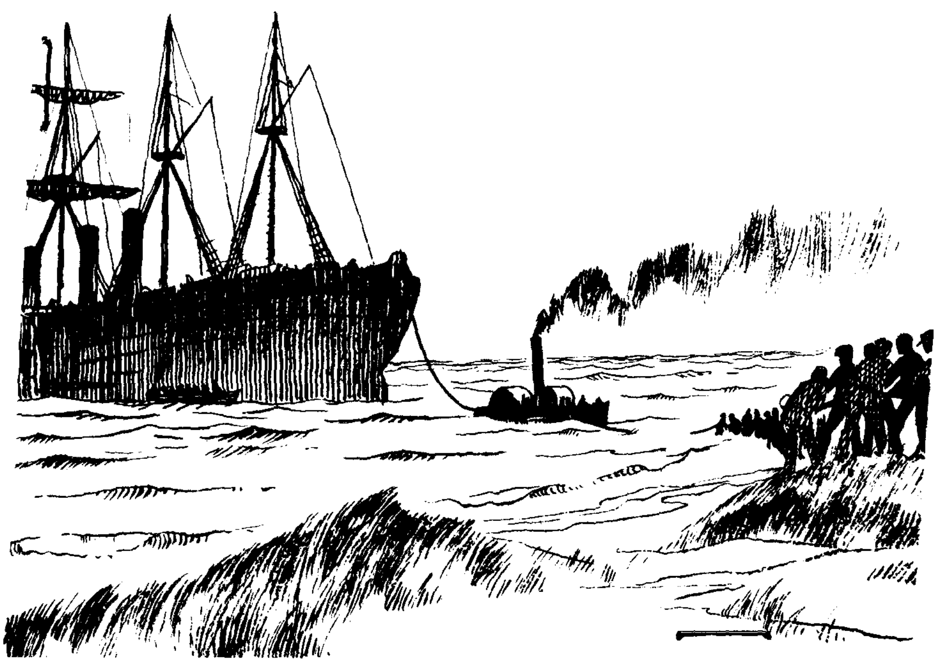
المراكبُ الشراعيةُ القديمةُ كانت تستخدِمُ المجاذيفَ إلى جانبِ الأشرعة . المصريون القدماءُ ، هم أيضاً استخدموا المجاذيفَ في مراكبِهِم الشراعية . وكانت هذه المراكبُ تقتصرُ ، في البدايةِ ، على عبورِ النيل ، لكنها فيما بعد أخذت تنتقلُ في البحر . الأشرعةُ في هذه المراكبِ كانت تُستخدَمُ عندما يتحركُ المركبُ في اتّجاهِ الريحِ .

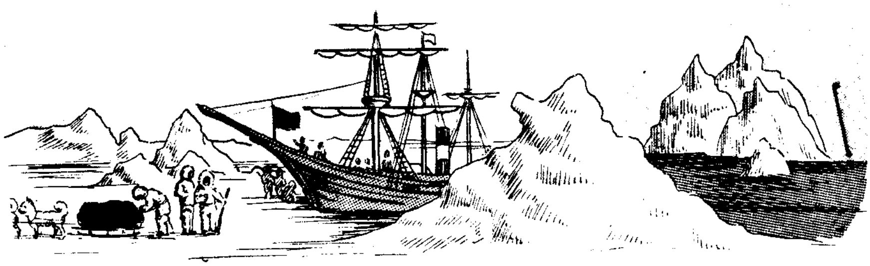
فيما بعد ، طوّرَ اليونانُ والرومانُ نوعاً من السفنِ الكبيرةِ تُدعى « قادس » . وكانوا يستخدمون فيها العبيدَ للتجذيف . كانت ، بالإضافة إلى التجذيفِ ، ذاتَ شراعٍ يدفعُها في اتّجاه الريح . كما طوّروا نوعاً من السفنِ الضخمةِ استُخدِمَتْ لنقلِ البضائعِ . في البدايةِ ، كان لهذه السفنِ صاريةٌ

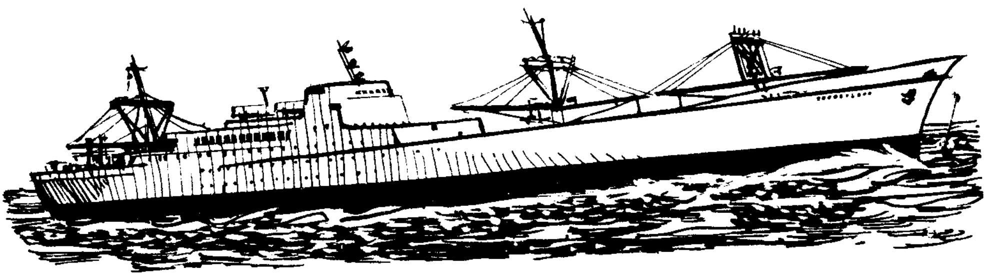
واحدةٌ وشراعٌ واحدٌ كبيرٌ . ومع حلولِ القرنِ الأول للميلادِ أُضيفَ إلى مقدّمةِ هذه السفنِ صاريةٌ صغيرةٌ وشراعٌ صغير ، كما أُضيف ، في بعضِ الحالاتِ ، شراعٌ علويٌّ صغيرٌ .

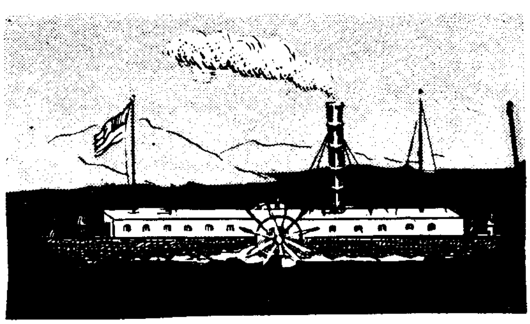
هذه السفنُ جميعُها كانت عاجزةً عن التحرّكِ بعكسِ اتّجاهِ الريحِ ، لكنَّ بعضاً منها كان يتوصّلُ إلى السيرِ حين تهبُّ الريحُ من أحدِ الجانبين .

الاسكندنافيّون عرفوا السفنَ الشراعيةَ ، لكن في مرحلةٍتاريخيةٍ متأخرةٍ نسبياً ، أي بعد مرورِ ثلاثة آلاف سنةٍ تقريباً على السفنِ الشراعيةِ الفينيقيةِ . فقد صنعوا حوالى عام (٨٠٠) بعد الميلاد سفناً ذاتَ شراعٍ كبيرٍ مربّعِ الشكلِ .









كيف كانت عابرات المحيط الأولى ؟

تتمُّ رحلاتُ عبورِ المحيطِ ، هذه الأيام ، بطريقِ الجوّ ، وإن كانتِ السفنُ عابرةُ المحيطِ ما تزالُ تعمل . بدأتِ السفنُ عابرةُ المحيطِ الأطلسي رحلاتِها المنتظمةَ عام ١٨١٦ . أولُ شركةٍ للخطوطِ البحريةِ عبرَ الأطلسي كانت « خطوطَ بلاك بول » بنيويورك . كانت سفنُ هذه الخطوطُ تبحرُ بانتظامٍ بين نيويورك وليفربول بإنكلترا . وسرعانَ ما بدأَتْ خطوطٌ أخرى تؤَمِّنُ المواصلاتِ المنتظمةَ بين شاطئَيْ الأطلسي .

السفنُ الأولى على هذه الخطوطِ كانت سفناً شراعيةً . وكانت تُسمّى « البريدَ » (أو البوسطة) لأنَّها كانت تنقلُ البريدَ كما تنقلُ الركاب . ولم تكنْ هذه السفنُ مريحةً . كان لركابِ الدّرجةِ الأولى حجراتٌ صغيرةٌ جداً . أما ركّابُ الدرجاتِ الإقتصاديةِ (أي الرخيصة) فلم تكنْ لهم حجراتٌ نهائياً ، وكانوا ينامون على مقاعدَ خشبيةٍ خشنةٍ تزدحمُ بها الطبقة المُسمّاةُ ظهرَ السفينة وقد رُصفَتْ في طبقاتٍ ثلاثٍ .

كانت بعضُ السفنِ تفرضُ على مسافري الدرجاتِ الرخيصةِ إحضارَ زادِهم معهم . فكان على المسافرِ في هذه الدرجةِ أن يعرِضَ زادَه قبل أن يُسمَحَ له بالصعودِ إلى السفينةِ . وكان الزّادُ المفروضُ يقتضي وجودَ الكعكِ والطّحينِ والبطاطا والشاي والسكرِ والدّبسِ مع قطعتينِ كبيرتين من اللحمِ المُقَدَّدِ وإبريقٍ للشاي ومقلاةٍ ، وإبريقٍ للماء وفنجانِ شاي وسكينٍ وملعقةٍ وشكةٍ . ولكي تُوفّر إدارةُ السفينةِ الحليبَ والغذاءَ لمسافري الدرجاتِ الأولى

كانت تحملُ على السفينة بقرةً وأعداداً كبيرةً من الدّجاج .

أولُ سفينةٍ بخاريةٍ عبرتِ المحيطَ الأطلسي كانت « السافانا ». وقد أبحرت عام ١٨١٩ من سافانا بجورجيا في الولاياتِ المتّحدةِ إلى ليفربول وبلغتها بعد تسعةٍ وعشرين يوماً . وقد رفعَت السافانا أشرعتَها معظمَ أوقاتِ الرحلة ، ولم تكن تلجأ إلى المحرّكِ البخاري إلا عندما تهمدُ الريحُ .

ظلّت السفنُ البخاريّةُ الأولى تحملُ الأشرعةَ لأنَّ البحّارة لم يكونوا يثقون بعد بقوةِ البخارِ الجديدة . وكانوا يخشَوْنَ أن يتعطّلَ المحرّكُ البخاريُّ وسطَ المحيطِ أو أن ينفذَ الوقود .

من أشهرِ سفنِ البخارِ الأولى « جريت إيسترن » (الشرقي العظيم) . كانت لها عجلاتُ تجذيفٍ ومراوِحُ للدّفعِ . كان طولُها (٦٩٢) قدماً (٢٠٧,٦٠) أمتار وعرضها (٨٣) قدماً (٢٤,٩٠) متراً ، وظلّت أكبرَ سفينةٍ في العالمِ طوالَ أربعين سنةً .

متى بدأ الإنسان اكتشاف الأعماق ؟



أغلبُ الظّنِّ أن يكونَ المكتشفُ الأولُ قد غاصَ في الماءِ بحثاً عن الغذاءِ . فقد عرَفَ البشرُ منذ مئاتِ آلافِ السنينِ كيف يصطادون السمكَ من الماء . هؤلاء الصيادون الأوائلُ قد عاشوا على ضفافِ البحيراتِ ، وربّما خاضوا المياهَ كي يمسكوا بالأسماكِ بأيديهم .

الخوضُ في الماءِ أدّى إلى السباحةِ ، ثم تعلَّمَ السبّاحون كيف يمسكون أنفاسَهم وصاروا غوّاصين . نشأ الغوّاصون الأوائلُ على ضفافِ البحيراتِ وشواطىءِ البحارِ حيث الماءُ عميقٌ وصافٍ . وشيئاً فشيئاً تعلَّمَ الغوّاصونَ أن يرتادوا أغواراً أعمقَ فأعمق .

عثرَ الغوّاصون في الأعماقِ على أشياءَ مفيدةٍ وشيّقةٍ وعادوا بها . وجدوا في الأعماقِ محاراً يؤكلُ ، كما وجدوا أصدافاً بديعةَ الألوانِ ومرجاناً فجعلوا

منها عقوداً أو استخدموها كنقدٍ للمقايضةِ . فمنذ أكثرَ من أربعةِ آلافِ سنةٍ كان الهنودُ الحمرُ يغوصون قربَ شواطىء البيرو للحصولِ على بلحِ البحرِ ، وهو نوعٌ من المحارِ كان بينَ أطعمتِهم المُفضّلَةِ .

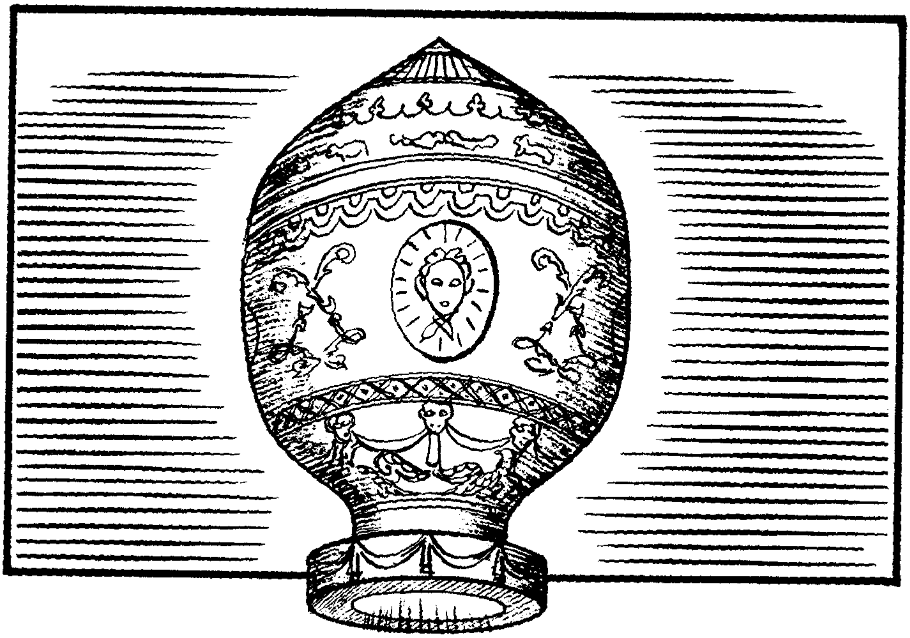
ومنذ آلافِ السنين كان سكّانُ الخليجِ العربي يغوصون لالتقاطِ المحار . لكنّ هذا المحارَ لم يكنْ يُجمعُ ليؤكلَ ، وما كان غوّاصو الخليجِ العربي يبحثون عنه هو اللؤلؤ الذي ينمو داخلَ الصّدَفِ في الجزء الرَّخْوِ من جسم المحار . وكانت هذه اللآلىءُ تُنْظَمُ وتصنعُ حلىً ، كما تُصنَعُ اليوم .

لكنَّ أجدادَ الغوّاصين الحاليين هم قُدامى اليونانِ وسكانُ الأناضولِ وسواحل تركيا الحالية . فقد بدأوا الغوصَ لإصطيادِ الاسفنجِ في بحر إيجه منذ أكثر من ألفي سنة ، وما تعلّموه ما يزالُ مفيداً حتى اليوم .

وقد اكتشفوا أنَّ المدَّةَ التي يمكنُ البقاءُ فيها تحت الماءِ تتوقَّف على كمية الهواءِ التي يمكن حملُها . وهكذا توصَّلوا إلى حملِ كميةٍ من الهواءِ الاحتياطي في جهازٍ يشبه البالون .

كان هذا البالونُ يُصنَعُ من جلدِ الماعزِ أو الغنمِ أو غيرهِ . وكان هذا الجلدُ يُدبغُ ليصبحَ كتيماً لا يخترقُهُ الماء ، ثم يُخاطُ بعضُهُ إلى بعضٍ وتبقى فيه فتحةٌ واحدةٌ . فكان الغوّاصُ يملأ الجلدَ بالهواءِ ويحملُ حجراً ثقيلاً ليبقى تحت الماءِ . وهكذا كانَ يجدُ الوقتَ للبحثِ والعملِ ويتنشَّقُ بعضَ الهواء من الجلدِ المنفوخِ كلّما احتاج إلى ذلك .

مَن أول شخص صَعَد في بالون ؟



لماذا يصعدُ البالونُ في الهواء ؟ فالهواءُ نفسُه مكوَّنٌ من الغازاتِ ، وفي طليعتِها الأوكسجين والنيتروجين (الآزوت) . غيرَ أنّ هناك غازاتٍ أخفَّ من الهواءِ . من هذه الغازاتِ الخفيفةِ الهليوم ، لذلك إذا ملىءَ البالونُ بالهليوم ارتفعَ في الهواء . الهواءُ الحارُّ ، هو أيضاً ، يجعلُ البالونَ يرتفعُ لأنَّهُ أخفُّ من الهواءِ البارِدِ .

وقد أرسلَ الإنسانُ البالوناتِ في الهواءِ قبلَ أن يصعدَ فيها . أوَّلُ بالونٍ كبيرٍ صنَعَه الأخَوانِ الفرنسيّانِ مونغو لفييه . فقد أطلقا بالونهما في الخامس من

يونيو حزيران عام ١٧٨٣ ، عن طريقِ إشعالِ نارٍ تحتَه . وعندما ملأَ الهواءُ الحارُّ البالونَ أفْلَتَ الأخوانِ الحبالَ فارتفعَ مئات الأقدام في الجوّ .

أولُ الكائناتِ الحيَّةِ التي صعدت في بالون كانت ديكاً رومياً ، وبطّةً وخروفاً صغيراً ، فقد وضعَ الأخوانِ هذه الحيواناتِ في سلّةٍ ومَلآ بالوناً كبيراً بالهواءِ الحارِّ .

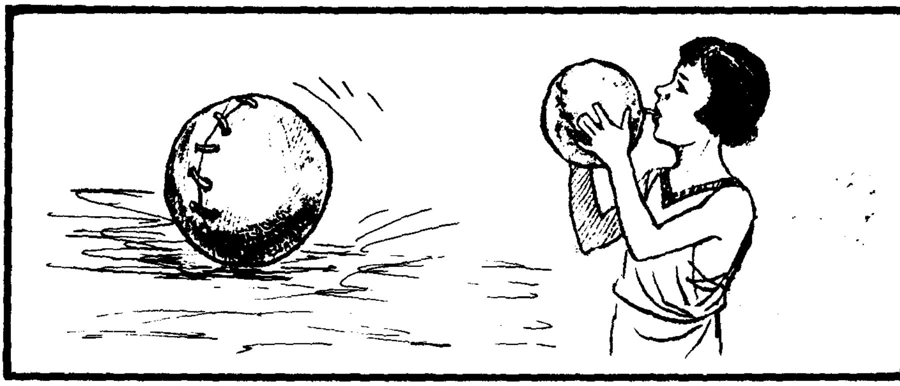
هذه التجربةُ دفعت رجلين على جانبٍ كبيرٍ من الشجاعةِ إلى المجازفةِ بحياتِهِما ليكونا أولَ أشخاصٍ يغادرون الأرض ويطيرون في الهواءِ أحد هذين الرجلين كان الماركيز دارلاند ، أمّا الثاني فكان طبيباً فرنسياً يُدعى جان دو روزيين .

تمّتِ التجربةُ في إحدى حدائقِ باريس . وربطَ الرجلان سلَّةً كبيرةً إلى أسفلِ البالون الذي زخرفاه زخرفةً أنيقةً . وأُشعلتْ نارٌ عظيمةٌ ملأتِ البالونَ بالهواء الحارّ . فقفزَ الرجلان إلى السلَّة وأَفْلَتا الحبالَ . فارتفعا فوقَ رؤوسِ الناسِ وحقّقا أولَ طيرانٍ بشريٍّ . كانَ ذلكَ في السنةِ نفسِهاالتي أُطلق فيها بالونُ الأخوين مونغولفيين ، أي عام ١٧٨٣ .

في تلك السنةِ نفسِها ، قامَ عالمٌ فرنسيٌّ يُدعى جاك شارل بملءِ بالونٍ بالهيدروجين ثم أطلقه في الهواءِ ، وقد فضَّلَ الهيدروجين ليتجنب الخطر الذي يمكنُ أن تسبِّبَه النارُ التي تسخِّنُ الهواءَ .

وفي وقتٍ متأخّرٍ من تلك السنةِ قام شارل العالمُ المذكورُ مع صديقٍ له هو جان روبير بالصعودِ في بالونٍ ملِيءَ بالهيدروجين . وقد اخترعا صمّاماً يمكّنُهما من تفريغِ بعضِ الهيدروجين من البالون ليتمكّنا من الهبوطِ متى أرادا .

مَن اخترعَ الكُرة ؟



لا نعرفُ من هول أولُ انسانٍ لعبَ بالكرةِ، لكنَّ البشرَ لعبوا بالكرةِ منذ عصورِ ما قبلَ التاريخ ، الحضاراتُ كلُّها ، منذ العهود البدائيةِ حتّى أيامِنا قد عَرَفَتِ اللعبَ بشكلٍ من أشكالِ الكرةِ .

بعضُ الشعوبِ القديمةِ قامت بلَفِّ القصبِ وفقَ شكلٍ كرويٍّ . وشعوبٌ أخرى استخدمَتِ الجلدَ المحشوَّ بالريشِ لصنعِ كراتِ اللعب . ثم توصَّلَ اليونانُ والرومانُ إلى طريقةٍ جديدةٍ هي ملءُ الكرةِ بالهواء. فكانوا يستخدمون الكراتِ الجلديةَ المنفوخةَ في الرمي . كما نفخوا كراتٍ كبيرةً واستخدموها في ألعابٍ تشبهُ كرةَ القدم .

وهكذا فقد صُنعتِ الكراتُ من موادّ متعددةٍ تتوقَّفُ على المادَّةِ المتوفرةِ في هذا البلدِ أو ذاك . هنودُ أميركا الشمالية ، مثلاً ، كانوا صيادين ، لذلك

استخدموا كراتٍ من جلدِ الغزالِ . وأطفالُ اليابانِ كانوا يلعبون بكراتٍ من القماشِ الملفوفِ والمربوطِ بالخيوط .

ويُقالُ إن كولومبوس قد وجدَ في أميركا الوسطى هنوداً يلعبون بكرةٍ سوداءَ صلبةٍ مصنوعةٍ من المطّاطِ النباتي . فأخذَ بعضَ هذه الكراتِ إلى أوروبا وأدخلَ بذلكَ فكرةَ الكرةِ المطاطيةِ التي تقفزُ .

كثيرٌ من ألعابِ الكرةِ المُعاصرةِ قد بدأ بشكلٍ طقوسٍ دينيةٍ . ففي مرحلةٍ من مراحلِ التاريخِ كان الكبارُ يمارسون هذه الألعابَ في جوٍّ جدّيٍّ . كانت اللعبةُ تمثيلاً أو إعادةً للمعتقداتِ القديمةِ حولَ الحربِ والآلهةِ والشياطين ، والحياةِ والموتِ .

المصريون من أوائلِ الشعوبِ التي مارست لعبَ الكرةِ بشكلٍ طقوسيٍ . ففي فصلِ الربيعِ كانت جماعاتٌ من الناسِ تقومُ بتمثيلِ مشهدِ صراعٍ بين إلٰهين من آلهتهم . وكان الصراعُ يتمثلُ بتداولِ كرةٍ من الخشبِ بواسطةِ القضبانِ ، وكلُّ فريقٍ كان يحاولُ إدخالَ الكرةِ في هدفٍ يقعُ في الجهةِ المقابلةِ . والفريقُ الذي ينجحُ في قذْفِ الكرةِ وسطَ الفريقِ المقابلِ كان يحقِّقُ النصرَ للإلٰه الذي يمثّلُهُ .

كيفَ بَدأت رياض الأطفال ؟

معظمُ الأطفالِ يدخلون المدرسةَ الإبتدائيةَ عندما يبلغونَ سنَّ الخامسةِ أو السادسةِ أو السابعةِ . لكنَّ أطفالاً كثيرين يبدأون الذهابَ إلى المدرسةِ قبل هذه السنِّ ، حين يُدخَلون إلى مدارسِ الحضانةِ أو رياضِ الأطفالِ .

مرحلةُ روضةِ الأطفالِ ، في معظمِ الأنظمةِ الدراسيةِ في العالمِ ، هي التي تسبقُ المرحلةَ الإبتدائيةَ . والأطفالُ في روضةِ الأطفالِ يلعبون معظمَ النهارِ ، لكنّهم يتعلّمون باستمرارٍ بينما يلعبون . يتعلَّمون كيف ينظّمون نشاطاتِهم ويتقاسمون الألعابَ ، ويتبعون الإرشاداتِ البسيطةَ ، وأخيراً يتعلَّمون التكيُّفَ مع الحياةِ المدرسية .

فكرةُ إنشاءِ مدارسَ للصغارِ بدأَتْ في أوروبا مع أواخرِ القرنِ الثامنَ عشر (سنوات ال ١٧٠٠) وبداياتِ القرنِ التّاسع عشرَ (سنوات ال ١٨٠٠)

كانتِ الصناعةُ في نموٍّ وتوسُّعٍ ، وخرجت أمهاتٌ عديداتٌ للعملِ . وكانت الأمّهاتُ مضطراتٍ لاصطحابِ الأطفالِ إلى المعامِلِ .

من أوائلِ الحلولِ التي وُضعَتْ لمواجهةِ هذه المشكلةِ إنشاءُ مدارس الصغار . أولُ مدرسةٍ من هذا النوعْ أُنشِئَتْ في سكوتلندا عام ١٨١٦ ، أنشأَها شخصٌ يُدعى روبرت أوين . أقامَ أوين نظاماً من المدارسِ للأولادِ الذين لم يبلغوا الثانيةَ عشرةَ في المدنِ الصناعيةِ . وهكذا بدأ الصغارُ يذهبون إلى هذه المدارسِ حين يتمكنون من السيرِ .

لكنّ المربّين قد اهتمّوا ، قبل هذا التاريخِ بتربيةِ الصغارِ ووضعوا

نظرياتٍ حولَ هذه المسألةِ . وهناكَ مُرَبٍّ ألمانيَّ يُدعى فريديريك فروبيل وضعَ نظريةً خاصةً به حول أسلوبِ تعليم الأطفالِ الصغارِ . وأنشأ مدرسةً بمدينة بلانكنبورغ في ألمانيا عام ١٨٣٧ . وسمّى هذه المدرسة « كندر جاردن » أو « حديقة الأطفال » ، كانت أولَ روضةٍ للأطفال .



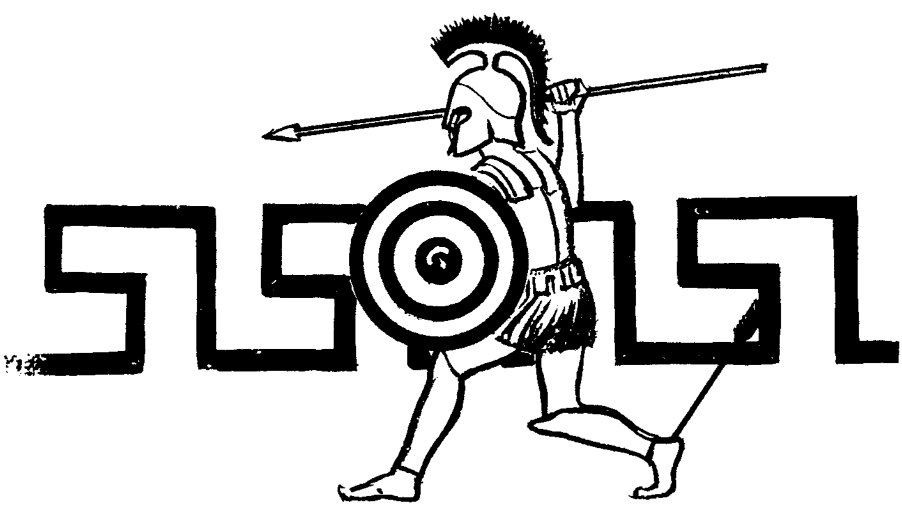
مَاهي القوة النابذة ؟

القوَّةُ هي دفعٌ أو سَحْبٌ يغيّرانِ حركَةَ الأشياءِ . فعندما تدفعُ كرسيّاً فانّكَ تمارِسُ عليه القسرَ أي **القوةَ** . وعندما تتوقَّفُ عن الدفعِ يتوقَّفُ الكرسيُّ عن التحرّكِ . ولكن لو انّكَ دحرجْتَ كرةً على الأرض ، فانها ستستمرُّ بالتدحرجِ بعد أن تتوقّفَ عن دفعِها . لماذا ؟ السببُ يرجعُ، تبعاً لما طوَّرَهُ **اسحق نيوتن** ـ أولُ عالمٍ درسَ مسائِلَ القوةِ والحركة ـ إلى مبدأ « **العطالة** » أو « **القصور الذاتي** » . ويعني هذا المبدأُ انَّ الشيءَ يواصلُ تحرّكَهُ وفقَ الحالةِ التي بدأَ بها الحركة . إنَّ كلَّ جزءٍ من المادّةِ له « عطالتُهُ » ويبقى متحرِّكاً في خطٍّ مستقيم في نفسِ السرعةِ ما لم تتغيَّرْ حركتهُ بقاسرٍ آخر . فمثلاً إذا كنتَ راكباً في حافلةٍ أو باصٍ وضغط السائقُ الكابحَ (الفرامل) ، فإنّ جسمَك سيندفعُ الى الأمام . وذلكَ لأنَّ جسمَكَ كانَ يواصلُ نفسَ سرعةِ العربةِ فاستمرَّ ، بسبب « **عطاليتهِ** » أو قصورهِ الذاتي ، في نفسِ تلك السرعةِ لحظةَ ضغطِ السائقُ الكابحَ .

نأتي الآن إلى « **القوة النابذة** » أو « الطاردة عن المركز » . كلُّ واحدٍ منّا قد جرَّبَ هذه القوةَ التي نلاحظُها عندما نكونُ في مركبةٍ مثلاً وتستديرُ فجأةً فيميلُ الجسمُ باتجاهِ ممشى المركبة . هذا يرجعُ إلى **القوةِ النابذة** . ويمكنُ شرحُ هذهِ القوةِ بالاستنادِ إلى مبدأِ « **العطالة** » فحينما تستديرُ السيارةُ فإنّ « عطالةَ » جسمك يفرضُ عليهِ أن يحتفظَ بحركتِهِ المستقيمَةِ فيندفعُ

خارجَ المنحنى الجديد نحو الاتجاهِ الذي كانت فيه السيارةُ لكي يحتفظَ بهذه الحركة . ان **الدّفعَ المركزي** ينبذ أو يدفع الشيءَ خارجَ المنحنى كما يحدثُ في السيارة .

لهذا السببِ تكونُ الطرقُ الخارجيةُ في الغالب منحدرةً في مواضعِ الاستدارةِ وان الطائراتِ تميلُ عندما تريدُ أن تستديرَ ، وهذا هو السبب في انّك تجدُ نفسَكَ حين تمتطي الدراجةَ منحنياً باستمرارٍ : انّ هذا يتمُّ لأجلِ موازنةِ الطردِ المركزي ، فلا يخرجُ بالشيءِ عن طريقهِ . وترتبطُ الاستدارةُ المناسبةُ بهذا الميلانِ نحو الداخلِ لأنّهُ يوازِنُ التحرّكَ نحوَ الخارجِ .



لماذا يَعوم الثَلج ؟

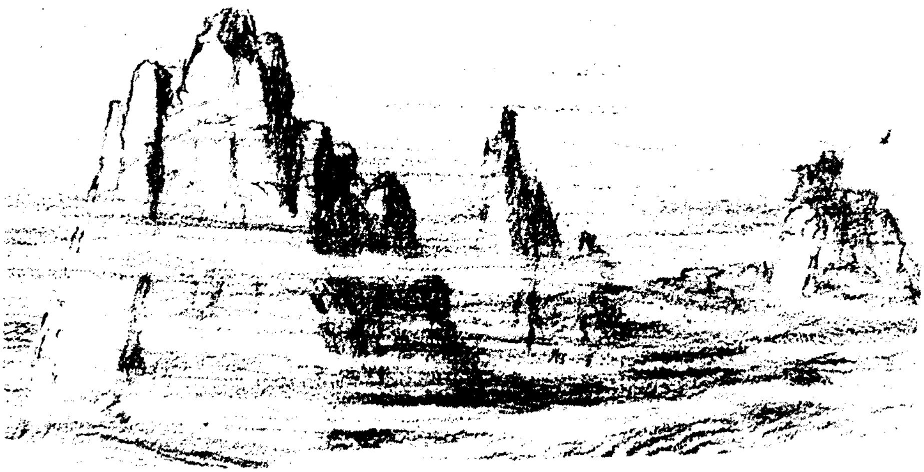
عندما يكونُ الجوُّ بارداً بما يكفي يأخذُ الماءُ بالتصلُّب . والماءُ يكبرُ عندما يتجمَّدُ ، بحيثُ أن عشرَ وحداتٍ من الماءِ تصيرُ احدى عشرة بعد التجمّد .

الأجسامُ تعومُ أو تغوصُ تبعاً لمبدأ اكتشفَهُ عالم الرياضيات اليوناني **أرخميدس** الذي عاشَ في القرن الثالث قبل الميلاد ، مَفَادُ هذا المبدأ أنَّ الجسمَ يعومُ بقوةٍ مساويةٍ لوزنِ السائلِ المُزاح . ان وزنَ الخشبِ ، مثلاً ، نصفُ وزنِ الماء ، وهو يحتاج لكي يعومَ إلى نصفِ حجمِهِ من الماء . والفلين في خمسِ وزنِ الماء . أما الثلج فهو حوالى تسعة أعشاره ، وهذا هو السبب في أن تسعة أعشارِ جبلِ الثلجِ تكونُ تحتَ الماءِ وبالتالي فإنَّ جبلَ الثلجِ الذي نراه هو أكبر بكثيرٍ مما نتصوَّرُ .

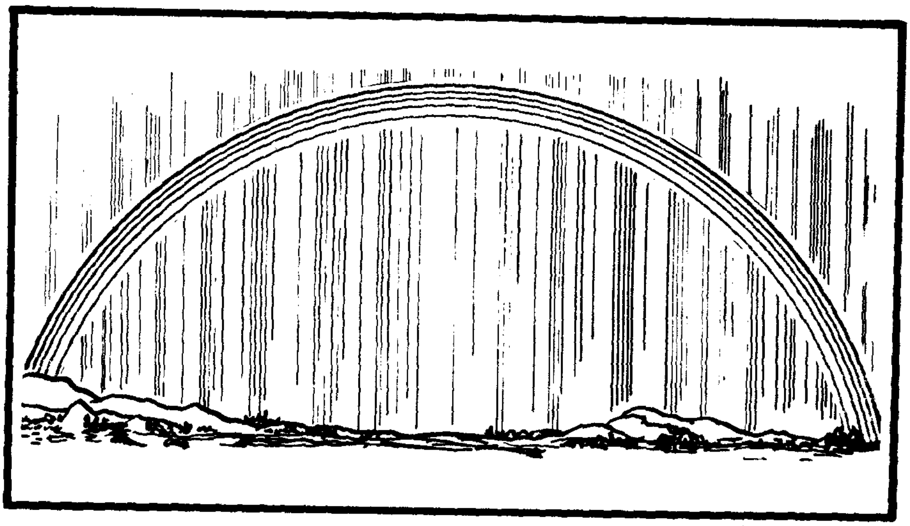
إنَّ الثلجَ في نقطةِ التَّجمد يمكنُ أن يذوبَ بضغطٍ اضافيٍّ ، لكنه سرعانَ ما يعودُ للتَّجمد اذا زالَ الضغط . فعندما نعتصرُ كرةً من الجليدِ تأخذُ بلوراتُ الثلجِ بالذّوبانِ ، فإذا سحبتَ يديكَ عادتِ الكرةُ إلى صلابَتِها .

كون الماءِ يتوسَّعُ عند التَّجمد يعطي سيرورةَ التَّجمد قوةً عظمى . وغالباً ما تتشقَّقُ الحجارةُ بسببِ تجمد الماءِ الذي يتسرَّبُ الى داخلِها .

وقد إسْتَثْمرَ عمالُ المقالعِ (الحجَّارون) في البلدانِ الباردةِ هذه القوةَ لتسهيلِ القَلْعِ . وفي فنلندا يقومُ الحجّارون بإحداثِ فجواتٍ في الصخورِ الضخمةِ ويملأونها بالماءِ ثم يتركونه حتى يتجمد ليسهل تكسيرُها .



لماذا رُتِّبَت ألوان قوس قزح على ما هي عليه؟



اعتدنا على اعتبارِ **الضوءِ** ذا لونٍ أبيضَ والقولِ عن الشمسِ إنها بيضاء . غيرَ أنّ ضوءَ الشمسِ في **الحقيقةِ مزيجٌ من عدةِ ألوانٍ** . وتظهرُ هذه الألوانُ عندما يسقطُ ضوءُ الشمسِ على الحافة المشطوبة للمرآة أو على حافةِ موشورٍ زجاجيٍّ أو على سطحِ فقاعةِ صابون . وما يحدثُ هنا هو **انكسار الضوء الأبيض** الى موجاتٍ مختلفة الأطوالِ تظهرُ لأعيننا ألواناً حمراءَ **وبرتقاليةً وصفراءَ وخضراءَ وزرقاءَ وبنفسجيةً** . وتشكّلُ هذه الأطوالُ المختلفةُ للموجةِ حزمةً من الأشرطةِ الموازيةِ يتدرَّجُ كلُّ لونٍ منها الى الذي يليه . ومن المعتاد أن يكونَ الخطُّ الأحمرُ في طرفٍ والخطان الأزرقُ

والبنفسجيُّ دائماً في الطرفِ الآخر . ويتحدَّدُ ذلك بالأطوالِ المختلفةِ للموجات . وتُسمّى هذه الحزمةُ من الأشرطةِ **بالطَّيف** .

انَّ **قوسَ قزحٍ** مثالٌ جيِّدٌ **للطيفِ** . وهو في الحقيقةِ طيفٌ كبيرٌ مقوَّسٌ ينشأُ عن انكسارِ ضوءِ الشمسِ في رذاذاتِ المطرِ كما يحدُثُ له عندما يعبرُ الموشورَ . انّنا نجدُ في داخلِ قطرةِ الماءِ ألواناً مختلفةً تنتقلُ من جهةٍ إلى أخرى فيها . وبعضُ هذه الأضواءِ الملونةِ تنعكسُ من الطرفِ البعيدِ للقطرةِ ، أي من خلفِها أو خارجِها . ويأتي الضوءُ الخارجُ من القطرةِ في اتجاهاتٍ مختلفةٍ تعتمدُ على اللون . ولذلك ترى هذه الألوانَ في **قوسِ قُزَحٍ** مرتبةً من الأحمرِ في الأعلى إلى البنفسجي في الأسفل .

يظهرُ **قوسُ قزحٍ** عندما تكون هناكَ زخّاتُ مطرٍ يرافقُها شروقُ الشمسِ من الجهةِ المعاكسةِ للناظرِ ، حيث تكونُ الشمسُ من خلفهِ ورذاذاتُ المطرِ من أمامه . ويجبُ أن تقعَ كلٌّ من الشمسِ والباصرةِ ومركزِ قوسِ قزحٍ على خطٍّ مستقيمٍ .

مَا هي اليوطوبيا أو المدينة الفاضلة ؟

مهما كنا مُعجَبين بوطنِنا وأسلوبِ الحكمِ فيه ، وقوانينِنه وشعبِهِ فنحن نعرفُ أنَّ هذا كلَّه ليس في مستوى الكمالِ . الواقع أنَّ ما من مكانٍ في الأرضِ أو نظامِ حكمٍ يمكنُ أن يوصفَ بالكمالِ .

لقد حلمَ الكثيرون بالعيشِ في موطنٍ مثاليٍّ كاملٍ . فما هي مواصفاتُهُ . في هذا المكانِ المثالي لا وجودَ لفقيرٍ ولا لغنيٍّ . بل ليست فيه حاجةٌ للغِنى ما دامَ كلُّ إنسانٍ يحصلُ على كلِّ ما يريد . في هذا الوطنِ المثالي يعيشُ الناسُ كلُّهم سعداءَ . ولا تكونُ هناك حاجةٌ ماسَّةٌ إلى الحكوماتِ السُّلطويةِ لأنَّ كلَّ إنسانٍ يحترمُ الآخرَ ويراعي حدودَه .

المشكلةُ أنَّ مثلَ هذا المكانِ ما يزالُ حلماً بعيدَ المنالِ . إنَّه « أجملُ من أن يصيرَ واقعاً » . إنه لذلك « اللامكان » . وهذا هو المعنى الحرفي لكلمة « يوطوبيا » اليونانية . إنها مكوّنةٌ من مقطعين « لا ـ مكان » غير أنَّنا نستعملُها بمعنى « المكانِ المثاليِّ » .

أوَّلُ من استخدمَ كلمةَ « يوطوبيا » في العصورِ الحديثةِ هو « السير توماس مور » الكاتبُ الانكليزي الذي عاشَ في القرنِ السادس عشر . فقد نشرَ كتاباً عام ١٥١٦ بعنوان « يوطوبيا » وصفَ فيه جزيرةً مثاليةً ، ولقيَ كتابهُ انتشاراً واسعاً . وبالطبعِ يمكنُ تفسيرُ هذا الانتشارِ ؛ لقد جاء الكتابُ تعبيراً عن الأحلامِ الجماعيةِ بوجودِ عالمٍ تسودهُ العدالةُ ، لا سيَّما أنَّ انكلترا في تلك المرحلةِ

التاريخيةِ كانت بعيدةً عن العدلِ بعداً عظيماً .

غيرَ أنَّ فكرةَ « اليوطوبيا » أقدمُ من ذلكَ بكثيرٍ . إنها ترتبطُ بحلمِ الإنسانِ القديمِ بوجودِ عالمٍ تسودهُ العدالةُ والمساواةُ ، وإنْ لم يُتَرْجَمْ هذا الحلمُ إلى قصيدةٍ أو حكايةٍ أو كتاب . ومن أقدمِ الذين وصفوا هذا العالمَ المثاليّ الفيلسوفُ اليوناني « أفلاطون » (٤٢٨ ـ ٣٤٧ قبل الميلاد) ، في كتابِهِ « الجمهورية ». وفي هذا الكتابِ وضعَ الشروطَ والأصولَ التي تقومُ عليها الجمهوريةُ المثاليةُ .

وقد كتب الفيلسوفُ العربي « أبو نصر الفارابي » (٨٧٨ ـ ٩٥٠ ميلادية) كتاباً بعنوان « آراءُ أهلِ المدينةِ الفاضلةِ » نحا فيهِ نحوَ أفلاطون ، ووضعَ الأصولَ والمبادىءَ التي تقومُ عليها المدينةُ الفاضلةُ ، وجعلَ لرئيسِها شروطاً صعبةً تفترضُ فيه أن يكونَ نبياً أو فيلسوفاً . وظهرت في أواخرِ القرونِ الوسطى بين الأوروبيين حكاياتٌ عن قارةٍ في المحيطِ الأطلسي اسمُها « أطلنطيد » يقومُ فيها بَلَدٌ مثاليٌّ . وقد تبدَّدت هذه الحكاياتُ لمَّا بدأتْ حركةُ الاكتشافاتِ التي انتهت باكتشافِ القارةِ الأميركية .

واليومَ تُستخدَمُ كلمةُ « يوطوبيا » أو « طوباوي » لوصفِ أي مشروعٍ إصلاحيٍّ يبدو غيرَ واقعيٍّ أو غيرُ ممكنٍ وإن كانت أهدافُهُ نبيلةً .

كم عدد الأديان في العالم ؟

تُستعملُ كلمةُ « دين » على أشكالٍ عديدةٍ من التجاربِ بحيثُ يصعُبُ وصفُها في كلماتٍ قليلةٍ . غيرَ أنَّ هناكَ ستةَ أشياء مشتركةٍ بين معظمِ الأديانِ هي : ١ ـ الإيمانُ بقوةٍ ، أو قوى ، أعظمَ من الإنسان . ٢ ـ تمجيدُ هذه القوةِ أو القوى والخوفُ منها والتقرّبُ لها والصلاةُ لوجهِها . ٣ ـ أداءُ الصلاةِ والقرابينِ بشكلٍ احتفالي . ٤ ـ تقديسُ أماكنَ وأشياءَ معينةٍ مرتبطةٍ بالعبادةِ وتاريخِ الدين . ٥ ـ الأملُ في الحصولِ على حياةٍ أفضلَ ، عاجلاً أم آجلاً ، من خلالِ مراعاةِ الفرائضِ . ٦ ـ اعتبارُ السلوكِ الملائمِ من وسائلِ الزّلفى إلى الله أو الآلهةِ ، والتي توصل المؤمنَ إلى حياةٍ أفضل .

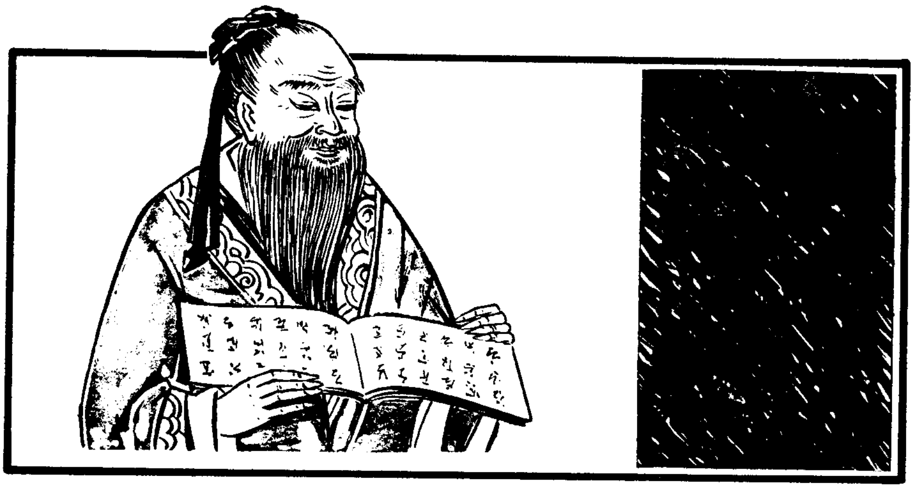
تشتركُ معظمُ أديانِ العالمِ الراقيةِ في هذه الأصولِ الستةِ . أما أديانُ البدائيين التي تتضمَّنُ عبادةَ الأرواحِ في الحيواناتِ والصخورِ والأنهارِ وما أشبهَ فتُعتَبَرُ من مستوى أدنى ليس فقط من الأديانِ القائمةِ بل ومن أديان المتمدّنين الوثنيةِ ، والتي اندثرت مع تقدُّمِ المدنيةِ ، مثل دياناتِ الفراعنةِ والبابليين واليونانِ والرومان .

إنَّ أهمَّ الأديانِ الموجودةِ حالياً هي بحسب نسبة أتباعها : المسيحية ، الاسلام ، الهندوسية ، البوذية ، التاوية ، الشنتوية ، واليهودية . ويبلغُ أتباعُ هذه الأديانِ في مجموعِها ٢,٥٤٩,١٦١,٠٠٠ فهي تشملُ معظمَ العالمِ المتمدّنِ . وفيما يلي عددُ الأتباعِ في كلٍّ من هذه الأديان :

الهندوسية حوالى ٤٠٨ ملايين ، معظمُهم في الهند . البوذيةُ حوالى ١٦٥ مليوناً في الصينِ واليابان . التاوية حوالى ٥٢ مليوناً . الشنتوية ٦٨ مليوناً في اليابان . الاسلام حوالى ٥٠٠ مليون في آسيا وافريقيا . اليهودية حوالى ١٤ مليوناً . المسيحيةُ وهي أكبرُ الأديان ١,٠١٩,٠٠٠,٠٠٠ . وهناكَ ١٦١ ألفاً من بقايا المجوسِ في إيران وأفغانستان . ويبلغُ أتباعُ الكونفوشية ٣٥٨ مليوناً . غير أنَّ من الصعبِ اعتبارَ الكونفوشية ديناً فهي مذهبٌ أخلاقيّ في الأساسِ .



من هو كونفوشيوس ؟



كان واحداً من أعظمِ معلّمي الحكمةِ والأخلاقِ في العصورِ كلِّها . عاشَ في الصينِ منذ (٥٠٠) سنةٍ قبل ميلاد المسيحِ . وقد تأمَّلَ طويلاً في الشروطِ التي تساعدُ على تطوّرِ شخصيةِ الإنسانِ وأخلاقِهِ ، واستوحى في ذلكَ كتاباتِ الصينيين القدامى .

أخذَ يعلّمُ الأفكارَ والمبادىءَ التي توصّلَ إليها الأمراءِ والتلاميذِ الذين تهافتوا عليه من الطبقاتِ كلِّها . هذه المبادىءُ والقواعدُ التي وضعَها كونفوشيوس منذ (٢٤٠٠) سنة ما تزالُ تعتبرُ مُثُلاً عليا .

اسم كونفوشيوس الصيني الأصلي كان « كَنْج ـ فو ـ تسي » . بدأ كونفوشيوس في سنِّ الثانية والعشرين . وبعد ثلاثِ سنواتٍ من زواجِهِ بدأ يعلِّمُ

قواعدَ السعادةِ . وكانت قاعدتُهُ الذهبيةُ أو الأساسيةُ لتحقيقِ السعادة : « لا تعامِل الآخرينَ بما لا تريدُ أن يعاملوك به » .

وقد علَّمَ كونفوشيوس عدداً من الأمراءِ وحاولَ أن يبذرَ في نفوسِهِم بذورَ تعالِيمِهِ الأخلاقيةِ ويجعلَهم يتبعون السلوكَ القائمِ على المحبَّةِ والعدالةِ والاحترامِ والحكمةِ والصدقِ .

وقد كانَ لأحدِ تعاليمِهِ أثرٌ كبيرٌ في الصينِ ، وهو المبدأُ القائلُ باحترامِ الآباءِ . وبما أنَّ هذه التعاليم كانت تقولُ باحترامِ الآباءِ سواء كانوا أحياءً أم أمواتاً فقد تحوَّلَ هذا المبدأُ مع الأيامِ إلى نوعٍ من عبادةِ الأجدادِ . وقد جعلَ هذا المبدأُ الصينيين يتلفتون إلى الماضي الذي يمثلُه الأجدادُ ، قروناً ، مما أعاقَ تقدُّمَهُم والتفاتَهُم نحو المستقبلِ .

لم يدَّعِ كونفوشيوس أنه إلٰه . بل إنَّه لم يتحدَّثْ في تعاليمِهِ عن الخالقِ ولا عن عالمٍ آخر . كان يعتقدُ أن الإنسانَ خيِّرٌ بطبيعتِهِ ويقدرُ أن يحافظَ على طيبتِهِ وصفائِهِ إذا عاشَ بانسجامٍ مع إخوتِهِ في الإنسانيةِ .

بعد موتِهِ بخمسمئةِ سنةٍ صارت تعاليمُه الفلسفةَ الرسميةَ للدولةِ . لكن لمَّا ظهرتِ البوذيةُ تراجعتِ الكونفوشيةُ ونسيَها الناسُ ردحاً من الزمن . غيرَ أنها عادت وانتعشت ، وهي ما تزالُ حتى اليوم تؤثّر في حياةِ الملايين من البشر .

من هو بــوذا ؟



البوذيةُ واحدةٌ من الدياناتِ الأربعِ الأكثرِ انتشاراً في العالمِ اليوم . معظمُ أتباعِها يعيشون في الهندِ وسيلان والصين واليابان وكوريا وتايلاند ، كما نستطيعُ أن نصادفَ البوذيين في أماكنَ أخرى عديدةٍ .

مؤسِّسُ البوذيةِ هو الأميرُ « غوتاما سيدهارتا » الذي وُلِدَ وعاشَ في مطلعِ شبابِهِ حياةَ الترفِ في أفخمِ القصور . لكنَّه ذاتَ يومٍ ، فيما كان خارجاً من قصرهِ لقِيَ ثلاثةَ رجالٍ ، أحدُهم مريضٌ جداً ، والثاني متقدّمٌ جداً في العمرِ ، والثالث ميت . فاضطربتْ نفسُهُ إذْ رأى بأُمِّ عينِهِ صورةً مجسَّدَةً لآلامِ الإنسانِ ، وبدأ يتساءلُ كيف يمكنُ الوصولُ إلى السعادةِ الحقيقيةِ التي لا يصيبُها التغيُّر .

هكذا بدأ صياماً طويلاً وغرقَ في التأمُّلِ بحثاً عن الجوابِ . وذاتَ يومٍ بينما كان يجلسُ في ظلِّ شجرةِ تينٍ ، صارَ اسمُها فيما بعد « شجرةَ الإشراقِ » أشرقَ في نفسِهِ الجوابُ ورأى أن علاجَ الشقاءِ الإنساني بأنواعِهِ يقومُ على تحكُّمِ الإنسانِ برغباتِهِ وسيطرتِهِ على نفسِهِ . وانطلقَ منذ ذلكَ الحينِ يعلِّمُ الحقيقةَ التي توصَّلَ إليها . صارَ اسمُهُ « بوذا » أي « المستنير » ، وراحَ يطوفُ أنحاء الهندِ مع تلاميذِهِ طوالَ أربعين سنةً ، يعلِّمُ الناسَ كيف يجدون السعادةَ .

غيرَ أنَّ أتباعَ بوذا اعتبروه إلٰهاً وصنعوا له صوراً وتماثيلَ راحوا يتعبَّدونَ لها ، مع أنَّ بوذا نفسَه لم يتحدَّثْ عن إلٰهٍ . كلُّ ما قالَ به كان يتعلَّقُ بالروحِ وانتقالِها بعد الموتِ إلى كائنٍ آخر أرفعَ أو أدنى بحسبِ أعمالِ الإنسانِ خلالَ حياتِهِ .

تستمرُّ عمليةُ انتقالِ الروحِ من جسمٍ إلى آخرَ (أو التقمُّصِ) عبرَ دوراتٍ عديدةٍ إلى أن يتمَّ انتصارُ الروحِ على الشهواتِ كلِّها . آنذاك تدخلُ الروحُ حالة « النّرفانا » أي حالةَ السلامِ الكاملِ . لبلوغِ هذه الحالةِ على الإنسانِ أن يسلكَ الممراتِ الثمانيةَ للإيمانِ القويمِ ، وذلكَ ببلوغِ « النيّةِ الصالحةِ » و« القولِ الحقّ » و« السلوكِ القويم » و« الحياةِ الصحيحة » و« السعي الخيّر » ، و« الفكرِ السليمِ » ، و« التأمُّلِ الخالصِ » .

كيف بدأ المذهب البروتستانتي؟

في بداياتِ القرنِ السادسَ عشرَ ظهرتْ في أوروبا حركةٌ دينيةٌ داخلَ المذهبِ الكاثوليكي السائدِ ، دعت نفسَها حركةَ « الإصلاح » . ثم صارَ اسمُ هذه الحركةِ « البروتستانتية » . والتسميةُ نسبةٌ إلى كلمة « بروتستانت » وهي تعني حرفياً « المحتجّين » . وقد قامت هذه الحركةُ لتغييرِ الكثيرِ مِمّا كان يُتّبعُ بموجبِ قوانينِ الكنيسةِ الكاثوليكية .

فما الذي أرادَ « المُحتَجُّون » أو « البروتستانتيون » أن يغيّروه ؟ أوّلُ المظاهرِ التي احتجُّوا عليها وأرادُوا تغييرَها كانت نوعَ الحياةِ التي يعيشُها سلك الكهنوتِ (أو مجموعُ رجالِ الدين بحسبِ تسلسلِ رتبِهِم) . فقد رأوا أن رجالَ الدين ليسوا ملتزمين بالمسائلِ الدينيةِ الروحانيةِ بل هم منغمسون في الشؤونِ الماديّةِ والسياسيةِ .

احتجَّ « الإصلاحيون » كذلكَ على بيعِ « صكوكِ الغفرانِ » ، و« صكُّ الغفران » براءةٌ أو شهادةٌ يحصلُ عليها الشخصُ لقاءَ مبلغٍ من المالِ يُعفى بموجبِها من خطاياه ؛ وهي بدعةٌ لم تكنْ موجودةً في تعاليمِ الكنيسةِ الكاثوليكيةِ لكنَّ بعضَ البابواتِ طلعَ بها لحاجةِ خزينتِهِ إلى المالِ . وفوق ذلكَ استغلَّ بعضُ العملاءِ هذه البدعةَ استغلالاً سيّئاً ، وصارت تجارةً رائجة .

وقد لقي المحتجُّون البروتستانتيون تأييداً لأنَّ الكثيرين كانوا ينظرون بحسدٍ ونقمةٍ إلى الأملاكِ الشاسعةِ التابعةِ للأديرةِ . وتدخَّلت في الموضوعِ عواملُ

تاريخيةٌ سياسيةٌ واقتصاديةٌ . ذلكَ أنَّ هذه الحركةَ كانت مدفوعةً بمشاعرِ الاستقلالِ ونشوءِ الحركاتِ القوميةِ في أوروبا ، وكان استقلالُ الكنيسةِ المحليةِ عن العاصمةِ البابويةِ في روما مظهراً من مظاهرِ الاستقلالِ القومي .

إذن هناكَ أسبابٌ غيرُ مباشرةٍ تتمثَّلُ في الحركاتِ القوميةِ وأسبابٌ مباشرةٌ تتمثَّلُ في فسادِ الكهنةِ وسلطةِ « البابا » وتدخُّلِهِ في النزاعاتِ السياسيةِ والعسكريةِ ، وأخيراً فضيحة « صكوكِ الغفران » .

هكذا قام « مارتن لوثر » « محتجّاً » عام ١٥١٧ ، وهو كاهنٌ ألماني من رهبنةِ القديس أوغسطينوس . فصدرَ بحقِّهِ حكمٌ كنسيٌّ يعتبرُهُ « مهرطقاً » (أو منشقّاً) ، وبالتالي يفصلُهُ عن الكنيسة . لكنَّ مذهَبَهُ انتشرَ مع ذلك .

وفي عام ١٥٣٠ أعلنَ « لوثر » بيان « أوغسبُرغ » الذي تضمَّنَ المبادىءَ الواحدةَ والعشرين التي تشكِّلُ أساسَ المعتقداتِ البروتستانتيةِ . وبالطبعِ نتَجَ عن ذلكَ الانفصالُ بين المذهبينِ الكاثوليكي والبروتستانتي . ومع الزمن بدأت بعضُ البلدانِ الأوروبيةِ تتبنَّى المذهبَ البروتستانتي ؛ لكنَّ كلَّ بلدٍ طبَّقَهُ بشكلٍ مختلفٍ وهو ما أنتجَ التعدُّدَ في الكنائسِ البروتستانتيةِ نفسِها .

كيف بدأت القواميس؟

ما هو القاموسُ كما نعرفُهُ اليوم ؟ إنَّه كتابٌ يقدِّمُ لوائحَ بالكلماتِ التي تشملُها لغةٌ معيَّنةٌ مرتَّبةً بحسبِ التسلسلِ الأبجديّ تقابلها شروحُها . بعضُ القواميسِ يزيدُ على الشرحِ معلوماتٍ إضافيةٍ تشملُ كيفيةَ اللفظِ وأصلَ الكلمةِ ووجهَ استعمالِها .

والغريبُ هو أنَّ ظهورَ القواميسِ اللاتينيةِ قد تأخَّر ، وحتى بعد ظهورِ أوائلِ القواميسِ مرَّتْ مئاتُ السنين قبل أن يكتملَ تطوُّر القواميس الأوروبية . أو ل مرةٍ ظهرت فيها كلمةُ قاموس «Dictionary» أو « Dictionnaire » كانت باللاتينيةِ «Dictionaricus» ، والمعنى الحرفيُّ لهذه الكلمةِ هو « مجموعةُ كلمات » . كان ذلكَ حوالى سنة (١٢٢٥) م ، حينَ استُخدمت الكلمةُ عنواناً لمخطوطةٍ تضمُّ كلماتٍ لاتينيةٍ مختارةً للإستظهار . ولم يكنْ هذا الكتابُ يُستخدَمُ إلا في الصفوفِ التي تُعَلَّمُ فيها اللغةُ اللاتينية .

وهكذا لم تبدأ القواميس الانكليزية مثلا إلا في القرن الخامس عشر . ولم تكنِ الكلماتُ الانكليزيةُ تردُ فيها إلا لتفسيرِ الكلماتِ اللاتينيةِ . وقد بلغَ عددُ الكلماتِ الانكليزية في أحدِ هذه القواميسِ اثني عشر ألفَ كلمةٍ مع ما يقابِلُها باللاتينيةِ . ولم يظهرْ أولُ قاموسٍ حقيقيٍّ بالانكليزية إلا في عام ١٥٥٢ ، وكان ما يزالُ مرتبطاً باللاتينيةِ غير أن الشروحَ كانت قد بدأت تردُ بالانكليزية أولاً ثم ذكر المقابلُ اللاتيني .

لم تكنِ القواميسُ الأولى تستقصي كلماتِ اللغةِ كلَّها بل كانت تقتصرُ على المفرداتِ الصعبةِ أو المتخصّصةِ والمقصودةِ لغاياتٍ معينةٍ . كما أنَّ القواميسَ

الأوروبيةِ لم تعتمدْ دوماً الحروفَ الأولى في الكلمةِ وإنما كانت تنظِّمُ الكلماتِ بحسبِ نهاياتِها وذلكَ لمساعدة الشعراءِ على اختيارِ القوافي .

أما القواميسُ العربيةُ فقد بدأت قبلَ القواميسِ الأوروبيةِ بسبعمئة سنة . وأولُ قاموسٍ عربيّ وضعهُ « الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيدي الأزدي » المتوفي في البصرة عام ٧٧٨ ميلادية . وهو واضعُ علم العروضِ . كان عنوانُ قاموسِهِ « كتابَ العين » ؛ ذلكَ أنَّه اتَّبعَ في ترتيبِ الحروفِ تسلسلَ المخارجِ الصوتيةِ فبدأَ بحروفِ الحلقِ (وجعلَ ترتيبَ الحروف على الوجه التالي : ع ح هـ خ غ ف ك جـ ش ص ض س و ط د ت ذ ث ز ل ن ف ب م و أ ي) .

توالتِ المعاجمُ بعدَ « كتابِ العين » وكانت تتطوَّرُ باستمرارٍ وتتَّسِعُ وتتَّجِهُ باتجاه الشمولِ والتنظيمِ . وكانت المعاجمُ على نوعينِ معاجمُ الألفاظِ ومعاجمُ المعاني . معاجمُ الألفاظِ هي التي تضبط معنى الكلمةِ وتثبتُ الشواهدَ على كيفيةِ ورودِها في اللغةِ ، وتستعرضُ اشتقاقاتِها . ومعاجمُ المعاني كانت تُقسَمُ إلى أبوابٍ ومعانٍ وتستعرضُ المفرداتِ المستعملةَ للتعبيرِ عن معنى معينٍ . فإذا كان البابُ مثلاً بابَ الأصواتِ استُعرِضَتِ المفرداتُ المستعملةُ لتسميةِ أصواتِ حيوانٍ معينٍ أو صوت الرعد أو الريح وغير ذلك . وأكملُ معاجِمِ الألفاظ وأوسعُها « لسانُ العرب » لجمال الدين بن مكرم (١٣١١ م) . غيرَ أنَّه رتَّبَ ألفاظَهُ على الحرفِ الأخيرِ من صيغة الفعلِ المجرَّدِ ، ثم رتَّبَ أبوابَ الحروفِ على الحرفِ الأول .

أما كلمةُ « قاموس » فمعناها في اللغةِ العربيةِ « البحر الواسع العميق » استعملَهَا الفيروز آبادي من القرن الرابع عشر (ولد ١٣٢٩ وتوفي ١٤١٤ م) فجعلَها عنواناً لمعجمِهِ « القاموسُ المحيط » أي البحر المحيط ، إشارةً إلى اتِّساعِ قاموسِهِ ؛ وصارت كلمةُ « قاموس » منذ ذلكَ الحين تستخدمُ كمرادفٍ لكلمةِ معجم .

كيف بدأ التّشاؤم الخرافي ؟

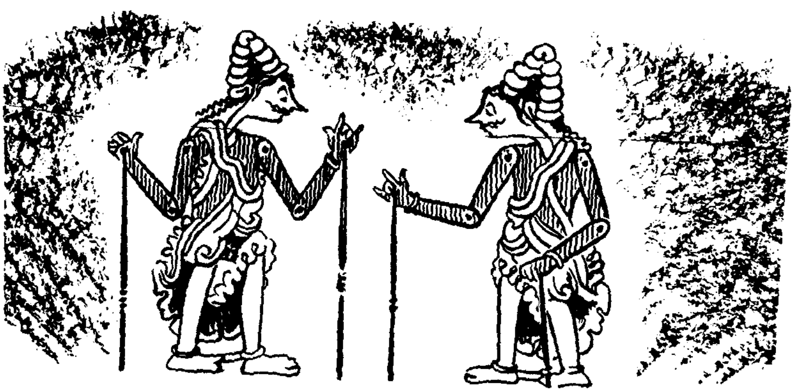
هناك معتقداتٌ قديمةٌ سادت ذاتَ يومٍ ولم يعدِ الناسُ اليومَ يؤمنون بها ، لكنّهم يحتفظون ببعضِ رواسبِها أو مظاهرِها . هذه المظاهرُ كانت ذات يومٍ طقوساً أو تقاليدَ احتفاليةٍ أو تعبيراً عن معتقداتٍ نسيَ الناسُ أصولَها وتاريخَها . وهم اليوم يقولون بها أو يكررونَها وإن كانوا عاجزين عن إثباتِ صحّتِها أو ضرورتِها .

على سبيلِ المثالِ كانَ الناسُ في بعضِ مراحلِ التاريخِ يعتقدونَ أنَّ ظلَّ الإنسانِ جزءٌ من روحِهِ . فكانوا يعتبرون أنك تؤذي الروحَ إذا كسرتَ شيئاً مرّ عليه هذا الظلُّ . وهكذا تشاءموا من كسرِ المرآةِ . كان هذا اعتقاداً سائداً وجزءاً من فهمِ الانسانِ للعالمِ ، ولم يكُنْ يُعتَبَرُ خرافياً . أما اليومَ فإذا تشاءَمَ إنسانٌ من كسرِ المرآةِ اعتبرنا تشاؤمَه خرافياً لأنّه ما من أحدٍ يعتقدُ اليومَ أنّ ظلَّ الإنسانِ جزءٌ من روحه .

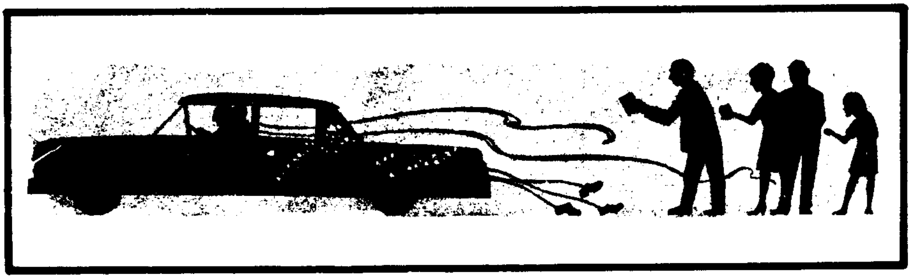
التشاؤم الخرافيُّ إذن هو الاستمرارُ في ممارسةِ طقسٍ أو مظهرٍ أو عادةٍ بعد ظهورِ المعارفِ الجديدةِ التي تثبتُ بطلانَ الأساسِ الذي يقومُ عليه .

حاول الإنسانُ في القديمِ أن يفسّرَ أحداثَ الكونِ وظواهرَه بما تيسَّرَ له من المعرفةِ يومذاك . لم يكنْ يعرفُ الكثيرَ عن الشمسِ والكواكب والقمرِ والمذنّبات والشُّهب وغيرها . فاخترعَ أساطيرَ تفسِّرُها ، واتَّبعَ طقوساً وعباداتٍ تحميه من « تأثيرها » . ولذلك كان التَّنجيمُ وتأثيرُ حركاتِ النجومِ على الإنسانِ مسألةً مُعتَرَفاً بها كحقيقة . لكن مع تقدُّمِ العلمِ بدأَ الإنسانُ يعرفُ الكثيرَ عن الأجرامِ

السماويةِ . وزالتِ المعتقداتُ القديمةِ . وبما أنَّها قدِ زالت فإنّ الأشخاصَ الذين ما زالوا يعتقدون أنّ مرورَ شهابٍ يجلبُ الحظَّ يُعتبرون من المتشائمين أو المتفائلين الخرافيين .



لماذا يُرشّ العَروسان بالأرز ؟



هناكَ كثيرٌ من العاداتِ والتقاليدِ المتعلقةِ بالأعراسِ في الشرقِ والغربِ ترجعُ أصولُها إلى أزمنةٍ قديمةٍ ، وتشكّلُ تعبيراً رمزياً عن مُعتقداتٍ ، وعلاقاتٍ اجتماعيةٍ تغيَّرتِ اليوم . من هذه العاداتِ التي نسيَ الناسُ أصولَها عادةُ ربطِ الحذاءِ في مؤخّرِ عربةِ العروسين ، وهي عادة غربيةٌ ، ترجعُ إلى زمنٍ قديمٍ ، لما كانَ والدُ العروسِ يبادلُ حذاءه بحذاء العريسِ إشارةً إلى انتقالها من سلطةِ الأبِ إلى سلطةِ الزوج . ثم هناكَ عادة « وصيفاتِ الشرف » أو الفتيات اللواتي يحملْنَ أذيالَ ثوبِ العروس . وهي عادةٌ غربيةٌ ترجعُ إلى زمنِ الرومانِ لمّا كانَ عقدُ الزواجِ يقتضي حضورَ عشرةِ شهودٍ . والرجلُ (الاشبينُ أو الشاهدُ) الذي يسلّمُ العروسَ إلى العريسِ ، يذكّرُ بالعاداتِ القديمة جداً لمّا كانتِ العروسُ تُباعُ بيعاً .

وفي المشرقِ العديدُ من التقاليدِ التي ترجعُ أصولُها إلى أزمنةٍ قديمةٍ . وإذا كان بعضُ هذه العاداتِ قد تراجعَ في المدنِ أمامَ هجومِ العاداتِ الغربيةِ ، فإنّها ما تزالُ متّبعةً في الريفِ عامّةً . يفترضُ بالعروسِ في الريفِ أن تلصِقَ قطعةَ خميرٍ

على مدخلِ بيتِ زوجِها كما تدخلُ في بعضِ المناطقِ وظهرُها إلى البابِ (أي خلفياً) . وهذه تعابير رمزية : فالخمير رمز التكثيرِ والبركةِ لأن قطعة الخميرِ الصغيرةَ « تخمِّرُ » كميةً كبيرةً من العجين . وهذا يرجعُ إلى الأزمنةِ القديمةِ التي كانت فيها عمليةُ الخَبزِ والتخميرِ تحاطُ بطقوسٍ واهتمامٍ ، وترسَمُ على العجينِ إشاراتٌ دينيةٌ ؛ أما المشي رجوعاً فرمزٌ إلى أنَّ العروسَ تدخلُ البيتَ على عقبيها ولا تفارقُه إلا على عقبيها (أي ميتة) .

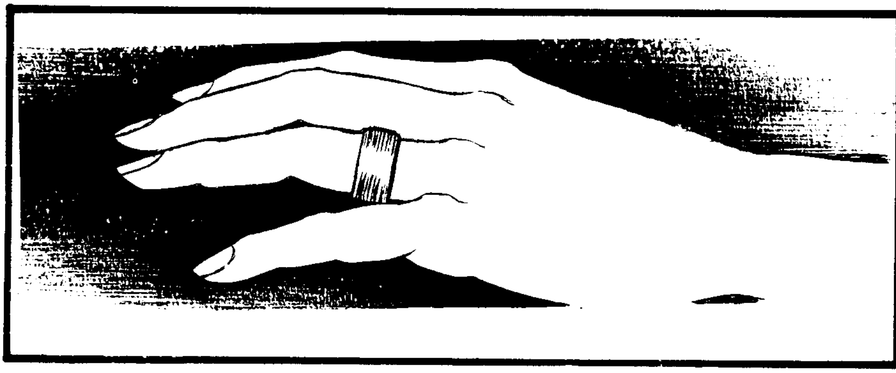
هكذا نرى أنَّ العرسَ ، كسائرِ الأحداثِ المهمّةِ في حياةِ الإنسانِ تُحاطُ بأعمالٍ وحركاتٍ رمزيةٍ . (والرمزُ هنا يعني القيامَ بحركاتٍ إشارةً إلى ما نريدُ التعبيرَ عنه دون أن نصرّحَ به مباشرةً) .

رشُّ الأرزِ على العروسين واحدٌ من هذه الرموزِ . ولعلَّهُ يتَّصِلُ ببعضِ العاداتِ القبليةِ القديمةِ ، حيث كان تناولُ رجلٍ وامرأةٍ للأرزِّ معاً يعني أنّهما تزوّجا . ربَّما لأنَّ المشاركةَ في الطعامِ ترمزُ إلى المشاركةِ في الحياة ، ولا بدَّ أن الطعامَ المحلّيّ لتلكَ القبائلِ كان من الأرزِّ .

ولدى شعوبٍ أخرى يبدأُ العروسانِ أكلَ الأرزِّ معاً ثم ينهالُ عليهما الأرز . وفي بعضِ الحالاتِ لم يكنِ الأرزُ إشارةً إلى اجتماعِ العروسينِ بل كان يُرشُّ لحمايتهما من الأرواحِ الشريرةِ ، إذْ كان يُعتقَدُ أنّ هذه الأرواحَ تظهرُ في حفلاتِ الزواجِ ، فإذا رُمِيَ الأرزُّ عليها أكَلَتْ وشبعت وامتنعت عن أذى العروسين .

لكن الأرزَّ في نظرِ القدامى كان رمزاً للخصب ، ورشُّه على العروسين يحملُ هذا المعنى . فالذي يرشُّ الأرزَّ كأنَّما يقول « لتُرزقا أولاداً كثيرين ووفرةً في الخيراتِ في حياتِكما المقبلةِ معاً » .

متى بدأت عادة خواتم الزواج ؟



لبسُ خواتمِ الزواجِ من أقدمِ العاداتِ وأكثرها انتشاراً في العالم . وهي عادةٌ قديمةٌ جداً بحيثُ يصعبُ تحديدُ بدايتِها .

ولعلَّ السببَ في استخدامِ الخاتمِ هو استدارةُ شكلِهِ . فالدائرةُ رمزُ الاكتمالِ . وهي إذ تصبحُ شعاراً للزواجِ فلأنَّ الزواجَ اكتمالُ دائرةِ الحياةِ لشخصٍ ما . فقد كانَ الرجلُ الذي لم يَتزوّجْ ، أو المرأةُ التي لم تتزوّجْ يُعتبران شخصين غيرَ مكتملين ، فإذا تزوّجا شكّلا وحدةً متكاملةً يُرمَزُ لها بدائرةِ الخاتِمِ .

ويعتقد البعضُ أنّ خاتمَ الزواجِ كانَ في الأصلِ سِواراً يوضعُ في معصمِ المرأةِ التي يأسرُها الرجلُ أو يختطفُها . هذا السِّوارُ أو الحلقةُ التي كانت توضعُ في المعصمِ أو رسغِ الساقِ لتدلَّ على أن هذه المرأةَ ملكٌ لرجلٍ معيَّنٍ من رجالِ القبيلةِ تطوَّرَت لتصبحَ خاتماً حولَ الإصبعِ .

نعرفُ أيضاً أنَّ الإنسانَ البدائيَّ كان يؤمنُ بالسحرِ . فكانَ يصنعُ حبلاً يربطهُ حول خصرِ المرأةِ التي يريدُها . وكان يظنُّ أنّ مثلَ هذا الإجراءَ يجعلُ روحَها تدخلُ جسمَه وتصبحُ ملكَهُ إلى الأبد . ولعلَّ خاتمَ الزواجِ بدأ بهذه الطريقةِ .

أولُ الشعوبُ التي استخدمَت خاتمَ الزواجِ المصريون القُدامى . ففي الكتابةِ الهيروغليفية ، وهي الكتابةُ المصريةُ القديمةُ القائمةُ على الصُّورِ ، يمثِّلُ شكلُ الحلقةِ معنى الأبديّةِ ، ولذلكَ كان الخاتمُ رمزاً لزواجٍ يدومُ إلى الأبد . أما المسيحيون فقد بدأوا باستخدامِ الخاتمِ في احتفالاتِ الإكليلِ بدءاً من عام ٩٠٠ ميلادية .

لماذا يوضَعُ خاتمُ الزواجِ في الإصبعِ الرابعة لليدِ اليُسرى ؟ كان قدامى اليونانِ يعتقدون أن أحدَ العروقِ الدمويّةِ يمرُّ من هذه الإصبعِ ويذهبُ مباشرةً إلى القلب . لكن ربَّما كان السببُ الحقيقي يعودُ إلى أنَّ هذه الأصبع أقلُّ الأصابعِ استعمالاً ، لذلك فإنَّ وضعَ الخاتَمِ فيها لا يعيقُ عن العمل .

كيف صارت الملابس السوداء علامة الحِداد؟

كلُّ شعبٍ يحسبُ طريقتَه في الحياةِ الطريقةَ الوحيدةَ أو الأهمَّ ، ومتى سمعَ عن طرقٍ وعاداتٍ مختلفةٍ في حضاراتِ الشعوبِ الأخرى أظهرَ الدهشةَ والاستغرابَ . فبعضُ البلدانِ وبينها بلدانٌ عربيةٌ تتخذُ الملابسَ السوداءَ علامةً على الحزنِ في حالِ موتِ شخصٍ قريبٍ أو عزيزٍ . ويتصوَّرُ معظمُ الناسِ أنَّ ما يعبّرُ فعلاً عن الحزنِ هو اللونُ الأسودُ . لكن في الصين واليابان يرتدي المحزونون ملابسَ ناصعةَ البياضِ ! وفي بعضِ الأريافِ والمدنِ العربيةِ تضعُ النساءُ على رؤوسِهنَّ مناديلَ بيضاءَ ، بينما يضعْنَ في مناطقَ أخرى مناديلَ سوداءَ . وفي بعضِ مناطقِ أفريقيا يدهَنُ السكّانُ أجسامَهم باللونِ الأحمرِ علامةً على الحزنِ .

مسألةُ اللونِ الذي يختارُهُ شعبٌ من الشعوبِ للدّلالة على شعورٍ معيّنٍ مسألةٌ اصطلاحيةٌ . والذين يختارون الأسودَ تعبيراً عن الحزنِ إنَّما يفعلونَ ذلكَ لأنَّه لونٌ قاتِمٌ يوحي بالحزنِ والانقباضِ .

لكن هل خطرَ لكَ أن تسألَ لماذا يلبسُ الناسُ ثياباً خاصّةً بالحِدادِ ؟ طبعاً يفعلونَ ذلكَ الآن تعبيراً عن حبّهم لفقيدِهم واحترامِهم له . لكن عندما حاولَ المؤرّخون أن يتتبعوا منشأ هذا التقليدِ في العصورِ الغابرةِ توصّلوا إلى نتائجَ طريفةٍ .

ثيابُ الحِدادِ هي نقيضُ الثيابِ المعتادةِ التي يلبسُها الناسُ كلَّ يومٍ . وهي إذن نوعٌ من التنكُّرِ أو التخفّي . ويُظَنُّ أن الناسَ في الأعصرِ القديمةِ كانوا يتنكّرون

بارتداءِ ملابسَ مختلفةٍ خوفا من أن يرجعَ الروحُ الذي أخذَ الميتَ ويعثُرَ عليهم .

يبدو هذا التفسيرُ مُفتَعَلاً ؛ غيرَ أنَّ بعضَ القبائِلِ البدائيةِ في بعضِ أنحاءِ العالمِ تُبدي هَلَعاً أمامَ الموتِ ، ويلبسُ أقاربُ الميتِ وأرملتُه أزياءَ غريبةً عن المألوفِ في حياتِهم اليوميةِ كنوعٍ من التنكُّرِ . وأحياناً يدهنون أجسامَهم بالطينِ ويرتدون قطعاً مكوَّنةً من الأعشابِ . وفي قبائلَ أخرى تكسو الأرملةُ كاملَ جسدِها بالحجاب .

والحدادُ كذلك فترةُ انسحابٍ من الحياةِ الاجتماعيةِ وما يتَّصلُ بها من نشاطاتٍ . هذا الانسحابُ يشملُ الأرملةَ بصورةٍ خاصةٍ .

على أيةِ حال فالحداد مسألةٌ تتَّصلُ بموقفِ النَّاسِ من الموتِ ونوعيَّةِ فهمِهم له . وحيث اعتُبرَ الموتُ طريقاً إلى حياةٍ ثانيةٍ أبديّةٍ تقلَّصَتْ مظاهرُ الهَلَعِ الجماعي والمبالغةُ في الحِدادِ . بعضُ المذاهبِ الإسلاميّةِ مثلاً يعتبرُ النَّدْبَ والنواحَ على الميتِ ومظاهرَ الحِدادِ أموراً مكروهةً . لكنَّ الحدادَ في كثيرٍ من البلدانِ أصبحَ تقليداً اجتماعياً ، بحيث أنَّ ضخامةَ الجنازةِ وما يتبعُها من مظاهرِ الحزنِ والتعزيةِ يُعَدُّ تكريماً لآلِ الميتِ بالدرجةِ الأولى .

ما هي سَراديبُ المقابرِ الرومانية ؟

إنَّها ممرَّاتٌ تحتَ الأرضِ حُفِرَتْ حولَ مدينةِ روما كان المسيحيون الأوائلُ يُدفنونَ فيها . وقد حُفِرَتْ في صخورٍ كلسيةٍ في موقعٍ اعتُبِرَ مقدّساً يحيطُ بمدينةِ روما .

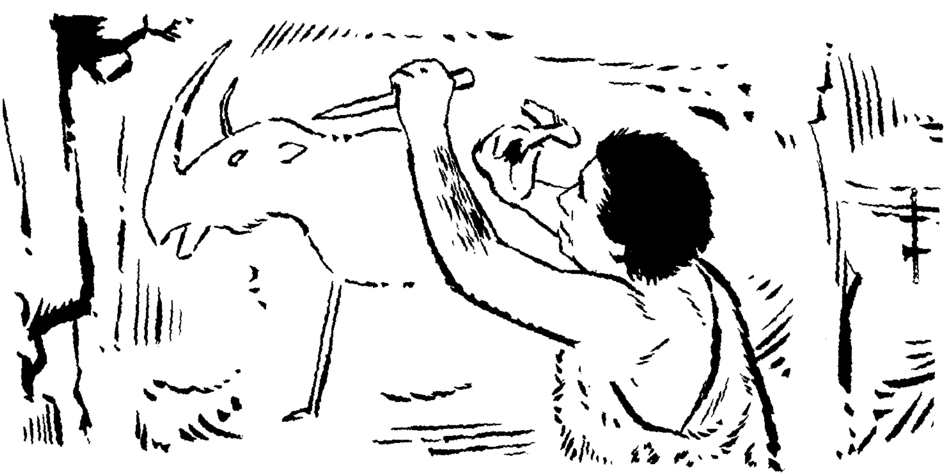
لمَّا بدأ نيرون الامبراطورُ الروماني باضطهادِ المسيحيين ، أخذوا يتجمّعون في سراديبِ المقابرِ للصلاةِ سرّاً . وذلكَ لأنَّ الناسَ كانوا في مأمنٍ من الهجماتِ وهم في حِمى المدافنِ . لكن ، فيما بعد ، أي في منتصفِ القرنِ الثالثِ الميلادي ، لم تَعُدْ هذه المدافنُ نفسُها آمنةً ؛ لذلك أغلَقَ المسيحيون مداخلَها الرئيسيةَ وحفروا لها مداخلَ سرّيّةً على بعدِ أميالٍ من الردهاتِ السفليةِ للمقابر ، حتى لَيُقال إن طولَ هذه الممراتِ لو تجمَّعَ في خطٍّ مستقيمٍ لبلَغَ طولَ شبهِ جزيرةِ إيطاليا نفسِها .

عندما توقَّفَ اضطهادُ المسيحيين في عهدِ الامبراطورِ قسطنطين صارَ المسيحيون يحجُّون إلى هذه المقابرِ التاريخيّةِ زائرين . لكن عندما اجتاحت قبائلُ القوط الامبراطوريةَ الرومانيةَ عام (٤١٠) ميلادية ونهَبَتْ روما ، رُدِمَتْ مداخلُ هذه السراديبِ لحمايتِها . وشيئاً فشيئاً نسيَ الناسُ هذه السراديبَ حتى صاروا في القرنِ الثاني عشر الميلادي يجهلون أيَّ شيءٍ عنها . وظلَّت مدفونةً حتى اكتُشِفَ أحدُها صدفةً عام (١٥٧٨) .

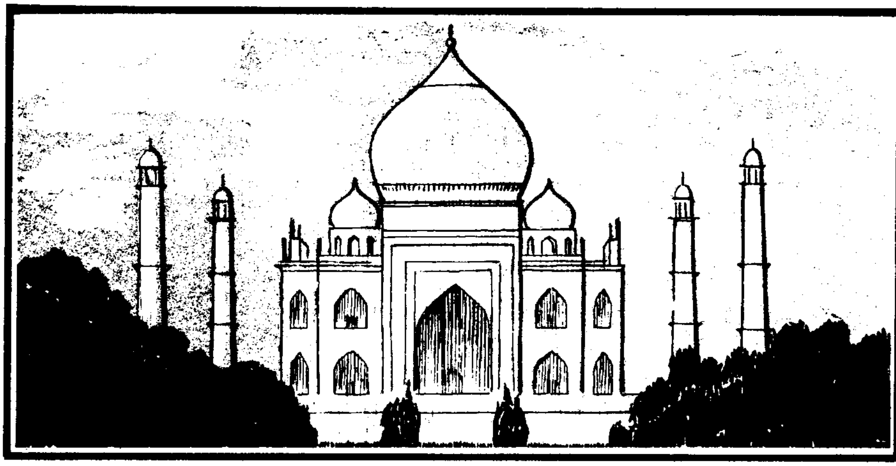
واليومَ يزورُ السّيّاحُ هذه السراديبَ . وهي محفورةٌ بحيثُ تشكِّلُ خطوطاً

مستقيمةً يرتفعُ سقفُها ما بين متر وثلاثة أمتار . وقد جُعِلَ عرضُها بحيث يتّسعُ لاثنين من حفّاري القبورِ وهما يحملان تابوتاً . أما الأدراجُ التي تؤدّي إليها فهي تنحدرُ إلى عمقٍ (١٢) متراً تحتَ الأرضِ ؛ وهناكَ تتشعَّبُ الممرّاتُ والرُّدهاتُ في كلِّ اتّجاهٍ .

بعضُ هذه المدافِنِ السفليةِ له أكثرُ من دورٍ أو طابقٍ . فمدفنُ « القديسِ سيباستيان » مؤلفٌ من أربعةِ طوابقٍ . وقد حُفِرَتْ في الجدرانِ الصخريةِ لهذه الردهاتِ كُوى عميقةٌ توضعُ فيها جثثُ الموتى . كانت في الماضي تُغلَقُ بقطعٍ من الآجرّ أو من الحجارة . وقد انهارَ معظمُ هذه القاطعَ اليوم وصار على السائحِ الزائرِ أن يمشي بين صفوفٍ طويلةٍ من الهياكِلِ العظميةِ .



ما هي آبِدَةُ « تاج محل » ؟



« تاج محلّ » قصةُ حبٍّ جميلةً ومحزنةً . لو لم يكنِ المبنى قائماً لحسِبنا القصةَ من حكاياتِ الجنّ الخرافيةِ .

منذ ثلاثمئةِ سنةٍ عاشَ في الهندِ امبراطورٌ اسمُهُ « شاه جهان » . وكانت زوجتهُ امرأةً جميلةً وذكيّةً أحبَّها حبّاً عظيماً وجعَلَها مستشارَه ورفيقتَه الدائمة . كان لقبُها « ممتازة محلّ » واختُصِرَ إلى « تاج محلّ » ومعنى هذا اللقب « فخرُ القصر » .

عام ١٦٣٠ ماتت هذه الزوجةُ المحبوبةُ . فحزِنَ الأمبراطورُ حزناً عظيماً حتى انّه فكّرَ في التخلّي عن العرش . ثم قرَّرَ ، من شدَّةِ حبِّهِ لها ، أن يبنيَ لها

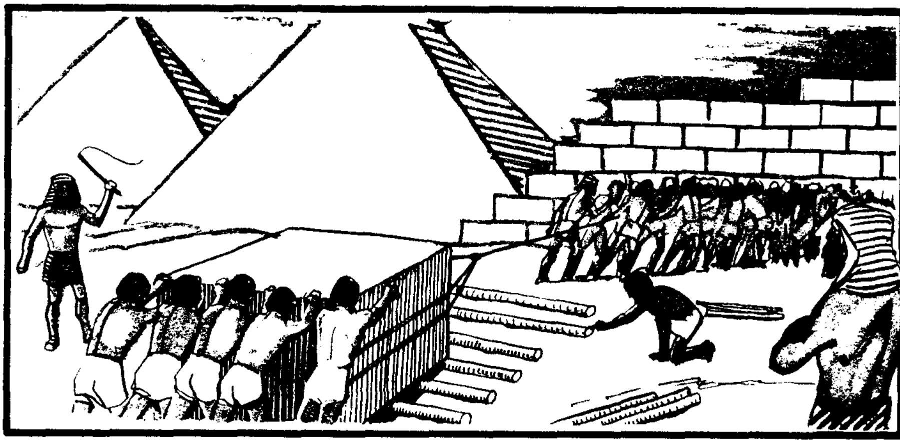
أعظمَ قبرٍ عرفَه البشر .

استدعى خيرةَ الفنّانين والمهندسين من الهندِ وتركيا وإيران وبلادِ العربِ فوضعوا تصميمِ البناءِ . وقد عملَ على تنفيذِهِ أكثرُ من عشرين ألفَ عاملٍ ، واستمرَّ العملُ طوالَ (١٨) عاماً ، حتى اكتملَ بناءُ « تاج محل » الذي يُعَدُّ من أجملِ مباني الدنيا .

ينهضُ البناءُ على قاعدةٍ رخاميةٍ مساحتها (٣١٣) قدماً مربعةً ، وارتفاعُها (٢٢) قدماً (سبعة أمتار تقريباً) . ترتفعُ المآذنُ من زوايا المبنى الأربعِ . بناءُ « تاج محلّ » نفسُه يرتفعُ بدورِهِ (٢٠٠) قدم (٦٠ متراً) في الجوّ . وقد جُعِلَ هذا البناءُ ثُمانيّاً ، وشُيِّدَ بكامِلِهِ من الرخامِ الأبيضِ ، وطُعِّمَ باثني عشرَ نوعاً من الحجارةِ شبهِ الكريمةِ وقد نُحِتَتْ بأشكالِ زهورٍ ، كما طُعِّمَ برخامٍ أسودَ نُقِشَتْ فيه آياتٌ قرآنيةٌ لأنَّ هذا الأمبراطورَ كان مسلماً . وقد جُلِبَتْ موادُّ البناءِ من بلدانٍ مختلفةٍ منها بلادُ العربِ والتيبت ومختلفُ أنحاءِ الهندِ .

وكان الأمبراطورُ يعتزِمُ أن يبنيَ لنفسِهِ ضريحاً مماثلاً لكن من الرخامِ الأسودِ على الضفةِ الثانيةِ للنهرِ ، ويجعلَ بين الضريحين جسراً من الفضّةِ . غيرَ أنَّ ابنَهُ خلعَه عن العرشِ وسجَنَه في قصرِهِ طوالَ أيامِهِ الباقيةِ قبل أن يتمكَّنَ من تحقيقِ حلمِهِ ، ولم يبقَ له إلاَّ أن يتأمَّلَ من نافذَتِهِ ضريحَ محبوبتِهِ في الجانبِ الآخرِ من النهر .

كيف بُنيت الأهرامُ المصرية ؟



لا يُعرفُ بالضبطِ عمرُ الأهراماتِ . قبلَ ميلادِ المسيحِ بألف سنةٍ اعتبَرَها الرَّحَّالةُ المؤرّخونَ قديمةً وتحدَّثوا عن غموضِ نشأتِها . يُنسَبُ بناءُ الهرمِ الأكبرِ في الجيزة إلى الملك « خوفو » من الأسرةِ الرابعةِ التي حكمت حوالى عام (٢٩٠٠) قبلَ الميلاد .

والأهرامُ هي مدافنُ . فقد كان المصريون القُدامى يعتقدون أنَّ حياتَهم الثانيةَ أو الأبديةَ تتوقَّفُ على مدى حفظِ أجسادِهِم في حالةٍ جيّدةٍ بعد الموتِ . لذلك كان الميتُ يُحَنَّطُ ويُلَفُّ بضماداتٍ ؛ وكانت المومياءاتُ تُخَبَّأُ تحت سطحِ الأرضِ داخلَ الأهراماتِ . الممرّاتُ الداخليةُ في الأهراماتِ كانت تُقفلُ وتُسَدُّ لتفادي السرقةِ . وكان يوضعُ إلى جانبِ الميتِ كلُّ ما يمكنُ أن يحتاجَ إليه في

حياتِهِ الثانيةِ من طعامٍ ولوازمٍ .

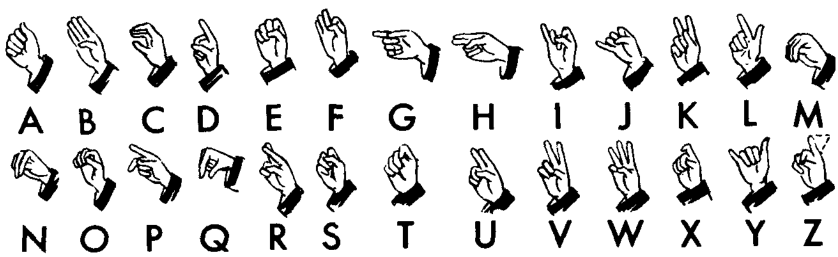
الأهرامُ مبانٍ ضخمةٌ عجيبةٌ في هندستِها . وتُروى عن بنائِها أخبارٌ لا تخلو من المبالغةِ . يُقالُ إن مئةَ ألفِ رجلٍ عملوا في بناءِ الهرمِ الأكبرِ مدةَ عشرين سنةً . كلُّ حجرٍ من حجارتِهِ بعلوِّ سبعِ أقدام (أو ٢,١٠ م) وبعضُها طوله (١٨) قدماً (أو ٥,٤ م) ! فلنستعرضْ مراحلَ بناءِ الهرمِ الأكبر .

حجارةُ البناءِ التي يتكوَّنُ منها هذا الهرمُ هي من الحجرِ الكلسيِّ والغرانيت . وقد نُقِلَتْ إلى الجنوب ، بالمراكِبِ ، من مقالِعِها ، عبرَ النيلِ ، وهذا النقلُ كان لا بدّ أن يقتصرَ على أشهُرِ الربيعِ الثلاثةِ ، لأنَّها أشهُرُ الفيضانِ في نهرِ النيل . وقد تطلَّبَ نقلُ الحجارةِ اللازمةِ نصفَ مليونِ رحلةٍ طوالَ عشرين سنةً .

كان تفريغُ الحجارةِ يجري في فسحةٍ تصلُها بموقعِ الهرم طريقٌ مرصوفةٌ . هذه الحجارةُ التي يزِنُ كلٌّ منها طنّين كانت تُجَرُّ على مُنزَلَقاتٍ وتسحبُها فرقٌ من الرجالِ بعد أن تُصَفَّ بشكلٍ منتظِمٍ وتُشَدَّ جيداً إلى بعضِها البعض . وقد قُدِّرَ عددُ الحجارةِ التي استُخدمت في بناءِ الهرمِ الأكبرِ بمليونين وثلاثمئة ألفِ كتلة .

وكلَّما كان الهرمُ يرتفعُ كانت منزَلَقاتٌ هائلةٌ تُبنى إلى جانِبِه ليتمَّ رفعُ الكتلِ إلى مستواه . وبالطبعِ كانت فرقٌ من الرجالِ تقومُ برفعِ هذه الكتلِ . أما الملاطُ فكان يستعمَلُ لتسهيلِ انزلاقِ الحجارةِ أكثرَ ممَّا يستعملُ كمادّةٍ لاصقةٍ . كتلُ الحجارةِ الموضوعةُ في الوسطِ ليست صقيلةً أما تلك المرصوفةُ على الجدارِ الخارجي فهي منحوتةٌ بعنايةٍ . السطحُ الخارجيُّ تماماً بُنِيَ من حجارةٍ كلسيةٍ ناعمةٍ صقيلةٍ تكادُ الفواصلُ بينها لا تُرى . في داخِلِ الهرمِ ثلاثُ حجراتٍ تتَّصلُ فيما بينها بممرَّاتٍ .

مَن اخترعَ لغةَ الإشارات؟



تاريخُ الإنسانِ مليءٌ بالقسوةِ إزاءَ الأشخاصِ الذين كانَ المرضُ يمنعُهُم من التعبيرِ والتفاهمِ مع الآخرين . هكذا ظلَّ الصُمُّ البُكْمُ يُعامَلون وكأنّهم أشخاصٌ خطِرون على المجتمع . وقد اعتُبِرُوا في كثيرٍ من البلدانِ معتوهين وحُبِسُوا في مصحّاتٍ ، هذا إذا لم نذكُرْ حالاتٍ كانوا يُقتلون فيها حفاظاً على عافيةِ الجماعة .

في القرنِ السادس عشر ظَهَرَ طبيبٌ إيطاليٌّ حاوَلَ أن يقومَ بعملٍ ما لمساعدةِ الصُّمِّ البُكْمِ . هذا الطبيبُ هو « جيروم كاردان » الذي اعتَقَدَ أنَّ بمقدورِهِ تعليمَ هؤلاءِ المُعاقين باستخدامِ الإشاراتِ المكتوبةِ . هذه المحاولةُ جذبت الانتباهَ واستَتْبَعَتْ غيرَها من المحاولاتِ . وفي القرنِ السابعَ عشرَ كانت هذه المحاولاتُ قد أثمرت أبجديةً خاصّةً بالأصابعِ كالتي تُعتَمَدُ اليوم . مع ذلك كان لا بدَّ من

الانتظارِ مئةَ سنةٍ أخرى قبلَ أن تنشأَ أولُ مدرسةٍ للصمِّ البكم ، وكان ذلك في مدينةِ لايْبزغ بألمانيا . أما اليوم ففي كلِّ بلدٍ متمدِّنٍ في أنحاءِ العالمِ معاهدُ لتعليمِ الصمِّ البكمِ وذوي السمعِ الثقيلِ .

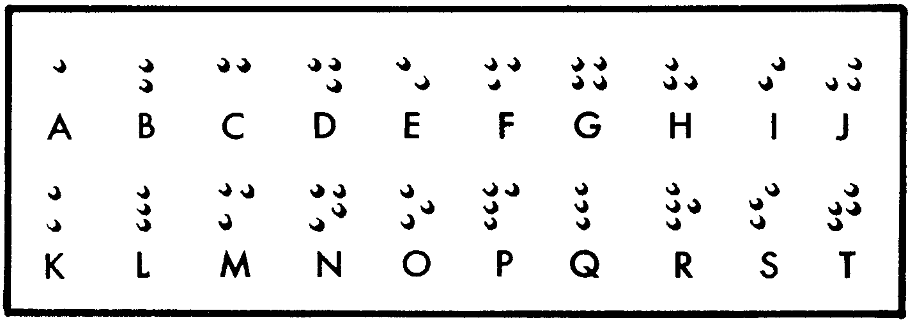
درجَ الناسُ على تسميةِ كل من فقد حاسَّةَ السمعِ بالأصَمِّ دون تمييز . والواقعُ ينبغي التمييزُ بين من وُلِدَ أصمَّ تماماً ومن فقدَ سمعَه قبلَ أن يتعلَّمَ الكلامَ ، وبين من فقدَهُ في مرحلةٍ تاليةٍ . وفقدُ السمعِ أو ضعفهُ يمكنُ أن يجيءَ نتيجةً لبعضِ الأمراضِ ، أو لإصابةٍ في الرأسِ ، أو خَلَلٍ في الأذنِ الدّاخلِيَّةِ .

لماذا لا يستطيع الأصمُّ الكلامَ ؟ لا يستطيعُ الكلامَ لأنَّه لم يسمع ولا يتكلَّم . فالطفلُ يتعلَّمُ الكلامَ في صغرِهِ عن طريقِ السّماعِ . لكنَّ هذا العجزَ يمكنُ تلافيه . وقد تبيَّنَ أنَّ كلَّ الأولادِ الصمِّ يمكنُ تعليمهُم الكلامَ إذا كانوا متمتِّعين بذكاءٍ عاديٍّ ولا يشكونَ قصوراً ، وذلك عن طريقِ أساليبَ خاصّةٍ .

كانَ الصمُّ ، حتى خمسٍ وسبعينَ سنةٍ خلت ، يُعلَّمون أساليبَ التفاهم عن طريقِ الإشارات ، وتعابيرِ الوجهِ وأبجديةِ الأصابعِ . ويمكنُ للأصمِّ أن يعبِّرَ بواسطةِ أبجديةِ الأصابعِ بسرعةٍ كبيرةٍ بحيث يقولُ (١٣٠) كلمةً في الدقيقة ! وبالطبعِ فإن أبجديةَ الإشاراتِ أو الأصابعِ قد توصَّلَتْ إلى قدرٍ من الاختصارِ يجعلُ هذه السرعةَ ممكنةً . فتحريكُ السبّابةِ على الشفتين يعني « أنت لا تقولُ لي الصدقَ » والتربيتُ على الذقنِ بالأصابعِ الثلاثِ يعني « عمّي » .

أما اليومَ فإنَّ الأصمَّ يُعَلَّمُ كيف يفهمُ الكلامَ الملفوظَ وكيف يتكلَّمُ اللغةَ العاديّةَ . يفهمُ الكلامَ عن طريقِ ملاحظةِ شَفَتَيْ المتكلِّمِ ، ويتعلَّمُ النطقَ عن طريقِ تحسُّسِ شفَتَيْ المعلِّم وخدِّهِ وعنقه فيما يقابِلُ الحنجرةَ فيميِّزُ الاهتزازاتِ الخاصةَ بكلِّ صوتٍ ويحاولُ أن يُحدِثَ مثلَها ويقلِّدَها .

مَا هي أبجديّة برايل ؟



كان المكفوفُ أو الأعمى يشعرُ بخسارةٍ عظيمةٍ لأنَّه لا يستطيعُ القراءَةَ . وقد مَرَّ معنا في التاريخِ ذكرُ نوابغَ في الآدابِ وبعضِ فروعِ المعرفةِ ، كأبي العلاءِ المعرّي مثلاً ، غيرَ أنَّ هؤلاء كانوا دوماً بحاجةٍ إلى مساعدٍ يقرأُ لهم ويدوّنُ نتاجَهم . مثلُ هذا الحلِّ لم يتوفَّرْ لعامةِ المكفوفين وظلَّ معظمُهُم بلا علمٍ . والحلولُ الجزئيّةُ أو الفرديةُ ليست حلولاً حقيقيةً ، لذلكَ توالتِ المحاولاتُ لإيجادِ نوعٍ من الكتابةِ خاصٍّ بالمكفوفين .

في عام (١٥١٧) قامتِ المحاولةُ الأولى على حفرِ حروفِ الأبجديةِ حفراً عميقاً في الخشبِ بشكلٍ يمكنُ للمكفوفِ أن يتلمَّسَهُ بأصابعِهِ . وأصابعُ الإنسانِ شديدةُ الحساسيةِ لكنَّ أصابعَ المكفوفِ أشدُّ حساسيةً لأنَّ انتباهَهُ يتمركزُ على الملموسِ والمسموعِ في غيابِ حاسّةِ البصر ؛ وهكذا فالمكفوفُ يقدرُ أن يقرأَ بأصابِعِهِ . تعددت الأساليبلتمكين المكفوفِ من القراءَةِ وكانت كلُّها تقومُ على

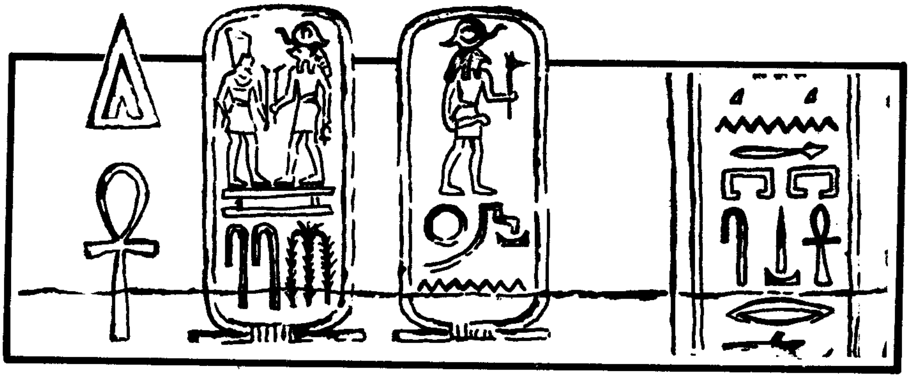
الحفرِ أو على الحروفِ النافرةِ . لكنَّ هذه الأساليبَ جميعَها كانت تواجهُ مشكلةً ، فالمكفوفَ يقدرُ أن يقرأَ الحروفَ الأبجديةَ ، النافرةَ أو المحفورة لكنَّهُ لا يقدرُ أن يكتبَ هذه الحروفَ بسهولةٍ لأنَّه لا يراها .

عام ١٨٢٩ قام شخصٌ فرنسيٌّ اسمُهُ « لويس برايل » (بالفرنسية يلفَظُ اسمُه « براي ») ، كان هو نفسُهُ أعمى ومعلِّماً للعميانِ ، وأوجَدَ طريقةً تمكِّنُ العميانَ من القراءَةِ والكتابةِ بسهولةٍ ، وهي طريقةٌ قابلةٌ للانتقالِ إلى اللغاتِ كلّها .

تقوم طريقةُ « برايل » على نظامِ النقاط . لكلِّ حرفٍ مستطيلٌ خاصٌّ أو « خانةٌ » تُسمَّى « خليةَ برايل » . في هذه الخاناتِ تنتظِمُ النّقاطُ ، ويتراوحُ عددُها في الخانةِ الواحدةِ بين نقطةٍ واحدةٍ وستِّ نقاطٍ . تتَّسِعُ الخانةُ لثلاثِ نقاطٍ علوّاً ونقطتين عرضاً . يحتملُ هذا الترتيبُ (٦٣) توليفةً مختلفةً مما يجعلُهُ قادراً على استيعابِ حروفِ الأبجديةِ بكامِلِها إضافةً إلى النقاطِ والفواصِلِ والأقواسِ وما شَابَهَ ذلك . حرف « آ » مثلاً يتكوَّنُ من نقطةٍ واحدةٍ في الصفِّ العُلْويِّ إلى الجهة اليُسرى . وحرف « ب » يتكوَّنُ من نقطتين في الصّفّين العلويين إلى الجهة اليسرى (تذكَّرْ أن هناكَ ثلاثةَ صفوفٍ أفقيةٍ من أعلى إلى أسفل وكلُّ صفٍّ يتكوَّنُ من نقطتين) .

أبجديةُ برايل هي الآن أوسعُ الأبجدياتِ انتشاراً بين المكفوفين ، وقد ساعدتِ الكثيرين على الاستمتاعِ بالقراءَةِ والكتابةِ . بل هناكَ اليومَ مئاتُ المجلاتِ والجرائدِ التي تُطبعُ بهذه الحروف . ومما ساعدَ المكفوفينَ إضافةً إلى طريقةِ « برايل » هو « الكتبُ الناطقةُ » وهي عبارةٌ عن أشرطةِ تسجيلٍ طويلةٍ تُسجَّلُ عليها الكتبُ ، وهناك « كتبٌ ناطقةٌ » خاصَّةٌ بالأطفالِ المكفوفين .

ما هي الكِتابة الهيروغليفية ؟



كلمةُ « هيروغليفي » تعني « الحفرَ المُقدَّسَ » وهذا الوصفُ غيرُ صحيحٍ ولا مناسبٍ للكتابةِ المصريةِ القديمةِ . والكلمةُ أطلقَها الاغريقُ أو قدامى اليونان خطأً على الكتابةِ المصريةِ القديمة ، فقد حَسِبوا هذه الكتابةَ نوعاً من الحفرِ الطقوسي يقومُ به الكَهَنَةُ لأغراضٍ دينيةٍ .

غيرَ أن هذه الكتابةَ التي تُعرَفُ اليومَ بين علماءِ الآثارِ والتاريخِ القديمِ باسمِ « هيروغليفيةِ » هي مجرَّدُ نظامٍ للكتابةِ ، وهي من أقدمِ أشكالِ الكتابةِ التي عرفَها الانسان . هناك كتاباتٌ هيروغليفيةٌ ما تزالُ باقيةً إلى الآن ويرجعُ عهدُها إلى ما قبل (٣٠٠٠) سنةٍ قبلَ الميلاد ، وظلَّتْ مُتَّبَعَةً طوالَ ثلاثةِ آلافِ سنة .

لكنَّ الكتابةَ الهيروغليفيةَ قد مرَّتْ بتطوُّراتٍ : كانت في البدايةِ نوعاً من التصويرِ أو الإشارةِ إلى الشيءِ برسمِ صورتِهِ كما هي حالُ الكتاباتِ البدائيةِ التي وُجِدَت في أنحاءِ العالم . فالشمسُ مثلاً كان يُشارُ إليها بقرصٍ دائريٍّ ، والقمرُ

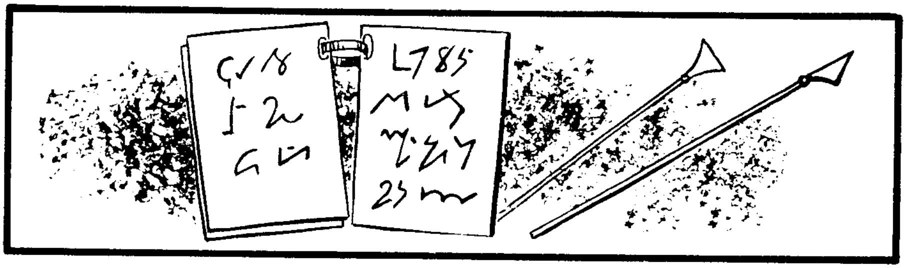
يُشارُ إليه بشكلِ هلالٍ ، والماءُ بشكلِ خطٍّ متموجٍ والرجلُ بصورةِ رجلٍ وهكذا .

غيرَ أنَّ هذه الإشاراتِ الصوريّةَ لم تكن تستطيعُ أن تمثّلَ الأمورَ التي لا تراها العينُ أو الأشياءَ غيرَ المُشَخَّصةِ ، كالأفكارِ ، والنورِ والأزمنة . وهكذا تحوَّلتِ الإشاراتُ الهيروغليفيةُ إلى رموزٍ بعدَ أن كانت صوراً . فصار القرصُ رمزاً لليوم بعد أن كانَ صورةً للشمسِ ، وصار بالإمكانِ التعبيرُ عن كلماتٍ من نوعٍ « التفتْ » و « اصبرْ » .

المرحلةُ التاليةُ في تطوّرِ « الهيروغليفيةِ » كانت الانتقالَ من الرمزِ إلى الأشياءِ والأفكارِ بالصورةِ إلى تمثيلِ الأصواتِ بالصورة . وهكذا صار يمكنُ تمثيلُ الكلمةِ الواحدةِ بصورتين إذا كانت مكوّنةً من مقطعين أو صوتين بحيث تمثِّلُ الصورةُ الصوتَ نفسَه حيثما وردَ . فالخطُّ المتعرّجُ الذي كان يشيرُ إلى الماء صار يشيرُ إلى الصوت الممثل بكلمةِ فاء ، فعل « ماء » للقط مثلاً . وصار بالإمكانِ كتابةُ أيِّ كلمةٍ ولو لم يكنْ لها شكلُ قابلُ للتّصوير . وأخيراً صارت الأشكالُ التي تمثّلُ المقاطِعَ أو الأصواتَ أشكالاً تمثِّلُ حروفاً ، وهي مرحلةُ الكتابةِ الأبجدية لكن بالصور المبسَّطة طبعاً .

غيرَ أنَّ هذه الكتابة ظلَّت تواجه مشكلاتٍ لغيابِ الأحرفِ الصوتيةِ بحيثُ تُكتبُ كلمتان من قبيل « شارِب » و« شرب » مثلاً بشكلٍ واحدٍ . كما أنَّ أنواعَ الكتابةِ الثلاثةَ أي الرموز ، وصورُ الأصواتِ وصورُ الحروفِ ظلت قيدَ الاستعمالِ مع تشابهِ الصورِ مِمَا جعَلَها صعبةً بالنسبةِ لعامّةِ الناسِ بينما تميَّزَ الكتّابُ والمختصّون بمعرفتها .

من اخترعَ « الاختزال » في الكتابة ؟



هل يمكنُك أن تكتبَ بنفسِ السرعةِ التي تتكلَّمُ بها ؟ هذا غيرُ ممكنٍ . لكن في بعضِ الأحيانِ يتوجَّبُ على الإنسانِ أن يدوِّنَ كلَّ ما يقولُه شخصٌ ما . ومن الطُّرُقِ التي تمكِّنُ من ذلك « الاختزال » . « الاختزال » أو (ستينوغرافي) هو فنُّ الكتابةِ بواسطةِ إشاراتٍ مُختَصرةٍ تسهِّلُ كتابتُها ، هذه الإشاراتُ وإن كانت مختلفةً عن الكلماتِ كما اصطُلِحَ على كتابتِها يمكنُ أن يقرأها بسهولةٍ كلُّ شخصٍ يعرفُ الطريقةَ نفسَها .

قد تتصوَّر أنَّ الاختزالَ اختراعٌ جديدٌ ، مع ذلك فإنَّ الفكرةَ ترجعُ إلى ألفَيْ سنةٍ خَلَتْ ! ففي العهدِ الروماني كان أشخاصٌ من أمثالِ الزعيمين شيشرون وسينيكا يُلقون خُطباً عظيمةً في مجلسِ الشيوخ ، وكانتِ الحاجةُ ماسَّةً لتدوينِ هذه الخطبِ المُرْتَجَلَةِ ، فقامَ رجلٌ اسمُهُ « تيرو » عام ٦٣ ق . م واخترعَ طريقةً للاختزالِ تُدَوَّنُ بها الخطب .

وقد كانت طريقتُهُ من الجودةِ بحيث أنها صارت تُدَرَّسُ في

المدارس الرومانية، وتعلَّمَها الأباطرة ووزرائهم وأولادهم . وظلَّت تُستخدم مئاتِ السنين . قامَتْ هذه الطريقة على كتابةِ الحروفِ الأولى من الكلماتِ أي على الاختصار . وكانت الحروف المُصْمتةُ تكتبُ مائلةً باتجاهاتٍ ثلاثةٍ مختلفةٍ، بحيثُ يدلُّ اتجاهُ الميلِ على حرفِ العلةِ الذي يلي الحرفَ المُصْمَتَ .

أما طريقةُ الاختزالِ الحديثةُ فقد وُضِعَتْ في عهد الملكة إليزابت الأولى ملكةِ انكلترة . تتيحُ هذه الطريقةُ إمالةَ كلِّ إشارةٍ في أربعةِ اتِّجاهاتٍ مختلفةٍ ، وأساسُ كلِّ إشارةٍ يمكنُ أن يُكتَبَ باثنتي عشرةَ طريقةً مختلفةً . ثم في عام ١٨٣٧ جاءَ إسحٰق بتمان بطريقةٍ جديدةٍ قائمةٍ على الأصواتِ بحيثُ تكتبُ الكلمةُ كما تُلفظُ لا كما تُهجَّأُ . وهذا بحدّ ذاتِهِ يشكِّلُ اختصاراً خاصاً بالنسبةِ لِلّغتين الانكليزيةِ والفرنسية ، لأنَّ في هاتين اللغتين حروفاً كثيرةً تُكتبُ ولا تُلفظُ فكلمة Knight مثلاً تلفظ nite . وقد بنى بتمان طريقَتَه على ستٍّ وعشرين إشارةً أو رمزاً لنقلِ أربعةٍ وعشرين صوتاً أو حرفاً مصمتاً ، يضافُ إلى ذلكَ عددٌ من الخطوطِ والنقاطِ تحلُّ محلَّ حروفِ العلّةِ .

وفي عام ١٨٨٨ قدَّمَ جريغ طريقةً مبَسَّطةً ومتطورةً للاختزال هي المعتمدة اليوم .

مَا الكتابة السّريّة ؟



افترِضْ أنّك أَرَدْتَ أن تراسلَ صديقاً بطريقةٍ لا يستطيعُ أحدٌ غيرُكما أن يقرأَها ، آنذاك ستتَّفقان على استبدالِ الحروفِ بأرقامٍ معيَّنةٍ بحيثُ يحلُّ كلُّ رقمٍ تختارانِه محلَّ حرفٍ من حروفِ الأبجديةِ . إذا فعلتُما هذا تكونان قد حَصَلْتُما على « شيفرة » فـ « الشيفرة » هي استخدامُ اصطلاحاتٍ سريةٍ للتفاهم .

استخدامُ « الشيفرة » قديمٌ . يوليوس قيصر مثلاً كان يستخدمُ الشيفرةَ لكي لا يفهمَ العدوُّ رسائلَه إذا وقعت في يده . أما في العصورِ الحديثةِ فإنَّ استخدامَ « الشيفرةِ » شائعٌ في المراسلاتِ الحكوميةِ والتجاريةِ للحفاظِ على السرّيّةِ .

هناك ، بوجهِ الإجمالِ ، نوعان من الشيفرة . نوعٌ يقومُ على استبدالِ

الحروفِ بأرقامٍ أو غيرِها من الرموز في كلّ رسالة . النوعُ الثاني يقومُ على تغييرِ ترتيبِ الكلماتِ أو الحروفِ في الرسالة .

هذان النوعان يتولّدُ عنهما أعدادٌ لا تنتهي من الشيفرات . وتُحَلُّ الشيفرة عادةً عن طريقِ اكتشافِ المفتاحِ أو الاصطلاحِ المُتَّفَقِ عليه . وليس هذا سهلاً في معظمِ الأحيان . وهناك الآن طرقٌ علميةٌ لتحليلِ الشيفراتِ واكتشافِ مفاتيحِها . وينبغي أن يبدأَ الباحثُ بتحديدِ اللغةِ المستخدَمَةِ ونوعِ الشيفرةِ ، هل تقومُ على استبدالِ الحروفِ أم على تغييرِ ترتيبِها ، وأن يضعَ بعد ذلكَ لوائحَ احصائيةً تُبَيِّنُ مقدارَ تكرارِ حروفٍ معينةٍ أو مقاطعَ مُعيَّنةٍ وغيرَ ذلك .



ما هي جائزة نوبـل ؟

كلّ عامٍ عندما تُمنَحُ جائزةُ « نوبل » تقومُ ضجةٌ إعلاميةٌ حولَ الأشخاصِ الذينَ حصلوا عليها ، فتُكتبُ عنهم المقالاتُ وتكثرُ المقابلاتُ وتُستعرَضُ أعمالهُمْ وتُترجمُ إلى لغاتٍ أجنبيةٍ . وسببُ هذه الضجةِ الإعلاميةِ هو أنَّ الحصولَ على جائزةِ « نوبل » يُعتَبَرُ أعظمَ تكريم أو تقديرٍ يحصلُ عليه العاملون في حقولِ الكيمياءِ والفيزياء والطبّ والأدبِ . وهناكَ إضافةً إلى الجوائزِ التي ينالُها العلماءُ والأدباءُ جائزةٌللسلامِ ينالُها شخصٌ بذلَ جهوداً لخدمةِ السلامِ في العالمِ .

المفارقةُ في هذه الجوائزِ هي أنَّ الشخصَ الذي أسَّسهَا ورصَدَ ثروَتَه لاستمرارِها كان من أكبرِ الذين خدموا عِلْمَ التدميرِ . ولد « أَلْفْرِدْ نوبل » في استوكهولهم عام ١٨٣٣ وتوفيَّ عام ١٨٩٦ . له اختراعاتٌ في مقدمتِها الديناميت والجلاتين أو البلاستيك المتفجر (وهو أشدُّ تفجّراً من الديناميت) ونوعٌ جديدٌ من فتائلِ المتفجّراتِ .

ولعلَّ « نوبل » الذي اخترعَ هذه المتفجّراتِ الفتّاكةَ قد شعرَ بضرورةِ القيام بعملٍ « نبيلٍ » تعويضي . أبدى اهتماماً كبيراً بإقامةِ السلامِ ووضعَ خططاً ظنَّ أنّها تجنِّبُ الشعوبَ الحربَ . وبالمناسبةِ ، فإنّ « نوبل » لم يكنْ عالِماً متفوّقاً وحسبُ ، بل كان شاعراً أيضاً . وكان يعتقِدُ أنَّ الأدبَ والعلمَ أهمُّ العوامل في تقدُّمِ الانسانِ .

لمَّا توفّيَ « نوبل » خلَّفَ ثروةً تبلغُ تسعةَ ملايين دولار . وُضِعَتْ هذه الثروةُ قيدَ التثميرِ لِتُنْفَقَ عائداتُها على الجوائزِ . وأوصى أن تُمنحَ هذه الجوائزُ لأشخاصٍ

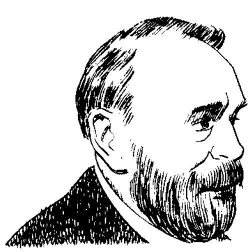
قدّموا انجازاتٍ مهمة في حقولِ الفيزياءِ والكيمياءِ والطبِّ والأدبِ ، وتقدُّمِ السلام . قيمةُ الجائزةِ الواحدةِ (٤٩٠,٠٠٠) دولار . وقد مُنِحَتْ لأولِ مرةٍ في العاشرِ من كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٠١ بمناسبةِ الذكرى السنويةِ الأولى لوفاة نوبل .

وبما أنَّ « نوبل » سويدي فقد وزّعت مؤسسةُ نوبل المهامَّ المتعلّقَة بمنحِ الجوائزِ على عددٍ من المؤسساتِ العلميةِ السويدية .

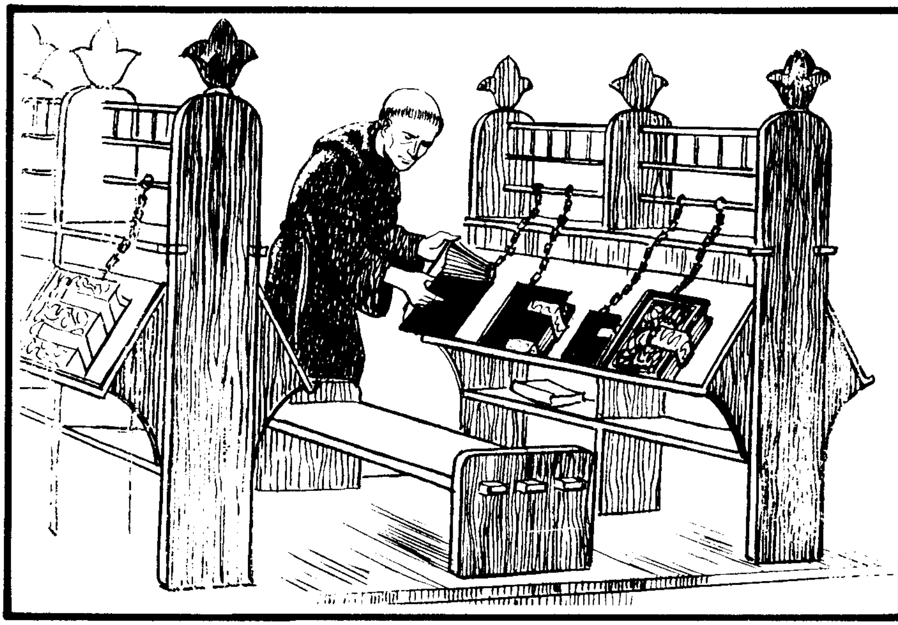
هكذا تولَّتِ الأكاديميةُ المَلَكِيَّةُ للعلومِ بستوكهولم مهمَّةَ اختيارِ الفائزين بجوائزِ الفيزياء والكيمياء ، وتولّى معهدُ كارولين الطبّي بستوكهولم مهمةَ اختيارِ الفائزين بجوائزِ الطب. الأكاديمية السويديةُ للآدابِ كُلِّفت بمنحِ الجوائزِ الأدبيةِ ، أما جائزةُ نوبل للسلام فتمنحُها لجنةٌ مكوَّنةٌ من خمسةِ أشخاص يُنتخَبون من بين أعضاء البرلمان .

لقد حصلَ على هذه الجائزةِ شخصياتٌ مهمَّةٌ أمثال آلبرت اينشتاين ، وجورج برنارد شو وماري كوري ، وروديارد كيلينج ورالف بنش وأرنست همنغواي . لكن جان بول سارتر رفضَ هذه الجائزةَ لمَّا مُنِحَتْ له .

ولا بدَّ من الإشارةِ إلى أنَّ هذه الجائزةَ لم تَعُدْ تُعطى لاعتباراتٍ علميةٍ وفنّيةٍ خالصةٍ ، بل تتدخَّلُ فيها عواملُ سياسيّةٌ واضحةٌ ، وقد حصل عليها خلال السنواتِ العشرِ الأخيرةِ أشخاصٌ بارزون وأيضاً أشخاصٌ عاديون جدّاً لولا مواقعُهم السياسيةُ ما كانوا ليحصلوا عليها .



هل عُرِفت المكتَبات في الأزمنة القديمة؟



المكتبةُ هي مسعى لجمعِ كتاباتِ الناس ، وقد بدأ ذلك قبلَ التاريخِ الميلادي بزمنٍ طويلٍ .

عندما بدأتِ الحفرياتُ الأثريةُ واكتشفَ علماءُ الآثارِ بقايا مدينةِ « أور » في بلاد ما بين النهرين (العراق)، عثروا على أختامٍ من الصلصالِ ، هي عبارةٌ عن أقراصٍ أسطوانيةٍ عليها كتاباتٌ ويرجع عهدُها إلى عام (٨٠٠) قبلَ الميلاد وكانت تابعةً لأقدمِ مكتبةٍ عُثِرَ عليها حتى الآن .

أقدمُ مكتباتٍ وصلَت إلينا آثارُها وأخبارُها حتى الآن هي تلك التي أُقيمت في وادي الرافدين أو بلادِ ما بين النهرين (العراق) . وأهمُّ هذه المكتبات وأكملُها تنظيماً وأوفرُها مادةً هي مكتبةُ الملك « آشور بانيبال » في القرنِ السابعِ قبلَ الميلاد . وقد عُثِرَ على هذه المكتبةِ في أطلالِ مدينة « نينوى » . ووُجدت فيها آلافُ الألواحِ مبوَّبَةً بحسبِ الموضوعاتِ ومُنَظَّمَةً في سلاسلَ ؛ كلُّ مؤلَّفٍ يُنسَخُ على ألواحٍ فخّاريةٍ ويُدَوَّنُ على كلِّ لوحٍ اسمُ السلسلةِ بهذا الشكلِ الذي وُجِدَ على ألواحِ ملحمةِ جلجامش : « اللوحُ الحادي عشر من ـ هو الذي رأى كلَّ شيء ـ من سلسلةِ جلجامش ـ استُنسِخَ طبقَ الأصلِ وحُقِّقَ ، مكتبةُ قصر آشور بانيبال ، ملك العالم ملك بلاد آشور » . وكانت ألواحُ كلِّ سلسلةٍ توضعُ في رفوفٍ ويعلَّقُ في كلِّ مجموعةٍ عنوانُها مُسجَّلاً في بطاقةٍ هي عبارةٌ عن لوحٍ صغيرٍ من الطينِ . وكانتِ الألواحُ خاصّةً بالنصوصِ الأدبيةِ ، أما الوثائقُ والمراسلاتُ والقوانين والمعلوماتُ الأخرى فكانت تُدَوَّنُ على قطعٍ بِشكلِ موشورٍ أو على أساطين أو أسطواناتٍ من الفخّارِ المشوي . وهذه الوثائقُ والعقودُ كانت تُحفَظُ في جرارٍ أو أوعيةٍ من الخشبِ وتُصنَّفُ على الرفوفِ . وقد وُجِدَ منها عشراتُ الألوفِ .

كانتِ المكتباتُ بصورةٍ عامةٍ ،في بلاد الرافدين مُلحَقَةً بالمعابِدِ والقصورِ وتُسمَّى « بيتَ الألواح » ، يشرِفُ عليها موظَّفون ويعملُ فيها النّسّاخُ . ؛ وكانت مراكزَ لتلقّي العلم .

قدامى المصريين بدورِهِم قد أسَّسوا المكتباتِ وجعلوها مُلحَقَةً بالمعابِدِ تحت رعايةِ الكهنةِ . كانتِ الكتب بشكلِ لفّاتٍ من ورقِ « البا بيروس » أو « البُرْدي » . لكنَّ أعظمَ مكتباتِ مصرَ القديمةِ وواحدةً من أعظمِ مكتباتِ العالمِ القديمِ هي مكتبةُ الاسكندرية . أُنشئتْ حوالى عام (٣٠٠) قبل الميلاد وكان فيها

حوالى (٧٠٠,٠٠٠) لفَّة بُردي ، مصنَّفةً بكامِلِها ومفهرسةً كما هي الحالُ في المكتباتِ الحديثةِ .

أما الرومانُ فلم يهتمُّوا في البدايةِ بالمكتباتِ ، ثم أخذوا يقلّدون اليونانيين . . هكذا بدأ أغنياءُ روما يهتّمون بانشاءِ المكتباتِ العامة أو الخاصة .

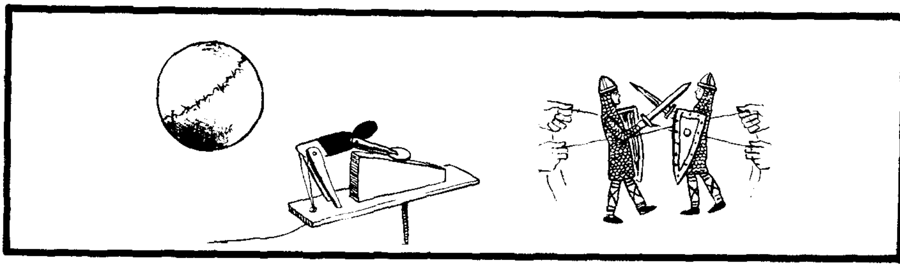
كثيرٌ من المكتباتِ الرومانية جُعِلَ في الأسواقِ أو الحمّاماتِ العامّةِ . وفي القرنِ الرابع بعدَ الميلاد بلغَ عدد المكتباتِ العامّةِ في روما (٢٨) مكتبةً .

العربُ أولوا الكتبَ اهتماماً عظيماً ، لا سيّما أن الحضارةَ العربيةَ قد بدأت حضارة لغةٍ وأدبٍ وعلومٍ دينيةٍ . وفي العصر الذهبي للحضارةِ العربية كثُرَت المكتباتُ الخاصةُ والعامّة . من أشهر المكتباتِ العامة « بيت الحكمة » الذي أسّسه المأمونُ « الخليفةُ العباسي » (٧٨٦ - ٨٣٣ م) .





هل كانت لأطفالِ الأزمنةِ القديمةِ لُعَب ؟



ماذا تفهمُ من كلمةِ لعبة ؟ إنَّها أيُّ شيءٍ تلعبُ به ، كقطعتين من الخشبِ مثلاً أو الحجرِ ، أو قطعةُ قماش . يمكنُ لمثلِ هذه الأشياءِ أن تقومَ بدورِ اللعبةِ ، لكنَّها ليست بالضبط ما نقصدُهُ هنا .

اللعبةُ تحديداً هي ما يُسلّي الأطفالَ ويجعلُهم يقلّدون الكبارَ . هكذا نجدُ لعبَ الصغارِ في أيامِنا تقليداً لأدواتِ الكبار مثل المسدّسِ والسيارةِ والعربةِ والدميةِ أو البيتِ الصغير ، إضافةً إلى الكرةِ والدَّحلِ والبلبلِ . لكن بما أنَّ الأطفالَ منذ غابرِ العصورِ أحبّوا تقليدَ الكبار فلا بدَّ أن تكونَ اللعبُ قد وُجِدَتْ مع تاريخ الأدواتِ الإنسانيةِ .

وقد عَثَرَ علماءُ الآثارِ في الحفرياتِ التي أجروها في بعضِ المدنِ القديمةِ على ألعابٍ من نوعِ « المُصَفِّقةِ » و« المُجلجلِ » (ما يخشخِشُ به الأطفال) والأواني الصغيرةِ جدّاً والنماذجِ المُصَغَّرةِ للحيوانات صُنِعَتْ من الصلصالِ والبرونزِ والرّصاص . وفي خرائبِ مدينةٍ فارسيةٍ قديمةٍ وجدوا لعبةً هي عبارةٌ عن

أسدٍ صغيرٍ يقفُ على عجلاتٍ ، وفي القاعدةِ ثقبٌ كي يُربَطُ به خيطٌ يجرُّ اللعبةَ ، تماماً كما نرى في ألعابِ أطفالِنا اليوم . عمرُ هذه اللعبة : ثلاثةُ آلافِ سنةٍ !

كذلكَ وُجِدَت في أنقاضِ المدنِ المصريةِ القديمةِ ألعابٌ من نوعِ الكرةِ والبلبلِ والدمية ، بل وجدوا مَعْجَناً صغيراً مشغولاً بالأسلاكِ . ، نعرفُ أيضاً أن أطفالَ الاغريقِ والرومان كانت لديهم « مصفِّقاتٍ » وعربات صغيرة . وقد عُرِفَتِ الألعابُ عند عربِ الجاهليةِ ، ومنها الكرةُ والخُذروفُ أو البلبل . إذ ورَدَ ذكرُها في معلّقتين من المعلّقاتِ السبع . قال أمرؤ القيس (٥٠٠ م) ، يشبِّهُ رشاقةَ الفرسِ وحركَتَه بدوران البلبلِ (أو الخذروف) :

دريـرٍ كخُـذروفِ الـوليـدِ أمَـرَّه تَتَـابـعُ كفَّيــهِ بخيطٍ مـوصَّــلِ

وقال عمرو بن كلثوم (٥٧٠ م) واصفاً تلاعبَ قومِهِ بجماجمِ الأعداء مشبهاً ذلك بلعب الأولاد بالكرةِ وركلِها بالأرجلِ :

يُـدَهْدونَ الـرؤوسَ كما تُهْـدي حــزاوِرةٌ بــأرجُلِهــا الكُــرينــا

وقد وُجِدَت في قبرص عربات صغيرة تشبهُ عربات نقلِ الخمرِ ، كان الصغارُ يلعبون بها كما يلعبُ صغارُنا اليوم بالشاحناتِ وينقلون بها الرمالَ والحصى .

في القرونِ الوسطى الأوروبيةِ كان الصغارُ يلعبون بأحصنةٍ من الصلصالِ وبفرسانٍ مدرّعين ، وأقواسٍ وسهامٍ . وفي عصرِ النهضةِ الأوروبيةِ كان حِرَفيّون بارعون يصنعون نماذج مصغَّرةً للأسلحَةِ والأدواتِ المنزليةِ ، كما يصنعون الدّمى المنمّقة .

لكنَّنا ، مع ذلك ، لا نستطيعُ أن نتتبعَ آثارَ الألعاب في مراحِلِ ما قبلَ التاريخ لأنَّها كانت آنذاكَ تُصنعُ من الخشبِ ، وبما أنَّ الخشبَ يتحلَّلُ فقد ضاعت تلك اللُّعَبُ الأولى .

كيف بدأت الموسيقى ؟



هل حَدَثَ لكَ أن تنزَّهْتَ في الغابةِ يوماً ، وفجأةً مَرَرْتَ قربَ جدولٍ تسقسِقُ مياهُهُ بعذوبةٍ فيما هي تتواثبُ في مجراها ؟ ألم تجدْه شبيهاً بالموسيقى ؟ وحين تسمعُ نقاطَ المطرِ وهي تنقرُ زجاجَ النوافذِ أو سطوحَ الأكواخ ، والأطيارَ وهي تغرِّدُ ، ألا تبدو لك نوعاً من الموسيقى ؟

لمَّا بدأ الانسانُ يتنبَّهُ لمحيطِهِ ويلاحظُهُ كانت الموسيقى محيطةً به . ثم لمَّا أراد أن يعبّرَ عن فرحٍ عظيمٍ ، أن يقفزَ ويصرخَ وينقلَ ما يحسُّ به شعرَ بالموسيقى تطفحُ في كيانِهِ ، ربما قبلَ أن يعرفَ كيف يُحدِثُ الألحانَ .

أولُ تعبيرٍ موسيقيٍّ للإنسانِ كان الغناءَ . ما الذي تظنُّ أن الإنسانَ أرادَ التعبير عنه قبلَ غيرِهِ عن طريقِ الغناء ؟ إنَّهُ السعادةُ ولا ريب ، سعادةُ الحب . أقدم

الأغنياتِ كانت أغنياتِ حبٍّ . لكن ، من جهةٍ ثانيةٍ ، لمَّا وجدَ الإنسانُ نفسَه وجهاً لوجهٍ أمامَ الموتِ الذي أوقعَ في نفسِهِ الهلعَ والحزنَ عَبَّرَ عن ذلكَ بنوعٍ مختلفٍ من الغناءِ ، هو بدايةُ ما سيُعرفُ بالندبِ . هكذا تكونُ أغاني الحبِّ وأغاني الندبِ والتفجُّعِ بدايةَ الموسيقى الانسانية .

ولمَّا تطوَّرَ الرقصُ ظهرَ نوعٌ جديدٌ من الموسيقى . احتاجَ الانسانُ إلى إيقاعٍ يصاحِبُ حركاتِ الرقصِ ، فصفَّقَ بيديهِ وفرقعَ بأصابعِهِ ، أو ضربَ بقدمِهِ بشكلٍ منتظِمٍ على الأرضِ ، أو ضربَ على طبلٍ !

هكذا يُحتَمَلُ أن يكونَ الطبلُ من أقدمِ الآلاتِ الموسيقيةِ التي صنَعَها الانسانُ . فهو قديمٌ إلى درجةِ أننا لا نستطيعُ أن نتتبّعَ منابعَهُ الأولى ، لكنَّنا نجدُهُ لدى الشعوبِ القديمةِ كلِّها .

أقدمُ الآلاتِ الهوائيةِ التي صنَعَها الإنسانُ كانت الصافرةَ والمزمارَ . كانت أدواتُ الصفيرِ تُصنَعُ من العظمِ والخشبِ والصلصالِ ، ومنها تطوَّرَ النَّاي . والنَّايُ قديمٌ حتى أننا نعثرُ على رسومٍ له في مخلَّفاتِ الحضارةِ المصريةِ التي ترجعُ إلى أكثرَ من ستة آلافِ سنةٍ .

أما الآلاتُ الوتريةُ فقد صُنِعَتْ بعد الآلاتِ الهوائيةِ . وأيضاً نجدُ رسوماً تمثِّلُها في الآثارِ المصريةِ القديمة .

الآلات الموسيقية العربيّة

بدأ العربُ تلامذةً لليونانِ والفرسِ في الموسيقى ، غيرَ أنهم برعوا في هذا المجال حتّى صاروا أساتذةً لمعلّميهم ، فوضعوا الألحانَ الجديدةَ واخترعوا الآلات . وقد استخدموا عدداً كبيرًا من الآلاتِ ، منها ما أخذوه عن سواهم لا سيّما الفرسُ ، ومنها ما أخذوه وأجروا عليه تعديلاتٍ ومنها ما اخترعوه . وأهمُّ الآلاتِ الموسيقيةِ العربية :

« الأُرغانون » ، ويُقالُ له الأُرْغُنّ والأرغون ، وهو آلةُ طربٍ يونانيةٍ .

« الطبلةُ » أو الطبلُ ، وهو آلةٌ تُصنَعُ من أسطوانةٍ جوفاء يُشَدُّ على كلٍّ من طرفيها قطعةٌ من جلدٍ يُضربُ عليها بعودٍ له رأسٌ مُدَمْلَكٌ (رأْسٌ ضخمٌ أملس) .

« الدفّ » ، هو آلةُ طربٍ يضربُ بها ، والكبيرُ المُدَوَّرُ منها يُسمَّى المزْهَر .

« البُزُق » .

« العُنُقُ » .

« الربابة » : وهي آلة وتريّةٌ .

« القيثارة » : هي آلة طربٍ ذات أوتار .

« السّلياق » : آلةٌ وتريّةٌ أخذها العربُ عن الإغريقِ والبيزنطيين .

« الطنبور » ويسمَّى الطّنبار : وهو آلةٌ موسيقيةٌ ذاتُ عنقٍ طويلٍ وستةِ أوتار نحاسيّة .

« المعزقة » : وهي آلةُ طربٍ شبيهةٌ بالطنبور والعودِ ، من صنعِ العراق .

« الشهروز » : وهو آلةُ طربٍ وتريّةٍ من صنعِ « أحوص السّعدي » أحد

موسيقيي بغداد .

« العود » : آلةٌ من المعازِفِ الوتريةِ تشتملُ على خمسةِ أوتارٍ . فوترُها الأعلى يُسمَّى البمّ ، ووترُها الثاني يسمَّى « المثلث » والثالث يسمّى « المثنّى » ، وتوترُها الرابعُ يُسمّى « الزّير » والخامسُ يسمّى « الحدّ » . ولهذه الأوتارِ نظامٌ خاصٌّ ، في طولِ كلٍّ منها بالنسبةِ إلى طولِ الذي يليه ، وفي المسافةِ بين وترٍ والذي يليه .

« القانون » : آلةُ طربٍ ذاتُ أوتارٍ يُلعَبُ عليها بالأناملِ ، ويُعزى اختراعُ القانونِ إلى الفارابي .

« الناي » : آلةُ طربٍ من قصبٍ مجوَّفٍ يُنفخُ فيها ، وقد ابتدَعَها بشكلِها العربي « الزلّام » ولذلك تسمّى أيضاً « المزمار الزّلّامي » .

« البِربِط » : آلةُ طربٍ وتريةٍ فارسيةٍ لفظُها يعني « صدرَ الإوز » .



كيف بدأت الدراما أو المسرح ؟



كلمةُ « دراما » يونانيةُ الأصلِ وهي تعني « الفعلَ » أو « القيام بفعلٍ » . والدراما فنٌّ يقومُ على تقديمِ قصةٍ عن طريقِ التشخيصِ ، أي تمثيلِ الأحداثِ والأقوال ، بدلَ أن يسردَها على السامعين راويةٌ . وفيها تظهرُ الشخصياتُ التي تدورُ حولَها القصة وتتحرَّكُ على خشبةِ المسرحِ لتمثِّلَ كلَّ ما تنسبُهُ لها القصةُ من أفعالٍ وأقوالٍ .

لا نعرفُ تماماً كيف بدأتِ الدراما . لقد تطوَّرت انطلاقاً من الاحتفالاتِ الدينيةِ حيث كانت بعضُ الطقوسِ تُمَثَّلُ تمثيلاً وتعيدُ تصويرَ بعضِ الأحداثِ الدينية . والدراما بشكلِها المعروفِ الآنَ في البلدانِ الأوروبيةِ وبعضِ البلدانِ العربيةِ ترجعُ أصولُها إلى زمنِ الحضارةِ الاغريقيةِ أو اليونانيةِ القديمةِ .

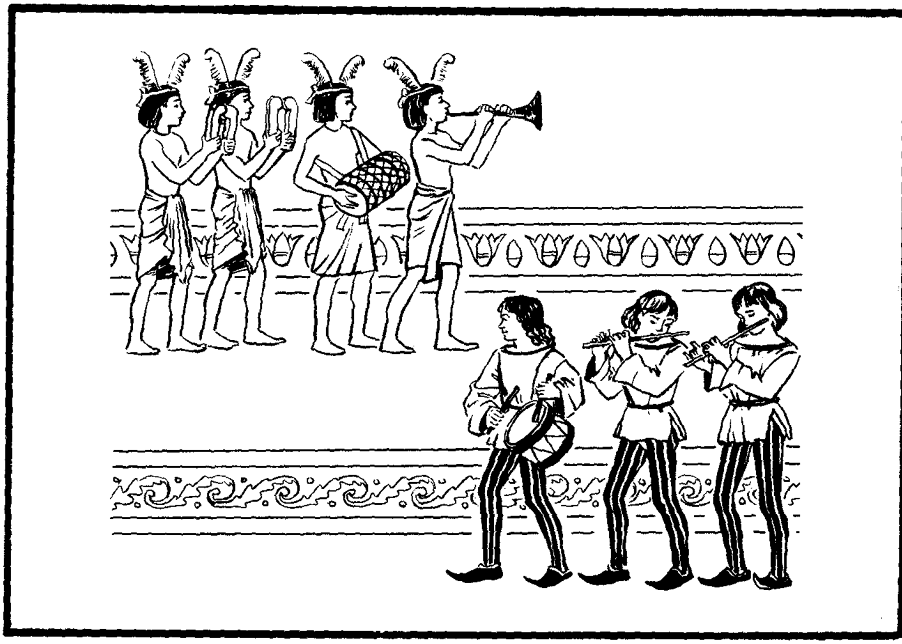
وقد بلغَ فنُّ الدراما في اليونانِ القديمةِ مستوى رفيعاً جداً . وعرفت الدراما شكلين : « التراجيديا » أو « المأساة » و« الكوميديا » أو « المَلْهاة » . والتراجيديا أو المأساة تصوِّرُ أبطالاً أو شخصياتٍ فاضلةٍ تنتقلُ أثناءَ القصةِ من حالِ السعادةِ

إلى حال من الشقاءِ ، لا لذنبٍ اقترفتْه ، بل لعلَّةٍ خفيّةٍ فيها ليست مسؤولةً عنها . أما الكوميديا أو الملهاةُ فهي مسرحٌ ضاحكٌ ساخِرٌ يجسِّمُ العيوبَ ويجعلُها مدعاةً للضحكِ .

كانت الأعمالُ الدراميةُ اليونانيةُ أو المسرحياتُ تُكتبُ شعراً . وقد ظلَّ الأمرُ كذلك حتى في أوروبا واستمرَّ حتى القرنِ التاسعِ عشر . أما اليومَ فمعظمُ المسرحياتِ تكتبُ نثراً .

الأشكالُ المعروفةُ الأولى للدراما عند اليونان بدأت مع أعيادِ ديونيسوس إلهِ الخمرِ عندهم في المرحلةِ الوثنيةِ . ولذلكَ بدأَ المسرحُ كجزءٍ من الحياةِ العامّةِ وطقوسِها . وكان هذا المسرحُ يتميَّزُ بالغناءِ وبالجوقةِ التي ترتِّلُ التسابيحَ . لكنَّ المسرحَ انفصَلَ عن المعبدِ والأعيادِ الدينيةِ وصارَ ينقلُ أفكاراً ومواقفَ اجتماعيةٍ وفكريّةٍ . ومن أشهرِ المؤلفين المسرحيين اليونانيين : سوفوكليس ، مؤلف « أوديب الملك » و« أنطيغونا » .

الفِرقُ الموسيقيّة الاستعراضيّة المتجوّلة



جميعُنا يحبُّ سماعَ الفرقِ الموسيقيةِ الاستعراضيةِ المتجوّلةِ . إنّها أساسُ المرحِ والحيويَّةِ في كلِّ مهرجانٍ . هل تتصوَّر الفرقَ الكشفيةَ وهي تعبرُ شوارعَ البلدةِ دونَ أن تتقدَّمَها الفرقةُ الموسيقيةُ ، وهل يكون السيركُ سيركاً بدونها ؟ بل إنَّ هذه الفرقَ بدأت تأخذُ طريقَها إلى النشاطات الرياضيةِ والمدرسيةِ .

فرقُ الأبواقِ أو الآلاتِ الهوائيّةِ الأولى لم تَكنْ على شيءٍ من فخامةِ الفرقِ الحاليةِ . كانت عبارةً عن بضعةِ عازفين متجوّلين يظهرون في هذه البلدةِ أو تلك

في أنحاءِ المدنِ الأوروبيةِ وما يلبثون أن يرحلوا . وفي أواخرِ القرنِ الثالثَ عشر الأوروبي ، كانت هذه الفرقُ قد توسَّعت وصارت أكبَرَ عدداً وأكثرَ شعبيةً حتى أنها كوَّنت لها تنظيماتٍ خاصةٍ . فتأسَّست نقاباتٌ لفرقِ العزفِ والعازفين كنقاباتِ أصحابِ المهنِ المختصّين ، وكانت لهذه النقاباتِ أنظمةٌ وقوانينَ وكانت ترعى حقوقَ العازفين المشاركين في الفرقِ الجوّالةِ .

في تلك المرحلةِ كانت لكلِّ كنيسةٍ فرقتُها من العازفين على الأبواق ولم يكن يُقامُ عرسٌ ولا احتفالٌ دون مشاركتِها ؛ وصارت لكلِّ بلدةٍ في أوروبا فرقتُها الموسيقيةُ الاستعراضية !

لمَّا تطوَّرَتْ هذه الفرقُ وصارَتْ شعبيّةً جداً بدأت ترافقُ الجيوشَ في مسيراتِها ؛ وقد حصل هذا التطوّر في القرن السادسَ عشر ، وكانت أولُ فرقةٍ صاحَبَتِ الجيشَ مؤلَّفَةً من عازفين مدنيين . بعد ذلك أخذت الفيالقُ العسكريةُ تنشىءُ فرقَها الخاصةَ المحترفة ، وكُتِبَتْ قطعٌ موسيقيةٌ عديدةٌ لمسيراتِ هذه الفرق . ثم جاءَ دورُ المدارسِ وبعد ذلكَ الفرقُ الكشفية ، لتأسيسِ فرقٍ جيّدةِ التدريبِ تنافسُ المحترفين .

طبعاً هناك نوعُ آخرُ من الفرقِ الموسيقية ، لكنها ليست استعراضيةً ولا جوَّالةً ، وهي مودَّعة على غرارِ الأوركسترا السمفونية ، والفارقُ بين هذه الفرقِ وتلك الاستعراضية ، أن الأولى تتألف أساساً من آلاتٍ وتريّةٍ بينما الفرقُ الاستعراضيةُ تخلو من كلِّ آلةٍ وتريةٍ وتقتصرُ على الآلاتِ الهوائيةِ كالأبواقِ النحاسيةِ والمزامير ترافقُها الصنوجُ والطبولُ . ثم أن القطعَ الموسيقيةَ التي تؤديها الفرق الاستعراضيةُ صار يغلبُ عليها الإيقاعُ الحماسيُّ المنظَّمُ وذلك لأنَّها تنظِّمُ إيقاعَ الخُطى في المسيراتِ العسكريةِ أو الشعبيةِ .

لماذا كان الرقص ؟



قبلَ أن يتعلَّمَ الطفلُ الكلامَ ، ودونَ أن يكونَ قد رأى شخصاً ما يرقصُ يبدأُ بالتعبيرِ عن فرحِهِ بحركاتٍ ذاتِ إيقاعٍ . الحيواناتُ أيضاً ترقص ! هناك طيورٌ لها رقصاتٌ جماعيةٌ ، تشكِّلُ فيها دوائرَ وتقومُ بانحناءاتٍ ، تتقدَّمُ وتتراجعُ بحركةٍ جماعيةٍ .

الإنسانُ البدائيُّ رقصَ بشكلٍ عفويّ غريزيّ . وأحسَّ أن تكرار الحركاتِ الإيقاعيةِ يولِّدُ لديه شعوراً لذيذاً يؤثِّرُ في عقلِهِ وعواطفِهِ . هكذا تصوَّرَ أنَّ الرقصَ يملكُ قوةً سحريّة ، وكلَّما كان يشتاقُ عودةَ هذا الشعورِ كان يرقصُ من جديد . وهذا أدَّى إلى نشوءِ الرقصِ الجماعي وتطوّرِهِ . وما زلنا حتى اليومَ نجدُ شعوباً بدائيةً ترقصُ لتستحضرَ ما تحسبهُ « القوةَ السحريةَ » .هكذا نجدُ لديها رقصاً للحرب

ورقصاً للصيدِ ورقصاً جنائزياً ، ورقصاً للزرعِ والحصادِ .

هذا الرقصُ الذي يُفترضُ فيه استحضارُ القوةِ السحريةِ هو الذي تطور في اتِّجاهِ الرقصِ الطقوسي الديني . وقد كان الرقصُ من الطقوسِ المتَّبعةِ في المعابدِ المصريةِ القديمة. العبرانيون كانوا يرقصون خلالَ شعائِرِهم الدينية . وتذكرُ التوراةُ أن الملكَ داوود رقصَ أمامَ تابوتِ العهدِ تعبيراً عن مشاعِرِهِ الدينيةِ .

قدامى اليونان بدورهِم طوَّروا الرقصَ بحيث لم يَعُدْ مجرَّدَ طقوسٍ دينيةٍ ، بل مصدراً للتسليةِ ، وصارَ مشهداً مهمّاً من مشاهدِ الدراما . فكلمة « أوركسترا » استُخدمت في البدايةِ للدلالةِ على حلبةِ الرقصِ في المسرحِ اليوناني . اتَّخذ اليونانيون الرقصَ أيضاً كشكلٍ من أشكالِ الرياضةِ البَدَنِيّةِ للجنودِ .

الرومانُ قلَّدوا الاغريق ، غيرَ أنَّ رقصَهم كان فظّاً ومنحلاًّ . المسيحيون كانوا في البدايةِ يُدخِلون الرقصَ في طقوسِ العبادة ، لكن بسببٍ من تدنّي مستوى الرقصِ الروماني عادوا وألغَوْا كلّ رقصٍ من طقوسهم . في الشرقِ أيضاً ، لا سيّما الشرقُ الأقصى شكَّلَ الرقصُ تعبيراً دينياً منذ أقدمِ العصور .

من أهمِّ أشكالِ الرقصِ التي تطوَّرَتْ عبرَ العصور ، الرقصُ الشعبيُّ أو الفولكلوري . الرقصُ الفولكلوريُّ يطوِّرُهُ الناسُ في حياتِهِم الجماعيةِ واحتفالاتِهِم ويتناقلونه من جيلٍ إلى جيلٍ . والرقصُ الأوروبي المعاصرُ يتحدَّرُ من الرقصِ الشعبي والرقصِ الاحتفالي الرسمي الذي ازدهرَ في البلاطات .

كيف يدرس علماء الآثار ما يعثرون عليه ؟

يُعنى علماءُ الآثارِ بنبشِ الأشياءِ التي دفنَهَا الغابرون أو تركوها فانطمرت . والسؤالُ هو كيفَ يشخِّصُ عالمُ الآثار المدنَ والناسَ والأشياءَ ويستعيدُ صورةَ الحياةِ الماضيةِ ؟ الحقيقةُ انّه لا يستطيعُ أن يفعلَ ذلك دائماً لأنَّه قد لا يعثرُ على كلِّ الأشياءِ التي يحتاج إليها لإنشاءِ صورةٍ كاملةٍ عن شعبٍ ما أو طريقةِ حياةٍ معيَّنَةٍ . وينحصرُ ما يعثر عليه عالمُ الآثار في الأشياءِ التي تركَها الناس بعدهم وهي عادة أدواتُ الحياة اليومية. ويمكنُ أن يندرجَ في ذلك بقايا الدورِ والأدواتِ والمجوهراتِ والصحونِ واللُّعَبِ ، وكذلك عظامُ الحيواناتِ الأليفةِ . غيرَ أنَّ العديدَ من الأشياءِ المهمّةِ في حياةِ الأقدمين لا يمكنُ العثورُ عليها فالحاجياتُ المصنوعةُ من الجلودِ والخشبِ والأقمشةِ والصوف أو القشِّ تتفسَّخُ عادةً ولا تتركُ أثراً .ومن الأمورِ التي تبقى خافيةً على عالم الآثار أيضاً الملابسُ التي ارتداها القدماءُ . فهو قد يستطيعُ إخبارنا عما إذا كانوا قد لبسوا القماشَ أو الجلودَ ولكن ما لم يتركوا رسوماً لأنفسهم فإنه يعجز عن اعطاء التفاصيل حولَ ملبوساتِهِم .

وقد لا يكونُ لدى عالم الآثار أيضاً مفتاحٌ يوصلُهُ إلى معرفةِ أفكارِ أولئك الناسِ ومُثُلِهِم وأذواقِهِم الفنيةِ . فالصورةُ التي يحملُها عنهم هي غيرُ كاملةٍ أبداً .

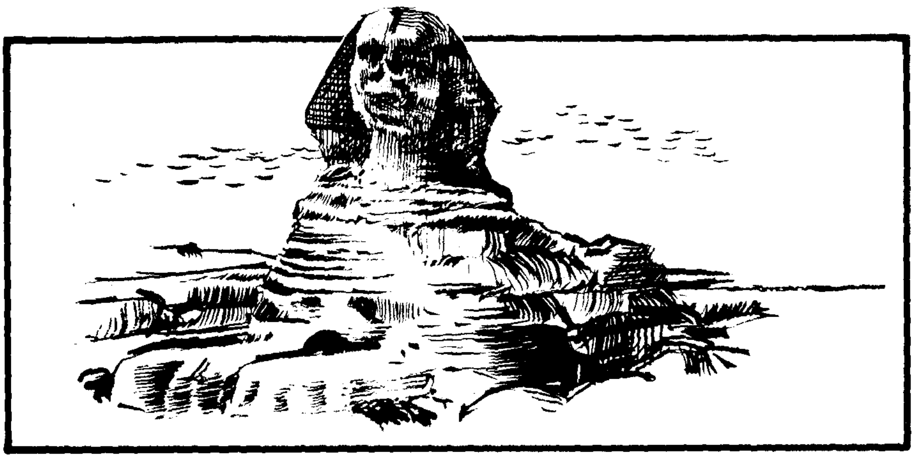
لكنَّ عالمَ الآثار يستطيعُ رغم ذلك أن يخبرَنا بالكثير . فهو يكشفُ أولاً عن النسق الذي بُنِيَتْ بموجبِهِ المدنُ القديمةُ ، الواحدة فوق الأخرى . ويجبُ عليه بعد ذلك أن يعرفَ المدينةَ من خلالِ آثارِها . ويتمُّ له ذلك بوضعِ جداول بالأشياءِ المنبوشةِ وتصويرِها وقياسِها وما إلى ذلك . وإذا كان الموقعُ يعودُ إلى الأزمنةِ

التاريخيةِ فإنه يبحثُ فيه عن المكتوباتِ لفكِّ رموزِها وقراءتِها .

ويساعد عالمَ الآثار في عملِهِ خبراءٌ متعدّدون ، كالبيولوجيين وعلماءِ النباتِ والحيوانِ ، كلٌّ في حقلِ اختصاصِهِ . وهو يحتاجُ إلى مدةٍ طويلةٍ يقضيها في الدراسةِ والتحليلِ قبلَ أن يعلِنَ نتائِجَه التي قد تحملُ الكثيرَ من الأخبارِ المثيرةِ عن حياةِ القدماءِ .



ما هو أبو الهَوْل ؟



كان أبو الهول في أصلِهِ جندلةً عظيمةً فَضَلت من بناءِ الأهرامِ ثم نحتوها أسداً ضخماً له رأْسُ انسانٍ طولُهُ ٢٤٠ قدماً (٧٢ م) وارتفاعه ٦٦ قدماً (٢٠ متراً) . ويُحتَمَلُ أنه نُحِتَ ليرمُزَ إلى وجهِ الفرعونِ خَفْرع من ملوكِ الأسرةِ الرابعة .

كانت الأسودُ تعيشُ في الصحراءِ بعيداً عن النيلِ ، ونظراً لقوّتِها ووساقِها فقد نَحَت لها النحّاتون المصريون تماثيلَ لحراسةِ مداخِلِ المعابد . وفي وقتٍ متأخّرٍ أخذوا ينحتون وجه الملكِ بدلاً من وجهِ الأسد . وكان الفَرْعَوْنُ يُعتَبَرُ منحدِراً من إلهِ الشمسِ « رع » وبعد الموتِ يصيرُ هو نفسُهُ إلهَ الشمس . ويمثّلُ أبو الهولِ هنا الفرعونَ بوصفِهِ إلهَ الشمسِ الذي يحرسُ الأهرام .

ان تمثالَ أبي الهولِ يقعُ في الجيزةِ . ومع انَّه أكبرُ تمثالٍ من نوعه فإنّ

هناك تماثيلَ أخرى أصغرُ منه . من بينها منحوتةٌ تمثِّلُ الملكة حَتْشَبْوت التي حَكَمَتْ مصرَ في حينها . وقد حَمَلَ التمثالُ رأسَ امرأةٍ ملتحِيَةٍ رمزاً لسلطةِ الملكةِ .

لقد عاشَ أبو الهولِ ألوفَ السنينِ شامخاً في البراري . ومرَّت عليه صنوفُ الحوادثِ البشريةِ والطبيعيةِ دون أن تؤثِّرَ فيه أو تزحزِحَه عن مكانه . وقد وردنا عنه أقدم وصفٍ نقدي في كتابٍ صغيرٍ ألَّفَهُ عبد اللطيف البغدادي* من القرنِ السادس الهجري . وكان قد ساحَ في مصرَ وشاهدَ آثارَها وأُعجِبَ إعجاباً شديداً بأبي الهول والتماثيل العظيمةِ الأخرى المبثوثةِ في وادي مصر .



* إنه رجل آخر غير عبد اللطيف أحد رجال الثورة المصرية .

ما هو حجر رشيد؟

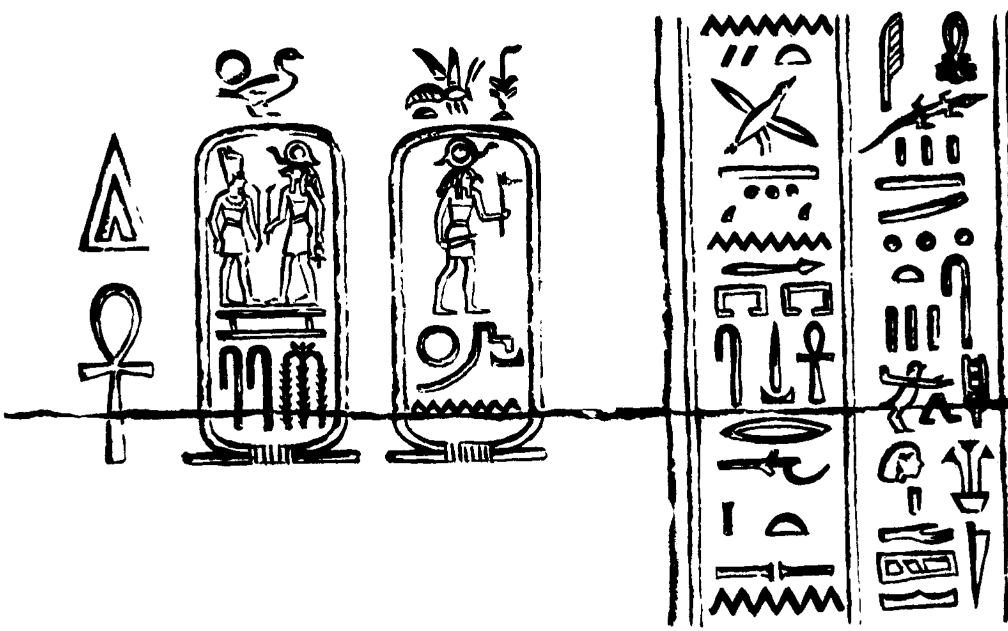
إنَّ المدنيَّةَ المصريةَ كما تعلم هي إحدى أعظمِ المدنيّاتِ في التاريخ . وقد بدأ المعاصرون البحثَ عن آثارِ هذه المدنيةِ من وقتٍ طويلٍ وعثروا على كتاباتٍ غريبةِ الشكلِ ضمنَ ما عَثَروا عليه من آثارِها ، وان اليونانيون الأوائلُ يعتقدون أن هذه الكتاباتِ من انتاجِ الكَهَنَةِ المصريين لأغراضٍ تعبديةٍ فسمّوها لذلك « هيروغليفية » أي « الحفر المقدس » ، وهو الاسمُ الذي عُرِفَتْ به حتى الآن . وترجعُ أقدمُ محاولاتِ فهمِ هذه الكتابة إلى القرنِ السادسِ عشر حين تعاوَنَ عددٌ من الباحثين على فكِّ رموزِها . لكنهم لم يحقّقوا أيَّ نجاحٍ . وفي عام ١٧٩٩ حَدَثَ كشفٌ مدهِشٌ ، حين عُثِرَ على حجرٍ أسودَ كان مطروحاً منذ قرونٍ قربَ مصبِّ النيل . وقد سُمِّيَ هذا اللوحُ باسمِ البلدةِ التي وُجِدَ فيها ، وهي « رشيد » .

تأتي أهميةُ هذا الحجرِ في أنَّه احتوى على رسالةٍ مكتوبةٍ بثلاثِ لغاتٍ : الأولى هيروغليفية والثانيةُ اغريقيةٌ والثالثةُ كتابةٌ مصريـةٌ متأخـرةٌ تسمّى « الديموطي » وهي هيروغليفيةٌ مختَصَرَةٌ كانت سائدةً في الحياةِ اليوميةِ . وقد استمرّتْ دراسةُ هذا الحجرِ سنينَ عديدةً . وكان النصُّ الاغريقيُّ قد قُرِأَ وفُهِمَ ، وبمقارنتِهِ مع النصَّيْنِ الهيروغليفيين أمكن حلُّهُ وقراءتُهُ أخيراً . ويرجعُ الفضلُ في حلِّ هذا اللغزِ إلى شابٍّ فرنسيٍّ يُدعى جان فرنسوا شامبليون ، وكان ذلك في عام ١٨٢٢ .

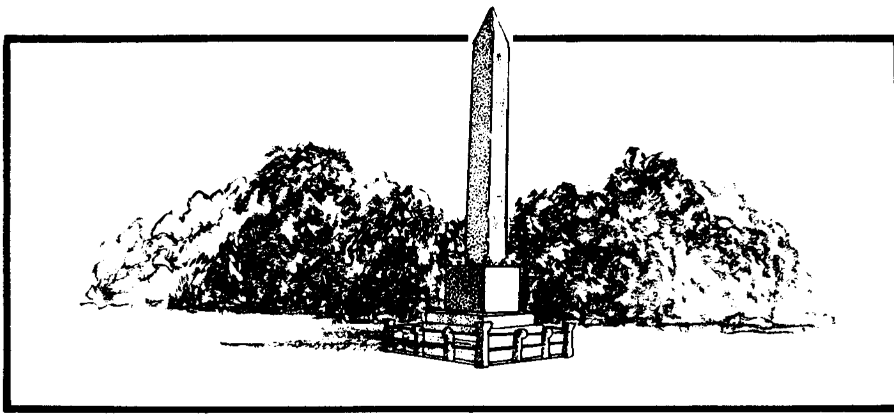
إن الهيروغليفيةَ هي إحدى أقدمِ منظوماتِ الكتابةِ المعروفةِ . وهي في

الأساس كتابة تصويرية خُصِّصَتْ كلُّ صورةٍ منها لموضوعٍ ماديٍّ أو حسيٍّ . ثم تطوَّرَتْ بمضيِّ الوقتِ فصارَ في وسعِ المصريين أن يدوّنوا بها الكلمات والأفكار والأصوات .

لقد فتَحَ « حجرُ رشيد » بابَ الكشوفِ اللاحقةِ للحياةِ والتقاليدِ والمعتقداتِ في مصرَ القديمةِ ومكَّنَ المؤرّخين من متابعةِ المدنيَّةِ الفرعونية إلى مدى ٣٥٠٠ سنة ق. م .



مَا هِي المِسَلَّة ؟



هي نُصبٌ يتألَّفُ من حجرٍ أسطوانيّ هرميّ الشكلِ من الأعلى ، ظهرَ أوَّلُ نموذجٍ له وأشهرُهُ في مصر . وتُعتَبَرُ المسلَّاتُ المصريَّةُ مسلَّاتٍ حقيقيةٍ لأنها منحوتةً من حجرٍ واحدٍ . هذا بالقياسِ إلى أنصابٍ تذكاريةٍ مشهورةٍ في الولاياتِ المتحدةِ مثل « بنكر هِلّ » ونصب « واشنطن » ، صُمِّمَتْ على غرارِ المسلّاتِ لكنَّها عُمِلَتْ من قطعٍ صغيرةٍ من الحجر .

اعتقدَ المصريّونَ القدماءُ أن المسلَّةَ هي مسكنُ روحِ الشمسِ ، وكانت المسلَّاتُ تنحت عادةً أزواجاً لتوضَعَ على جِهَتَيْ مداخِلِ الأضرحةِ والمعابد . ويُغطّى أعلاها ، غالباً ، بمعادنَ برَّاقةٍ كالذهبِ ، لكي تنعكسَ عليها أشعةُ الشَّمسِ ، على غرارِ ما نجدهُ حالياً في مآذنِ الأضرحةِ في العراق وإيران . وتُنقَشُ المسلّةُ من جوانِبِها الأربعةِ بمدائحَ للفَرْعَوْنِ الذي أمرَ بإقامةِ المسلّةِ .

أخِذَتْ كلُّ المسلاّتِ المصريةِ من مقلعٍ للغرانيت قربَ أسوان يحتوي على جنادلَ أي صخور ضخمة يزيدُ طولُ بعضِها على ٨٠ قدماً . كيف استطاعَ المصريّونَ نقلَ هذه الجلاميدِ الهائلة ؟ لا أحد يدري . لقد قُدِّرَ العددُ اللازم لسحبِ الجندلةِ الواحدةِ بأكثرَ من ألفي انسانٍ . وكانت الجنادلُ تجرُّ من المقلعِ إلى النيل حيث تُشحَنُ في بوارج إلى المدنِ المختلفةِ .

توزَّعَتِ المسلاَّتُ المصريَّةُ خلالَ التاريخِ عبرَ العالم . وقد سُحِرَ بها الرومانُ حتى انّهم سرقوا منها عند احتلالِهِم مصر عام ٣٠ ق. م حوالى خمسَ عشرةَ مسلَّةً وأخذوها إلى ايطاليا . ولا يُعرفُ كيف قاموا بذلك . إنّ المسلّةَ القائمةَ الآنَ أمامَ كاتدرائيةِ القديسِ بطرس في الفاتيكان قد جُلِبَتْ في ذلك الحين . وقد جِيءَ بها إلى الكاتدرائية بعد ستةَ عشرَ قرناً (١٥٨٥ م) واستغرقَ نقلُها من مكانِها في روما إلى مكانِها الحالي قرابةَ السنة . وفي القرنِ التاسعَ عشر نُقِلَتْ ثلاثُ مسلاَّتٍ من مصرَ على أيدي المستعمرين الغربيين . أخذت الأولى إلى ساحةِ الكونكورد في باريس عام ١٨٣٦ ، والثانية إلى ضفافِ التيمس في لندن عام ١٨٨٠ والأخيرة إلى المنتزهِ المركزي (سنترال بارك) بنيويورك سنة ١٨٨١ . وتسمَّى مسلَّتا لندن ونيويورك ابرة كليوباترا .

وربما كانت أهمّ المسلاَّتِ في التاريخِ هي مسلَّةُ حمورابي التي دَوَّنَ فيها قانونه المعروف . وكانت قد سُرِقَت على يدِ ملكِ عيلام في إيرانَ القديمة ونُقِلَتْ إلى هناك . وقد عُثِرَ عليها في العصرِ الحديثِ فأخذت إلى باريس . وهي أصغرُ من المسلاَّتِ المصريةِ لكن أهميَّتها تكمنُ في المادةِ التي دُوِّنَت عليها والتي اشتملت على أقدمِ القوانين المعروفةِ في العالم .

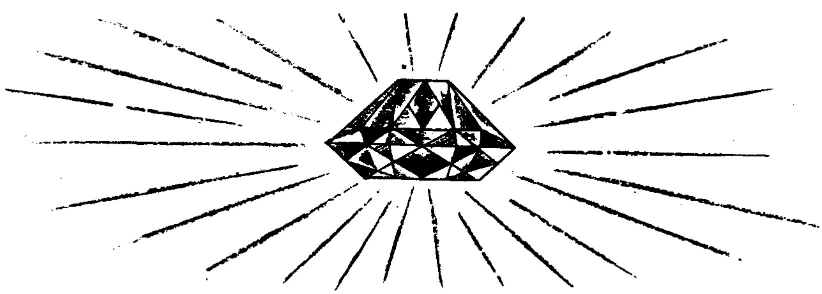
ما هو حجر الولادة ؟

اعتقدَ كثيرٌ من المدنيّاتِ المبكّرةِ أنَّ المقتنياتِ الثمينةَ ، بما فيها الجواهرُ ، لها قدرةٌ خفيّةٌ غريبةٌ ، وأنَّ أحجاراً معينةً يمكنُ أن تمنعَ الأمراضَ أو تشفيها . وقد بقيت آثارُ هذه الاعتقاداتِ في عادةِ لبس حجرِ الولادةِ في الشهرِ الذي يولَدُ فيه الشخص . وهي من العاداتِ الشائعةِ في أوروبا منذ القرنِ السادس عشر .

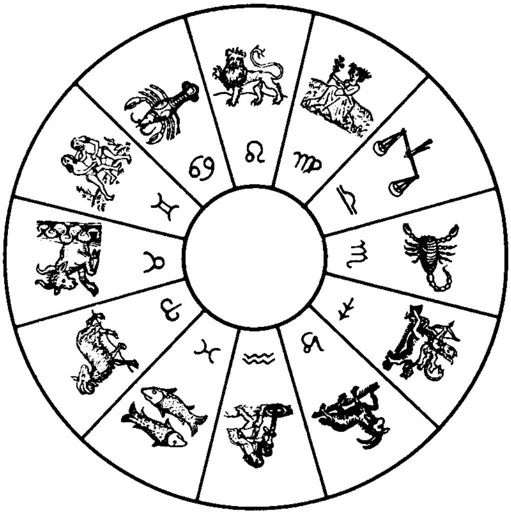
وبالنظرِ إلى أنَّ المجتمعاتِ الغربيّةَ لم تتخلَّصْ من الخرافةِ نهائياً فإنَّ العادةَ استمرّت حتى اليوم . ويوجد في الولاياتِ المتّحدة أحجارُ ولادةٍ خاصّةٍ بكلِّ شهرٍ هي : كانون الثاني ـ عقيق ، شباط ـ الجَمَشْت ، آذار ـ زبرجد أو حجر الدم ، نيسان ـ ماس ، أيار ـ زمرّد ، حزيران ـ لؤلؤ ، تموز ـ ياقوت ، آب ـ بير يدوت (تنويعة من الزبرجد) ، أيلول ـ صافير (ياقوت أزرق) ، تشرين الأول ـ أوبال (حجر متغيّر الألوان) ، تشرين الثاني ـ توباز (حجر كريم متعدّد الألوان) ، كانون الأول ـ فيروز . ويعتقدُ الغربيّون أنّ بعضَ الأحجارِ لها تأثيرٌ على الحبّ والزواجِ وأنَّ الفيروزَ يمنعُ الخصامَ بين الزوجِ والزوجةِ وأنَّ الزبرجد يعزِّزُ الحبَّ الزوجيَّ . ، أمَّا التوباز فهو رمزٌ للوفاءِ ومن يلبسْه يبقَ وفياً للزوج أو الزوجة مدى الحياة .

ومن الأمراضِ التي يعتقدون أنّ الأحجارَ تشفيها أو تحمي منها الصداعُ ووجعُ الأسنان ، ويشفيه حجرُ الجَمَشْت . أمّا الماسُ فيشفي من الجُذامِ والعته والكوابيس ، بينما العقيقُ خافضٌ للحِمّى ، والصافير يحمي المرءَ من الجِنّ . وكان الصينيون حتى منتصفِ القرنِ الحالي يُلبِسون أولادَهم أساورَ أو خلاخيلَ من

يشبٍ (جاد) لحمايتِهم من الأذى . ويعتقدُ الهندوس أن اللؤلؤَ يحرسُهم من جميعِ الشرورِ . وبسببِ حمرةِ العقيقِ فان بعضَهم يلبسُه للوقايةِ من الجروح . ويُقال أن الفيروزَ يمنعُ السقوطَ عن الحصانِ ، والعربُ يجعلونه تمائمَ للأطفالِ لوقايتِهم من الحسد والأمراضِ وتعملُ التمائمُ إلى جانب الفيروز من الوَدَع وهو صنفٌ شبيهٌ بالفيروزِ من حيث اللون .



مـا هي دائرة البـروج ؟



في الأزمنةِ الغابرةِ كان الناسُ يتطلّعونَ إلى السماءِ ليلاً فيلاحظون العديدَ من النجومِ أكثر لمعاناً من غيرها مرتبةً على نسقٍ واحدٍ أو في مجموعةٍ معينةٍ . وتسمى كلُّ مجموعة من هذه المجموعاتِ حالياً (الكوكبة) وهي مجموعةٌ من النجومِ متقاربةٌ من بعضها البعض . وقد أعطى القدماءُ لهذه الكوكباتِ أسماءَ مأخوذةً من الآلهةِ والأبطالِ والحيواناتِ والأشياءِ المألوفةِ عندهم .

وقد لاحظ الانسان القديم في متابعتِهِ لهذه الكوكباتِ انها تبدو سائرةً في موكبٍ مهيبٍ عبرَ السماء ، وان كوكباتٍ معينةً تظهرُ في الربيعِ وتمخرُ عبابَ

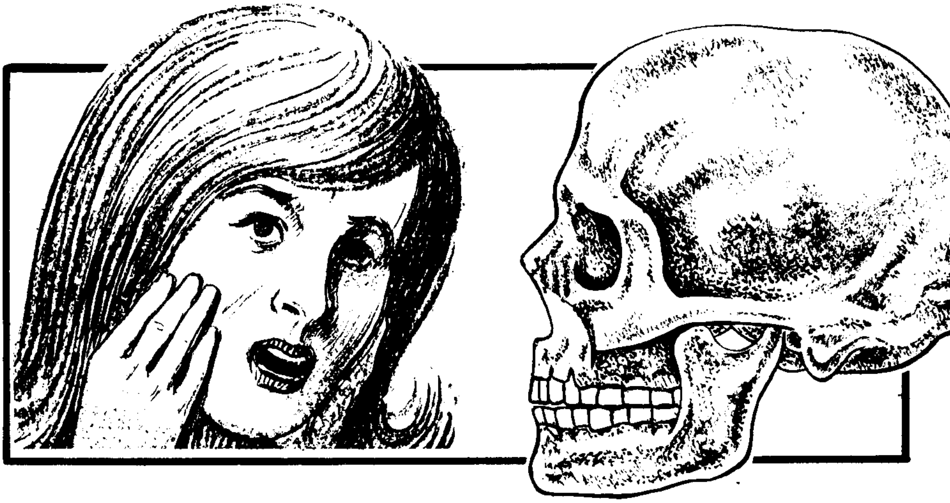
السماءِ ثم تختفي لتعقبَها كوكباتُ الصيفِ فكوكباتُ الخريفِ ثم الشتاء . وقد لوحظت خلالَ هذه المتابعةِ الطويلة اثنتي عشرة كوكبةً ضمّتها « دائرةُ البروجِ » بالإضافةِ إلى الشمسِ والقمرِ اللذين يشرقان ويغربان دوماً داخل نفسِ الجزءِ الذي تحوم فيه الكوكبات .

قسَّمَ القدماءُ دائرة البروجِ إلى اثني عشر قسماً تبعاً للكوكباتِ الاثنتي عشرة وأعطوها الأسماءَ التاليةَ : برجُ الثورِ ، برجُ الحَمَلِ ، برجُ الحوت ، برجُ الأسدِ ، برجُ العقربِ ، برجُ الجَدْيِ ، برجُ القوسِ ، برجُ الميزانِ ، برجُ العذراءِ ، برجُ السرطانِ ، برجُ الدلوِ وبرجُ الجوزاءِ . وسميت الكوكباتُ الاثنتي عشرة علاماتِ البروج . وتظهرُ كلَّ شهرٍ علامةٌ مختلفة في الأفقِ الشرقي من دائرةِ البروجِ تشرِقُ منها الشمسُ والقمر .

إلى جانبِ الكوكباتِ الاثنتي عشرة في دائرةِ البروجِ عرَفَ الأقدمون ستّاً وثلاثين كوكبةً أخرى . وتُعرَفُ هذه الثماني والأربعون كوكبةً بالكوكباتِ القديمةِ . وقد أُضيفَ إليها أربعون كوكبةً أخرى اكتُشِفَتْ فيما بعدُ وسُمِّيَت بالكوكباتِ الحديثة .

إن دراسةَ هذه الكوكباتِ مشتركةٌ بين علمَيْ الفلكِ والتنجيم . والفلكُ علمٌ حقيقيٌّ ، أما التنجيم فهو من الأوهامِ . لأنَّ النجومَ والكواكبَ لا علاقةَ لها بحياةِ الانسانِ الاجتماعيةِ ولا تعرفُ شيئاً عن مستقبلِهِ .

هَل البرسيم رباعيّ الورق يجلب الحظ ؟



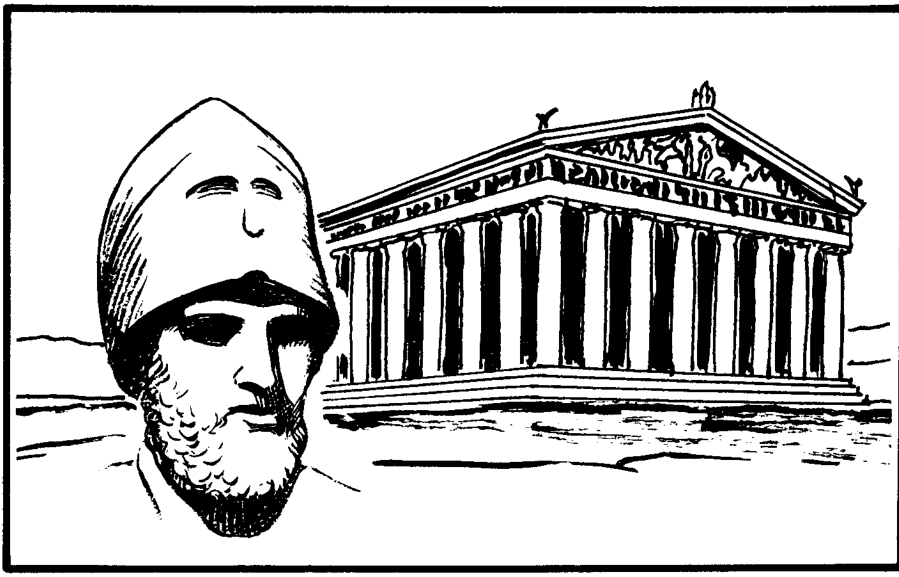
إن رغبةَ الانسانِ في حمايةِ نفسِهِ من القوى المجهولةِ ونيلِ الحظِّ السعيدِ أدَّتْ إلى خلقِ ألوفِ الأوهامِ في الدنيا . وهذه الأوهامُ منها ما هو للفألِ الحسنِ وما هو للفألِ السيءِ وإن كان التفريق بينهما غيرَ ميسورٍ .

من هذه الأوهامِ القولُ انّ البرسيمَ (الجت أو القصّة) ذا الأربع أوراقٍ هو بشيرٌ بالحظِّ الحسنِ والسعادة . وقد انتشَرَ هذا الاعتقادُ في بلدانٍ كثيرةٍ منذ زمنٍ بعيدٍ جداً لا يُعرَفُ بالضبطِ . وهناكَ خرافةٌ قديمةٌ تفيدُ أنَّ حوّاءَ عندما أُخرِجَت من الجنةِ أخذت معها برسيمةً ذات أربعِ أوراق . ويبدو أن هذه الخرافة جعلتِ الناسَ يتيمنون بالبرسيمِ ولذلك يزرعه كثيرٌ من الأوروبيين في الحدائقِ .والحقيقةُ أن البرسيمَ يمتازُ بخضرته وشذاه العبق . ولذلك يرتادهُ النحلُ لامتصاصِ الرحيق . ولعلَّ هذا هو الذي دفعَ الناسَ إلى التيمُّن به .

شبيهٌ بهذا التفاؤلِ الخرافي ما يُشاعُ عن حدوةِ (نعل) الحصانِ ومفعولِها في جلب الحظِّ السعيدِ لذلك يصعبُ تفسيرُ هذا الاعتقاد وتتبّع منشئه . انَّ لكل بلدٍ تقريباً خرافةً أو تقليداً خاصاً به حول نعل الحصان . فالإيرلنديون يقولون إن الحصانَ كان في الاسطبلِ عندما وُلِدَ المسيحُ ولذلك اكتسبَ نعلُهُ قدرةً سحرية .
وفي روسيا القيصريةِ كان الناسُ يعتبرون الحدّادَ من قبيلِ السحّارين وانه لذلك يُتَّخَذُمن النعلِ رُقْيةً للقيامِ بالسحرِ . وكان الرومانُ يعتقدون أن العثورَ على نعلِ الحصانِ في الطريقِ يصونُ الانسانَ من المرض . وربما اقترنَ ذلك باعتقادٍ شائعٍ في العراقِ وهو أنَّ الجنيَّ يخافُ من الحديدِ ، فكانَ الشخصُ اذا خرجَ ليلاً وحدَه أخذَ معه قطعة حديد لكي لا تقتربَ منه الجنُّ . وقد اعتُبِرَ الحديدُ عند القدماء رُقْيةً للحظِّ السعيد . ولا يُستبعدُ أن تكونَ هذه كلُّها من رواسبِ الأزمنةِ القديمةِ يومَ كان الانسانُ ما يزالُ منبهراً باكتشافهِ للمعادنِ وخصائِصها وقابليتها للتحوُّلِ وما أعطته للإنسانِ من قوةٍ لمّا صنَعَ منها الأسلحةَ والدروعَ .
ومن الفألِ السيءِ القطةُ السوداءُ وهي قديمةٌ جداً . وكان القدماءُ يعتقدون أن الجنّي يتقمَّصُ صورةَ قطةٍ سوداء . ولا يزالُ بعضُ الناسِ في الغربِ والشرقِ ينزعجون اذا عَبَرَتْ هذه القطةُ من أمامهم . وبعضُ الناس إذا رأوها ليلاً قرأوا البسملةَ لإبعاد شرِّها عنهم .

ان المرآةَ المكسورةَ فألٌ سيءٌ آخرُ يرجعُ إلى الأزمنة الغابرةِ . وكان الاغريقُ القدماءُ يستطلعون إرادةَ الآلهةِ من المرآة . فإذا انكسرَتْ مرآةُ أحدهم صدفةً فهمَ من ذلك أنَّ الآلهةَ لا تريدُهُ أن يعرفَ المستقبلَ لأنَّه يخفي أموراً غيرَ سارة . وكان الرومانُ يعتقدونَ أنّ صحةَ المرءِ تتبدَّلُ كلَّ سبعِ سنواتٍ . ولما كانتِ المرآةُ تنمُّ عن الصحةِ فإنّ انكسارَها يدلُّ على أن صحته ستسوءُ لمدة سبعِ سنوات .

مَا هو العَصرُ الذهَبي ؟



حين تبلغُ إحدى المدنياتِ في وقتٍ ما ، ومكانٍ ما ، ذروةَ التقدُّم ويكون أهلُها قد أنجزوا أعمالاً عظيمةً ، فانها تدخلُ عندئذٍ ما يُسمّى بالعصرِ الذهبي .

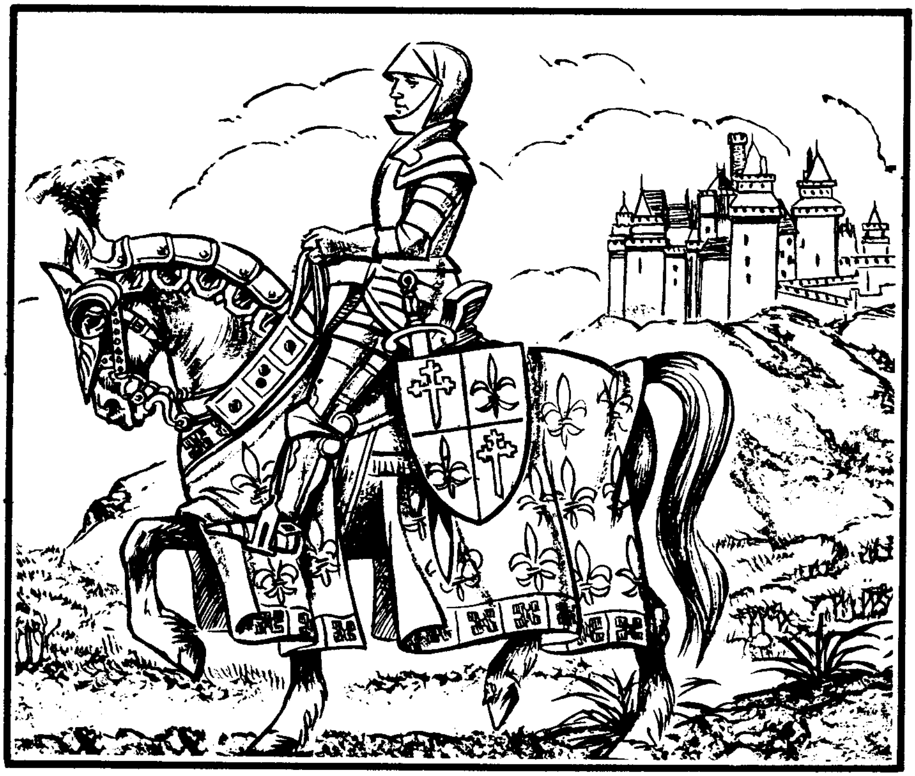
هناكَ عصورٌ ذهبيةٌ عديدة في التاريخ . منها العصرُ الذهبيُّ للحضارةِ البابليةِ والذي شملَ حكمَ المشرّعِ العظيمِ حمورابي في القرنِ الثامن عشرَ قبلَ الميلاد .والعصرُ الذهبيُّ لليونانِ طوالَ القرنِ الخامسِ قبلَ الميلاد والعصرُ ، الذهبيُّ للحضارةِ الاسلاميةِ بين أواخرِ القرنِ الثاني وأواخرِ القرنِ السادسِ للهجرةِ أي بين خلافةِ هارونِ الرشيدِ ووفاةِ الفيلسوف ابن رشد . وقد أنتجَ عصرُ بابلَ

الذهبيِّ قانونَ حمورابي وأنتجَ عصرُ اليونانِ مبنى البارتينون أحدِ أشهرِ وأبهى المباني في الدنيا ، كما أنتجَ النحاتُ العظيم فيدياس والفلاسفةُ سقراط وأفلاطون وأرسطو وكلاًّ من سوفوكلس ويوريبيدس - أعظم كتّابِ الدراما في التاريخ .

أما العصرُ الذهبيُّ للإسلامِ فقد أثمرَ عقلانيةَ المعتزلةِ وثوريةَ الاسماعيلية والفقهَ الاسلاميّ والفلاسفةَ الأطباءَ كالرازي وابنِ سينا والعلماءَ كابنِ الهيثمِ والخوارزمي والمفكرين الأحرار كالمعري ، والشعراءَ العظام كالمتنبي . وقد خُتم هذا العصرُ بابن رشدٍ الذي اعتُبِرَ أعظمَ فلاسفةِ الاسلام ونُقلتْ فلسفتُهُ إلى أوروبا لتبدأ من هناكَ رحلةً جديدةً سُجِّلَتْ فيها بداياتُ النُّهوض الفكري في العصور الوسطى الأوروبية .

إن العصرَ الذهبيّ هو من الاصطلاحاتِ المُخْتصَّةِ بالمدنيّاتِ القديمةِ التي كانت تولَدُ وتترعرَعُ وتثمرُ ثم تموت . أما في العصرِ الحاضرِ فإن الحضارةَ مستمرةٌ على وتيرةٍ صاعدةٍ وشاملةٍ ، أي عالميةٍ . ولذلك لا يوجدُ فيها صعودٌ أو هبوطٌ ولا ولادةٌ أو سقوطٌ ، لأنَّها غيرُ محصورةٍ في بلدٍ معيَّنٍ ولا حتى في قارةٍ معيَّنةٍ ، وهي ليست نتاجَ شعبٍ أو دولةٍ وانما هي نتاجٌ مشترَكٌ لجميعِ شعوبِ العالمِ . ولذلك فإنَّ اصطلاحَ العصرِ الذهبي لم يبقَ له معنى .

من هُم الفرسان ؟



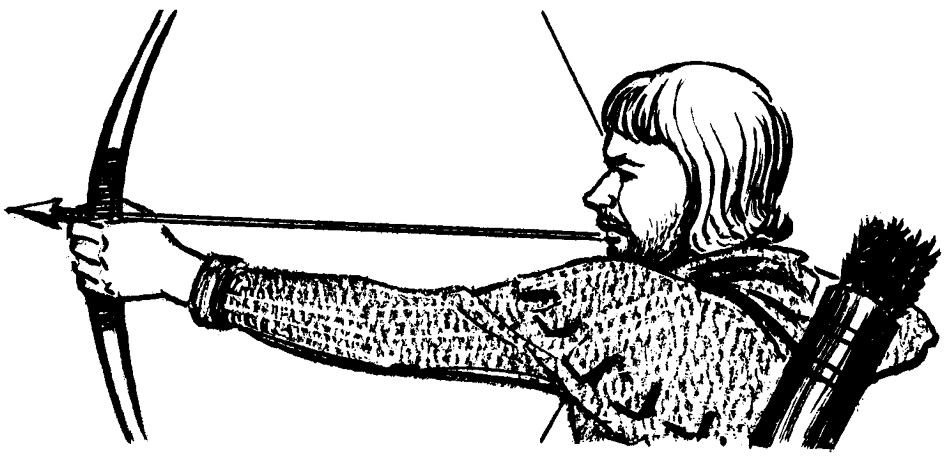
إنّ المقاتلين على الخيل كانوا هم ارستقراطيي المعارك . وكانوا في أيامِ الساسانيين يسمَّوْنَ « الأساورةَ » وهم من أفضلِ وأميَزِ الفصائِلِ في الجيشِ الساساني . وكان للفرسانِ نفسُ المكانةِ في الجيشِ الاسلامي فكان الفارسُ يحصلُ على ضعفِ حصةِ الراجلِ من الغنيمة . وفي أوروبا كانَ الفرسانُ

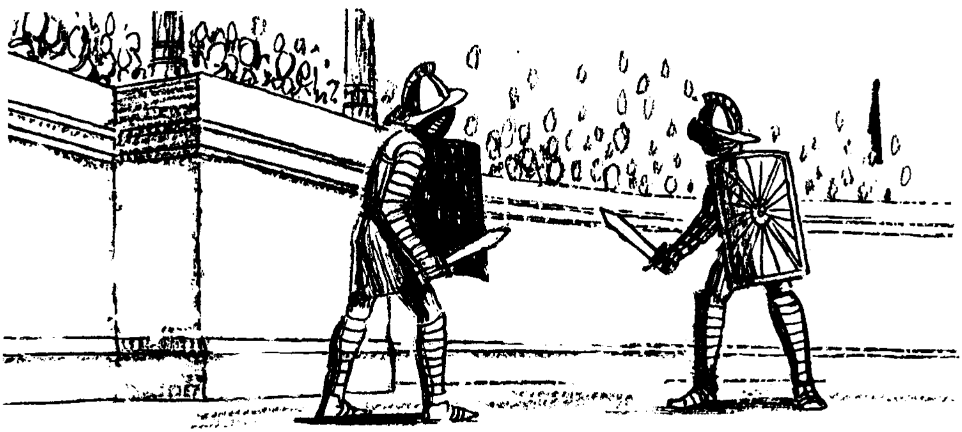
يشكلون أعلى مراتبِ المقاتلين . وكان الفرسان في أوروبا يؤسّسون طريقةَ حياتِهِم على الحرب ويتفرّغون لها . وفي أوروبا العصورِ الوسطى لم تكنْ للملوكِ والحكوماتِ سلطةٌ فعليةٌ وانما كانت السلطةُ لكلٍّ من يمتلكُ الخيلَ والأسلحةَ الثقيلةَ ويعرفُ كيفَ يستخدمُها . وكان هؤلاء البارونات أي سادةُ الاقطاع . وكان الفرسانُ الأقوياءُ متخذون لهم قلاعاً مسورةً ومخندقة فيسيطرون على الأريافِ القريبةِ . ولم يعبأوا بقانونٍ في علاقاتِهِم وانما كانوا يطيعون أهواءَهم الخاصةَ فكانوا يحاربو ن جيرانهم متى شاؤوا ، إذ لا توجدُ هناكَ قوةٌ تمنعهم من ذلك ولا دولة تحاسبهم على أغلاطهم ، غيرَ أنَّ معظمَ الفرسانِ ، لم يكونوا ، أكثر من لصوص . وكانَتْ حروبُ الفرسانِ أشبهَ باللعبِ ، ولعبُهم أشبهَ بالحرب . وكانت لهم رياضةٌ تشبهُ الحربَ تسمى « التورنامين » تطوَّرَتْ فيما بعد إلى معاركَ تمثيليةٍ تُستعمَلُ فيها الرماحُ المثلومةُ والسيوفُ الكليلةُ . والغرضُ من هذهِ المبارياتِ كان الحصولَ على فديةٍ من المغلوب .

كانت للفرسانِ أحكامٌ للسلوكِ تُسمّى « نواميسَ الفروسية » . إذ كان على الفارسِ أن يعاملَ أسيرَه كضيفٍ مُكرّمٍ حتى ولو كان عدوّاً لدوداً . وكان المطلوبُ من الفارسِ أن لا يهاجمَ عدوَّه إلا بعدَ التحذيرِ . وكان الفارسُ يراعي هذه الأحكامَ لأنَّها تُحقّقُ منافعَ متبادلةً حيث أنّ كلَّ فارسٍ معرّضٌ لأن يكونَ أسيراً ، أو يكونَ هدفاً لهجومٍ مباغتٍ . لكنَّ التحذيرَ لم يكنْ مرعَّياً على الدوام ، فكانَ الفارسُ يضطرُّ كلما خرجَ من قلعتِهِ أن يَلبس بذلةَ القتالِ الثقيلةَ وغيرَ المريحةِ ما دامَ في خارجِ القلعةِ . وقد لعبَ هؤلاء الفرسان أدواراً كبيرةً في الحروبِ التي فرضها الصليبيون على العالمِ العربي في العصورِ الإسلاميةِ وكانوا هم القوَّة الأساسيةَ للصليبيين .

إن الفرسان العربَ لم يمروا بهذه المرحلةِ لا في الجاهليةِ ولا في

الاسلام ، ففي الجاهليةِ كان المجتمعُ منقسماً إلى قبائلَ وليس إلى بارونات ، والفارسُ يحاربُ من أجلِ القبيلة . لكن الغزوَ ، للنهبِ ، كان هو الموضوعَ الرئيسيّ لنشاطِ الفرسانِ الجاهليين ، كما كانت حالُ الفارسِ الأوروبي . وكانت تطبّقُ نفسُ أحكامِ الفروسيةِ في العلاقاتِ ، ولكن بشكلٍ موسَّعٍ . فبالإضافةِ إلى أصولِ معاملةِ الأسرى ومنعِ المباغتةِ ، كانت هناكَ قواعد حولَ اللجوءِ (الدِخالة) ومعاملةِ النساءِ والأطفالِ والعَجَزَةِ ، وكان معظمُ الفرسانِ الجاهليين شعراءَ في الوقت نفسِهِ . أما في الإسلامِ فإن الفروسيةَ صارت جزءاً من الجيشِ النظاميّ الخاضعِ للسلطةِ المركزيةِ التي استطاعت أ ن تحولَ دائماً دونَ ظهورِ القلاعِ المستقلّةِ عن الدولةِ .





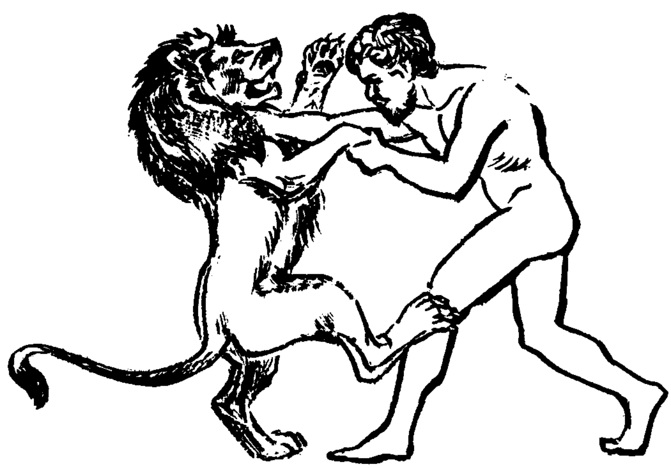
ماهي البيزرة ؟

« البيزرة » هي فنُّ تدريبِ الجوارحِ للصيدِ ، تَشمُل أيضاً معالجَتها ، وهي تقابلُ البيطرةَ التي تختصُّ بالحيواناتِ الأخرى . ومن الجوارحِ المستعمَلَةِ للصيدِ « الصقرُ » و« البازُ » و« الشاهين » . ويُشترَطُ في الجارحِ أن يكونَ سريعَ الطيرانِ متينَ البنيةِ وذكياً لكي يتقبَّلَ التدريبَ . ويصلُ الصقرُ أو البازُ في طيرانِهِ إلى علوّ ألفِ قدمٍ . وعندما تظهرُ فريسةٌ ينقضُّ عليها ويشرطُها عرضاً ، بمخالبِهِ الخلفيّةِ . ، ثم يجثمُ فوقَها ويعضُّها من العنقِ ويأخذُ بتمزيقِها . ويجبُ على الصيادِ عندئذ أن يقرّبَ له قطعة لحمٍ ويلاطفَه لارخاءِ قبضتِهِ عن الفريسةِ حتى يأخذَها منه .

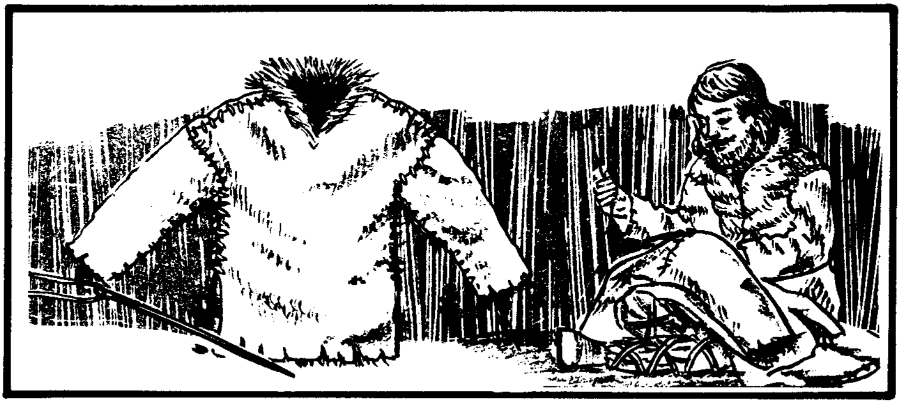
لا يعرفُ أحدٌ بالضبطِ متى بدأتِ « البَيْزَرة » ، لكنَّنا نعرفُ أنها ترجعُ إلى زمانٍ طويلٍ جداً . وربما كانت بدايتُها في الصينِ التي إستخدمتَ الصقورَ المدرَّبَةَ منذ أكثرَ من أربعةِ آلافِ سنةٍ . وقد عُنِيَ بها في العصورِ الاسلاميةِ وَوُضِعَ فيها عددٌ من المؤلَّفات . وبالاستنادِ إلى الخبراتِ الإسلاميةِ وضعَ الأمبراطورُ فردريك الثاني مؤلفاتِهِ الشهيرةَ في « البيزرة » . وكان هذا الامبراطور المتنوِّرُ قد شارَكَ في الحروبِ الصليبيةِ وتأثَّر كثيراً بالثقافةِ الاسلاميةِ ، وهو من أوائل دعاتِها المتحمّسين في أوروبا وقد انتشرتِ البيزرةُ في بريطانيا واكتسبَتْ إهتماماً واسعاً في المرحلةِ الممتدة بين القرنِ الثالثَ عشرَ والسابعْ عشر ، وارتبطت هناك بتقاليدَ وقوانينَ نَظَّمَتْ ممارستَها. وقد اعتمَدَتْ في تنظيمِها على الطبقاتِ إذ حصرَ القانونُ استخدامَ النسور والصقور بالملوكِ والأباطرةِ ، وأعطى الأمراءَ والبارونات وحملة

لقبِ الدوق حقَّ استخدامِ الصقرِ الجوَّال . ومنعَ الناسَ العاديين من استخدامِ الجوارِح التي يستخدمُها الحكّا م والوجهاءُ .

تقلَّصتِ البيزرةُ كهوايةٍ عند بدايةِ القرنِ الثالثَ عشَر ، وانحصرتْ في قطاعاتٍ ضيّقةٍ في أوروبا . على أنها تُمارَسُ الآن في بلدانِ الخليجِ على نطاقٍ واسع ، من البصرةِ في جنوبِ العراقِ إلى دولةِ الامارات . ويُعرَفُ المشتغِلُ فيها بالصّقّارِ أو (الصكارِ بالكاف الفارسية حسب اللهجات المحلية) . وبالطبعِ فإن البيزرةَ كفرعٍ من الطبِّ البيطري لا تزالُ قائمةً .



كيف كان الناسُ يخيطون في الماضي؟



الخياطةُ هي من أولى الأعمالِ التي ابتدعَها الانسانُ تحتَ تأثيرِ الحاجةِ الماسّةِ إليها من جهةٍ ولبساطتِها من جهةٍ أخرى . وكان أوَّلُ أشكالِ الخياطةِ هو لفُّ الإهابِ (الجلد) وما شابَهَ على الجسمِ لتكوينِ رداء . وما أنْ تمدَّنَ الانسانُ قليلاً حتى شعرَ بالحاجةِ إلى خياطةِ ملابسهِ فظهرتِ الإبرةُ . وكانت أولى الابر تُصنَعُ من عظامِ الطيورِ والأسماكِ ، ثم من البرونز . وقد طوَّرَ المصريون القدماءُ إلى جانبِ الابرةِ والخيطِ فنَّ التطريزِ . ومنذ أكثر من ثلاثةِ آلافِ سنة تعلَّمَ الهندوسُ كيف يقصّون ويقيسون ويخيطون الثياب .

وقد تطورتِ الخياطةُ بعد ذلك في الصينِ وبلادِ الرافدينِ والنيلِ وفي عهودِ الإغريقِ والرومان . وفي العصورِ الاسلاميةِ أصبحتِ الخياطةُ حرفةً يُختصُّ بها الرجالُ والنساءُ . وقد وردتنا ألقابٌ شخصيةٌ عديدةٌ من تلك العصورِ تحملُ كلمة

« الخياط » . وكان من الخياطين المحترفين شاعرٌ كبيرٌ من شعراءِ الوصفِ والطبيعةِ هو « السَّريُّ الرّفاء » الذي سجَّلَ في شعرِهِ كساداً أصابهُ فاضطُرَّ إلى مدحِ الملوكِ حتى يعيشَ بعد أن خانته الإبرة .

وفي العصورِ الوسطى الأوروبية كانتِ الخياطةُ عملاً منزلياً خالصاً تتولّاه ربةُ البيتِ وخدامُها . ثم تطورت في الآمادِ اللاحقةِ مع سائرِ شؤونِ الحياةِ التي بدأت تتقدَّمُ بسرعةٍ نحو مشارفِ العصرِ الحديث .



مَن هو أرسطو ؟



أرسطو أو أرسطوطاليس أحدُ أهمِّ الشخصياتِ في اليونانِ الغابرةِ وأحدُ أعظمِ الفلاسفةِ في التاريخ .

كان أرسطو تلميذاً لأفلاطون طوالَ عشرين سنة وبعد وفاةِ معلِّمِهِ بدأ بتطوير طريقتِهِ الخاصّةِ في التعليمِ وأنشأَ مدرسةً تسمى « الليسيوم » وقد عُنيَ تقريباً بكلِّ أنواع المعرفة العقلية والفلسفية ومحاورات العقل .

وألَّفَ أرسطو كما يُقال حوالى أربعمئة كتابٍ في الفلسفةِ والفلكِ والطبيعةِ

والشعرِ والخطابةِ والأخلاقِ والسياسةِ والبيولوجيا و المنطق وغيرِها . وقد تُرجِمَتْ كتبهُ في الأزمنةِ الماضيةِ إلى السريانية والعربيةِ ثم إلى اللاتينيةِ واللغاتِ الأوروبيةِ الحديثة . وأثَّرَتْ كتاباتُهُ في الثقافةِ الأوروبية والآسيويةَ تأثيراً عظيماً حيث تدارَسَها السريانُ والفرسُ ثم العربُ الذين لقَّبوه « بالمعلّم الأول » وطوّروا على أساس فلسفته الكثيرَ من مذاهِبِهم الفكريةِ في الطبيعةِ والسياسةِ والأخلاقِ واللاهوت . وكان النشاطُ الفلسفيُّ في العصورِ الإسلاميةِ يدورُ معظمُهُ حولَ أرسطو : متابعاً وشارحاً له أو ناقِداً ورافضاً . وقد دَحَضَ المفكرون الاسلاميّون بعضَ نظرياتِهِ وطوَّروا بعضَها الآخر . ومن أعظمِ الفلاسفةِ الذين تبنّوا فلسفةَ أرسطو هو « ابن رشـد » الذي يعتبر من أهم فلاسفة العصور القديمة والذي شرح وطوَّرَ العناصرَ المادية في تعاليمِهِ . وقد انتقلت كتاباتُ ابن رشد إلى أوروبا في القرنِ الثالثَ عشرَ وأحدثت فيها حركةً فكريةً عاصفةً . وكان الأوروبيون في العصورِ الوسطى يقولون إن الطبيعةَ تُفَسَّرُ بأرسطو وأرسطو يُفَسَّرُ بابن رشد . وقد أدى ذلك إلى الانقسامِ حولَ فلسفةِ أرسطو حيث تبنَّى المجدِّدون حينذاك أرسطو العلمانيَّ المطوّرَ بابن رشد بينما تبنَّتِ الكنيسةُ أرسطو اللاهوتي الذي فسَّرَهُ القديس توما الأكويني بطريقةٍ مناقضةٍ للمذهبِ الرشدي .

مَن هي هيلين الطروادية ؟

ظهرَ في اليونانِ الغابرةِ كثيرٌ من الأساطيرِ والخرافاتِ التي جمعت بين الناسِ والآلهةِ . وقد تحدَّثَتْ إحدى هذه الخرافاتِ عن فتاةٍ اسمُها هيلين كانت أمُّها من البشرِ وأبوها هو كبيرُ الآلهةِ زيوس . وكانت على درجةٍ من الجمالِ بحيث لا يراها أحدٌ إلا انبهَرَ بها . ولما بلغت هيلين مبلغَ النساءِ خطبَها أوسمَ وأقوى أميرٍ اغريقي . ولكن خُطَّابها كانوا كثيرين ولذلك طلبَ منهم زوجُ أُمِّها وهو ملكُ اسبارطة ، أن يُقسِموا يمينَ الولاءِ للرجلِ الذي سوف يتزوَّجُ هيلين . وقد حظي بها رجل يسمَّى مينيلاوس كان أغنى وأقوى من جميعِ الخاطبين وصار فيما بعدُ ملكاً لاسبارطة وعاش مع هيلين في سعادةٍ .

أرادتْ ربَّةُ الحبِّ أفروديت أن تكافِئ رجلاً يُدعى باريس ، وهو ابن مريام ملكِ طروادةَ ، فوعَدَتْه أن تعطيَه أجمَلَ امرأةٍ بشريةٍ . وأبحرَ باريس إلى إسبارطه فرأى هيلين فشُغف بها حبّاً وأقنعَها بأن تهجرَ مينيلاوس وتهربَ معه إلى طروادة . واستشاط مينيلاوس غضباً وأقسمَ أن يحطِّمَ باريس ويسترجعَ هيلين . وإذ تذكَّرَ تعهُّدَ عشاقِ هيلين بالولاءِ له فقد طلبَ منهم مساعدَتَه لمَّا صمّم على محاربةِ طروادة . وكانت حروبُ طروادةَ المشهورةَ التي انتهت بمقتلِ هكطور بطل الطرواديين ، ثم مقتل أخيهِ باريس وتدميرِ طروادةَ ووقوعِ هيلين في أسرِ زوجِها الأول . وقد تضرَّعَتْ إليه أن يغفرَ لها فغفر لها وعادت معه إلى اسبارطة . ولكنَّ الخرافةَ تقول أنها طُرِدَتْ من القصرِ بعدَ وفاتِهِ ونُفِيَتْ إلى جزيرةِ رودس .

إنّ ملحمةَ الالياذةَ المنسوبةَ لهوميروس تقصُّ آخرَ معاركِ طروادة التي قُتِلَ

فيها العديدُ من عظماءِ الاغريق وأبطال الطرواديين . وثمة احتمالٌ أن تكونَ هذه الحربُ قد وقعت فعلاً حوالى ١٢٠٠ ق. م. ولكن لا يُعرف لماذا وقَعَتْ بالضبط . أما قصّةُ هيلين فقد تكونُ خرافةً من الأصلِ أو حادثةَ حبٍّ عاديةٍ طوَّرَتْها الأساطيرُ وربطتها بهذه الحرب .



كم كان عمر جان دارك ؟



يعتبِرُ الفرنسيون « جان دارك » أعظمَ أبطالِهم وقدّيسيهم على الإطلاق . وقد وُلِدَتْ في ٦ كانون الثاني ١٤١٢ وأحرقَها الانكليزُ على خازوقٍ في ٣٠ أيار ١٤٣١ وهي في التاسعةَ عشرةَ من عمرها !

حينماً كانت « جان دارك » صبيةً كان الكثيرُ من أجزاءِ فرنسا خاضعاً للبورغنديين ، وهم جماعةٌ قويّةٌ من النبلاءِ تواطأوا مع الانكليزِ للسيطرةِ على البلاد .

ولما بلغَتْ جان الثالثةَ عشرة صارت ، كما تقولُ الحكايات ، تسمعُ أصواتاً

كانت تقول إنها أصواتُ القديسين كاترين ومرغريت وميخائيل ، وانّ هذه الأصواتَ تطلبُ منها أن تجلُبَ السلامَ إلى فرنسا وتوحِّدَها تحتَ تاجِ ولي العهد الأمير شارل وريث العرش الفرنسي .

وفي وقتٍ لاحقٍ أقنعت جان هذا الأمير بأن في وسعِها أن تقودَ جحافلَهُ إلى النصر . وقد ألهمت جان الجنودَ الفرنسيين شجاعةً كبيرةً فهزموا الانكليزَ وتُوِّجَ وليُّ العهدِ باسم شارل السابع . غير أنّه لم يمنحْ جان تأييداً كاملاً لمواصلةِ القتال بعد أن حَظِيَ بالعرشِ ، فضَعُفَتْ المقاومةُ الفرنسيةُ وانتهى الأمر بوقوعِ جان دارك أسيرةً بأيدي الانكليزِ وعملائِهِم البورغنديين .

اتَّهم الانكليزُ جان دارك بأنها ساحرةً ، وكانت تهمةُ السحرِ في ذلكَ الزمنِ هي الشائعة وكان يُتَّهمُ بها كلُّ من قال قولاً مخالفاً أو حاولَ أن يخرجَ على الإجماعِ . حتى لقد أُتِّهِمَ بها علماء فاضطروا إلى التراجُعِ عن كشوفِهِم .

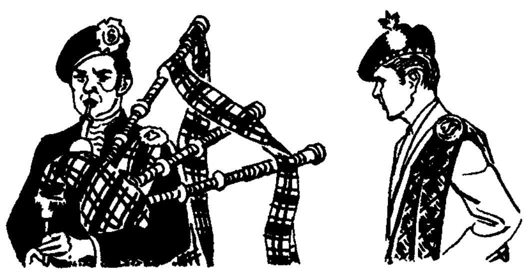
كان قاضي جان دارك الفرنسي من عملاء الانكليز فحكَمَ عليها بالإعدامِ حرقاً ، كما جرت العادةُ في أحكامِ الإعدامِ في أوروبا حينذاك ، حيث كانوا يحرِقونَ المتّهمين والأسرى وهم أحياء . وهكذا أُحرِقَت الفتاةُ التي دافَعَت عن وطنِها على أيدي الغاصبين وعملائِهم من أبناءِ جلدتِها .

يحتفِلُ الفرنسيون بذكرى « جان دارك » في ٣٠ أيار من كلِّ عام بوصفِها من رموزِ المقاومةِ ضدَّ الغاصبين . رغم أنهم لم يقصِّروا في اغتصابِ الآخرين واحتلالِ بلادهم . وقد صارت قصةُ « جان دارك » مهمة في التاريخِ وأُلِّفَتْ عنها عدةُ كتبٍ ومسرحياتٍ وقصائدَ قصصيةٍ ، كما مُثِّلَتْ مأساتها في السينما .

ما هي البالّاد (أو الأغنية القصصية)؟

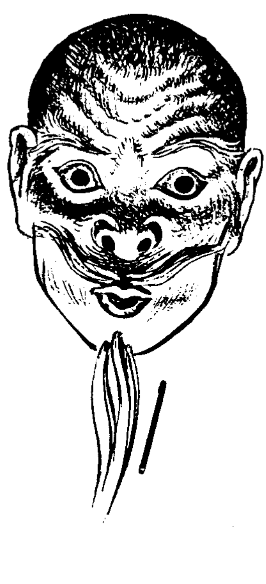
البالّاد «Ballad» هي شكلٌ من الأغنياتِ الفولكلوريةِ التي تدورُ حولَ قصةٍ . وقد نشأَ هذا الشكلُ بأوروبا في العصورِ الوسطى متأثراً بالغناءِ الأندلسي . وتروي البالّاد أحداثَها ببساطةٍ ومباشرة ، وبالحوارِ غالباً . وقد تكونُ مصحوبةً بالرقصِ ، كما يؤدّى بعضُها دون موسيقى . غيرَ أنَّها تُغنَّى دائماً بالتشديدِ على الكلماتِ أكثرَ من الألحان ، ومع ذلكَ فإنها تستخدمُ ألحاناً جميلةً تماماً .

تنتشِرُ البالّاد في معظمِ بلدانِ أوروبا وأمريكا بعد أن تنقلت شفاهاً من جيل إلى جيل . وهي تختلِفُ من مكانٍ إلى مكان . وقد تنوَّعَتْ إلى أشكالٍ عديدةٍ جداً وأُضيفَتْ إلى حكاياتِها المتوارَثَةِ حكاياتٌ جديدةٌ من الحياةِ المعاصرةِ . وتُوَزَّعُ البالّاد في الوقتِ الحاضرِ معبَّأةً في أسطواناتٍ وأشرطةٍ وكاسيتات . كما تُوزّع كلماتُها مطبوعةً في قصاصاتٍ أو نشراتٍ مطويةٍ .









مَا هي الاوبريت ؟



الأوبريت هي شكلٌ من المسرحِ الموسيقي الخفيفِ يتضمَّنُ دراما عاطفيةً تُقدمُ أحداثُها عادةً في إطارِ ديكورٍ يحاكي المشاهدَ الواقعِيَّةَ أو يخترعُ مشاهدَ خياليةً غريبةً تمنحُ حريةً كبيرةً لاختيارِ الألوانِ وابتداعِ الأزياءِ الجميلة المنمّقة .

والعديدُ من الشخصياتِ في الأوبريت هم من الأمراءِ والأميرات ، ومن رجالٍ يرتدون البزّاتِ الرسميةَ وسيداتٍ في ثيابٍ أنيقةٍ . أما قصصُ الأوبريت فهي تدورُ تقريباً على الأحداثِ العاطفيّةِ البسيطةِ التي ينتصرُ فيها الصالحون ويُعاقَبُ الطالحون ويتلاقى العشّاقُ في النهاية .

نشأتِ الأوبريت في البلدانِ الناطقةِ بالالمانيةِ عند نهايةِ القرنِ التاسعَ عشرَ على يدِ فرانتز فون سيوب الذي شدَّدَ على الحدثِ الدرامي - العاطفي وأهمل

الكوميديا . وهو أحدُ المؤلفين الأوائِلِ الذين جعلوا لرقصةِ الفالس دوراً هاماً في اللوحةِ الموسيقية . وقد تضمّنتِ الأوبريتاتُ من بعدِهِ مشاهدَ فالسٍ كبيرةً .

وقد كتب جون شتراوس ، الأصغر ، عدداً من أعظمِ الأوبريتات ، مرسِّخاً المميزاتِ الرئيسية لهذا الفن . وربما كانت أوبريت « الوطواط » من أشهرِ الأوبريتات . وهي لا تزال تنبضُ بالحياةِ في أنحاءِ عديدةٍ من العالم . وربما يلي هذه الأوبريت في الانتشارِ أوبريت « الأرملة الطروب » لفرانتز لير .

وقد صار فنّ الأوبريت عالمياً وتألَّفَتْ في معظمِ البلدانِ فِرَقٌ خاصّةٌ به . ومن أكثرِ الشعوبِ ولعاً بهذا الفنِّ هم الصينيون الذين حوَّلوا إلى الأوبرا والأوبريت الكثيرَ من أساطيرِهِم وحكاياتهم التراثية . ويمكنُ أن نعتبر المسرحيات الغنائية للأخوين رحباني وفيروز في لبنان من نوع الأوبريت لا سيّما أعمال مثل « ميس الريم » و« هالة والملك » .



مَا هُوَ الجاز ؟

نمطٌ من الموسيقى انتشرَ في الولاياتِ المتحدةِ بشكلٍ خاص . وقد تطوَّرَ عن موسيقى الزنوجِ الأمريكان واتّخذ أشكالاً مختلفةً تطوّرَتْ نتيجةَ الدمجِ بين عدة أنماط واستلهامِ عدةِ منابع .

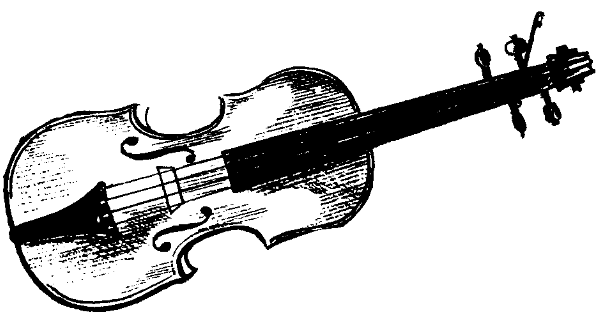
من الخواصّ الأساسيّةِ للجازِ هو لحنُهُ الذي يجمعُ بين عناصرَ من الموسيقى الافريقية والأوروبية وإن كان الهارموني أو النغم يأتي رئيسياً من أوروبا . ومن مزاياه الهامة الارتجالُ الذي يعني القيامَ بشيءٍ ما في نقطةٍ ما دونَ تصميمٍ مسبقٍ . والكثيرُ من الجازِ يُؤدّى بهذه الطريقةِ حيث تُعدَّلُ الموسيقى خلالَ العزف .

بمرورِ الوقتِ تغيَّرَ الجازُ وتطوَّرَ لكنه احتفظَ بكيفيتِهِ الأساسية . ومن التطويراتِ التي أُجرِيَتْ عليه ما حققتها فرقة « البلوز » (أو الزُّرق) . حوالي ثلث موسيقى الجاز يقعُ ضِمن نمطَ « البلوز » ، بينما النصف الثاني يتبع إيقاع « الروك أند رول » . وقد نهضَ موسيقيو نيو أورليانز في أمريكا بالقسط الأكبر من التطوير وموسيقى الجاز في هذه الولاية تتميَّزُ بالعاطفيَّةِ والانفعالِ على غرارِ « البلوز » كما تحملُ آثارَ الموسيقى الطقوسية الزنجيّةِ ، إضافةً إلى عناصرَ من الموسيقى الفولكلوريةِ الأوروبية .

فيما بعد ، ظهرت فرقُ الجاز الكبرى أو موسيقى السوِنينغ . وفي الأربعينات من هذا القرن والخمسينات ظهر « الجاز الحديث » ، وهو أكثر تعقيداً في اللحنِ والهارموني من الأساليبِ الأولى للجاز ومن أبرزِ مزاياه هي تلك

التجديدات التي أُجرِيَتْ على الإيقاع ، فقد أدخَلَ العازفون إيقاعاتٍ جديدةً في ألحانِهم وصار قرعُ الطبلِ يلعبُ دوراً أبرز وأكثرَ تعقيداً .

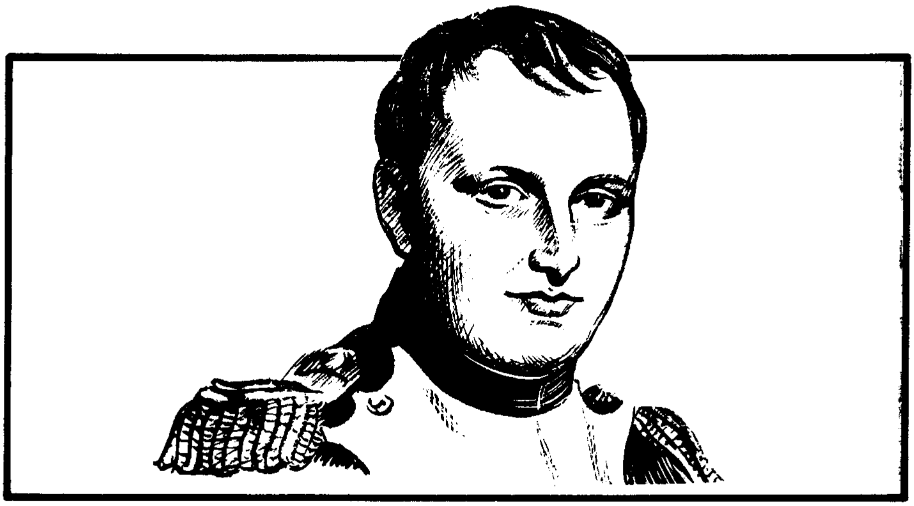
الخطوةُ الأخرى الكبيرةُ في تطوُّرِ الجازِ هي « جديد » الستينات ، وهو نوعٌ من الجاز الطليق . وفيه يمكنُ لمجموعةٍ من العازفين تبديلُ سرعةِ قطعةٍ لحنيةٍ عدةَ مراتٍ أثناءَ العزفِ دون الإعدادِ لذلك مُسبَقاً . ولا يعني ذلكَ أنَّ الموسيقى ليست منظَّمةً بل أنها أصبحتْ أكثرَ انطلاقاً في الروحِ والأداء . وهكذا ترى أنَّ الجازَ موسيقى دائمةُ التبدُّلِ وإن كانت مقترباتها وأساسياتُها باقية .







مَن هو نابليون ؟



من الأفراد المعدودين الذين أثَّروا في عالمِهم وزمانِهم تأثيراً عظيماً هو نابليون بونابرت .

وُلِدَ نابليون في ١٥ آب ١٧٦٩ في أجاكسيو من أعمالِ جزيرةِ كورسيكا . وتشرَّب في صباه شخصيةَ الأبطالِ التاريخيين العِظام الذين قرأ سيرَتَهم . وما أن بلغَ السادسةَ عشرةَ حتى تخرَّجَ من الأكاديميةِ العسكريةِ . وفي الرابعةِ والعشرين رُقّي إلى بريكادير جنرال مكافأةً له على مساعدتِهِ في استردادِ مدينة طولون من الانكليز ، وكان ذلك أثناءَ الثورةِ الفرنسية الكبرى . ثم صار نابليون القنصلَ الأول ، أي حاكمَ فرنسا . فعمل على تحقيقِ بعضِ أهدافِ الثورة ، على الرغمِ من أنّها انتكست على يديه ، فأصلحَ البنيةَ الكاملةَ للحكومةِ وسنَّ قانونَ نابليون

وهو أساسُ القانونِ الفرنسي الحديث .

سنة ١٨٠٤ أعلنَ نابليون نفسَه أمبراطوراً لفرنسا ، وبذلك فقدت الثورةُ الفرنسيةُ ركيزَتَها الأولى وهي الجمهورية . وقد استغرقتِ الأمبراطوريةُ الجديدةُ سنواتِها العشرِ بالحروبِ ، التي بسطَتْ نفوذَ نابليون على جميعِ أوروبا . وفي ١٨١٢ صمَّم نابليون على غزوِروسيا بجيشٍ قوامُهُ ستمئة ألف جندي . وقد وصل في زحفه حتى موسكو التي دخلها . غير أنَّ جيشَه بدأ يعاني من نقصِ المُؤَنِ فضلاً عن الخسائرِ الباهظة التي مُنِيَ بها بسببِ المقاومةِ الشديدةِ التي جابهها من الروس ، إلى جانبِ المصاعبِ الناشئةِ عن شتاءِ روسيا القارس . وقد رجعَ من الجيشِ المنسحبِ حوالى مئةِ ألفِ رجلٍ فقط .

بعد أن توالت الهزائمُ على نابليون تنازَلَ عن عرشِهِ ونُفِيَ إلى جزيرةِ إلبا . ثم هَرَبَ من الجزيرةِ ونظَّمَ جيشاً جديداً خاضَ به معركةً خاسرةً مع قواتِ الحلفاء الأوروبيين في واترلو عام ١٨١٥ . واستسلمَ نابليون للانكليز الذين نَفَوْه إلى جزيرة القديسة هيلانة الجرداء حيث بقي حتى وفاتِهِ في ٥ أيار ١٨٢١ .

سبَّبَ نابليون ويلاتٍ كبرى في أوروبا بحروبِهِ الدائمة ، على الرغم من أنه حملَ ، راغباً أم غيرَ راغبٍ ، إشعاعَ الثورةِ الفرنسيةِ إلى كلِّ مكانٍ وصل إليه . وقد ساهمت حروبه في خلخلةِ الأوضاع القديمةِ في أوروبا ، وإلى حدٍّ ما في مصر ، فمهَّد بذلك للتطورات التقدّميّةِ اللاحقةِ في تلك الأصقاعِ .

من هو بوليفار ؟

أحدَثَ نابليون تأثيراً كبيراً في أوروبا في بدايةِ القرنِ التاسعَ عشر . وقد ظَهَرَ في تلك المرحلةِ نفسِها في أميركا اللاتينيةِ شخصٌ اسمُهُ « سيمون بوليفار » أحدَثَ تأثيراً مشابهاً في أمريكا الجنوبية .

ظلَّ جنوبُ أميركا حوالى (٣٠٠) سنة تحت الحكمِ الاسباني . وقد أخذ « سيمون بوليفار » على نفسِهِ أن يحرِّرَ موطنَهُ فنزويلّا من الحكمِ الاسباني . ولمَّا مات عام ١٨٣٠ لم يكنْ قد حرَّرَ فنزويلّا وحدَها بل حرّرَ معها الأكوادور وبوليفيا والبيرو وكولومبيا .

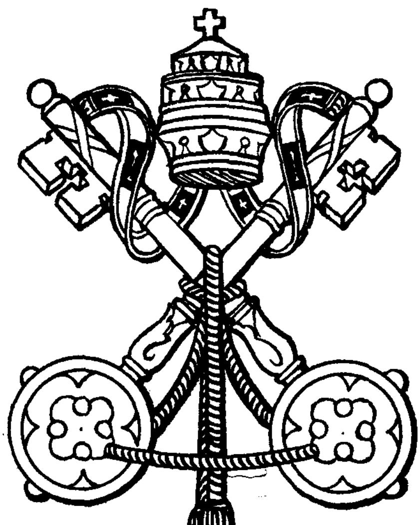
نشأ بوليفار في حداثتِهِ نشأةً أرستقراطيةً ، غير أنّه تعلَّم وسافرَ إلى أوروبا ، وهزَّتْهُ الثورةُ الفرنسيةُ في العمقِ . وفي عام ١٨١١ نظَّم جماعةً من الوطنيين وأعلنَ الثورةَ على اسبانيا لتحريرِ فنزويلّا ، غيرَ أنَّ الاسبان سحقوا تلك الثورةَ واضطُرَّ بوليفار أن يفرَّ من البلاد .

وفي عام ١٨١٩ اخترقَ بجيشٍ من الثوارِ جبالَ الآنديز المغطاةَ بالثلوجِ وفاجأ الجيشَ الاسباني وهزَمَهُ واستطاع أن ينتزعَ استقلالَ كولومبيا . بعد ذلك بسنتين حرَّر فنزويلّا ، وفي السنةِ التاليةِ حرَّرَ الأكوادور .

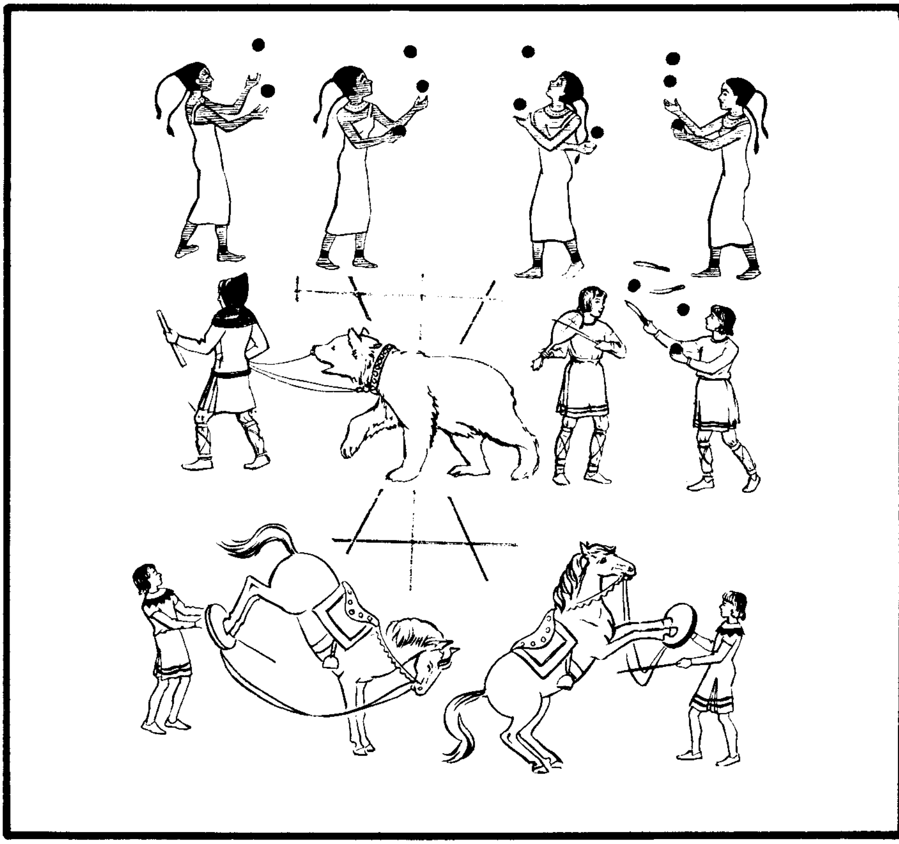
وقد وحَّد فنزويلّا وكولومبيا والأكوادور في جمهوريةٍ واحدةٍ سُمِّيَت « كولومبيا الكبرى » ، وصار رئيساً لتلك الجمهورية . بعد ذلك ساعَدَ على تحريرِ البيرو . وقد تغيَّرَ اسمُ البيرو العليا وصار بوليفيا تكريماً لبوليفار محرِّرها .

قبضَ « بوليفار » على الحكمِ بيدٍ من حديدٍ ، وأعطى نفسَهُ صلاحياتٍ واسعةً ، على الرغمِ من أنّ مُثُلَه العليا كانت قائمةً أساسياً على الحريةِ والعدالةِ . لكن في الوقتِ نفسه ساعَدَ على قيامِ حكومةٍ دستوريةٍ وأكثَرَ من فتحِ المدارِسِ وحرَّرَ العبيد .

غيرَ أنَّ دكتاتوريةَ بوليفار جعلَتْ أعداءَه كثيرين . وبدأتْ حركاتُ الانفصالِ في كولومبيا الكبرى ، فاستقالَ من رئاسةِ الجمهورية ومات عام ١٨٣٠ وله من العمرِ سبعٌ وأربعون سنة ، وقد أثقلَت نفسَه الخيبةُ وتألّبَ عليه الأعداء ، غيرَ أنَّ عامّةَ الناسِ في أميركا الجنوبية ما يزالون يلقبونه (إل ليبرتادور) أي (المحرّر) .



كيف بدأ السِّيرك ؟



التسليةُ واللعبُ جزءٌ من طبيعةِ الانسان . فقد وُجِدَ البهلواناتُ والمشعوذون (بمعنى الخداعِ عن طريقِ رشاقةِ الحركة) ومدرِّبو الحيوانات والمهرّجون الذين يقومون بتسليةِ الناسِ منذ بدايةِ الحضارة . ففي مصرَ القديمةِ كان هناك

مروّضون للوحوش الضارية ، وفي اليونان القديمةِ كان يُقامُ سباقٌ للعرباتِ ، وفي الصين القديمةِ ظَهَرَ البهلوانات .

غيرَ أنَّ الرومانَ هم الذين ابتدعوا الجمعَ بين أنواعِ التسليةِ هذه ، وبينَ أشكالٍ أخرى في احتفالٍ واحدٍ ، هو الذي حمَلَ اسمَ « سيرك » . والواقعُ أنَّ كلمةَ « سيرك » لاتينيةُ الأصلِ ، لها علاقةٌ بالسباقِ وليس بالحفلاتِ الاستعراضيةِ . وقد بنى الرومانُ للسباقِ حَلَباتٍ كبرى دُعِيَتْ باللاتينية « سيركوس » (وهي كلمة مأخوذة من معنى الدائرة) . وقد دُعيت أولى هذه الحَلَباتِ وأعظمُها سيركوس ماكسيموم » « الدائرة العظمى » ، وكان ذلك في القرنِ الثالثِ قبلَ الميلاد . وقد بلغت درجةُ هذه « الدائرةِ العظمى » في الرحابةِ حيث أنها كانت تتّسعُ لـ «١٥٠,٠٠٠) مئةٍ وخمسين ألف شخص .

حينَ كانَ الرومانُ يأتون إلى هذه الحلباتِ كان اجتماعُهُم يُحدِثُ ما نشهدُهُ اليومَ في ساحاتِ المهرجاناتِ وألعابِ السيرك . فقد كان باعةُ المأكولاتِ والخمرِ والسلعِ الخفيفة يتجمّعون كما يتجمَّعُ اليومَ باعةُ المشروبات الخفيفةِ والعلكِ والحلوى والألعاب . وكان الدخول إلى تلك الاحتفالات مجانياً لأنَّ الحكوماتِ كانت راغبةً في إرضار الجماهيرِ وتلهيتِها .

إلى جانبِ حفلاتِ السباقِ هذهِ كانت تجري في روما وغيرِها من المدنِ الرومانيةِ ألعابٌ بهلوانيةٌ وحركاتٌ خادعةٌ للنظرِ ، ومشاهدُ مسرحيةٍ وترويضٌ للوحوشِ ومشيٌ على الحبالِ . إضافةً إلى مشاهدِ أشخاصٍ يصارعون الدببةَ ، وآخرين يمتطون جوادَين متنقِّلَيْن من جوادٍ إلى آخر فيما الجوادان ينطلقان بأقصى سرعة ، أو يقفزون من عربةِ سباقٍ إلى أخرى .

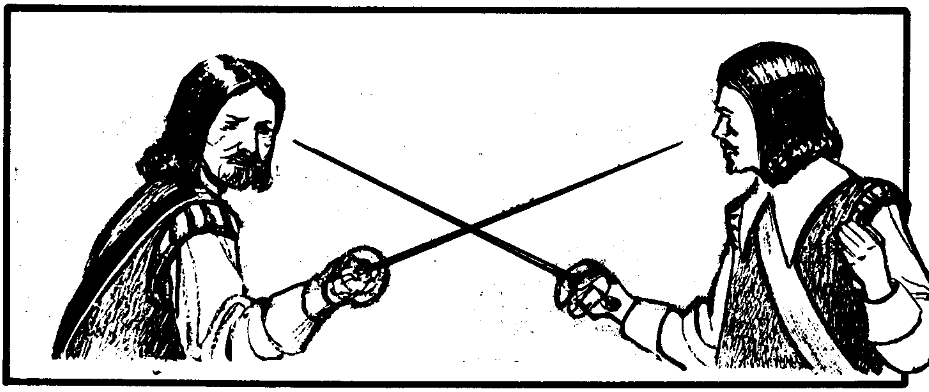
غيرَ أنَّ هذه الحلبات قد عَرُفتأشكالاً من العنفِ غريبةً حقاً ، فمصارعةُ الدببةِ لم تكنِ الوحيدةَ ، ولم تقتصرْ على المتطوّعين المُدَرَّبين ، بل كان الأسرى والعبيدُ والمسيحيون الأوائل يُدفَعُون إلى الحلبةِ لمواجهةِ أسدٍ ضارٍ أو مبارزٍ مُسلَّحٍ .

أما في أوروبا المسيحية في القرونِ الوسطى فلم تُعرَفْ أشكالُ السيركِ المنظَّم ، أقصى ما عُرِفَ في تلك المرحلةِ كان عبارةً عن شُطَّارٍ ولاعبين ومروِّضين يتنقَّلون من بلدٍ إلى بلدٍ ويؤدّون أدوارَهم بشكلٍ إفراديّ . من أوائلِ فرقِ السيركِ التي نُظِّمَتْ في أوروبا كانت فرقةٌ نظَّمَها عام ١٧٦٨ انكليزيٌّ اسمُهُ فيليب آستلي . فقد بنى مُدَرَّجاً خاصاً يحيطُ بحلبةٍ . وكان الاحتفالُ يشملُ الألعابَ البهلوانيةَ ومشاهدَ المهرّجين والمشيَ على الحبالِ وألعابَ الفروسية . بعد ذلك انتشرتْ فرقُ السيركِ وصارت أهمَّ الاحتفالاتِ ووسائلِ التسليةِ الشعبيةِ .





كيفَ بَدأتِ المبارزة ؟



إنَّ أشنَعَ رياضةٍ وُجِدَت في التاريخِ هي المبارزةُ الدمويّةُ في روما الغابرة . ولهذه الرياضةِ جذورُها في عادةٍ قديمةٍ ظهَرَتْ بين شعبِ الأنروسكان الأوروبي حيث كانوا يختارون عند تشييعِ أحدِ الموتى من الكبراء اثنين من العبيد للمبارزةِ أثناءَ التشييع. وقد أخذ الرومانُ بهذه الطريقةِ في عام ٢٦٤ ق. م. وكان القتالُ أولَ الأمرِ يقتصِرُ على المآتِمِ تحت تأثيرِ الأنروسكان ، لكنَّهُ أصبحَ بالتدريجِ متعةً رئيسيةً لأهلِ روما وصارَ يُمارَسُ في ساحاتٍ كبيرةٍ ولا سيّما « سيركوس ماكسيموم » أو « الدائرة العظمى » .

في البدءِ ، كان المتبارزانِ من العبيدِ والمحكومِ عليهم . ثم انتقَلَ ذلكَ إلى المدارِسِ فصارَتْ تُدَرِّبُ طلابَها على المبارزَةِ التي تحوَّلَتْ فيما بعد إلى لعبةٍ شائعةٍ يقومُ بها المواطنونَ طلباً للشهرةِ والحُظوة . وقد بُنِيَتْ مدرَّجَاتٌ ضخمةٌ لهذا

الغرضِ لا تزالُ أطلالُ الكثيرِ منها قائمةٌ في البلدانِ التي كانت خاضعةً لحكمِ الرومان ، كمدرج بصرى في جنوب سوريا مثلاً .

يبدأُ المشهدُ باستعراضِ المتبارزين الذين غالباً ما يرتدون دروعاً برّاقةً من الذهبِ أو الفضةِ . وبعد العرضِ يبدأُ نزالٌ بأسلحةٍ من الخشبِ لإثارةِ شهوةِ القتالِ عندَ المتبارزين . ثم يعلِنُ الحَكَمُ إشارَتَهُ فيرمي المتبارزونَ أسلحتَهُم الكاذبةَ ويأخذون الحقيقيةَ ، وتبدأُ المعركةُ الدامية . وكانوا يستخدمون في المبارزةِ شتّى الأسلحةِ ويتقاتلون أزواجاً ، وعندما يسقُطُ أحدُهُم يتقرَّرُ مصيرُهُ من قِبَلِ المتفرّجين ، فإذا أرادوا إبقاءَه حيّاً لوَّحوا بمناديلِهِم وإذا أرادوا العكسَ أشاروا بإبهاهِم إلى الأسفلِ ، وعندئذٍ يُجهِزُ عليه خصمُهُ نهائياً .

وقد تفاقَمَ شَبَقُ الرومانِ إلى الدمِ فلم يكتفوا بذلك وإنَّما ابتكروا مشاهدَ جديدةً تكونُ فيها المبارزةُ مع الأسودِ والنمورِ وغيرِهما من الضواري .

حاوَلَ بعضُ العُقَلاءِ إيقاف هذه الرياضةِ الدموية لكنها بقيَتْ حتى عام ٥٠٠ للميلاد حين ألغاها الأمبراطور ثيودوريك . غيرَ أنها في الحقيقةِ لم تتوقَّفْ وقد استمرَّتْ في أوروبا حتى القرنِ الثامنَ عشرَ وكان من ضحاياها الشاعرُ الروسي الكبير بوشكين .

متى بدأ مسرحُ الدُّمى ؟



هناكَ أنواعٌ عديدةٌ من الدّمى المسرحية . فهناك الدُّمى التي تُدخَلُ فيها اليدُ وتُحرَّكُ بالأصابعِ ، والدّمى التي تُركَّزُ على العيدان ، وهناكَ خيالُ الظلِّ ثم « الماريونيت » وهي دمى تُعلَّقُ بخيوطٍ تُشَدُّ من أعلى وتُحرَّك .

الدّمى المتحرّكَةُ قديمةٌ قِدَمَ المسرح نفسِه . ولعلَّ أقدمَها قد عُرِفَ في الهندِ أو مصرَ الفرعونية . على أيةِ حالٍ هناك آثارٌ تدلُّ على وجودِ مسرحِ الدُّمى في هذين البلدين منذ آلافِ السنين . وقد لقِيَ مسرحُ الدُّمى في الشرقِ الأقصى ، في الصينِ واليابان وجاوا ازدهاراً عظيماً وما يزالُ حتى الآن مسرحُ الدُّمى الصينيةِ واليابانية من أهمِّ التقاليدِ المستمرّة . وقد ارتبطت نشأةُ هذا الفنّ بالرغبةِ في تمثيلِ الأبطالِ والآلهةِ والكائناتِ الأسطوريةِ وما أُحيكَ حولَها من قصصٍ وأساطير .

وقد تطوَّرَ ، انطلاقاً من مسرحِ الدُّمى ، شكلٌ آخرُ هو « خيالُ الظلِّ » . وقوامُ هذا المسرحِ دُمى تُرسَمُ على قطعٍ من الجلدِ المشدودِ بحيث يصبحُ شبهَ

شفّافٍ ثم تُقَصُّ الدّمى وتُعَلَّقُ على عصيٍّ وتُحَرَّكُ وراءَ شاشةٍ بيضاء يسقطُ عليها النورُ من فانوسٍ وراءَ الدمى . هكذا يشاهدُ الجمهورُ ظلَّ الدمى وهو يتحرَّكُ على الشاشة . وقد انتقلَ هذا الشكلُ المسرحيُّ إلى البلدانِ العربيةِ في القرنِ العاشر الميلادي وعرفَ ازدهاراً على يد « شمس الدين بن دانيال » الذي أَلَّفَ عدداً من المسرحياتِ لهذا الشكلِ المسرحي . وكانت المسرحية تُعرَفُ باسم « بابة » وجمعُها « بابات » . وقد لعبت هذه البابات دوراً في التعبيرِ عن رأي الناسِ وانتقادِ الحكّام بشكلٍ ساخرٍ . أما أبطالُها فلم يكونوا أسطوريين بل نماذج شعبيةٍ . وقد ظلَّ هذا الشكلُ من المسرحِ حيّاً في بعضِ المدنِ العربيةِ كدمشق وحلب والقاهرة حتى عشرينات هذا القرن . وما يزالُ الناسُ يذكرون البطلين الشهيرين اللذين يمثّلان القصصَ كلَّها ، وهما « كراكوز » و« عيواظ » . وعرف هذا المسرح في مصر باسم « مسرح « الأراجوز » .

أما مسرحُ الدُّمى الأوروبيُّ المعروفُ باسم « ماريونيت » والذي تُحرَّكُ فيه الدُّمى بواسطةِ الخيوطِ فقد أخذَ اسمَه من إيطاليا . ذلك أن احتفالاتِ ميلادِ المسيحِ كانت تتضمَّنُ تمثيلَ ولادةِ المسيحِ في مغارةِ بيتَ لحمَ ، وذلكَ بصنعِ دمى تمثِّلُ المسيحَ وأُمَّهُ السيّدة مريم ثم الرعاةَ والملوكَ المجوسَ . الدميةُ التي كانت تمثِّلُ السيدة مريم هي التي كانت تُحرَّكُ بواسطةِ الخيوطِ وباسمِها سُمِّيَتِ الدُّمى كلُّها . فكلمةُ « ماريونيت » تعني بالإيطالية « ماري الصغيرة » أو « مريم الصغيرة » ، وصار مسرحُ الدمى بكامِلِه يُعرفُ في أوروبا « بالماريونيت » .

وبلغَتْ أهميّةُ مسرحِ الدُّمى حدّاً جعلت موسيقيين كباراً كموزار وهايدن وغلوك يؤلّفون أوبراتٍ خاصةً بالدُّمى .

ولمسرحِ الدمى الأوروبي أبطالُهُ الذين يحمِلون في كلِّ بلدٍ اسماً ، فبنسُ

الانكليزي يصبحُ بَنْشنيللو الإيطالي وبوليشينيل الفرنسي ، ومسرحُ الدمى يتيحُ حرّيّةً كبيرةً في التّعبيرِ عن الأفكارِ وتقديمِ الشخصياتِ مهما كانت خياليةً ، فيه يمكنُ إدخالُ الحيواناتِ والكائناتِ الغريبة أو الأسطورية ، ويمكنُ التلاعبُ بالأشكالِ والمقاييس . فهناك دمى طولها (١٨ سم) ودمى طولها (٩٠ سم) و(١٢٠ سم) .





مَتى بَدَأَت الألعابُ الأولمبيّة ؟



بدأتِ الألعابُ الأولمبيةُ منذ (٢٥٠٠) سنة . وتروي الأساطيرُ الإغريقية أن الذي بدأ هذه الألعابَ هو « هرقل » ابن « زيوس » ربِّ الأربابِ في المعتقداتِ الوثنيةِ اليونانية . أوّلُ خبرٍ مُدَوَّنٍ عن هذه الألعابِ يرقى إلى سنة (٧٧٦) قبل الميلاد ، وقد أُقيمت آنذاك في سهلِ أولمبيا . كانت هذه الألعابُ تُقامُ كلَّ أربعِ سنواتٍ وظلّت مستمرةً طوالَ ألف سنةٍ حتى أفسدَها الرومان وتوقفت سنة ٣٩٤ ميلادية .

كانت هذه الألعابُ تجسيداً للمثلِ الأعلى اليوناني الذي يقولُ بضرورةِ تنميةِ الجسمِ والعقلِ بالتساوي . ولم يكُنْ يُسْمَحُ لأي شيءٍ بأن يعيقَ إقامةَ هذه الألعاب ، فإذا صادفَ قيامُ حربٍ في موعدِ الدورةِ كانت الحربُ تتوقَّفُ .

بعد توقُّفِ الألعابِ الأولمبيةِ بألفٍ وخمسمئةِ سنةٍ قام رجلٌ فرنسيٌّ يُدعى البارون « بيار دو كوبرتان » عمَل على إحياءِ هذه الألعاب . فقد دعا إلى مؤتمرٍ عُقِدَ في باريس عام ١٨٩٤ حضرَهُ ممثلون عن خمس عشرة دولةً . واتَّفَقَ المؤتمرون بالإجماع على إحياءِ الألعابِ الأولمبيةِ وإقامةِ دوراتِها كلَّ أربعِ سنواتٍ . وبعد مضي سنتين أي عام ١٨٩٦ أُقيمت الدورةُ الأولى في أثينا عاصمةِ اليونان وفي الملعبِ الاغريقي القديمِ الذي أُعيدَ ترميمُهُ .

تتولى تنظيمَ الألعابِ الأولمبيةِ الحديثةِ هيئةٌ عالميةٌ ، كما أنَّ كلَّ دولةٍ لها لجنتُها الأولمبيةُ الخاصةُ التي تشرِفُ على اشتراكِها في هذه الألعاب .

هل الألعاب الأولمبية الحديثة مثل القديمة ؟



كلَّا ! فهناكَ اختلافاتٌ عديدةٌ على الرغمِ من أنَّ الحديثةَ اقْتَدَتْ بالقديمةِ التي كانت في اليونان .

إنَّ الألعابَ لا تزالُ تُقامُ كلَّ أربعِ سنواتٍ كما كانت في زمنِ اليونانِ . وفي تلكَ الأيامِ كانتِ الحروبُ تتوقَّفُ لتُقامَ الألعابُ . أما في هذه الأيامِ فإنَّ الحروبَ لها الكلمةُ الأولى ، فقد أُلغِيَت الألعابُ الأولمبيةُ حين صادَفَ موعدُها في ١٩١٦ ، و١٩٤٠ و١٩٤٤ وهي من سنواتِ الحربِ العالميةِ الأولى والثانية .

وكانتِ الأولمبياتُ الأصليةُ تُقامُ في أولمبيا باليونان أما الحديثةُ فتقامُ كلُّ دورةٍ منها في إحدى مدنِ العالمِ وعواصمه الكبرى. وكانت القديمةُ مقصورةً على المواطنين الاغريقِ واللاعبين من بلدانِ البحرِ المتوسط ، أما الحديثةُ فيتبارى فيها لاعبو الأمم كلّها .هناك إختلاف هامٌّ آخرٌ وهو أنَّ المرأةَ تحتلُّ في الألعابِ الحديثةِ مكانةً مرموقةً وتحصلُ الفائزاتُ على تكريمٍ ومكافآتٍ مساويةٍ لمكافآتِ الفائزين . وفي الأولمبياتِ القديمةِ كان هناك مكانٌ للأعمالِ الثقافيةِ إلى جانِبِ الألعاب ، أما الحديثةُ فتقتصرُ على الرياضة . وفي الحديثةِ مبارَيَاتٌ لم تكنْ معروفةً من قبلُ وهي سباقُ الدرّاجاتِ والزوارق واليخوتِ وكرةِ القدمِ وكرةِ السلّةِ والجودو والر ي بالبنادق وكرةِ الماء . ومن الوقائعِ الأكثرِ شهرةً في الحديثةِ سباقُ الماراتون حيث يعدو العدّاؤُنَ مسافةَ ٢٦ ميلاً في امتحانٍ صعبٍ للمثابرةِ على الركض . وهذا السباقُ لم يكنْ داخلاً في الألعابِ الأولمبية القديمة رغم أن أصلَه من اليونان . مع ملاحظةِ أنَّ رميَ البنادق كان معروفاَ في العصورِ الاسلاميةِ ، ولكنَّ العتاد كان من البندقِ وما يشبهُهُ . والفرقُ هنا ليس في البندقية وانّما في العتاد .

وأخيراً هناك تطوُّرٌ أُحدِثَ في الألعابِ المعاصرةِ وهي ألعابُ الشتاءِ التي تجري في شتاءِ العامِ الذي تنعقدُ فيه الدورةُ الأولمبيةُ . وقد بدأَتْ عام ١٩٢٤ وتشتملُ على هوكي الجليد والرمي وأشكالِ التزحلقِ التي تتألّفُ من : التزلّجِ العادي، التزحلُقِ (مع العكازتين) ، التزحلق بالقفز ، والتزحلقُ السريعُ . ولم يكن إجراءُ هذه المباريات ممكناً في مناخِ اليونانِ الحار . . .

كيف بدأت كرة القدم ؟

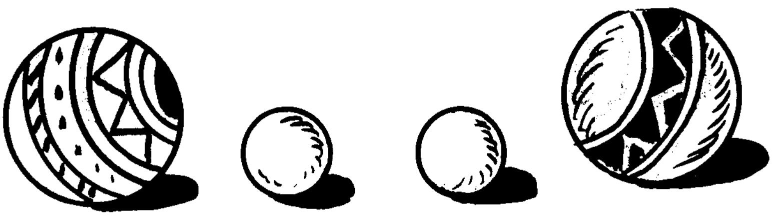
لعبةُ كرمِ القدم كما نعرفُها اليوم اختُرِعت في انكلترة مصادفةً ، في يومٍ من أيام ١٨٢٣ . حتى ذلك الحين كانت لعبةُ الكرةِ التي يلعبُها الانكليز تقومُ على ضربِ الكرةِ بالقدم بحركةٍ تشبهُ ضربَ كرةِ القدمِ اليوم وإن كانت قوانينُها مختلفة . في ذلك اليوم كان أحدُ اللاّعبين يُدعى وليمَ وِب لّيس ، وكان من طلبةِ كليةِ « رُجْبي » .

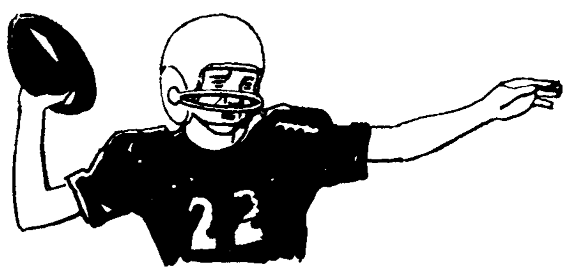
وفي منتصفِ اللعبةِ أمسكَ « إلّيس » بالكرةِ وركضَ بدلاً من أن يركلَها بقدمِهِ . وقد جرَّاختراقُ قانونِ اللعبةِ على « إلّيس » انتقاداتٍ كثيرةٍ ، واضطُرَّ قائدُ الفريقِ إلى الاعتذارِ من قائدِ الفريقِ المقابل . غيرَ أنَّ تلك الحركةَ غيرَ القانونيةِ كانت بدايةَ لعبةٍ جديدةٍ ؛ لأنَّ المجادلاتِ وردودَ الفعلِ جعلتِ اللعبة القديمة تتطوَّرُ لتصبحَ لعبةَ كرةِ القدمِ الحديثة .

أما طريقةُ « إلّيس » فقد نَحَتْ نحواً مختلِفاً وتحوَّلَتْ إلى لعبةِ « الرجبي » الانكليزيةِ نسبةً إلى الكليةِ التي كان « إليس » ينتمي إليها .

وهكذا فإنَّ عمرَ كرةِ القدمِ حديثٌ نسبياً . ومع أنها واسعةُ الانتشارِ اليوم في الولاياتِ المتحدةِ مثلاً فلا يتجاوزُ عمرُها المئةَ سنةٍ . وقد بدأت على وجهِ التحديد في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٦٩ في نيو برنشفيج بولاية نيو جرسي ، بين فريقين يمثّلان جامعتَيْ « برنستون » و« روتجرز » . انتشرتِ اللعبةُ في البدايةِ بين الجامعاتِ القديمةِ كجامعةِ بيل وهارفارد وكولومبيا .

والطّريفُ أنَّ لعبةَ « كرةِ القدم وُجدت منذ أيام الاسبارطيين والرومان . وكانت الغايةُ من هذه اللعبةِ تقويةُ استعدادِ الجنودِ لفنونِ القتال ! ولمّا غزا الرومانُ انكلترا حملوا اللعبةَ معهم . وهناك تطوَّرت تدريجياً حتى صارت شعبيّةً جداً ، مما دفعَ بالملكِ ريتشارد الثاني أن يمنَعَها لأنَّ اللاعبين كانوا يصرفون وقتاً طويلاً في لعبِها أكثرَ مما يصرفون وقتاً في التدرّبِ على الرمايةِ ! .





مَن هُو ليوناردو دافنشي ؟



أحدُ الأفذاذ الذين عَرَفَتْهُمُ الدنيا وارتبطت بأسمائِهم منجزاتٌ لا تُهيَّأُ إلا للقلائِلِ .

عاشَ ليوناردو من ١٤٥٢ إلى ١٥١٩ وكان رسَّاماً بارزاً ونحاتاً بارزاً ومعمارياً بارزاً . وقد صمَّمَ جسوراً وطرقاً بريةً وأسلحةً وأزياءَ وأدواتٍ علميةً ، واخترعَ « غرفة الغوص » والدّراجة والدّبّابة وصمَّم الآلات الطائرة . على الرغمِ من أن هذه التصاميمَ والمخترعاتِ لم يكُنْ يمكنُ بناؤها في ذلك الوقت . كما حقَّقَ اكتشافاتٍ هامّةً في دراسةِ جسمِ الإنسان .

مارَسَ ليوناردو العلمَ والفنّ بطريقةٍ منهجيةٍ واحدةٍ : دراسةُ المشكلةِ ثم وضعُ

تخطيطاتٍ للاستعانةِ بها على إيجادِ الحل . وكان لا يرى فرقاً بين تخطيطِ آلةٍ وتخطيطِ رسمٍ .

حينَ بَلَغَ ليوناردو العشرين صار رئيساً لطائفةِ الرّسّامين . وكان لأعمالِهِ تأثيرٌ بليغٌ في الرسامين الآخرين نظراً لميلِهِ الشديدِ إلى التجديد . ومن مبتكراتِهِ في الرسم أسلوب « النور والظل » الذي يعتمدُ على طباقِ النورِ والظلمةِ في اللوحةِ . ومن أعمالِهِ العظيمةِ « العشاءُ الأخير » الذي رَسَمَه في ميلانو . وهو من فرائدِ الفنِّ غيرَ أنّه لم يكُنْ ناجحاً تماماً لأنَّ الفنّانَ الكبيرَ اشتغلَ فيه ببطءٍ وَرسَمه بالزيتِ على حائطٍ رطبٍ . وقد أخذتِ اللوحةُ فيما بعدُ بالتقشُّرِ وانتهت إلى التلفِ تماماً . ومن المرجّحِ انه رسَمَ في فلورنسا اللوحةَ الشهيرةَ « موناليزا » .

عُنِيَ ليوناردو أيضاً بدراسةِ جسمِ الانسان وشرَّحَ عدداً من الجثثِ حتى يعرفَ كيفيةَ اتصالِ الأعضاءِ ببعضِها ، كما قامَ باكتشافاتٍ كثيرةٍ حولَ نموِّ النبّات

إنَّ ليوناردو دافنشي يشكِّلُ إحدى نقاطِ الانتقالِ الحاسمةِ إلى العصر الحديث . وقد انطلَقَ من الحركةِ النشيطةِ التي أحدَثَتْها الثقافةُ العربيّةُ في أوروبا طوالَ القرنينِ السابقين عليه . وكان هو على معرفةٍ كافيةٍ بتلكَ الثقافةِ وتأثيراتِها المحفزة في أوروبا ، وله دراسة طريفةٌ عن أصلِ الكاميرا أرجَعَهُ فيها إلى الطريقةِ التي كان الفلكيون العرب يرصدون بها الشمس .

مَن هو كالفِن ؟

من زعماءِ حركةِ الإصلاحِ الديني التي اكتسحَتْ أوروبا في القرنِ السادسَ عشر وقسَمَتِ العالَمَ الأوروبي - المسيحي إلى كاثوليك وبروتستانت .

وُلِدَ جون كالفن بفرنسا في ١٠ تموز ١٥٠٩ . وبعد دراسةِ اللاتينيةِ والفلسفةِ والمنطقِ انقلَبَ بروتستانتياً . وقد اضطرّهُ ذلك إلى مغادرةِ فرنسا قاصداً جنيف عام ١٥٣٦ حيثُ عاش بقيةَ حياتِهِ الأخيرة بطريقة صارمة وجسورة . وقد نَجَحَ كالفن في فرضِ تعالمِهِ على المدنيةِ السويسريةِ وأخضعَها لحكمِ الكنيسة التي شرَّعَتْ قوانينَها وتحكَّمَتْ في كلِّ جزءٍ من حياتِها اليومية. وكانت قوانينُ كالفن صارمةً جداً ، فقد فرَضَ على أهل جنيف أن يكونوا أشداء ، جديين ، كدودين ، وحرَّمَ الغناءَ والرقصَ عدا التراتيل ، وفرضَ عقوباتٍ قاسيةً جداً على أبسطِ المُخالفات .

وكان جون كالفن صارماً في نظرتِهِ إلى الانسانِ ، يعتقدُ أنَّه آثمٌ وأنَّ خلاصَه رهنٌ باللطفِ الإلهي . لكن هذا اللطفَ لن يناله إلا القليلَ وهم « النخبةُ » الذين يختارُهُم الله بناءً على إرادةٍ سابقةٍ حدَّدَ فيها أسماءهم . وهذه هي عقيدته في القضاءِ والقدر .

تُوفّيَ كالفِن في ٢٧ أيار ١٥٦٤ ، وقد انتشرت أفكارُهُ من بعدِهِ في كثيرٍ من أنحاءِ أوروبا الغربية . ومن أتباعِهِ (البوريتان) أو الطهريون الانكليز وهم من المللِ المتزمِّتة التي ظَهَرَتْ بعدَهُ مباشرةً ، وانتقلت إلى أمريكا (الولايات المتحدة) وعرفت بتعصُّبِها . وهنا في الحاضرِ كنائسُ اصلاحيةٍ تقومُ على تعاليمِهِ منها الكنيسةُ

المسمّاةُ بالمشيخانية وهي ملةٌ بروتستانتيةٌ تديرُها هيئةٌ من مشايخِ رجالِ الدين لهم هيمنةٌ تامةٌ على شؤونِ الملّةِ .



ما هي الفاشية ؟

أُطلِقَ هذا الاسمُ على حركةٍ سياسيةٍ أسَّسها بنيتو موسوليني في إيطاليا عام ١٩١٩ واستطاعت الاستيلاءَ على الحكمِ عام ١٩٢٢ وإقامة « دكتاتورية الحزبِ الواحدِ والفردِ الأوحدِ » التي استمرّت حتى ١٩٤٣ .

وقد ظهَرَتْ حكوماتٌ مشابِهةٌ أخرى استَنْسَخَتْ طريقةَ موسوليني مثل الحكومةِ النازيّةِ التي أقامَها « هتلر » في المانيا وحكومةِ « فرانكو » في اسبانيا و« سالازار » في البرتغال .

إن الفاشيين يكرهون الديمقراطية ويعتقدونَ أنَّه لا يجوزُ اعطاءُ حقِّ انتخابِ الحكومةِ للناسِ العاديين ، وان الضعيفَ يجبُ أن يخضعَ للقوي . وفي الفاشيةِ لا يوجدُ حزبٌ سياسيٌّ وإنما حزبٌ فاشيٌّ فقط . ولا يعبأُ الفاشيون بالعدلِ أو حقوقِ الانسان . ورغمَ وجودِ محاكمَ ومؤسساتِ أمنٍ وشرطةٍ فإنها ليست موجَّهةً لحمايةِ المواطنين بل لحمايةِ السلطةِ الفاشيةِ نفسِها . وليس للحريةِ مكانٌ عند الفاشيين ، فالشعبُ مُرغَمٌ على العملِ وفقَ ما تريدُهُ الدولةُ التي يحكمونها هم . والمدارِسُ تعلِّمُ تلاميذَها قواعدَ السمعِ والطاعةِ وليس إلقاءَ الأسئلة. ويسيطرُ الحزبُ الفاشيُّ على الصحفِ والكتبِ والاذاعةِ ويحدِّدُ للصحفيين والكتّابِ ما يقولون ويكتبون ولا يسمحُ لأيِّ شخصٍ أن يكذبَ أو يقولَ أيَّ شيءٍ معارضٍ لخطِّ الحكومةِ .

والفاشيّونَ دعاةُ حربٍ لا سلمٍ وهم يَسْعَوْن لأن تكونَ الأمةَ قويةً وموحَّدَةً بصرفِ النظرِ عن الاختلافاتِ الشديدةِ بين طبقاتِها المالكةِ والمحرومةِ ، وذلك حتى

تكونَ قادرةً على إثارةِ الحروب . والأُمَّهُ القُدوةُ عندهم هي التي تخيفُ الآخرين وتهدِّدُهم دائماً .

انهزمت الفاشيةُ في الحربِ العالميةِ الثانيةِ ، وسقطت حكومتا إيطاليا والمانيا . وبقيت حكومتا اسبانيا والبرتغال حتى سقطتا في السبعينات .



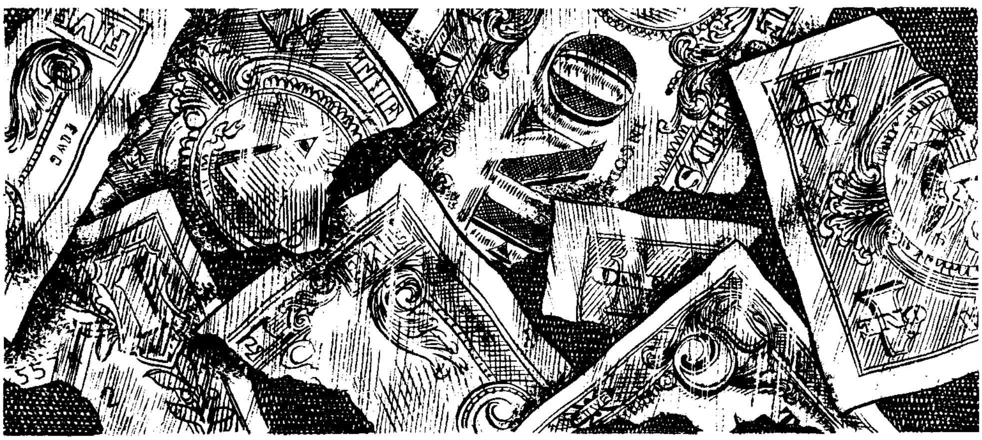
ماهي الرأسمالية ؟

الرأسمالية نظامٌ اقتصاديٌّ يمتلكُ فيه الأفرادُ معظمَ الصناعةِ والتجارةِ في البلادِ ، مقابلَ الاشتراكيةِ التي تمتلكُ الدولةُ فيها كلَّ ذلك . والرأسماليُّ هوشخصٌ يستغلُّ ثروتَهُ الخاصّةَ (أونقودَ الآخرين) لانتاجِ ثروةٍ أكبر ، بواسطةِ الأرباحِ التي يحصِّلُها من أعمالِهِ . وهناكَ طرفان رئيسيان في الاقتصادِ الرأسمالي ، أوَّلُهما المنتجُ ، صناعياً أوزراعياً ، وثانيهما التاجرُ أو« الموزِّع » الذي يوصِلُ المنتوجَ إلى الناس .وهناكَ طرفٌ ثالثٌ مكمِّلٌ لهما هم المموِّلون أو المستثمرون الذين يُقرضون أموالهم للرأسماليين على أملِ زيادتِها بالفائدةِ . والطرفُ الذي ينطبقُ عليه وصفُ الرأسمالي تماماً بحسبِ علمِ الاقتصادِ هو الصناعيُّ وهو محورُ المجتمعِ الرأسمالي .

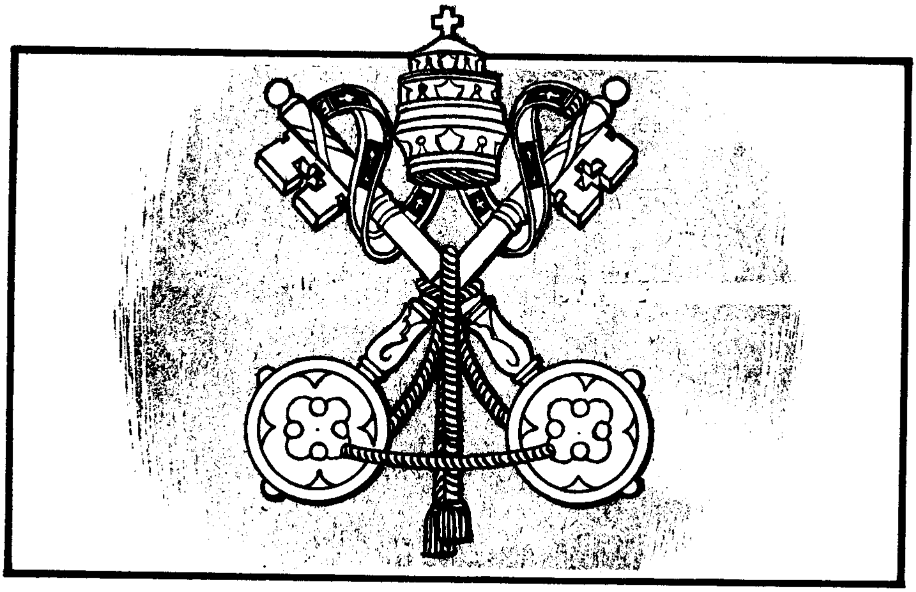
إنَّ غايةَ الرأسمالي هي الربحُ كائناً ما كان شغلُهُ . وهوَ يستعملُ لذلك أيّة وسيلةٍ ممكنةٍ . غيرَ أنه مُقَيَّدٌ بالمنافسةِ مع الرأسماليين الآخرين ، لأنَّه قد يخسَرُ ويُفلِسُ إذا أنتجَ أشياءَ رديئةً أوباعَ بسعرٍ أغلى . على أنَّ المنافَسَةَ ضَعُفَتْ في الوقتِ الحاضرِ بعد أنتمركزت المؤسساتُ الرأسماليةُ وتَضَخَّمَتْ وتضاءَلَ تبعاً لذلك قطاعُ المُنتِجين الصغارِ ممّا مكَّنَ الرأسماليَّ أن يُحقِّقَ شكلاً من الاحتكارِ يضمَنُ لهُ التحكُّمَ في السوق .

في الوقتِ الحاضرِ اضطُرّتِ الدُّولُ الرأسماليةُ إلى امتلاكِ بعضِ الأشغالِ والإشرافِ على بعضِها الآخر . وذلك بالنظرِ للأضرارِ الاجتماعيةِ الناجمةِ من بقاء هذه المرافِقِ في أيدي الرأسماليين . ومن هذه مؤسساتُ البريدِ والكهرباءِ

والمُواصَلاتِ وجرِّ الماءِ وتوزيعِ الغازِ والسكك والنقلِ الجوّي والتلفزيون والإذاعة . ويتراوحُ دورُ الدولةِ فيها بين امتلاكِها أو الإشرافِ عليها . ويلاحَظُ أن معظمَ هذه المرافِقِ في الولايات المتحدة يمتلكُها الأفراد ، أما في فرنسا وبريطانيا فإنّ قسماً منها تمتلكُهُ الدولةُ .



مَاذا تعَرفُ عَنالمدينة الدَولة؟



تشغَلُ مدينةُ الفاتيكان ١٠٧,٧ فدادين حوالى نصف كيلومتر مربع داخلَ مدينةِ روما . وتحدُّها من الركنِ الجنوبي الشرقي كنيسةُ القديس بطرس بمساحتها الكبرى ، وتحدُّها من بقيةِ الجهاتِ الجدرانُ الأثريّةُ لقصرِ الفاتيكانِ وحدائقُهُ .

سلطانُ هذه الرقعة هو البابا ، وهو رأسُ الكنيسةِ الكاثوليكية ، لكنّه في الوقت نفسه حاكمٌ زمنيٌّ لحوالى ألفِ شخصٍ هم سكّانُ دولةِ الفاتيكان . وهؤلاء هم العاملون في تمشيَةِ مرافقِها المختلفةِ .

أُسِّسَتْ دولة الفاتيكان عام ١٩٢٩ بموجبِ معاهدةِ لاتيران التي اعترفت فيها

ايطاليا باستقلالِ الفاتيكان كما تحدَّدَ بها مركزُ الفاتيكانِ الدولي كدولةٍ ذاتِ سيادةٍ . وصارُ العلَمُ البابويُّ (المُكَوَّنُ من لونين أصفرَ وأبيضَ ومفتاحين متقاطعين مع التاجِ البابوي) ، أحدُ الأعلامِ الوطنيةِ المعتَرَفِ بها في العالم . وللفاتيكانِ سفاراتٌ في كثيرٍ من أنحاءِ العالم ويُسمّى السفيرُ البابوي (القاصدَ الرسولي) .

ولمدينةِ الفاتيكان عملةٌ وطوابعُ خاصَّةٌ بها ولهاأرقاماً خاصة للسياراتِ وفيها مركزُ بريدٍ ومصرفٌ وإذاعةٌ وجريدةٌ يوميّةٌ . ولها أيضاً جيشُها المسمّى بالحرسِ السويسري لأنَّ أفرادَهُ وعددهُم مئة ، كلُّهم من سويسرا . ويلبسُ الجنودُ البابويون نفسَ البزةِ الملوَّنَةِ التي كان يلبسُها أسلافهُم منذ القرنِ السادسِ عشر . وهناك أخيراً شرطةُ الفاتيكان الذين يشرِفُونَ على السيرِ والتجمرِ داخِلَ المدينة .



مـا هي الكاتِدرائية ؟

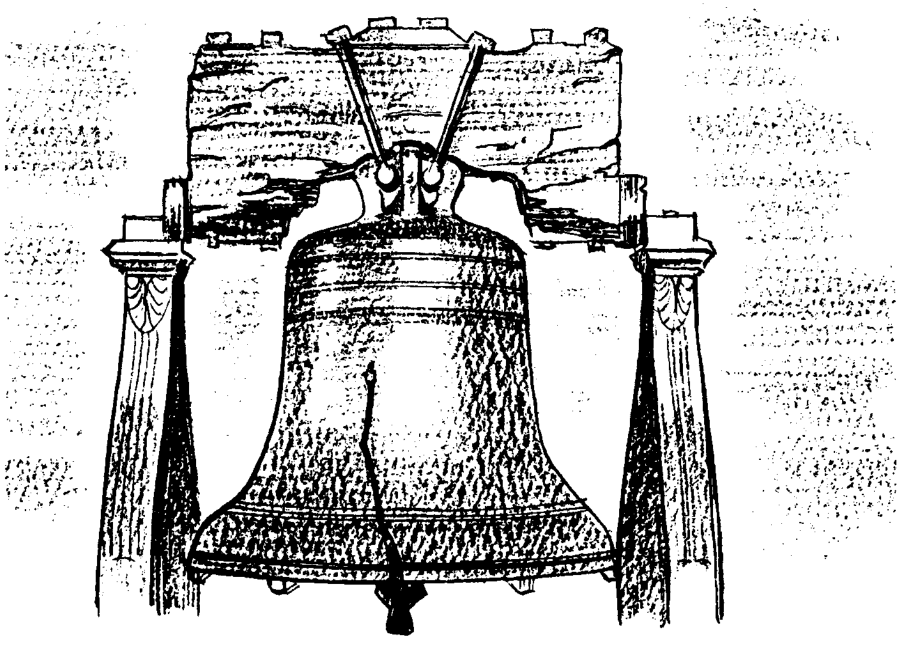
كانت أوروبا الغربيةُ في العصورِ الوُسطى كلها من الرومان الكاثوليك . وكان لكلِّ محلةٍ كنيستُها الخاصة . وتنضوي كلُّ مجموعة من الكنائِس تحت أبرشيةٍ يتولّاها أسقفٌ يكونُ مقرُّهُ في أكبرِ كنائسِ الأبرشيةِ . وكانت هذه الكنيسةُ تسمّى « الكنيسة الكاتدرائية » . وقد اختُصِرَ هذا التعبيرُ بعدَ ذلك إلى «كاتدرائية» على طريقةِ الصفة التي حُذِفَ موصوفُها فصارَتْ لها دلالةٌ مستقلّةٌ عن الموصوفِ . وتتألَّفُ معظمُ كاتدرائياتِ أوروبا من أرضيّةٍ على شكلِ صليبٍ يشغَلُ ضلعَه الأطولُ صحنُ الكنيسةِ المخصّصُ للمصلّين . ويشكِّلُ ذراعاهجناحَيْالكنيسةِ ، أما الجزءُ الرابعُ فيؤلّفُ ما يسمّى «بالأبْس»وهو جزءٌ نِصفُ دائريٍّ ناتىءٍ من البناء ويُخصَّصُ هذا الجزءُ للمذبحِ والمنشدين . وتلتقي الأجزاءُ الأربعةُ في نقطةِ التقاطِعِ التي تقومُ فوقَها في الغالبِ أبراجُ الكاتدرائيَّةِ أو قبابُها .

بُنيتِ الكاتدرائياتُ وفقَ أساليبَ معماريةٍ متنوّعةٍ أكثرُها شيوعاً الأسلوبُ البيزنطيُّ والرومانيُّ والقوطيُّ وأسلوبُ عصرِ النهضةِ . ومن المباني الشهيرةِ ذاتِ الطرازِ القوطي كاتدرائيةُ نوتردام في باريسَ التي تمثِّلُ طرازَ القرنين الثاني عشر والثالثَ عشر ، وكاتدرائيةُ القديسِ يوحنا اللاهوتي في نيويورك ، والتي بُنيت في القرنين التاسع عشر والعشرين . غيرَ أنَّها ليست كنيسةً كاثوليكيةً وانما أُسقفيةٌ تابعةٌ للبروتستانت الذين لم يأْلَفوا بناءَ الكاتدرائيات .

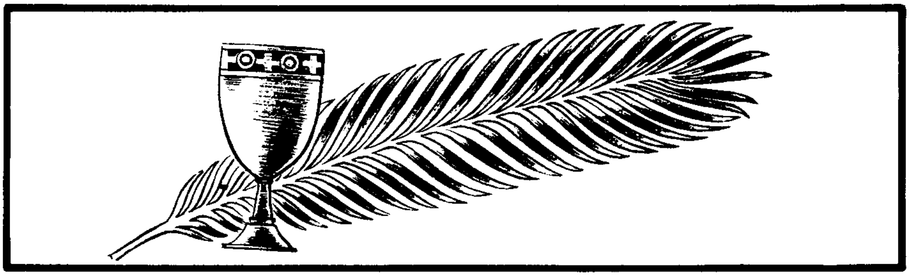
من الكاتدرائياتِ الشهيرةِ أيضاً كنيسةُ القديسِ بطرسَ في الفاتيكان . وهي لا تؤدّي وظيفةَ الكاتدرائيةِ لأنَّها ليست مقرّاً لأسقفٍ ، لكنها على أيةِ حالٍ مثالٌ بارزٌ

على أبنيةِ عصرِ النهضة . وقد صمَّمَ قبّتَتها الشهيرةَ التي تُعرف بقبَّةِ السِكستين ميكيل أنجلو ، الفنّانُ العظيم ، وهي من الفرائدِ في حدّ ذاتِها .

وتقومُ الكاتدرائياتُ في البلدانِ الأوروبيةِ العريقةِ كإيطاليا وفرنسا شاهداً على روعةِ الفنِّ وجلالِ البناءِ وشموخه وهي تتمشّى في هذا المستوى الهائل مع المنشآت الاسلاميةِ التي تضجُّ بها مدينةُ اسطنبول ، العاصمةُ الأخيرةُ للخلافةِ الاسلاميةِ ، كما تذكّرنا في نفسِ الوقت بالعتبات الفخمةِ في كلٍّ من إيران والعراق .



ما هو الفِصح ؟

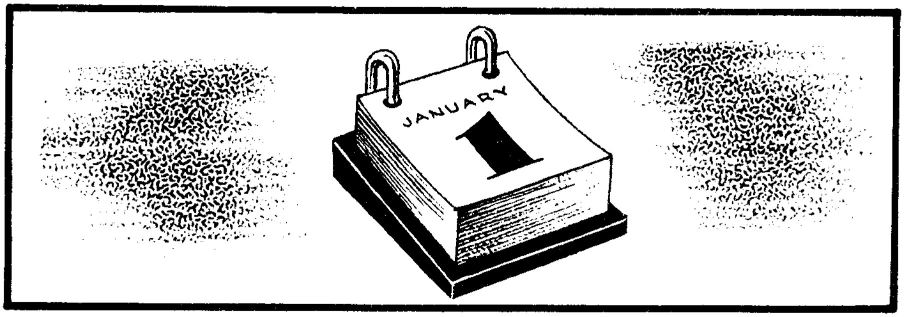


الفصحُ هو عيدُ قيامةِ المسيحِ وهو أهمُّ عيدٍ في التقويمِ المسيحي . وليس لهذا العيدِ تاريخٌ واحدٌ في كلِّ سنةٍ لأنَّه يحلُّ يومَ الأحدِ الأوَّلِ الذي يلي ليلةَ البدرِ التي تقعُ بعدَ ٢١ آذار : يَومَ الاعتدالِ الربيعي (الذي يتساوى فيه الليلُ والنهار) . ولذلك يتراوحُ حلولُ يومِ الفصحِ بين ٢٢ آذار و٢٥ نيسان . وقد تقرَّرَ الاحتفالُ بهذا اليومِ من قِبلِ المجمعِ المسكوني عام ٣٢٥ م .

يسبقُ يومَ الفصحِ « الصومُ الكبير » الذي يستمرُّ أربعين يوماً تبدأُ من أربعاء الرمادِ وتنتهي بسبت النورِ ، اليوم السابق للفصح . ويستذكر المسيحيون بهذا الصومِ أربعين يوماً صامَها المسيح في البادية . وفي الأسبوع الأخيرِ الفاصلِ بين أحد الشعانين وأحد القيامة (الفصح) والمسمَّى أُسبوعَ الآلام تُقامُ شعائرُ كنسيةٌ لإحياءِ الأيَّامِ الأخيرةِ من حياةِ المسيحِ على الأرض وهي أحد الشعانين دخول المسيحِ إلى بيتِ المقدس ، وخميس الغسل ، وهو يوم العشاء الأخير والجمعة العظيمة وهي يوم الصلب ، والأحد وهو يوم قيامته .

هناكَ عدةُ تقاليدَ تدورُ حول الفصحِ منها صلاة الفجر في أحدِ القيامة وتقابل الهجمة عند الطوائف الشرقية ، والتي يمكن إرجاعُها إلى احتفالاتِ الربيعِ المُكَرَّسةِ للشمسِ عند الوثنيين . وارتداءُ الملابسِ الجديدةِ في يوم الفصح رمزاً للحياةِ الجديدةِ . وقد جاءت هذه العادةُ من شعائرِ التعميدِ عند المسيحيين الأوائلِ الذين كانوا يُقادون إلى الكنيسةِ لابسين جلابيبَ جديدةً من الكتّان الأبيض . واستعراضُ الفصحِ المشهورُ يرجع إلى العصورِ الوسطى حين كان الناسُ يطوفون الأريافَ ويقفون على قارعةِ الطريقِ للصلاة . وهو الآنَ مناسبةٌ لإرتداءِ وعرضِ ملابسِ الربيع الجديدةِ . أما البيضُ الملوَّنُ فهو رمزٌ للفصحِ الذي هو رمزُ الحياة . وهي عادةٌ مأخوذةٌ من المصريين والفرسِ القدماء الذين كانوا (ولا يزال الفرس) يصبغون البيضَ في احتفالاتِ السنةِ الجديدة (النوروزَ) التي تأتي مع الربيع . وقد استمرَّت هذه العادةُ عند بعض الشيعة الذين كانوا إلى وقتٍ قريبٍ يحتفلون بنفسِ الطريقة بيوم « دورة السنة » أي يوم النوروز .

هَل هُناكَ يَومٌ واحِدٌ لِرأسِ السَّنة في كلِّ العَالَم ؟



إنّ استقبالَ السنةِ الجديدةِ هو أحدُ أقدمِ وأمتعِ التقاليدِ الاحتفاليةِ في العالم . غيرَ أنَّ ما يُعتَبَرُ رأْساً للسنةِ هو من أكثرِ الأمورِ اختلافاً بين الشعوب والمِلل .

فأهلُ الصينِ يحتفلونَ برأسِ السنةِ القمريةِ ـ عيد الربيع ـ في يومٍ يتراوحُ بين ٢١ كانون الثاني و١٩ شباط . والفرس والأكراد يحتفلون به في ٢١ آذار وهو يوم « النوروز » . وفي الهندِ عدةُ رؤوسٍ للسنةِ تبعاً للطوائفِ والأديان : وأحدُ هذه الأيامِ يحلُّ في نيسانَ أو أيارَ من كلِّ سنةٍ . ويحتفلُ به الكوريون في الثلاثةِ أيامٍ الأولى من كانون الثاني . وفي فيتنام يكونُ في شباط .

وكان قدماءُ الاغريق يحتفلون برأسِ السنةِ عند طلوعِ الهلال بعد ٢١ حزيران . وكانتِ السنةُ الرومانيةُ قبلَ يوليوس قيصر تبدأُ في ١ آذار . وفي العصورِ الوسطى الأوروبيةِ كانت السنة تبدأُ في ٢٥ آذار .

ويحتفل المسلمون بهذا اليوم في ١ محرّم وهو بدايةُ السنةِ الهجريةِ

(القمرية) . ولم يكنْ هذا الاحتفالُ مألوفاً في العصورِ الاسلاميةِ المبكرةِ . ويرفضُ الشيعةُ هذا العيدَ لأنَّه يصادفُ قبيلَ مقتلِ الإمام الحسين (ع) فهو عندهم مأتمٌ ، أي مناسبةٌ للحزن . ويحتفلُ اليهودُ بيوم « راش هاشنة » (أي رأس السنة) في أيامِ الاعتدالِ الخريفي عند نهايةِ أيلولَ أو بدايةِ تشرينِ الأول .

ويحتفلُ العالمُ كلُّه تقريباً برأسِ السنةِ الميلاديةِ وهو يوم ١ كانون الثاني أو ٦ كانون الثاني عند نصارى المشرق . وهذا الاحتفالُ لا يقومُ على العقيدةِ الدينيةِ بل على التقويمِ الشمسيّ الذي سارت عليه الشعوبُ منذُ القديمِ بالنظرِ لارتباطهِ بالانتاجِ الزراعيِّ من جهةٍ ، وبفصولِ السنةِ واختلافِ الطقسِ فيها تبعاً لحركةِ الشمسِ من جهةٍ أخرى . ومن الواضحِ أنَّ حركةَ القمرِ لا علاقةَ لها بذلك فالتقويمُ القمريُّ لا ينفعُ في تحديدِ مواسمِ الزرعِ أو معرفةِ الطقس . وليس لرأسِ السنةِ الميلادي علاقةٌ بعيدِ الميلادِ فهناك دولٌ علمانيةٌ ألغَت عيدَ الميلاد لكنها تحتفلُ برأس السنة .

وبالمناسبةِ ، فإن عادةَ التراسلِ في رأسِ السنةِ ترجعُ إلى الصينية ، فمنذُ أكثرَ من ألفِ عامٍ كان الصينيُّ يرسِلُ بطاقةَ بريدٍ إلى صاحِبِهِ ، بمناسبةِ العيدِ ولكن دونَ أن يُكتَبَ عليها أيُّ شيءٍ سوى اسمِ المرسِل .

كم لغةً يتكلّمُ الغجر ؟

الغجرُ أو النَّوَرُ - أو الكاوْلِيّة كما يُسمّون في العراق - قبائلُ جوَّالَةٌ أصلُها من الهندِ كما يعتقدُ عددٌ من الباحثين . وقد وصلَ بعضُهُم إلى إيران وآخرون إلى آسيا الصغرى - تركيا الحالية - وبعضُهُم إلى سوريا ومصر وشمالي افريقيا . وكان الغجرُ يتكلَّمونَ لغةً هنديةً من أصلٍ سنسكريتي .

في وقتٍ لاحقٍ وصل الغجرُ إلى البَلْقان وروسيا وهنغاريا ثم إلى أوروبا الغربية فانتشروا في المانيا وفرنسا وبريطانيا واسبانيا وشبهِ جزيرة اسكندنافيا . وبلغتْ بهم السياحةُ في الأرضِ إلى أمريكا الشماليةِ التي دخلوها سنة ١٧١٥ . وخلالَ قرونٍ من الطوافِ اختلطت لغةُ الغجرِ بلغاتِ البلدانِ التي وصلوا إليها فتكوَّنَتْ لديهم لغاتُ خليطةٌ من لسانِهم الأصلي واللغة المُضيفة . وفي البلدان العربيةِ نسيَ الغجرُ لغتَهم تماماً وصاروا ناطقينَ باللهجةِ العربيةِ للبلدِ الذي يعيشون فيه . وتغلُبُ عليهم في العراق لهجةُ الريفِ لأنَّ تجوالَهم يكادُ ينحصَرُ هناك في الباديةِ والأرياف .

يعملُ الغجرُ في مهنٍ شتَّى مثل تجارةِ الخيل التي تخصَّصَ بها الغجرُ الانكليزُ ، وبعضِ الصناعاتِ اليدويةِ كالحفرِ في الخشبِ . وقد تخصَّصَ غجرُ يوغوسلافيا في عمل البارود . على أنّ المهنة الغالبةَ عليهم هي الغناءُ والرقصُ وهو اختصاصُ الغجرِ في العراقِ والشامِ وقد تخصَّصَ غجرُ هنغاريا ورومانيا بالعزف على الآلاتِ الموسيقية الوترية خاصة كالبذق والكمان والغيثار . وتخصَّصَ غجرُ اسبانيا في رقصة الفلامنكو الفولكلورية .





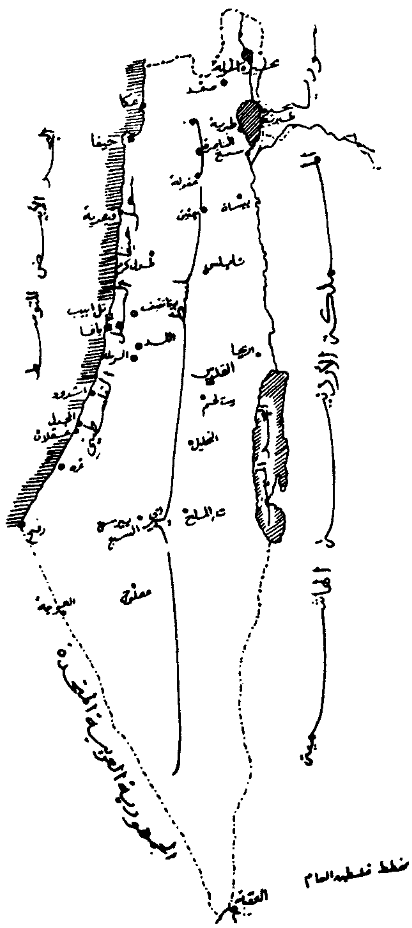
هل توجد لغة يهودية ؟

דער טאָג
מאָרגען זשורנאל

اليهودية دينٌ كالإسلام والمسيحية والبوذية . والدّين لا علاقة له باللغة الا في حالاتٍ قليلةٍ جداً حيث أوجبت الشريعةُ الاسلاميةُ مثلاً أداءَ الصلاةِ وقراءةِ القرآنِ بالعربيةِ على كلِّ مسلم مهما كانت لغتُهُ القومية . لكنَّ الإسلامَ لم يفرضْ على المسلمِ غيرِ العربي تعلُّمَ العربية . وهذا هو شأنُ اليهودية التي كُتِبَتْ نصوصُها بالعبريةِ غيرَ أنّ تعلُّمَ العبريةِ لم يصبحْ فريضةً على اليهودي . وشأْنَ المسيحيةِ التي كانت لغتُها الأصليةُ هي الآراميةُ التي لا يعرفُها المسيحيون الآن .

غيرَ أنّ هناكَ لهجةً المانيةً يتكلَّمُها يهودُ المانيا وروسيا وبلدان أوروبا الوسطى تسمى « اليديش » وهي المانيةٌ مختلطة بالفرنسية والإيطالية ومطعّمة بمفرداتٍ عبريةٍ كثيرةٍ وتُكتَبُ بحروفٍ عبريةٍ . هذه اللغة المركبة تختلف من بلدٍ إلى آخر لأنها تستوعب قدراً كبيراً من المفردات المحلية . لكن هذه اللغةَ الخليطُ شاعت بين يهود أوروبا أما اليهود العرب فهم يتكلّمون اللهجاتِ العربيةَ للبلدانِ التي ينتمون إليها ولا

يعرفون غيرَها الا على سبيلِ التعلُّمِ المعتاد للغات الأجنبية . وكان اليهودُ لا يعرفون اللغةَ العبرية قبلَ تأسيسِ اسرائيل . فقد كانت العبريّةُ خاصةً بالأحبارِ والباحثين اليهود . وكانت العبريةُ في عدادِ اللغاتِ الميتةِ حتى أُعيدَ إحياؤُها ضمنَ المشروعِ الصهيوني الذي أدّى إلى إقامةِ دولةِ اسرائيل . لكنَّها مع ذلك لم تصبحْ لغةً مشتركةً لغير يهودِ اسرائيل . أما اليهودُ الذين رفضوا الهجرةَ إلى اسرائيل ، وهم الأكثرية ، فما زالوا لا يعرفون العبريةَ ولا يتكلمونَها وانما يتكلمون لغاتهم القوميةكلٌّ بحسبِ الأمّةِ التي ينتمي إليها ، تضافُ إليها اللغةُ اليديشيةُ .



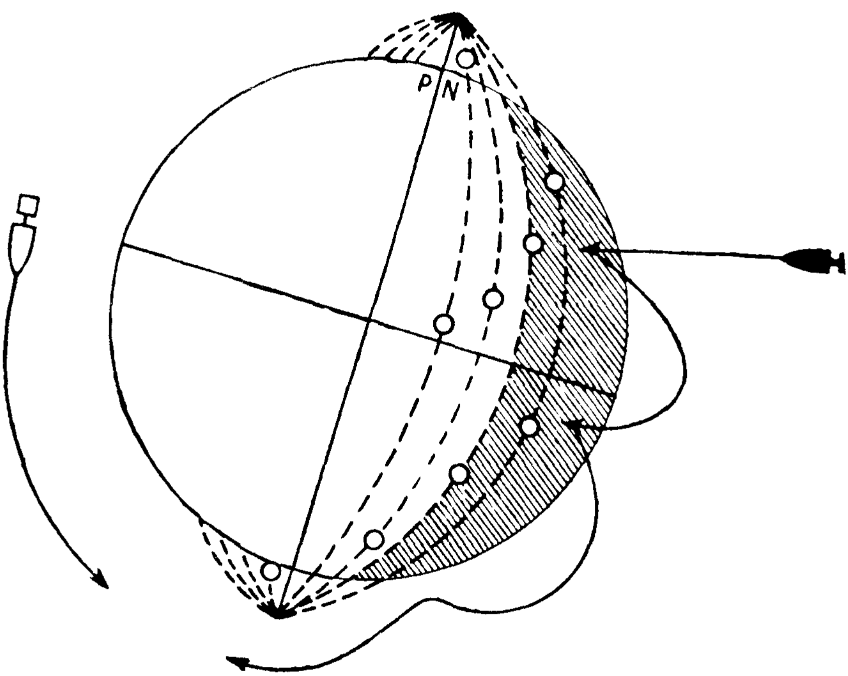
مَا هي الأسبرانتو ؟

تُبذَلُ منذ مدةٍ طويلةٍ محاولاتٌ لتكوينِ لغةٍ عالميةٍ يتعلَّمُها كلُّ الشعوبِ وتصبحُ وسيلةَ تفاهمٍ مشتركةٍ بينها . وقد وَصَلَ عددُ المحاولاتِ منذ القرنِ السابع عشَر إلى سبعمئة . وهناك في الوقتِ الحاضرِ نوعاً من هذه اللغات .لغات « مُبتكرةٌ » لا علاقةَ لها بأيٍّ من اللغاتِ الموجودةِ ، ولغاتٌ « مُرَكَّبَةٌ » هي مزيجٌ من اللغات الحالية . ومن أشهرِ هذه اللغاتِ « الاسبرانتو » التي اخترَعَها البولندي لودفيغ زامنهوف . وقد تأثَّرَ هذا الشخصُ بحالةِ العداءِ الشديدِ التي كانت تسودُ علاقاتِ السكانِ في بلدته المسّماة « بيالستوك » التي يقطنها خليطٌ من البولنديين والروسِ والالمان . ومن دون أن يفهم الأسبابَ الاجتماعيةَ الأصيلةَ لهذا العداء فقد تصوَّرَ أن إيجادَ لغةٍ مشتركةٍ بينهم يمكنُ أن يُحَسِّنَ علاقاتِهم ببعضهم البعض . وقد بدأ وهو في المدرسةِ مشروعاً لإيجادِ مثل هذه اللغة .

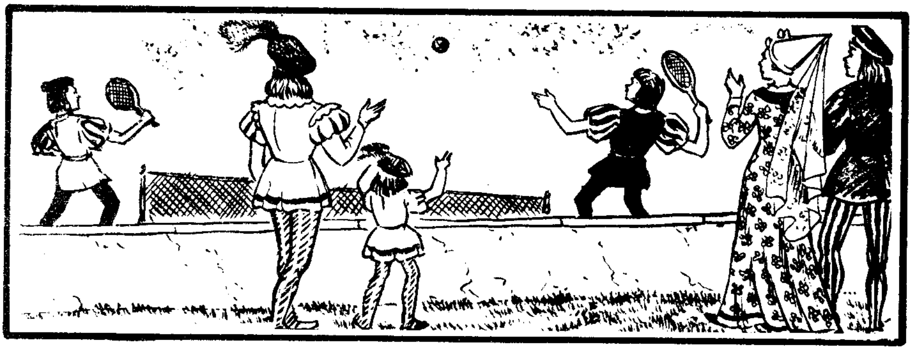
وفي عام ١٨٨٧ نشرَ كتيّباً وصفَ فيه لغتَه الجديدةَ وذيَّلَهُ باسمٍ مستعارٍ هو الدكتور اسبرانتو ومعناه « الذي يأمل » . وقد تعلَّمَ هذه اللغةَ حوالى ثمانية ملايين في مختلفِ أنحاءِ العالم وحظِيت باعترافِ عدةِ حكوماتٍ بحيث صار من الممكِنِ لأيِّ شخصٍ أن يستعملَها مثلاً في كتابةٍ برقية . وقد خصَّصَتْ بعضُ الإذاعاتِ الحكوميةِ في أوروبا برامجَ بالاسبرانتو . وتُصدِرُ الصين الشعبيةُ مجلةً اعلاميةً بهذه اللغة .

إنّ لغةَ الاسبرانتو يمكنُ أن تصبح لغةً مشتركةً تتكلَّمُها جميعُ الشعوب. وذلك لأنَّ العصرَ الحاضرَ يتجهُ نحو توحيدِ الأممِ وتقليصِ حواجزِ اللغةِ من أجلِ القضاءِ على حالةِ تبلبلِ الألسنِ في العالم وإنهاء تكوُّنِ لغاتٍ فرعيةٍ جديدةٍ تزيد حالَه

التباعدِ بين الشعوب . غير أنَّ الاسبرانتو ستواجِهُ صعوبةً في الحلول ِ محلّ اللغاتِ المتطورةِ التي ترتبطُ بالثقافاتِ القوميةِ الأصيلة للشعوبِ وتكمُنُ فيها إمكاناتُ ازدهارٍ ثقافيٍّ وروحيٍّ بعيدِ المدى لأية أمة . وهناك علاوةً على ذلك مأخذٌ كبيرٌ على الاسبرانتو وهو أنّها لغةٌ ذاتُ نسقٍ أوروبيٍّ خالص ٍ وهي أقربُ ما تكونُ إلى اللغاتِ اللاتينيةِ والإيطاليةِ والاسبانيةِ وهي بذلك تبقى غريبةً على اللغاتِ الشرقية بأسرها .



مَا هو أصل التنس ؟



بعضُ الألعابِ تُختَرَعُ بشكلٍ عفويٍّ فوريٍّ ، وبعضُها الآخرُ يتطوَّرُ عبرَ مراحلَ زمنيةٍ طويلةٍ . و« التِنِس » له تاريخٌ طويلٌ . فقد كانت لدى اليونانِ والرومانِ ألعابٌ للكرةِ تطوَّرت حتى وصلَتْ إلى شكلِها الفرنسيِّ الذي عُرِف باسمِ « لعبةِ الكفّ » .

ولعلَّ كلمةَ « تِنِس » مولّدة من الكلمةِ الفرنسيةِ « تني » « Tenez » بمعنى « خذها » . ويعتقدُ بعضُ الخبراءِ أن اللعبةَ قد بدَأَتْ في مصرَ ثم بلادِ فارسَ وبلادِ العرب ، قبلَ أيام شارلمان .

حوالى عام ١٣٠٠ عُرِفَتِ اللعبةُ باسم « لابود » ، وخلالَ القرنِ الرابعَ عشر كانت تمارُسُ في أنحاء فرنسا كلِّها . وطبقةُ النبلاءِ في فرنسا كانت مولَعَةً بهذه اللعبةِ وتمنحُها الكثيرَ من وقتِها ، حتى أنَّ الملكَ لويس العاشر نفسَه قد مات نتيجةَ إصابةٍ بالبردِ بينما كان يلعبُ لعبةَ التنسِ القديمةِ .

هكذا سُمِّيَت لعبةُ التنس « لعبةَ الملوكِ » بسببٍ من اهتمامِ ملوكِ فرنسا وانجلترا بها . وكان الملكُ هنري الثاني الفرنسي يُعتَبَرُ أفضلَ لاعبٍ تنس في فرنسا ؛ كما أن لويس الرابع عشر كان يحتفظُ بجهازٍ موظفين مختصّين للاهتمامِ بملاعبِ التنس في قصوره، واستعملت كلمةُ « تنس » لأولِ مرةٍ كتسميةٍ لهذه اللعبةِ في كتابٍ نُشِرَ عام ١٤٠٠ . وقد بنى « هنري الثامن » ملكُ انكلترا ملعباً للتنس عام ١٥٢٩ في ملاعبِ « هامبتون » وما يزالُ قيدَ الاستعمالِ حتى اليوم . ودخلت هذه اللعبةُ إلى أميركا حوالى عام ١٨٧٠ بدءاً من برمودا .

أما لعبةُ « تنس المَخْضَرة » التي تجري في ملعبٍ معشوشبٍ فقد طوَّرَها انجليزيٌّ اسمُهُ « ونجفيلد » عام ١٨٧٤ . وصارَ هذا الاسمُ يُختَصَرُ إلى كلمةِ تنس فقط في كثيرٍ من البلدان .

مَا هو العِلم ؟



لقد بحثَ الانسانُ منذ أقدم ِ عهودِهِ عن طريقةٍ لتفسيرِ الحياةِ وما يجري في العالم ِ حولَه . في المراحلِ البدائيةِ حاولَ أن يجدَ التفسيرَ بتأليفِ الأساطيرِ التي تحكي عن أرواحٍ مُجسَّدة . لكن مهما كان رأيُنا في ذلك النظرِ الأسطوري وبعدِهِ عن الواقعِ والمنطقِ إذا أُخِذَ بحرفيته ، فإنّه لم يكنْ يخلو من ملاحظاتٍ ونظراتٍ قيّمةٍ تنتظِمُ في صيغٍ تلامسُ الحقائقَ العلميةَ وترصُدُ الكثيرَ من الظواهر . ولا شكَّ بأنّ هذه المرحلةَ الأسطوريةَ قد أنتَجتْ ثماراً طيّبةً عظيمةً في مجالاتِ الكيمياءِ والفيزياءِ والمساحةِ والحسابِ . والدليلُ على ذلك الإنجازاتُ المهمَّة في تنظيم ِ الحياةِ ووضعِ الشرائعِ والاهتداءِ إلى تركيباتٍ كيماويةٍ للتحنيطِ وغيره ، ثم المباني العملاقةُ الراسخةُ التي خلّفَتْها تلك المرحلةُ كإهراماتِ مصرَ وبرج بابل وقنوات الري في مصر وبلاد الرافدين فضلاً عن تقدم علم الحساب والفلك ، وغيره في الهندِ والصين وبلاد فارس .

غيرَ أن التقدُّمَ العلميَّ بالمعنَى الواسعِ والأساسي لا يقتصِرُ على البراعةِ والتقدمِ في مجالٍ معيَّنٍ وإنما يتأسَّسُ على الفكرِ العلمي . والفكرُ العلميُّ لا يكون إلا « بالكليّات » أي بالتوصلِ إلى قوانينَ عامةٍ ونظرياتٍ شاملةٍ تجردُ القانونَ من الظاهرة ، وتربطُ بين الظواهرِ المفردةِ ، كما لا يكونُ العلمُ إلا بدراسةِ الظواهرِ وإرجاعِها إلى ما يصِلُ بها مباشرة . فتفسيرُ مرضٍ أو وباءٍ بوضعيةٍ معيَّنةٍ للكواكب أو « بالعين والحسد » ليس خطأً فحسب ، وإنما هو خارجَ الفكرِ العلميّ لأنَّ الفكرَ العلمي لا يبحثُ عن الظاهرَةِ فيما وراءها أو فيما ينتمي إلى مجالٍ غيرِ مجالِها .

من أهمِّ الخطواتِ في اتجاهِ الفكرِ العلمي كانت الخطوةَ اليونانية . ذلكَ أنَّ اليونانيين درسوا القوى والظواهرَ الطبيعيةَ لا باعتبارها تابعةً لأرواحٍ بل درسوها بحدِّ ذاتِها . كما مالوا إلى تجريدِ القوانين العامّة من الحالاتِ المتفرّقةِ وإلى وضعِ النظرياتِ الشاملةِ التي تحاولُ أن تبيّنَ كيف تترابطُ الظواهرُ في منظومةٍ شاملةٍ . غير أن اليونانيين اقتصروا في ذلك على المحاكمةِ المنطقيةِ والملاحظةِ دون اللجوء إلى التجربةِ ، فوقعوا في أخطاء كثيرةٍ ووضعوا نظرياتٍ تفسِّرُ بعضَ الوقائعِ ونظرياتٍ تتعاملُ مع العلومِ الوضعيّةِ تعاملاً فلسفيّاً .

الخطوةُ التاريخيّةُ الثانيةُ في اتجاهِ الفكرِ العلمي كانت الخطوةَ العربيةَ والاسلاميةَ بعامّةٍ. فقد أخذ العربُ عن اليونانِ في المرحلةِ الأولى التي استمرَّتْ حتى بدايةِ العصرِ العبّاسي ، وقد تمثَّلَ ذلك بحركةِ النقلِ والترجمةِ الواسعةِ الأفق لكن في المرحلةِ التاليةِ بدأ ظهورُ العلماءِ العربِ . وما يهمُّنا الإشارةُ إليه في هذه النبذةِ هو المنهجُ القائمُ على الشكِّ والتجريبِ والقياسِ الذي أدخلَهُ العربُ إلى الفكرِ العلمي .

ونسوقُ قولاً حول واحدٍ من علماءِ العربِ هو ابنُ الهيثم : « وجاء ابنُ الهيثمِ

فمحَّصَ صفوةَ ما انتهى إليه علماءُ الاغريقَ والاسكندريةِ وأعادَ النظرَ في الحقائقِ ، وتحرّاهَا كمثلِ البادىء من لا شيء ، يستقرىءُ أو يستعمِلُ القياسَ والتماثلَ ويُخضِعُ للتجربةِ كلَّ راهنٍ ، يستخرجُ الحدودَ ، والماهياتِ ويربطُ الظاهرةَ الواحدةَ بالقانونِ العام، ويبتني القواعدَ من مجموعِ الأدلّةِ وينسِّقُ القواعدَ في نظامٍ مُحكَمِ الحلقات » هذا المنهجُ واحدٌ من أهمّ الإنجازاتِ العلميةِ التي حقّقها العربُ .

منذ القرنِ الثاني عشر بدأ انتقالُ الحضارةِ العربيةِ إلى أوروبا ونشط هذا الانتقالُ في القرنِ الثالثَ عشر عن طريقِ الأندلسِ وجزيرةِ صقلية . وبالطبعِ كانت الظروفُ المستجدّةُ في أوروبا مساعدةً على هذا الانتقال . فأخذ علماءُ أوروبا عن علماءِ العرب فرسّخوا ما أضافَهُ العربُ الى التراثِ اليوناني ثم أضافوا إليه في مرحلةٍ تاليةٍ . وفي ما يتعلَّقُ بالتفكيرِ العلمي نقلوا الخطواتِ العلميَّةَ الفرديةَ لهذا العالِم العربي أو ذاك وحوَّلوها إلى فلسفةٍ علميةٍ جديدةٍ شاملةٍ . هكذا صار «المنهج» شرطاً أساسياً للاشتغالِ بالعلومِ .

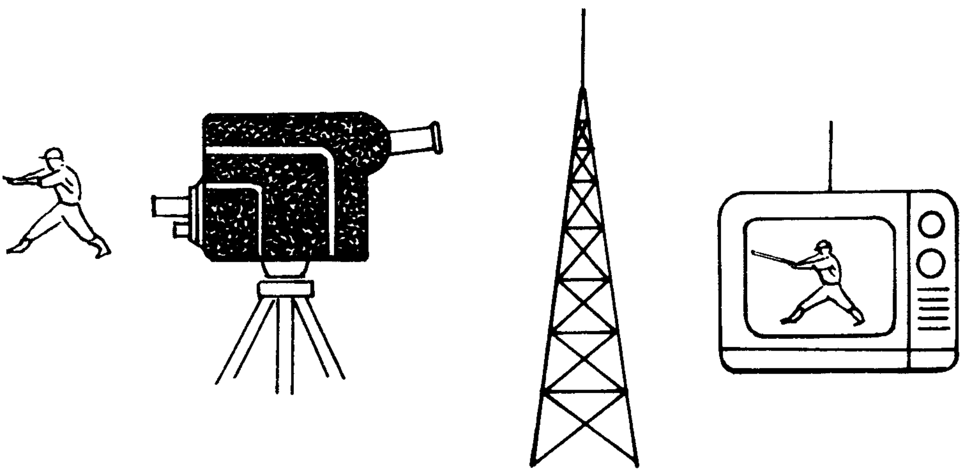
بدأ ذلك مع « روجر بيكون » الذي بنى عملَه على تجريبِ نظرياتِهِ وليس على محاكمتِها محاكمةً عقليةً . ولمَّا كان عام (١٤٠٠) م . ظهرَ « فرنسيس بيكون » صاحبُ كتابِ « المنهجِ الجديد » الذي أرسى قواعدَ العملِ العلمي . وتبعاً لأفكار « بيكون » فإنَّ أيَّ مجموعةٍ من المعلوماتِ لا تكونُ علميةً ما لم ترتكزْ إلى منهجٍ علميٍّ . وقد ألحَّ على التجريبِ والقياسِ الدقيقِ .

غيرَ أنَّ التجريبَ يصحُّ في حقولٍ علميّةٍ دونَ غيرها . يمكنُ التجريبُ في الكيمياءِ مثلاً ، لكن يستحيلُ في علمِ الفلك . مع ذلك فالكيمياءُ والفلكُ خاضعان للمنهجِ العلمي .

أوَّلُ ما يقومُ به العالمُ ، حين يجابهُ مسألةً ما ، تبعاً للمنهجِ العلمي ، هو أن

يستعرِضَ كلَّ ما سبقَتْ معرفتُهُ ويسعى إلى تحديدِ وقائعَ جديدةٍ . انطلاقاً من هذه الوقائعِ مجتمعةً يضعُ العالمُ نظريةً أو فرضيةً تفسِّرُ النتائجَ التي توصَّلَ إليها . بعد ذلك تأتي مرحلةُ القياسِ والتجريبِ أو اختبارُ مصداقيةِ النظريةِ . ويمكنُ أن يؤجِّلَ العالمُ وضعَ النظريةِ حتى ينهي اختباراتِهِ وبحوثِهِ . غيرَ أنَّ النظريةَ لا تُعتَبَرُ مثبتةً ما لم يتأكَّدْ أنها التفسيرُ الوحيدُ للوقائعِ التي تمَّت ملاحظتُها .

على أيةِ حالٍ فإن العلمَ لا يعتبرُ أن البرهانَ على أي شيءٍ سارٍ إلى الأبد . تظلُّ النظريةُ صحيحةً ما دامت تفسِّرُ كلَّ الوقائعَ المعروفةِ فإذا ظهرت وقائعَ جديدةً مخالفةً بطلتِ النظريةُ أو اقتضى تغييرها ، أو تعديلها .



مَن اخترعَ الرياضيات ؟



الرياضياتُ هي العلمُ الذي يشتغلُ بالأعدادِ والكميّاتِ والأشكالِ . لولا الرياضياتُ لاستحالَ قيام المنجزاتِ العلميةِ التي تحدِّدُ طريقةَ حياتِنا اليوم .

بدون الرياضياتِ ما كانت بيوتُنا الراسخةُ ممكنةً ، لأنَّ هندسةَ البيوتِ تفترضُ معرفةً بالحساباتِ والأشكالِ الهندسيةِ ومقاومةِ المواد . ملابسُنا نفسُها ما كانت لتبدو بهذه الدقّةِ لولا الرياضياتُ ، لأنَّ الخياطةَ تحتاجُ إلى قياساتٍ صحيحةٍ ، فكيف إذن بحسابِ قوةِ الآلاتِ البخارية ، ومحركاتِ السياراتِ والطائراتِ ، والمصانعِ وبناءِ الجسور والأعمال المصرفيةِ والتجارةِ العالمية . . . وهذا يشملُ بالطبع ، أجهزةَ الراديو والتلفزيون والهاتف والأدواتِ الكهربائيةِ وآلافِ المخترعاتِ التي تحتاجُ إلى الحسابِ الدقيق .

كانت حياةُ البدائيين أبسطَ من حياتِنا بما لا يُقاس . مع ذلك احتاجوا إلى الأعداد . كان الانسانُ القديمُ يريدُ أن يعرفَ عدد الأشياء التي يمتلكُها أو عدَد الحيواناتِ التي اصطادها، ولمَّا أرادَ تمثيل هذه الأعدادِ اخترعَ الرياضياتِ البدائية .

أولُ خطوةٍ نحو الرياضياتِ كانت التعداد . وقد احتاج هذا إلى زمنٍ طويلٍ جداً كي يتطوَّرَ . بدأ أولاً بشكلِ خطوط على جدارِ كهفٍ ثم صار رسمَ خطوطٍ على ورقةِ بُرْدي . وكان عددُ الخطوطِ يقابلُ عددَ الأشياء .

وشيئاً فشيئاً طوَّرَ المصريّونَ القدامى ثم اليونانُ والرومانُ والهنودُ النظامَ العدديَّ .

غيرَ أنَّ التعدادَ ليس إلا جزءاً واحداً من الرياضيات . ففكرةُ الشكلِ وكيفيةُ القياسِ مهمّةٌ جداً بالنسبةِ للانسانِ . الإنسانُ البدائيُّ استخدمَ مبدأ الأشكالِ في حياتِهِ اليوميةِ وإن لم يكنْ يعرفُ كيف يقيسُ هذه الأشكالَ بشكلٍ دقيقٍ . فقد استعملَ المستطيلاتِ والمربعاتِ والدوائرَ في إقامةِ مساكِنِهِ .

كان ذلك مرحلةً بسيطةً وعمليةً تطبيقيةً من مراحلِ الرياضيات . وقد تطوَّرَتِ الرياضياتُ تطوُّراً عظيماً وصارت نظاماً عقلياً يشملُ عملياتِ الاستقراءِ والاستنتاجِ والمحاكمةِ وإن لم يكنِ الانسانُ بصددِ استخدامِ الأرقامِ أو الأشياءِ المادية . ففي الهندسةِ مثلاً نكتبُ المعطياتِ على الورقةِ ثم نحاولُ أن نتوصَّلَ إلى الإجابةِ عن المسائلِ المطروحةِ عن طريقِ استنتاجِ الجوابِ من تلك المعطياتِ . بعد ذلك توضَعُ النتائجُ قيدَ التطبيقِ والاستعمالِ في الحياةِ اليومية .

ما هو حِسابُ الجُمَل ؟

ربَّما سمعتَ شخصاً مسِنّاً يتحدَّثُ عن « حسابِ الجُمَّلِ » وكيف درجَ الناسُ في بعضِ البلدانِ العربيةِ على كتابةِ بيتٍ من الشعرِ على قبرِ شخصٍ عزيزٍ بحيث يشكِّلُ هذا البيتُ بمجموعِ حروفهِ تاريخَ ولادةِ الشخصِ وتاريخَ وفاتِهِ أو أحدَهما فقط . فما هو هذا الحسابُ ؟

قبلَ أن تبدأَ الحركةُ العلميةُ العربيةُ وقبلَ اعتمادِ نظامِ الترقيمِ الهندي كان العربُ يعطون كلَّ حرفٍ من حروفِ الأبجديةِ قيمةً عدديةً موجبة . وكان ذلك يتبعُ التسلسلَ الأبجديَّ الذي يرتِّبُ الحروفَ كما يلي : أبجد هوّز حطّي كلمن سعفص قرشت ثخذٌ ضظغ أما القيمةُ العددية للحروف فنفصلُها في الجدولِ التالي :

أ = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣، د = ٤ ، هـ = ٥ ، و = ٦ ، ز = ٧، ح = ٨، ط = ٩، ي = ١٠ ، ك = ٢٠ ، ل = ٣٠، م = ٤٠ ، ن = ٥٠ ، س = ٦٠ ، ع = ٧٠ ، ف = ٨٠، ص = ٩٠، ق = ١٠٠ ، ر = ٢٠٠ ، ش = ٣٠٠، ت = ٤٠٠ ، ث = ٥٠٠، خ = ٦٠٠، ذ = ٧٠٠، ض = ٨٠٠، ظ = ٩٠٠، غ = ١٠٠٠ .

فإذا أراد الشخص كتابةَ عددٍ غيرِ واردٍ في الجدول توجَّبَ تركيبُهُ من الحروفِ المناسبةِ عن طريقِ البدءِ بالأكبرِ قيمةً إلى الأصغر . فإذا أردنا كتابة الرقمِ الذي يقابِلُ سنة ١٢٦٥ مثلاً وجب أن نبدأ بحرف غ ثم ر ثم س وأخيراً هـ التي تساوي ٥ ، والنتيجة (غرسه) ، ويكون تاريخ ١٣٥١ مثلاً (غشنا) ، والرقم ١١ (يا) . . .

وطبيعيٌّ أنَّ إجراءَ الحسابِ في مثلِ هذا النظامِ كان صعباً جداً . ولا سيّما متى وجبَ إجراءُ القسمةِ والضربِ . تماماً كما كانت الحالُ مع الأرقامِ الرومانيةِ القائمةِ على الحروفِ (C, L, X, V, I) (أنظر المادةَ التالية) .

هكذا لم يتقدَّمْ علمُ الحسابِ بشكلٍ ملموسٍ إلا مع اعتمادِ الأرقامِ البسيطةِ . وقد أخذ العربُ شكلَيْنِ من الأرقامِ الهندية ، أحدُها اتُّبعَ في المشرقِ العربي وهو (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ . . .)والثاني هو ما عُرِف بالأرقام الغُباريةِ واتُّبعَ في المغربِ العربي والأندلس وعنها أخذه الأوروبيون وهو (1, 2, 3, 4, 5, 6...) .

حقائق علمية لا ضرب من الخيال

مَن اخترعَ الصِّفر ؟

ربَّما لم يخطُرْ لك أن الصفرَ كان ينبغي أن يُختَرَع . الواقعُ أنه من أعظمِ اختراعات الانسانِ ،وفكرةُ الصفرِ كان لها تأثيراً كبيراً على تاريخِ الانسانِ لأنَّه جعلَ تطويرَ الرياضياتِ العاليةِ ممكناً .

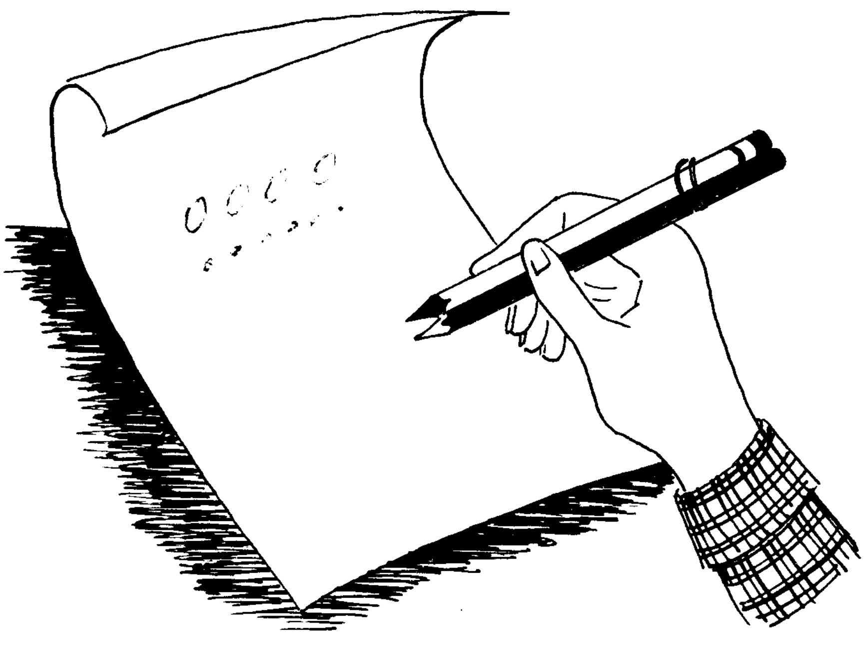
حتى القرنِ السادسَ عشر ، كان نظامُ الأعدادِ المتَّبعُ في أوروبا هو النظامُ الروماني الذي وُضِعَ قبل ألفي سنةٍ . ولم يكنْ هذا النظامُ بسيطاً . صحيحٌ أنَّه مبنيٌّ على الأساسِ العِشْري ، لكن في الكتابة كان حرف X = ١٠ ، وحرف C = ١٠٠ ، وحرف M = ١٠٠٠ ، بينما حرف I = ١ وحرف V = ٥ وحرف L = ٥٠ وحرف D = ٥٠٠ . وكان رقم ٤ يكتب «IV» وحرف ٦ يكتب «VI» . وهكذا من أجل كتابة ١٦٤٨ كان ينبغي كتابةُ هذه الحروف : «MDCLXLVIII» وتلاحظ أنّ قراءَةَ هذا الرقمِ تفترضُ في الوقتِ نفسِهِ إجراءَ عملية جمعٍ ، إذ ينبغي أن نجمع D وهي ٥٠٠ مع C وهي ١٠٠ لنحصلَ على ٦٠٠ .

كان الهنودُ قد توصَّلُوا ، منذ ما قبلَ التاريخِ الميلادي ، إلى نظامٍ عدديٍّ بسيطٍ يقتصرُ على تكرارِ تسعةِ أرقامٍ تختلفُ قيمتُها بحسبِ موقعِها أو رتبتِها . وقد اقتبسَ العربُ مع الفتحِ الإسلامي هذه الأرقامَ التي عُرِفَتْ في العالمِ باسمِ « الأرقامِ العربية » لأنَّ العربَ هم الذين طوَّروها إلى شكلِها الحالي ونقلوها إلى العالم وهي : 123456789 . يضافُ إلى ذلك الأرقامُ التي ما تزالُ تحملُ اسمَ الأرقامِ الهنديةِ وهي : ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ .

والعربُ هم الذين أضافوا الى الأرقامِ التسعةِ « الصِّفْرَ ». فقد رسموه كتابةً

وجعلوه (٥) في الأرقامِ الغباريةِ الأولى و(٠) في الأرقامِ الهنديةِ الثانية . الهنودُ كانوا يعرفون مبدأ الصفرِ لكن كانوا يتركون مكانَه فراغاً ولم يضعوا له علامةً خاصةً .

بإضافةِ الصفر سَهُلَتْ قراءةُ الأعدادِ الكبيرةِ مثل ٨٠٠ أو ٨٠٠٠ بعد أن كانَ موضعُ الصفرِ يُترَكُ فارغاً . ثم إن هذه الأعدادَ مناسِبَةٌ بشكلٍ ممتازٍ للنظامِ العشري في التّعدادِ وهو السائدُ ذلك أنَّ كلَّ رقمٍ يحملُ قيمتين ، قيمتَهُ الذاتيةَ والقيمةَ التي يكتسِبُها من مرتبتِهِ . وطبعاً كلُّ مرتبةٍ تساوي عشرةَ أضعافٍ المرتبة الواقعةِ إلى يمينها . مثلاً : ٢٣٦٤ الأربعة تساوي ٤ × ١ ، والستة ٦ × ١٠ = ٦٠ ، والثلاثة ٣ × ١٠٠ = ٣٠٠ ، والاثنان ٢ × ١٠٠٠ = ٢٠٠٠ وهكذا . . . وبذلك تكونُ الأرقامُ التي تبنّاها العربُ وطوّروها وأكملوها بإضافة الصفر قد أسهمت إسهاماً جذرياً لا في تسهيلِ العملياتِ الحسابيةِ فقط بل في تقدّمِ الرياضياتِ ولا سيّما الرياضيات العليا .



ما هو القياس المتري ؟

اعتمادُ وحدةٍ قياسيةٍ مسألةً اصْطلاحيةً ، لأنَّه يمكنُ الاتّفاقُ على أيِّ طولٍ معيَّنٍ . يمكنُ مثلاً اعتمادُ متوسطِ القامةِ الإنسانيةِ كوحدةٍ قياسيةٍ . وبالفعلِ فإنَّ عدداً من القياساتِ المستعمَلَةِ اليومَ في العالمِ ، في بعضِ البلدانِ العربيةِ ، وفي البلدانِ الناطقةِ بالانكليزيةِ ترتكزُ على أطوالٍ يُعتَمَدُ فيها جسمُ الإنسان . فالذراعُ وهو قياسٌ ما يزالُ مستعمَلاً في المعاملاتِ التجاريةِ في سوريا ولبنان وغيرِهما ، يعتمدُ متوسطَ طولِ الذراعِ البشرية . وهناكَ قياساتٌ انجليزيةٌ طولُها عبارةً عن المسافةِ بين المرفقِ ورأسِ الاصبعِ الوسطى .

أمثالُ هذه القياساتِ قد وُجِدَت منذ القِدَمْ ، ففي ملحمةِ جلجامش التي ترجع ألواحُها إلى مايقاربُ خمسة آلاف سنة نجدُ أنواعاً من المقاييس كالذراعِ والشّبرِ .

وبسببٍ من الاختلافِ الكبيرِ بين المقاييسِ والمكاييلِ من بلدٍ لآخر دعتِ الحاجةُ لوضعِ نظامٍ يمكنُ لبلدانِ العالمِ أن تتبناه . والنظامُ الذي لبَّى هذه الحاجةَ هو النظامُ المتري .

وضعت هذا النظامَ لجنةً من العلماءِ اجتمعت بفرنسا عام ١٧٨٩ . وما تزالُ البلدانُ الناطقةُ بالانجليزيةِ الوحيدةَ التي تتبنَّى مقاييسَ قديمةً وتُعرِضُ عن النظامِ المتري . مع ذلك فإن البحوثَ العلميةَ في هذه البلدانِ نفسِها تضطرُّ إلى اعتمادِهِ .

يرتكزُ النظامُ المتري إلى وحدةٍ طوليةٍ اسمُها « المتر » . و« المتر » طولٌ

يساوي جزءاً من عشرةِ ملايين (١/١٠,٠٠٠,٠٠٠) من المسافةِ بين قطبِ الكرةِ الأرضيةِ وخطِّ الاستواء ؛ هذا الطولُ أو « المترُ » يعادُلُ (٣٩,٣٧) بوصةً .

بُنِيَ النظامُ المتريُّ على النظامِ العشري ؛ فكما أنَّ الفاصلَ بين رتبةٍ عدديةٍ وأخرى هو ١٠ ، كذلك فإنَّ الوحداتِ القياسيةَ التي هي أضعافُ المترِ وأجزاؤه تكبرُ أو تصغرُ بحيث تكون ١٠ أضعاف الوحدة التي تليها في الصغر أو جزءاً من ١٠ من الوحدةِ التي تليها في الكبر . ووُضِعتْ بناءً على قياسِ الطولِ قياساتٌ للمساحةِ وحدتُها « المترُ المربع » وقياساتٌ للأحجام وحدتُها « المترُ المكعَّبُ » .

أما الوزنُ فقد جُعِلَتْ وحدتُهُ « الغرام » ، الذي هو وزنُ سنتمترٍ مكعَّبٍ من الماءِ المقطَّرِ . والليترُ هو الوحدةُ القياسيةُ للسوائلِ . والهكتارُ الذي يساوي (١٠,٠٠٠) متر مربع صارَ بديلاً للفدّانِ ، لكنّ الهكتارَ يعادِلُ ٢,٤٧١ فدان .

كونُ النظامِ المتري مبنيّاً على النظامِ العددي العشري يجعلُهُ أسهلَ وأكثرَ عمليةً وملاءمةً من النظامِ الانكليزي المعقَّد ، لأنَّ الوحداتِ في هذا النظام لا تتسلسلُ وفق فواصل موحَّدةً ، وعملياتُ التحويلِ فيها صعبةٌ تتطلَّبُ باستمرارٍ الضربَ والقسمةَ .

وفيما يلي المقاييسُ الانكليزية وما يقابلُها في النظامِ المتري :

القدمُ = ٠,٣٠٥ متر . البوصة = ٢,٥٤٠ سنتمتر ، الميل = ١٦٠٩ كيلومتر . الكوارت = ٠,٩٤٦ ليتر .

الخوارِزمي وعِلم الجَبر

يُعتَبَرُ « أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي » في كتابِهِ « الجبر والمقابلة » واضعَ علمِ الجبرِ الحديثِ . وقد تُرجِمَ كتابُهُ هذا إلى اللاتينية . ترجَمَهُ المستشرقُ القديمُ « جيرار الكريموني » في القرنِ الثاني عشر الميلادي ، وظلَّ الكتابَ الأساسيَّ لتعليمِ الرياضياتِ في الجامعاتِ الأوروبية حتى القرنِ السادسَ عشر. وباسمِ الخوارزمي سمَّى الانجليزُ والفرنسيون طريقته في حساب زوايا المثلثات «Algorithme» و «Logarithme» و« آلجوريزمو » كما سمّاها الاسبان «Quarismo» « خواريزمو » . وعُدَّ بينَ نوابغِ الانسانية حتى زمانِهِ .

الخوارزمي هذا العالمُ الرياضيُّ الذي لقيَ ذلك التقديرَ كلّه ، لا يُعرَفُ الكثيرُ عن حياتِهِ . وُلِدَ في خوارزم في بلادِ فارس من أبَوَيْنِ مجوسيين ، لكنْ لم يَعَيَّنْ له تاريخُ مولد . كذلك لم يُتَّفَقْ على تاريخِ وفاتِهِ ، لكن يرجّحْ عددٌ من الباحثين أنْ يكونَ قد تُوفّي بين سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م و٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م .

ارتحلَ إلى بغداد في زمن خلافةِ المأمونِ ، وأقامَ في ضاحية « قُطْرَ بُلَّ » وانقطعَ إلى خزانةِ « بيت الحكمة » كما اشتغل بالرَّصْد . ويُقال إن المأمون قد أرسله إلى بلادِ الأفغانِ ليجلبَ كتباً نفيسةً . وقد أدركَ خلافةَ « المعتصِم » ثم « الواثق » .

لم ينحصِرْ علمُ الخوارزمي في بابٍ واحدٍ من أبوابِ المعرفة . فقد ذكرَ له المؤرخون مؤلّفاتٍ في التاريخ ، وخريطةً للفلكِ والأرضِ . وما يزالُ لهُ كتابٌ مخطوطٌ هو كتابُ « صورة الأرض » المحفوظ بجامعةِ ستراسبورغ . وذُكِرَ له في الفلك كتابان عن « الاسطرلاب » . غيرَ أنّ أهمَّ مؤلّفاتِهِ هو كتابُ « الجبرُ

والمقابلة » . وضع هذا الكتاب حوالى عام ٨٣٠ م . صحيحٌ أن الخوارزمي لم يخترعْ علمَ الجبرِ من أساسِهِ ، لأنَّ هذا العلمَ كان موجوداً عند الاغريق والهنود ولكن بشكلٍ بدائيٍّ . والخوارزمي أوَّلُ من فصلَهُ عن علمِ الحسابِ و أعطاه اسماً جديداً هو الاسمُ الذي ما يزالُ يحملُهُ حتى اليوم في العالم (آلجِبْرِ) أو (آلجبرا) . وقد جمع شتات مادّته ، وأوضحَ غرائبَهُ وقرَّبَ مأخذَه ، إذ عالجَهُ بأسلوبٍ منطقيٍّ . وهو أوَّلُ من طبَّقَ علمَ الجبرِ على حلِّ المسائلِ الهندسيةِ . غير أنَّه لم يستعملَ الرموزَ الجبريةَ بل استعملَ العبارةَ الكتابيةَ عندما بيَّنَ كيفيةَ حلِّ معادلاتِ الدرجتين الأولى والثانية .



ما هي المَدَنيَّة ؟

يتّجهُ تاريخُ الانسانِ بحكمِ الضرورةِ نحو الغايةِ التي نسمّيها « مدنية » . وقد عاشَ الانسانُ في أطوارِهِ المبكرةِ كالحيوانِ تقريباً ، فلم تكنْ له لغةٌ ولا مسكنٌ ، وكان يأكُلُ الطعامَ أينما وكيفما وجَدَه . ثم تعلَّمَ ، في الطورِ الأوَّلِ من الهمجيةِ ، إيقادَ النارِ وأكلَ السَّمكِ . وفيما بعد ، توصَّلَ إلى صنعِ الأدواتِ الساذجةِ وتعلَّمَ الصيدَ والدفاعَ عن النفسِ ، وأخذت العائلاتُ تتجمَّعُ في عشائر . وفي وقتٍ لاحقٍ تعلَّمَ صنعَ الأواني من الفخّارِ للطبخِ والأكلِ . لكنه كان لا يزالُ في الطورِ البدائي .

وقد تلا هذا الطورَ ، ما يُعرَفُ بالبربرية وفيه تعلَّمَ الانسانُ إنباتَ البذورِ لأجلِ الطعام وبدأ باستئناسِ الحيواناتِ لاستعمالِهِ الخاص . ثم أخذَ باستعمالِ المعادِنِ كالنحاسِ والحديدِ حيث استطاعَ صنعَ الأسلحةِ وتحسينَ الصيدِ. وبدأ في هذا الطورِ ببناءِ البيوت .

في المراحل الأخيرةِ من البربريةِ كان الانسانُ قد اخترَعَ أهمَّ الأشياءِ التي تقدَّمت به نحو المدنيةِ ، وهي الكتابةُ ، وكانت في بدايتِها على شكلِ صُوَرٍ ثم تطوَّرَتْ مع الوقتِ إلى الأبجديةِ .

إن السببَ في أنَّ الكتابةَ كانت مؤشِّراً لبدايةِ المدنيّةِ هو أنَّها مكَّنَتِ الانسانَ من حفظِ سجلَّاتِ الأحداثِ الماضية ، حيث استطاعَ الانسانُ أن يقرأ ويستفيد من تجربةِ الآخرين . والكتابةُ هي عمادُ المدنيةِ ولا يمكنُ بدونها القيامُ بأيِّ شيءٍ متمدّنٍ.

في ربع قرنٍ لم يتعلم الانسان أيضاً كيف يعيشُ وفقاً لأحكامٍ معينةٍ ،أي تعلَّمَ

العيشَ في ظلٍّ حكومةٍ . وقد صحِبَ ذلكَ ظهور أفكارِ الخطأِ والصوابِ حيث عاشَ الانسانُ وفقاً لأخلاقياتٍ محدَّدةٍ .

متى تمَّ ذلك كلّه ؟ لقد بدأ منذ الأيامِ الأولى من حياةِ الانسانِ التي اتخذت خطّاً صاعداً من الأدنى إلى الأرقى . حتى وصل إلى الأطوارِ الأولى للمدنيةِ منذ حوالى ٥ آلاف أو ٦ آلاف سنة هذه النقلةِ التاريخيةِ في وادي النيلِ وبلاد ما بين النهرين في المنطقةِ العربية ، ووادي الكنج في الهندِ ووادي النهر الأصغرِ في الصين .



ما هي الهندسة ؟



عندما نهتمُّ بالأشياءِ أو نتعاملُ بها حيث الشكل أو الحجم أو من حيث وضعيّتها في الفراغ ، فإنّنا ندخلُ حقلَ الهندسة . وعندما كان الناسُ في مراحِلِ ما قبلَ التاريخ يقومون بالرسم والحفر والتزيين فقد كانوا يشتغلون بالهندسةِ دون أن يعرفوا ذلك .

كانت البدايةُ الرسميّةُ للهندسة في مصر . ذلك أنّ المصريين قد احتاجوا إلى إعادةِ قياسِ الأراضي الزراعيةِ في أعقابِ فيضانِ النيلِ . وبالتالي كان عليهم أن يوجدوا المقاييسَ ويضبطوا الأشكالَ ويدوّنوا ذلك في سجلّاتٍ . وبما أنَّ الديانةَ المصريةَ كانت تقضي ببناءِ قبورٍ ضخمةٍ للموتى كالأهراماتِ ، فقد احتاجوا إلى الهندسةِ من أجلِ البناءِ . بل إنَّ هندسةَ الأهراماتِ ما تزالُ تثيرُ العجَبَ حتى الآن .

كلمة « جيومتري » (هندسة) المعتمدة في اللغاتِ الأوروبية هي كلمةٌ

يونانيةٌ مركَّبةٌمن جذرين « جيو » (أرض) و« متري » (قياس) ، ويحتَمَلُ أن تكونَ ترجمةً لكلمةٍ مصريةٍ .

كانت الهندسةُ في البدايةِ تقومُ على الحدسِ والمعرفةِ المباشرة . أي أنَّ الأشياءَ كانت تُعتَبَرُ صحيحةً دونَ حاجةٍ إلى البرهانِ على صحتها . لكن في عام ٦٠٠ قبل الميلاد جاء معلِّمٌ يونانيٌّ اسمُهُ « طاليس » بفكرة تقولُ بضرورةِ وجودِ البرهانِ على صحةِ ما يُعتَبَرُ صحيحاً بداهةً . وتسمَّى الموضوعةُ الصحيحةُ في الهندسةِ « نظريةً » . وقد اكتشفَ طاليس عدداً من البراهين على « النظريات » التي كان الناسُ يقبلونها دون برهانٍ حتى ذلك الحين . وكان ذلك بدايةَ الهندسةِ القائمةِ على القياسِ العقلي والبرهانِ .

الهندسةُ البسيطةُ أو الأوليةُ تُقسمُ إلى قسمين : الهندسةُ المستويَةُ ، والهندسةُ الفراغيةُ أو هندسةُ المجسّمات .في الهندسةِ المستويةِ تدرسُ الأشكالُ التي تقوم على سطحٍ مستوٍ فقط ، وهكذا يكون لها بُعدان فقط ، طول وعرض .

أما الهندسةُ الفراغيّةُ أو هندسةُ المجسّماتِ فللأشياء فيها ثلاثةُ أبعادٍ طولٌ وعرضٌ أوعمقٌ و إرتفاع . من هذه الأشياءِ المجسَّمةِ المخروطُ والكرةُ والأسطوانةُ والمكعَّبُ وما شابَه ذلك .

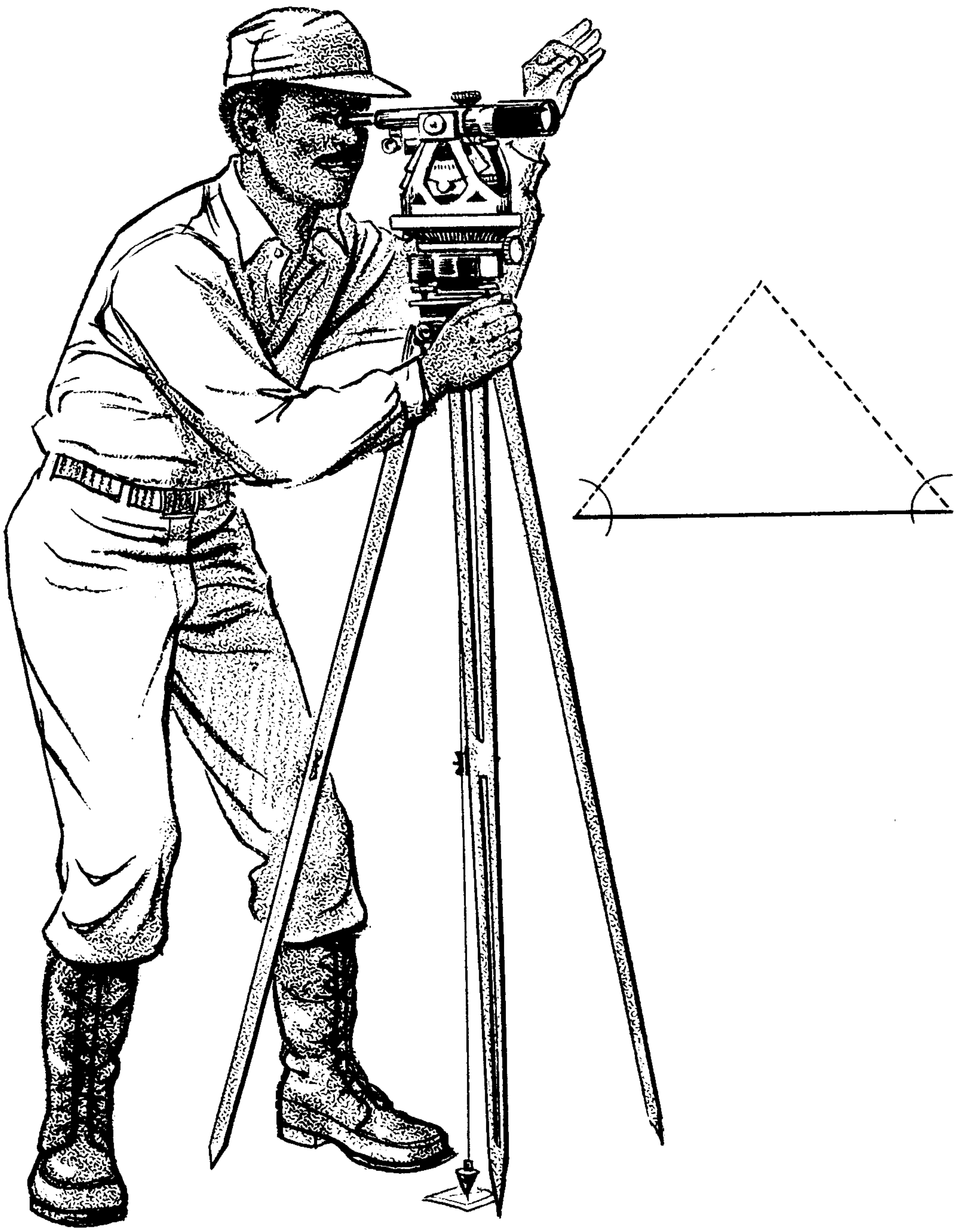
عام ٢٨٠ قبلَ الميلاد ظهرَ عالم اغريقيٌّ اسمُهُ « اقليدس » عاشَ في الاسكندرية بمصر . وقد كَتَبَ أوَّلَ كتابٍ تعليمي في الهندسة . سَمَّى هذا الكتابَ « الأصول » وقد ظلَّ هذا الكتابُ يُدَرَّسُ في العالم طوالَ ألفي سنةٍ حيثما كان هناك من يريدُ أن يتعلَّمَ الهندسة . (وبالمناسبة فقد تُرجِمَ الكتابُ إلى العربية في العصر العباسي ثم شرحَهُ نصير الدين الطوسي في القرن الثالث عشر الميلادي) .

واليوم ما زلنا نسمّي الهندسةَ المستويةَ أو السطحيةَ هندسةً إقليديةً ، غير أنَّ

الكتبَ الحديثةَ تخلَّت عن أقسامٍ وموضوعاتٍ من كتابه .

وعلى الصعيدِ التطبيقي ، كيفما التفتنا وجدنا مبادىءَ هندسيَّة . نجدها في وضع المخططاتِ وفي التزيين والتنظيم وبالطبعِ في فنّ المعمار ، وتخطيطِ الحدائقِ وبناءِ الجسورِ وفتحِ الطرقِ وإقامةِ الأنصاب وتنظيمِ المدن وفي صنعِ الآلاتِ والمصانعِ . وعلى مستوى آخر نجدها في تخطيطِ الأراضي الزراعيةِ وأعمالِ المساحةِ .





الفـارابي

فيلسوفٌ ومؤلّفٌ موسوعيّ ، أحاطَ بالعلومِ والفلسفاتِ التي سبقته ، بحثَ في العلوم اللسانية (اللغوية) والرياضياتِ ، والمنطقِ ، والعلمِ الطبيعي ، والمناظرِ (أبحاث الضوء والعدساتِ والمرايا) ، والنجومِ ، والأثقال ، والموسيقى ، والعلمِ الإلٰهي والمدني ، والفقه . وقد عُنِيَ بالموسيقى لأنَّه اعتبَرَها علماً مكمّلاً لفلسفتِهِ فألَّفَ كتاباً ضخماً يدرس طبيعةَ الأصواتِ ودرجاتِ الأنغام كما ينسبُ إليه اختراعُ آلةٍ وتريّةٍ هي « القانون » . غير أنَّ جهدَهُ الأساسيَّ انصبَّ على الفلسفةِ والمنطقِ . أمَّا كتابُهُ « آراءُ أهلِ المدينةِ الفاضلةِ » فهو من أهمّ كتبه ويشكِّلُ خلاصةَ تفكيرهِ ، وفيه يبيِّنُ كيف يُنَظِّمُ المجتمعُ في ضوءِ الفلسفةِ والقيمِ الأخلاقيةِ .

ظهرَ الفارابي في المرحلةِ التي نضجَتْ فيها حركةُ الترجمةِ عن اليونانية خاصةً وعن الفارسيةِ والسريانية ، وكانت المناقشاتُ الدينيةُ والفقهيةُ بين الفِرَقِ المختلفةِ نشطَتْ نشاطاً عظيماً . هكذا كانت فلسفةُ الفارابي من أهمِّ ثمارِ تلك المرحلة .

وُلِدَ « أبو النصر الفارابي » في « فاراب » حوالى عام ٨٧٠ م . لكنَّهُ تلقى العلمَ في بغدادَ عاصمةِ الثقافةِ يومذاك . درسَ الفلسفةَ على « أبي بشر متّى بن يو » ، ودرَسَ أصولَ المنطقِ على « يوحنّا بن حيلان » ، ودرسَ النحوَ على « ابن السرّاج » . وإلى جانبِ تضلُّعِهِ بالعربيةِ عرفَ التركيةَ والفارسيةَ والسريانيةَ واليونانيةَ .

ارتحَلَ إلى « حلب » وأقامَ ببلاطِ سيفِ الدولة الحمداني الذي كان ملتقى

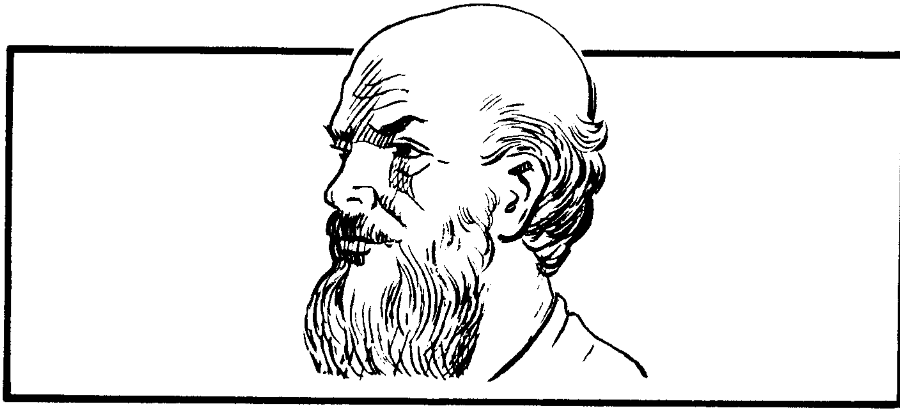
أهلِ العلمِ والأدب . لكنه لم ينغمسْ في ترفِ البلاطِ بل مالَ إلى التقشُّفِ والزهدِ ، وكانت لديهِ نزعةٌ فطريةٌ إلى العزلةِ والانفرادِ . ثم انقطعَ عن الأمير في أواخرِ حياتِهِ ولبسَ « زيَّ الصوفِ » الخاص بالزاهدين . ويُقالُ إن الأميرَ سيفَ الدولةِ صلَّى عليه مع نفرٍ من خاصَّتِهِ لما حضرَتْه الوفاة عام ٩٥٠ م .

أبرزُ مواقفِ الفارابي الفكرية كان النزاعَ الذي قام بينه وبين الفلاسفةِ الملحدين الذين أنكروا النبوّة . وكان هذا طليعةَ اتجاهِهِ التوفيقي الذي ينفي التناقضَ بين الفلسفةِ والشريعةِ . هذا الاتّجاهُ التوفيقي ، يرجعُ إلى التأثيرِ العميقِ الذي خلَّفَهُ الدينُ الاسلامي في تكوينِ الفارابي روحيّاً وإيمانيّاً ، وإلى المكانةِ العُليا التي احتلَّتْها الفلسفةُ الاغريقيّةُ في نفسِهِ خاصةً وفي نفوسِ المفكّرين عامّةً . فقد كان أرسطو ، في نظرِهِم بعيداً عن الخطأِ أو معصوماً ولم يقُلْ أفلاطونُ غيرَ الحقّ ، ولا تضمَّنتِ الرسالةُ الإسلاميةُ إلا الحقَّ ، والحقُّ لا يضادُّ الحقَّ . وقد بنى الفارابي رأيَهُ في التوفيق بين الفلسفةِ والشريعةِ على أساسين :

في الأول يرى أن الشريعةَ والفلسفةَ ترجعانِ إلى أصلٍ واحدٍ ، إذ أنَّ الشريعةَ ترجعُ إلى الوحي ، والوحيُ من الله ، والفلسفةُ ترجعُ إلى الطبيعةِ ، والطبيعةُ بنواميسِها من صنعِ الله . ويرى في الأساسِ الثاني أنّ النبيَّ والفيلسوفَ يستمدّانِ المعرفةَ من ينبوعِ العلمِ الإلهي ، النبيُّ يتلقّاهُ على يدجبرائيلَ ، والفيلسوفُ يستنبطُهُ بواسطةِ العقلِ المستمَّدِ من « العقلِ الفعّال » .

كذلك اشتدَّ ميلُ الفارابي إلى التوفيقِ بين الفلسفةِ والشريعةِ في كتابِهِ « آراء أهلِ المدينةِ الفاضلة » حيث اشترطَ أن يكونَ الرئيسُ في هذه المدينةِ نبياً وفيلسوفاً . وقد حدَّدَ الفارابي المدينةَ الفاضلةَ بأنَّها « التي يُقصَدُ بالاجتماعِ فيها التّعاونُ على الأشياءِ التي تُنالُ بها السعادةُ الحقيقيةُ » .

مَن هوَ أبقراط ؟



حين تدخُلُ إلى بعضِ عياداتِ الأطباءِ ، تجدُ على الجدارِ إطاراً فيه نصٌّ عِنوانُهُ « قَسَمُ أبقراط » . إنَّهُ القسَمُ الذي يؤدّيهِ الطالبُ عندَ تخرُّجِهِ من كلّيّةِ الطبِّ ليمارسَ المهنةَ . فما هو القَسَمُ ومن هو « أبقراط » ؟

قبلَ عهدِ الطبِّ العلمي ، الذي يُشكِّلُ عصرُنا ذروَتَه ، كان السَّحَرَةُ هم الذين يتولَّوْن العلاجَ . ثم بدأ في مصرَ والهندِ تطوُّرُ شكلٍ عقليٍّ عَمَليٍّ للطبّ . فقد كان المصريونَ القدماءُ بارعين في الملاحظةِ وجمعِ المعلوماتِ والنظرِ فيها . وقد توصَّلُوا إلى إنشاءِ مدارسَ للطبّ ، وأجروا العملياتِ الجراحيةَ . غيرَ أنَّ علاجَ المرضِ ظلَّ مُلحَقاً بالدينِ المصري ، تدخُلُ فيه الصلواتُ والرُّقى والأضاحي أو النذور .

أما الطبُّ العلميُّ ، أي المنفصل عن السحرِ والدين ، فقد بدأ في اليونانِ

القديمة ، حيث مارَسَ عددٌ من الأشخاصِ الطبَّ دون أن يكونوا كهنةً . أشهرُ هؤلاء جميعاً « أبقراط » الذي عاشَ حوالى سنة ٤٠٠ قبل الميلاد ، ولُقّبَ « أبو الطبّ » .

نظرتُهُ إلى الطبِّ وأسلوبُهُ كانا علميَّيْنِ . أسقطَ من حسابِهِ كلَّ ما يدخُلُ في السّحرِ أو التعاويذِ والتشاؤ مِ أو التفاؤ ل الخرافي . وكان ، هو وتلاميذُهُ يسجِّلون كلَّ ما يلاحظونَهُ على مرضاهم . وبعضُ ملاحظاتِهِم ما تزالُ صائبةً حتى الآن . منها مثلاً أن الإرهاقَ بدون سببٍ ظاهرٍ يدلُّ على وجودِ مرضٍ . أو عندما يتوقَّفُ الهذيانُ مع النّوم فهذا يدلُّ على بدءِ التحسُّنِ ، أو عندما يشعُرُ المريضُ بالألمِ في كلِّ مكانٍ من جسمِهِ دونَ ظهورِ أعراضٍ فهذا يدلُّ على اختلالٍ عقليٍّ .

وقد كانت « لأبقراطَ » آراءٌ جمَّةٌ وحكيمةٌ في نوعِ عملِ الطبيبِ وكيفيةِ سلوكِهِ . وقد أدخَلَ هذه الآراءَ في القَسَمِ الذي اقترَحَهُ ، وفي جملةِ ما يتضمنَّه القَسَمُ الأفكارُ التالية :

أُقسِمُ على أن أتبَعَ ما تبيِّنُ لي كفاءاتي بأنَّهُ في صالِحِ المريض ، وأن أمتنعَ عن كلِّ عملٍ يتسبَّبُ في الأذى والفساد . كما أُقسِمُ على ألَّا أُعطي عقاراً قاتِلاً لأيِّ شخصٍ إذا طُلِبَ مني ذلك ، وألَّا أَصِفَ مثلَ ذلكَ العقارِ أو أُرشدَ أحداً إليه . . . وأُقسِمُ على ألَّا أبوحَ أو أنشُرَ أيَّ شيءٍ أسمعه أو أراهُ عن حياةِ الناسِ الذين أُعالِجُهُم ، ويُفترَضُ أن يبقى سرّاً ، سواءٌ كان ذلكَ متعلّقاً بمهنتي أو غيرَ متعلِّقٍ بها » .

الشيخ الرئيس ابن سينا

وُلِدَ ابن سينا حوالى سنة ٩٨٥ م في « أفشنة » من أعمالِ خوزستان على مقربةٍ من مدينةِ بُخارى . ونشأ في بيتٍ عريقٍ بالتقاليدِ الفارسيّةِ فكراً وديناً . كان أبوه من المشتغِلين بالسياسةِ ، فانتقلَ الابنُ إلى بخارى ودرَسَ القرآن واللغةَ ، وتلقّى العلومَ على « أبي بكر الخوارزمي » ، وأصغى إلى الجدلِ الذي كان يدورُ بين أهلِ الفكرِ في مسائلِ المنطقِ والنفسِ والفلسفةِ . درَسَ المنطقَ والفقهَ والهندسَةَ ، وحصَّلَ الطبَّ على يدِ الطبيب « عيسى بن يحيى » وبرزَ فيه وهو بَعْد في السابعةَ عشرة من عمرِهِ .

تبحَّرَ في المنطقِ والعلمِ الإلهي واستوعَبَ فلسفةَ أرسطو الكونيةَ مستعيناً بشروحِ الفارابي الذي لُقِّبَ « بالمعلِّمِ الثاني » .

لم يعمِّرْ ابن سينا طويلاً فقد مات عام ١٠٣٧ م وهو في الثانية والخمسين من العمر . غيرَ أن حياتَهُ قد اتَّسعت لثلاثةِ اتجاهاتٍ أو اختصاصاتٍ كلٌّ منها يتطلَّبُ حياةً كاملةً : فقد كانت له سيرةٌ سياسيّةٌ صاخبةٌ في زمنٍ لم يعرفْ فيه الحكمُ استقراراً . إذ كانت الأُسرُ الحاكمةُ تتبدَّلُ بسرعةٍ والدسائسُ تلعبُ في تبدُّلِها دوراً كبيراً ، كما كانت الانقساماتُ والغزواتُ تتوالى . وفي مثلِ تلك المرحلةِ تسلَّمَ منصبَ الوزارةِ لدى أمير « همذان » شمس الدولة ، مكافأةً لأنَّه عالجَ الأمير وشفاه . غير أنه لم يحسنِ التصرُّفَ في السياسةَ فعُزِلَ ونُفِيَ ، ثمَّ أُعيدَ إلى الوزارة من جديد ، ثم تورَّطَ في الصراعاتِ الداخليةِ والنزاعِ على السلطةِ .

وكانت له ، إلى جانبِ حياتِهِ السياسيةِ مسيرةٌ علميّةٌ طبيّةٌ . فقد مارَسَ الطبَّ

وضمنَ تجاربَهُ وكشوفَهُ كتابَ « القانون » الذي حقَّقَ خطواتٍ عظيمةٍ في تشخيصِ الأمراضِ ومعالجتِها . فقد ميَّزَ بين عددٍ من الأمراضِ كان اليونانيون يعالِجونَها بشكلٍ واحدٍ ولا يفرّقون بينها ، كالمغصِ المعوي والمغصِ الكلَوي ، والتهابِ السحايا الحادّ والثانوي ، والالتهابِ الرئوي والتهابِ البلّورة ؛ وهو أوَّلُ من اكتشفَ الطفيليَّ المعوي المعروفَ « بالأكلستوما » الذي يسبِّبُ مرضاً واسعَ الانتشار ، وسمَّاهُ « الدودةَ المستديرة » . وكان أوّلَ من وصفَ أعراضَ « الملاريا » و« الجمرةِ الخبيثة » وبيَّنَ كيفيّةَ انتقالِ عدوى السلّ . وهو أوَّلُ من شخَّصَ الشللَ النصفيَّ ، وميَّزَ بين الشللِ الناتجِ عن إصابةٍ في الدماغِ والشللِ الناتجِ عن علَّةٍ موضعيَّةٍ . فضلاً عن العديدِ من البحوثِ والاسهامات . وقد ذكرَ أنَّ السبيلَ الوحيد للشفاءِ من الورمِ الخبيث (السرطان) هو الجراحةُ في الأدوار الأولى للمرضِ وأنّ الاستئصالَ يجبُ أن يكونَ واسعاً عميقاً ، وأن يعقِّم الطبيبُ المنطقةَ الباقيةَ بعدَ الاستئصالِ ، ومع هذا فالشفاءُ ليس مؤكّداً .

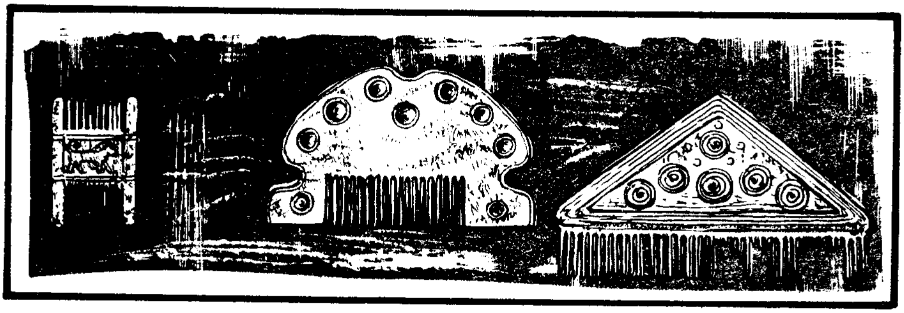
وكانَ « ابن سينا » فوقَ ذلكَ ، فيلسوفاً وشاعراً باللغتين العربيةِ والفارسيةِ . جاء بعد الكِنْدي والفارابي ، وقد انقضى على تكوينِ الفلسفةِ العربيةِ حوالى قرنٍ كاملٍ . فعملَ على تحديدِ المصطلحاتِ والتسمياتِ ، وأوضحَ الغامضَ ووسَّعَ الموجزَ ، وربطَ الفروعَ بالأصول ، ولم يتطرَّفْ بحيثُ يبتعدُ عن الشريعةِ بإسراف ، ولم يتبعْ خطى أرسطو دون حذرٍ كبيرٍ ، واستكمَلَ بذلكَ البنيانَ الفلسفيَّ واستحقَّ لقبَ « الشيخ الرئيس » . وأهمُّ المسائلِ الفلسفيّة التي شغَلَت ابنَ سينا هي مسألةُ النفس ، وقد شَغَلَتْهُ لأنه وجد فيها الموضوعَ الأساسيَّ المشتركَ بين الدين والفلسفةِ والطب . وهكذا وضعَ براهينَهُ الشهيرةَ على وجودِ النفسِ متجاوِزاً الأدلةَ التي وُضِعَت من قبل .

أهمَّ مؤلَّفاتِ ابن سينا : كتابُ « الشفاء » وهو موسوعتُهُ الفلسفيّة ، وكتابُ

« الإشارات والتنبيهات » وفيه مباحث في الطبيعيات والإلٰهيات والتصوّف والأخلاق ، ثم حكاية « حي بن يقظان » و« رسالة الطير » بالإضافة إلى كتابِ « القانون » الذي ذكرناه .



متى استُعمِلَت الامشاط للمرّةِ الاولى ؟



يومَ لاحَظَ الانسانُ أنَّه يصبحُ أكثرَ جاذبيةً إذا صفَّفَ شعرَه بشكلٍ معيَّنٍ كانَتْ ولادةُ المشط. المشط هو أيّة قطعةٍ صلبةٍ ذاتِ أسنانٍ تتخلَّلُ الشعرَ وتنظِّمُهُ .

المشطُ من أقدمِ الأدواتِ التي صنعَها الانسان . بعضُ الأمشاطِ المصنوعةِ من العظمِ ومن الخشبِ أو القرنِ ، وجدت في بيوتٍ قديمةٍ رُفِعَت فوق الماءِ في بحيرةِ سويسرا كان يعيشُ فيها الانسان البدائي .

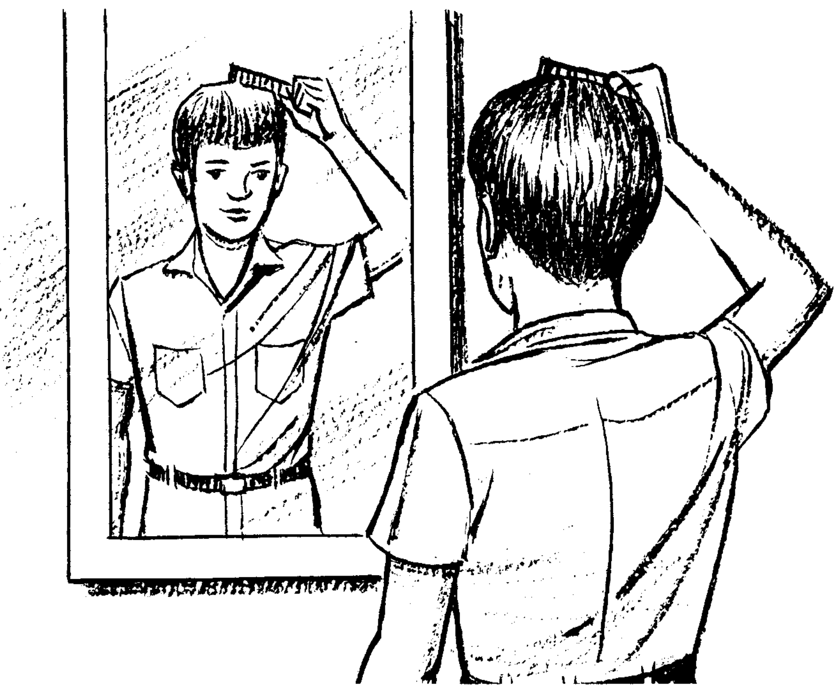
قُدامى المصريين صنعوا الأمشاطَ من العاج . وفي مُتحَفِ متروبوليتان للفنّ في مدينةِ نيويورك يمكنُ رؤيةُ أمشاطٍ مصريةٍ من الآبنوسِ والعاجِ صُنِعَت منذ آلافِ السنين . والمدهشُ أنها تشبهُ الأمشاطَ المُبتَكَرَةَ الحاليةَ ويمكنُ لأيَّة امرأةٍ أن تستخدمَها الآن .

وقد صنعَتِ الشعوبُ البدائيةُ الأمشاطَ من أيَّة مادّةٍ متوفِّرَةٍ لديها . هكذا صُنِعَتِ الأمشاطُ من قصبِ « البامبو » في بعضِ أنحاءِ آسيا ، بينما كانت في الجزرِ

البولينيزية أمشاطٌ من ضلوعِ السعفِ في شجرِ جوزِ الهندِ لُفَّتْ حولَها أليافٌ . وفي بعضِ مناطقِ غينيا الجديدةِ كانت الأمشاطُ تُصنعُ من قرونِ الجاموس .

وليس مشطُ الجيبِ الصغير اختراعاً جديداً ، ففي المتاحِفِ أمشاطٌ وُجِدَتْ في أطلالِ المباني الرومانيةِ ، وهي صغيرةٌ بحيثُ توضعُ في الجيبِ ومصنوعةٌ من العاج .

وقد عُنِيَ الفنانون في القرونِ الوسطى بزخرفةِ الأمشاطِ . هناكَ أمشاطٌ زُيِّنَتْ بصوَرِ القدّيسين وأمشاطٌ مُزَيَّنَةٌ بالزجاجِ الملوَّن والذهب ، وأمشاطٌ عليها كتاباتٌ لاتينيةٌ .



كيفَ اكتشفَ إنسان الكهوف النّار ؟



استعمالُ النارِ ومعرفةُ توليدِها كانت خطوةَ الانسانِ الأولى في طريقِ الحضارة . نعرفُ أنَّ انسانَ الكهوفِ قد استخدمَ النارَ منذُ آلافِ السنينِ لأنَّ الدارسين وجدوا في كهوفِ الأزمنةِ الغابرةِ قطعاً من فحمِ الحطبِ ومن العظامِ المتفحّمة أو المحروقةِ ، كما وجدوا « الأثافي » أو حجارةَ الموقدِ التي توقدُ النّارُ بينها .

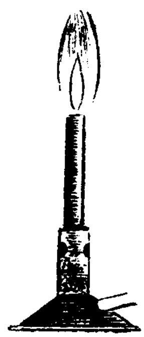
كيف تعلَّمَ البشرُ الأوائلُ إشعالَ النارِ ؟ ليس لدينا غيرُ التخمينِ للإجابةِ عن ذلك . ولا بدّ أن يكونَ القُدامى قد استخدموا النارَ طويلاً قبلَ أن يعرفوا كيفيةَ إشعالِها . ولعلَّ الناسَ كانوا إذا حصلوا على غصنٍ مشتعِلٍ تدبَّروا أمرَ المحافظةِ على النارِ سنواتٍ طويلةٍ . نعرفُ الآنَ عن طريقِ الحكاياتِ الشعبيةِ ومراقبةِ العاداتِ في الأريافِ البعيدةِ أو لدى الشعوبِ البعيدةِ عن الصّناعةِ أنّ الناسَ قد درجوا على الاحتفاظِ بنارٍ دائمةٍ ، لأنَّ المحافظةَ على النَّارِ كانت أسهلَ من إيقادِ نارٍ جديدةٍ .

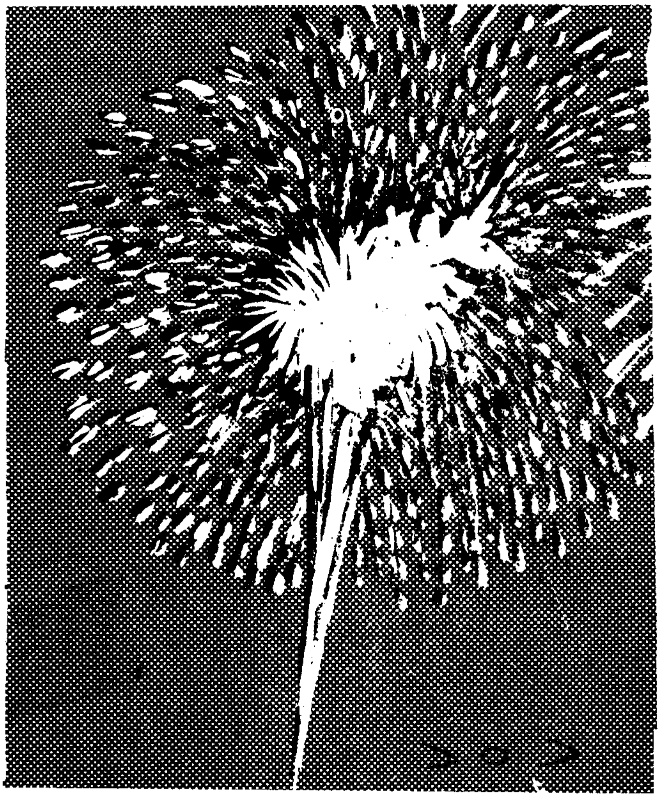
أما عن إيقادِ النّارِ ، فلا بدَّ أنَّ إنسانَ الكهوفِ وهو يتعثَّرُ في الظلامِ بحجرٍ مُخَلْخَلٍ قد رآه يتدحرجُ ويصطدمُ بحجرٍ آخرَ مُحدِثاً شرارةً . ولا بدَّ أن يكونَ هذا قد حَدَثَ طِوالَ آلاف السنين قبلَ أن ينموَ ذكاءُ الإنسان بحيث يستغِلُّ هذه الظاهرَةَ فيصطنِعُها ضارباً حجراً بحجرٍ لإحداثِ الشرارةِ وإشعالِ النار . وأوائلُ الذين عرفوا كيف يفعلون ذلكَ اكتسبوا أهميةً في العشيرةِ البدائيةِ واحتفظوا بسرِّ ذلك ، ولعلَّ الكهانةَ قد بدأَتْ بهذا الشكلِ ، فالكاهنُ الأوّلُ كان شخصاً يحتفظُ بسرِّ النار .

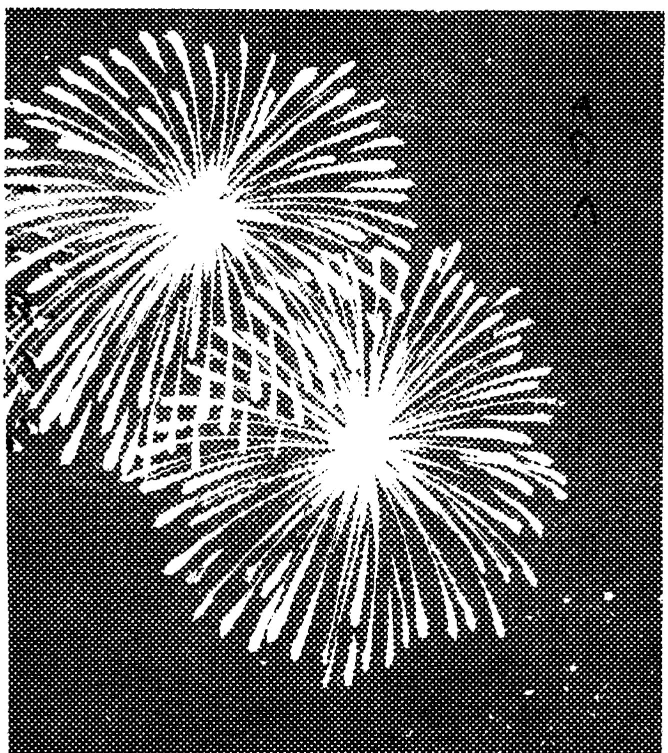
كثيرٌ من الشعوبِ البدائيّةِ الموجودةِ اليومَ تلجأُ إلى إشعالِ النارِ بالطريقةِ التي اتّبعها أسلافُ الإنسانِ الحالي . ففي آلاسكا ما تزالُ بعضُ القبائلِ الهنديةِ تضربُ حجراً بحجرٍ لإشعالِ النار . وفي بعضِ نواحي الصينِ والهندِ تُضرَبُ قطعةٌ من

الفخّارِ المكسورِ على قضيبٍ صلبٍ من قصبِ البامبو . ولدى الاسكيمو تُضرَبُ قطعةٌ من حجرِ الكوارتو الصلبِ فوقَ قطعةٍ من الحديد . والهنودُ الحمرُ في شمالي أمريكا كانوا يحكّون قضيبين جافّيْن ، أحدُهُما بالآخر حتى تشتعلَ النارُ .

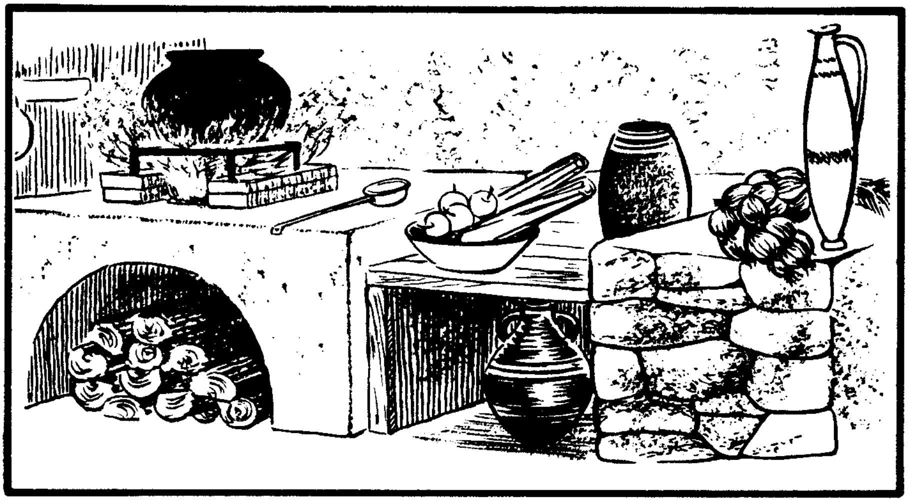
يعتبرُ اكتشافُ النارِ خطوةً أساسيةً في طريقِ الحضارةِ لأسبابٍ عديدةٍ . فالنارُ جعلتِ الانسانَ يشوي طعامَهُ أو يطهوه مما جعلَهُ أطيبَ مذاقاً . كما أنَّ تدخينَ الطعامِ وتقديدَ اللحومِ جعلَ الإنسانَ قادراً على حفظِ المؤنِ مدةً أطول . ثم إنَّ اكتشافَ النارِ سادَ على صنعِ الأدواتِ المعدنيةِ ، لأنها حين تُحمَّى تصبحُ قابلةً للتكيُّفِ والطرقِ . كما أنَّ إشعالَ النَّارِ أبعدَ عن الانسانِ الحيواناتِ المفترسةَ وساعدَهُ على مقاومةِ البردِ ، مما سهَّلَ عليهِ الحياةَ حتى في المناطقِ الشديدةِ البرودةِ .







كيف بدأ طبخ الطعام ؟



الطبخُ اليوم فنٌّ قائمٌ بذاتِهِ . وهناكَ آلافُ الكتبِ حولَ فنّ الطبخِ فضلاً عن المطاعمِ الشهيرةِ والأساليبِ العديدةِ وملايينِ الناسِ الذين يفاخرون ببراعتِهِم في الطبخِ .

لكن مرَّ زمنٌ كان الانسانُ يأكلُ فيه طعامَهُ نيئاً . وبعد اكتشافِ النارِ لم يبدأ الطبخُ حقّاً ، كان الانسانُ يكتفي بإلقاءِ طريدتِهِ في النارِ أو فوقَ الجمرِ المشتعلِ . ولم يتعلَّمْ كيف يصنعُ حفرةً بالحجارةِ ، أو ما يشبهُ التّنّورُ ، إلا تدريجياً . كان الطبخ إجمالاً يقومُ على الشيِّ فوقَ نارٍ مكشوفةٍ . ثم جاءتِ الخطوةُ الثانيةُ وهي صنعُ سطوحٍ من الصلصالِ أو الفخّارِ تطوَّرَتْ إلى القدورِ . واكتشفَ الانسانُ أنَّ

الطبخَ لا يجعلُ الطعامَ أشهى وحسب ، بل يجعلُهُ أكثرَ طراوةً يسهل مضغُهُ .

لمَّا وصلَ الانسانُ إلى مرحلةِ الحضارةِ المصريةِ كان الطبخُ قد تطوَّرَ تطوُّراً كبيراً إلى درجةِ إنشاءِ مخابزَ عامّةٍ تخبزُ للناس !

وقد وعى الإنسانُ منذ خمسة آلافِ سنةٍ أنَّ الفاصلَ بينَ الحياةِ البدائيّةِ والحياةِ المدنيّةِ يتمثَّلُ بالانتقالِ من أكلِ الطعامِ النيءِ إلى أكلِ المطبوخِ . نجد هذا في ملحمةِ جلجامش ذاتِ الأصلِ السومري . في هذه الملحمةِ تُعلِّمُ امرأةٌ « أنكيدو » ربيبَ الوحوشِ كيف يأكلُ الخبزَ بدلَ أعشابِ البرِّ ويشربُ الشرابَ القويّ بدلَ أن يردَ المياهَ مع الحيوان ، وكيف يلبسُ القماشَ بدل جلودِ الحيوان ، وهي تريدُ بذلك أن تنقلَهُ من حياتِهِ الوحشيّةِ إلى حياةِ المدنيةِ .

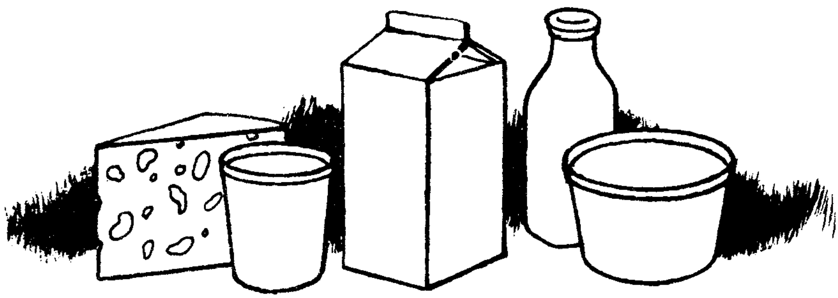
مع الحضارةِ اليونانيةِ تقدَّمَ فن الطبخ ، ولمَّا جاء الرومانُ وَرَثَةُ الحضارةِ اليونانيّةِ غالوا في الاهتمام بالأطعمة الراقية وتلاقت فنونُ الفرسِ والهندِ والبيزنطيين والعرب والمصريين ، وبلغَ الطبخُ في العصرِ العباسي درجةً كبيرةً من التعقيدِ والترف . حتى أنَّ بعضَ الكتّابِ والشعراء قد تفننوا في وصفِ الأطايِبِ ، كما فعلَ ابنُ الرومي في وصف القطايف مثلاً ، والجاحظُ في وصفِ المضيرةِ ، وغيرهما .

واليوم يتصدَّرُ المطبخُ الصيني البالغُ الترفِ والتعقيدِ والدقّة فنَّ الطبخِ في العالم . وفي العالمِ العربي اتجاهاتٌ في الطبخِ . فالطبخُ العربيُّ المغربيُّ يختلفُ عن المشرقي ، لكن لا يقلُّ عنه أهميةً ، إن لم يتجاوزْهُ في بعضِ الجوانبِ .

وفي أوروبا انحطَّ الطبخُ أثناءَ العصورِ الوسطى ولم يعدِ الطعامُ الجيدُ مستمرّاً إلا في الأديرة . فلمَّا عادَ وتقدَّمَ مع عصرِ النهضة تمَّ ذلك في إيطاليا واسبانيا وفرنسا . فالطبخُ في هذهِ البلدانِ أشهى بكثيرٍ مما هو في انجلترا والمانيا وأمريكا الشمالية

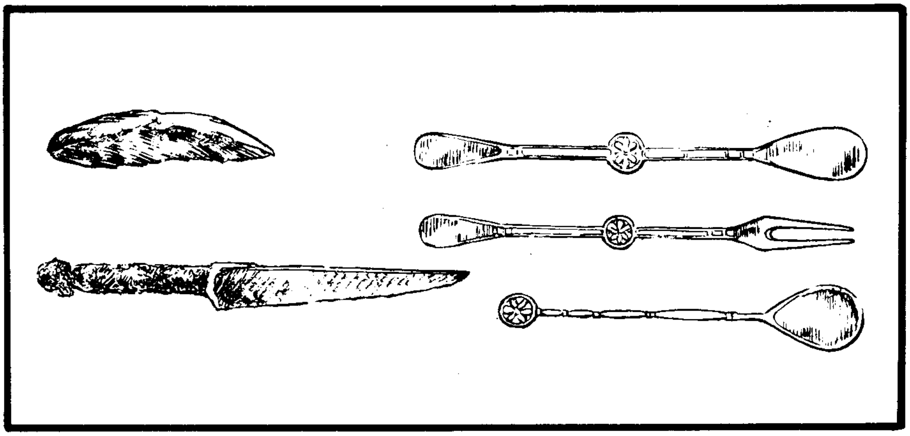
الغريبُ في مسألةِ تطوُّرِ الطبخِ أن الإنسانَ القديمَ قد عَرَفَ العملياتِ الأساسيةَ في الطبخِ وإن لم يكنْ طبخُهُ يتمتَّعُ بالترفِ والدقةِ . عرفَ عملياتِ الشيِّ والسلقِ والتبخيرِ والتدخينِ والتجفيفِ والإنضاجِ الهادىء . ولعلَّ القليَ هو العمليةُ الوحيدةُ التي فاتتهُ.

هذا وننبغي الإشارةُ إلى أن الطبخَ يجعلُ الطعامَ أسهلَ هضماً ويخلِّصُهُ من البكتيريا والطفيليات التي يمكنُها أن تُلحِقَ الأذى بالإنسان .





كيفَ بَدَأ استعمالُ أدواتِ الطعام ؟



لكلِّ شعبٍ أو حضارةٍ طريقةٌ خاصةٌ بتناوُلِ الطعام . وقد اخترَعَ الإنسانُ العديدَ من الأدواتِ للاستعانةِ بها في طعامِهِ . وُجِدَتْ هذه الأدواتُ منذ أزمنةٍ قديمةٍ .

فهناكَ أداةٌ تشبهُ الملعقةَ وُجِدَتْ منذ العصرِ الحجري . ونعرفُ أنَّ المصريين القدامى قد استخدموا منذ آلافِ السنين ملاعقَ من الحجرِ والعاجِ والخشب ، وأنَّ اليونانيين والرومان قد استخدموا ملاعقَ من البرونز والفضّة ، وكان بعضُها مُحلّى بزخارفَ جميلةٍ .

في العصورِ الوسطى الأوروبيةِ كانت الملاعقُ تُصْنَعُ من العظمِ والخشبِ والقصدير ، أما الأغنياءُ فكانوا يستعملون ملاعقَ فضيّةً . ونعرفُ أنَّ الأغنياء العرب

في العصرِ العباسيٍّ كانوا لا يقتصرون على استعمالِ ملاعِقَ الفضّةِ بل كان بعضهم يتخذها من الذهب . وقد بلَغَ التأنُّقُ في الطعامِ مبلغاً جعلَهم لا يأكلون بالملعقةِ الواحدةِ إلا لقمةً واحدةً يبدلون بعدَها الملعقةَ بأخرى نظيفةٍ . لكنَّ عامّةَ الشعبِ كانوا يأكلونَ غالباً بملاعقَ خشبيةٍ مصقولةٍ .

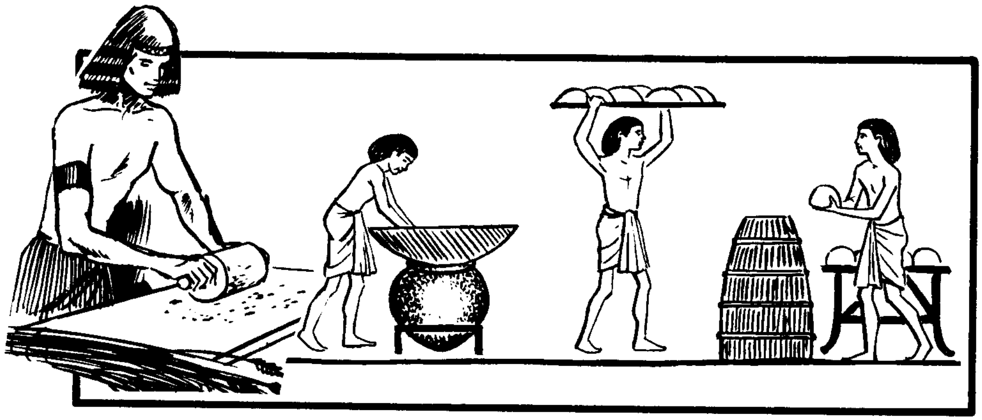
أما الشوكةُ والسكّينُ فقد كانا موجودين منذ العصور القديمةً وهي أشبَهُ بالسّفود (أو السيخ)، ويعتقدُ بعضُ المؤرّخين أنها بدأتْ مع بدايةِ السهم .الشوكةُ القديمةُ كانت طويلةً ولم تكن تُسْتُخْدَمُ لتناولِ الطعامِ بل للإمساكِ باللحمِ أثناء تجريدِهِ من العظامِ .

ولم يكنْ وضعُ الشوكةِ والسكين على المائدة لتناولِ الطعامِ مألوفاً قبل (٣٠٠) سنة . وفي انجلترا وفرنسا ظلَّ الناسُ يأكلون بأيديهم حتى القرنِ السابعَ عشر .

الشرقُ الأقصى عرفَ شكلاً مختلفاً من أدواتِ الطعام . الأداةُ الأساسيةُ هي عودٌ دقيقٌ يمسكُ الشخصُ اثنين منه بين أصابعِ اليدِ اليمنى أو يمسكُ كلاًّ من العودينِ بيد . أما الملاعقُ فتصنعُ من البورسلين وهي خاصةٌ بالسوائلِ .

والسكّينُ تطوَّرت من حجرِ صوّانٍ يُشطَفُ لتصيرَ له حافّةٌ حادّةٌ قاطعةٌ . ولعلَّها أوَّلُ أداةٍ طوَّرَها الإنسانُ . أما الأطباقُ (أو الصحونُ) فربما بدأ الانسانُ يتّخذُها من أشياءَ جاهزةٍ في الطبيعةِ . فورقةُ شجرٍ عريضةٌ تصلح طبقاً ، ورأسُ يقطينٍ مجوَّفٍ يصلحُ أن يكون وعاءً للحساءِ ، وقشرُ جوزةِ الهندِ يمكنُ أن يقومَ بوظيفةِ الفنجان أو الكأس . ثم لما تعلَّمَ الإنسانُ صنعَ الفخّارِ بدأ يصنعُ الأواني المتنوعةَ . وقد كان العديدُ من هذهِ الأواني جميلاً جداً ، وكثيرٌ منها قد حُفِظَ منذ آلافِ السنينِ حتى الآن .

اي شعبٍ بَدَأ صُنعَ الخبز ؟



حيثما ذهبتَ في العالم ، ابتداءً من البدائيين سكّانِ الأدغالِ حتى أفخمِ المطاعمِ يمكنُك أن تجدَ شكلًا من أشكالِ الخبزِ . الخبزُ هو دقيقُ أيِّ نوعٍ من الحبوبِ بعد عجنِهِ وخَبزِهِ .

أقدمُ الشعوبِ التي صنعتِ الخبزَ هم المصريون والسومريون في بلادِ ما بين النهرين . وكلاهما يرجعُ إلى ما قبل ثلاثةِ آلافِ سنةٍ قبل الميلاد . وهناكَ صورٌ مصريةٌ قديمةٌ تبينُ كيف كانَ العجينُ يُخمَّرُ ، لذلك قد يكونُ المصريون أوَّلَ من خمَّرَ العجين ليصبحَ الخبزُ ليِّناً سهلَ الهضمِ لذيذاً .

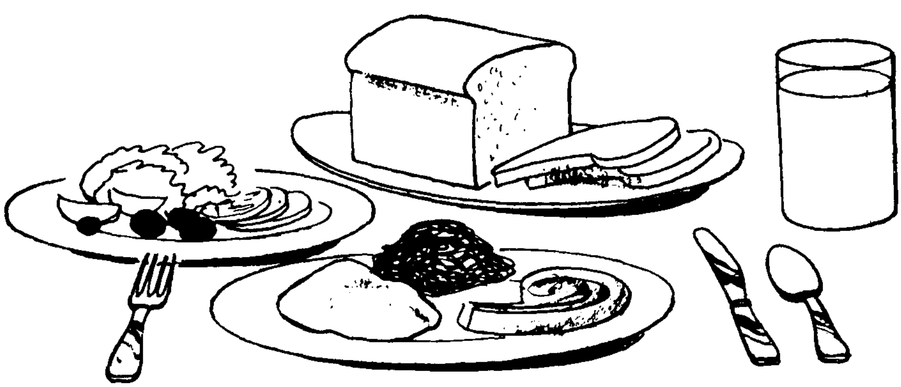
معظمُ الخبزِ يُصنَعُ من القمح لأنَّ القمحَ هو النوعُ الوحيدُ من الحبوبِ الذي يحتوي على مادةِ « الغلوتين » الغرويّة . هذا « الغلوتين » يجعلُ الرغيفَ ينتفخ أفضلَ عندما يُخبزُ ، كما يجعلُهُ خفيفاً سهلَ الهضمِ . طحينُ الجوادرِ مثلاً لا

يمتلكُ هذه الخصيصةَ ، لذلك ينبغي أن يُخلَطَ بدقيقِ القمحِ .

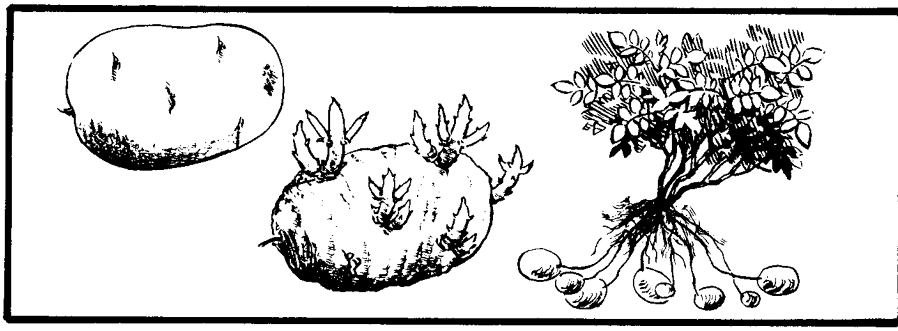
نأكُلُ كذلك أنواعاً من الكعكِ والمعجّناتِ والحلويات ، وهي تصنْعُ من دقيقِ القمحِ الذي يُخلَطُ بأنواعٍ أخرى من الدقيق .

يصنَعُ الخبزُ في أنحاءِ العالمِ من تنويعةٍ كبيرةٍ من الحبوب . ففي المكسيك يصنَعُ من دقيقِ الذرة . وفي اسكوتلندا يأكلون كعكةَ « البانوكة » وهي تصنعُ من دقيقِ الشوفان . وفي السويد يأكلون خبزاً صلباً يُصنَعُ من دقيق الجودار . واليهود يصنعون ، في عيدِ الفصحِ عندهم ، نوعاً من الخبزِ يُدعى « ماتزوه » يتكوَّنُ من مزيجِ الدقيقِ والماء بدون خمير ، ثم يُسكَبُ هذا المزيجُ فوقَ صفيحةٍ معدنيةٍ محمّاةٍ فيكوِّنُ خبزاً رقيقاً جداً يتكسَّرُ بسهولةٍ .

وفي بعضِ البلدانِ تُطحَنُ البازلاءُ ويُصنع من طحينِها نوعٌ من الخبزِ ، وفي بلدانٍ أخرى يُستخدَمُ الأرز لصنعِ الخبزِ ، حتى البلّوط يُجفَّفُ في بعضِ مناطقِ الشرقِ الأقصى ويطحنُ ليصنعَ منه الخبزُ .



مــا منشأ البطاطا؟



البطاطا (أو البطاطس) هي اليوم وجبةٌ شعبيّةٌ شائعةٌ في البلدانِ العربيةِ وعددٍ كبيرٍ من بلدانِ العالم . غير أنَّ البلدَ الذي اشتُهِرَ بها هو إيرلندا ، وذلك لارتباطِها بكارثةٍ إيرلنديةٍ عامّةٍ . كان الإيرلنديون حتى أواسطِ القرنِ التاسعَ عشر يعتمدون في غذائِهم على البطاطا بشكلٍ رئيسيٍّ . ثم في عام ١٨٤٦ أُصيبت البطاطا بآفةٍ زراعيةٍ أتلفَتْ محصولَ السنة بكامِلِه ، وكانت النتيجةُ موت ٦٠٠,٠٠٠ شخصٍ جوعاً .

غيرَ أنَّ البطاطا لم تنشأْ في إيرلندا ولا في ألمانيا حيث يكثرُ أكلُها. موطنها الأصلي هو مُرتَفَعاتُ الإكوادور والبيرو في أمريكا الجنوبيةِ . ويمكنُ العثورُ عليها حتى اليوم تنمو تلقائياً مع النباتاتِ البرّيّةِ . ولمّا وصل الاسبانُ إلى البيرو وجدوا نبتةَ البطاطا وحملوها معهم إلى اسبانيا في مطلع القرنِ السادس عشر ، ومن هناك انتشرت في أنحاء أوروبا .

البطاطا من الفصيلةِ التي تضمُّ الطماطمَ (البندورة) والتبغ . وحبَّةُ البطاطا

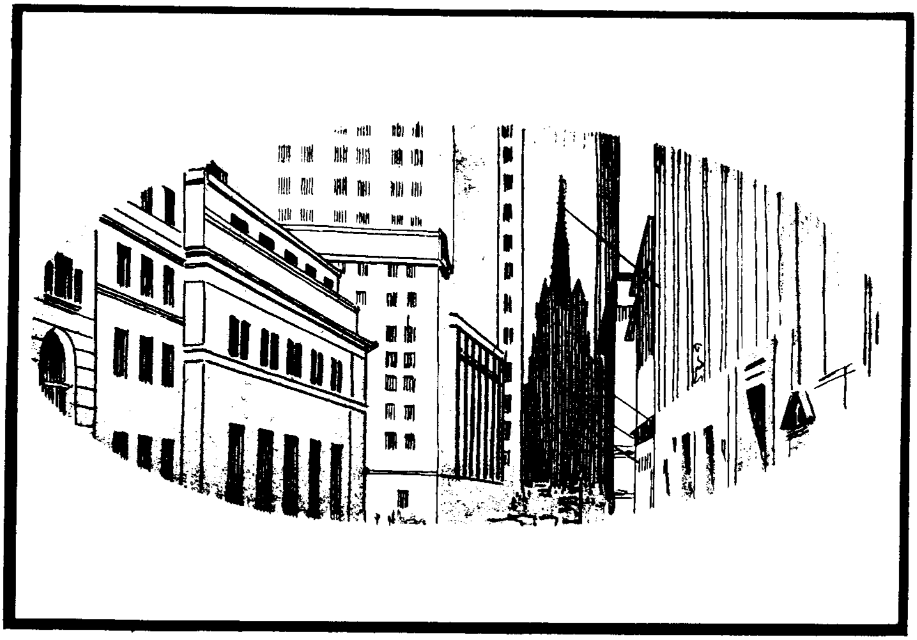
نفسُها هي عبارةٌ عن ساقٍ تدَّخِرُ الغذاءَ وتبقى تحت سطحِ التربةِ ، و« العيون » التي في حبَّةِ البطاطا هي عبارةٌ عن براعمَ غيرِ ناميةٍ .

البطاطا التي نأكلُها اليوم تختلفُ عن تلك التي عُثِرَ عليها في أمريكا الجنوبية ، وذلك بسببِ اختلافِ طرقِ الزراعةِ وكيفياتها . والبطاطا لا تنمو بطريقةِ زرعِ البذور ، بل من زرعِ قطعٍ من حبَّةِ البطاطا تشتملُ على البراعم أو العيون ، وهي التي تنمو لتشكِّلَ النبتةَ الجديدةَ . تنمو النبتةُ ، التي تحملُ أزهاراً بيضاءَ أو مزهّرة ، إلى ارتفاعٍ يتراوحُ بين ٣٠ و٩٠ سم . عندما يبدأ رأسُ النبتةِ بالذبولِ يكونُ وقتُ القطافِ قد حانَ .

تزرع البطاطا أساسياً للأغراضِ الغذائيةِ ، كما يُصنعُ منها النشاء ، وتُستعمَلُ لتقطيرِ الكحول .



مَا أولُ ناطِحة سَحَابٍ ؟



تكثرُ اليوم في مدنِ العالمِ الكبرى المباني المرتفعةُ التي يمكنُ أن نطلِقَ عليها اسم «ناطحات سحابٍ».

وبالطبعِ فإنّ هذه التسميةَ اصطلاحيّةٌ باتَتْ تُطلَقُ على كلّ مبنى مرتفعٍ .

وفي التوراةِ إشارةٌ إلى محاولةٍ لبناءِ صرحٍ مرتفعٍ جداً إلى درجةٍ لا يمكنُ معها لأيِّ طوفانٍ أن يغمرَهُ . وهذا الصرحُ هو« برجُ بابل » . وخلالَ العصورِ الوسطى بدأ سكّانُ أوروبا الشماليّةِ يبنون الكاتدرائيات . وقد توصَّلَ معلّمو المعمارِ إلى نحتِ

الحجارةِ ثم رصفِها لتشكيلِ أقواسٍ مدبَّبةٍ (أي حادّةِ الرؤوس) . وعرفوا كيف يبنون الدعائمَ المرتفعةَ كي يزدادَ ارتفاعُ السقوف . وقد أُضيفت إلى هذه السقوفِ العاليةِ أبراجٌ مرتفعةٌ مستدقّةٌ لتمنحَ الكاتدرائياتِ مزيداً من المهابة .

وقد ظلَّتْ هذه الكاتدرائياتُ على مدى مئاتِ السنين أكثرَ المباني ارتفاعاً . وسببُ ذلك أنَّ موادَّ البناء وأساليبَ الهندسةِ التي كانت مُعْتَمَدَةً لم تسمحْ بإقامة مبانٍ أكثرَ ارتفاعاً .

في القرنِ التاسعَ عشر ، بدأت المدنُ تغصُّ بالسكانِ وارتفعت قيمةُ أراضي البناء . فتوجَّبَ إقامةُ أكبرِ عددٍ ممكنٍ من المساكِنِ على مساحةٍ صغيرةٍ من الأرض ، وهذا ما دعا إلى زيادةِ ارتفاعِ المباني . ثم لمَّا اختُرِعَ المصعدُ « الهيدرولي » (المائي) صار بالإمكانِ نقلُ الأشخاصِ إلى ارتفاعِ ٢٠ دوراً . لكنَّ المشكلةَ أنَّ بناءَ هذا العددِ من الأدوارِ بحجارةِ البناءِ العاديّةِ يقتضي أن تكونَ جدرانُ الدورِ الأول بسماكةِ مترين كي تتمكَّنَ من تحمُّلِ ثِقَلِ المبنى . لذلكَ كان لا بُدَّ من البحثِ عن مادةٍ أخرى غيرِ الحجارةِ لبناءِ ناطحاتِ السحاب .

حوالى هذا التاريخِ أُقيمت ثلاثةُ مبانٍ استُخدمَ فيها الحديدُ أو الفولاذُ لتحمُّلِ الثِّقَلِ العظيمِ بشكلٍ مأمونٍ . هذه المباني هي قصرُ الكريستال (أو الزّجاج) بلندن ، و« برج إيفل » بباريس ، وجسر « بروكلن » بنيويورك . وبدأ مهندسو المعمارِ يجرون التجاربَ لإقامةِ مبانٍ لها هياكلُ من الفولاذِ . وهكذا ارتفعت أولُ ناطحةِ سحابٍ عام ١٨٨٣ بشيكاجو في الولاياتِ المتّحدة .

مَا هو فنّ الملحَمة ؟

الملحمةُ شعرٌ قصصيٌّ بطوليٌّ ، قوميٌّ يدورُ حولَ أحداثٍ خارقةٍ لما أَلِفَهُ الناس وعرفوه . وعمادُ الشعرِ في الملحمةِ خيالٌ قويٌّ يستطيعُ أن يبعثَ عالماً متحرِّكاً شديدَ التنوُّع . والملحمةُ قصيدةٌ طويلةٌ تبلغُ آلافَ الأبيات . فملحمةُ الإلياذة تبلغ (١٦,٠٠٠) بيت وملحمة « جلجامش » (السومرية ـ البابلية) تبلغ (٣٦٠٠) بيت .

هذا الشعرُ القصصيُّ يضعُ أمامَ أعينِنا سلسلةً من الأحداثِ وإن تخلَّلتْها الأوصافُ والخطبُ أو المراثي . فالملحمةُ هي التاريخُ الخيالي بالنسبةِ إلى الماضي . إنها تنهضُ دوماً على وقائعَ تاريخيةٍ ، أو هي ، بتعبيرٍ آخرٍ تتكوَّنُ حولَ نواةٍ تاريخيةٍ . غيرَ أنَّ هذه النواةَ التاريخيةَ لا تُعالَجُ معالجةً عقليةً والوقائعُ التاريخيّةُ لا تُقدَّمُ بشكلٍ علميٍّ . الملحمةُ هي الرؤ يةُ الخياليّةُ العاطفيةُ لأحداثٍ تاريخيّةٍ . وهي لذلك لا تقدِّمُ الأحداثَ كما وقعَتْ بل كما يصوِّرُها خيالُ الناس . لذلكَ قالَ بعضُ الأدباء في تعريفِها : « إنّها الشعرُ في طفولةِ الشعوب ، حيث يختلِطُ التاريخُ بالأساطيرِ ، والخيالُ بالحقيقةِ ، وحيثُ يكونُ الشعراءُ بمثابةِ المؤ رّخين للشعوبِ ، وذلك لأنَّ الفكرَ النقديَّ لم يكنْ قد وُجِدَ بعد .

تشغلُ الأحداثُ والأشخاصُ في الملحمةِ الحيِّزَ الأكبر ، وهي تسعى عن طريقِ تعظيمِ الأشخاصِ وتهويلِ الأحداثِ إلى أن ترسمَ لنا إنسانيّةً متفوِّقةً بقوّتِها الماديّةِ والمعنويّةِ وبعواطفِها المشبوبةِ وأعمالِها المتهوِّرَةِ . ففي ملحمةِ « الإلياذة »

المنسوبة لهوميروس والتي تروي أحداثَ السنةِ الأخيرةِ من حروبِ طروادة[1] ، يطوفُ كلٌّ من « أشيل » بطلِ اليونان و« هكطور » بطلِ الطرواديين حولَ أسوارِ طروادة ثلاثَ مراتٍ ، ويصرخُ « أشيل » صرخةً مدويّةً فيسمعُها كلٌّ من الجيشينِ المتقاتلين ، وتلقي الفزعَ في أهلِ طروادة . ولمَّا قُتِلَ هكطور اقترَبَ اليونانيون من جثَّتِهِ ونظروا معجَبين إلى « قامَتِهِ وجمالِهِ المدهِشَين » .

وأبطالُ الملاحمِ لا يُنازلونَ الأبطالَ المُعادين وحسب ، بل ينازلون الآلهةَ (الوثنيّةَ طبعاً) فيثخنونَها بالجراح . ويصمدُ البطلُ الواحدُ في القتالِ ضدَّ مئاتٍ من الأعداءِ المقاتلين .

والملحمةُ في الأساسِ لا يؤلّفُها شخصٌ أو شاعرٌ معيَّنٌ . إنها تبدأُ كأغنيةٍ أو نشيدٍ يدورُ حولَ حادثةٍ تاريخيةٍ . يتناقلُ الناسُ هذا النشيدَ أجيالاً ، وكلَّما انتقلَ من جيلٍ إلى جيلٍ تطوَّرَ ونما وأُضيفَت إليه مقاطعُ وأحداثٌ وأوصافٌ . ويتمُّ انتقالُهُ بواسطةِ الشعراءِ الشعبيين الذين كانوا في العهودِ القديمةِ يتنقلون من مكانٍ إلى مكانٍ ينشدون الأشعارَ ويصبحونَ ذلك بالعزفِ. وهكذا تستمرُّ الملحمةُ في الانتقالِ حتى تتهيَّأَ لها الصياغةُ الفنّيّةُ الأخيرةُ على يد شاعرٍ كبيرٍ . هذا ما انتهت إليه آراءُ الدارسين حولَ ملحَمَتَيْ « الإلياذة » و« الأوديسّة » لهوميروس . وملحمةُ « جلجامش » لا يُعرَفُ لها مؤلِّف ،وإن كانتِ الأدِلّة الأخيرةُ التي وُجِدَت في بقايا مكتبةِ آشور بانيبال تشيرُ إلى شخصٍ اسمُهُ « سين ـ ليكي ـ أونيني » لعلَّهُ الناسخُ ، أو الشاعرُ الذي صاغَها الصياغةَ الأخيرة .

هذه الملحمةُ التي تنمو على ألسنةِ الناسِ تُسمَّى « الملحمةَ الطبيعية » أو « البدائيةَ » . هناك نوعٌ آخرُ يسمَّى « الملحمةَ العالمةَ أو الصناعيةَ » . « الملحمةُ

---

(١) أنظر مادَّتيْ « هوميروس » و« هلن الطروادية » من هذا الفصل .

الصناعيّةُ » يؤلّفُها شاعرٌيختارُ موضوعاً تاريخياً وبطلاً ويقومُ بصياغتها على الأسس التي استنبطَها من قراءته للملاحِمِ الطبيعيةِ . ومن الأمثلةِ على الملحمةِ الصناعيّةِ ملحمة « الإنياذة » للشاعرِ اللاتيني « فيرجيل » ، وملحمةُ « عيد الغدير » للشاعرِ اللبناني بولس سلامة هي أيضاً من نوعِ الملاحمِ الصناعيّةِ .





الظاهر بيبرس

بقي اثني عشر عاماً يقاتل ولا يهادن .. يترك العرش الى أرض المعركة ، ويقاتل .. كان عرشه صهوة الجـواد وكان السيف صولجانه .

مَن هو هوميروس ؟

هناكَ قصيدتان عظيمتان هما الإلياذة والأوديسّة ، وهما أعظمُ عملٍ أدبيٍّ في اليونانِ القديمةِ ، وتُعتبران بين أعظمِ القصائدِ التي كُتِبَتْ حتى الآن في أيةِ لغةٍ .

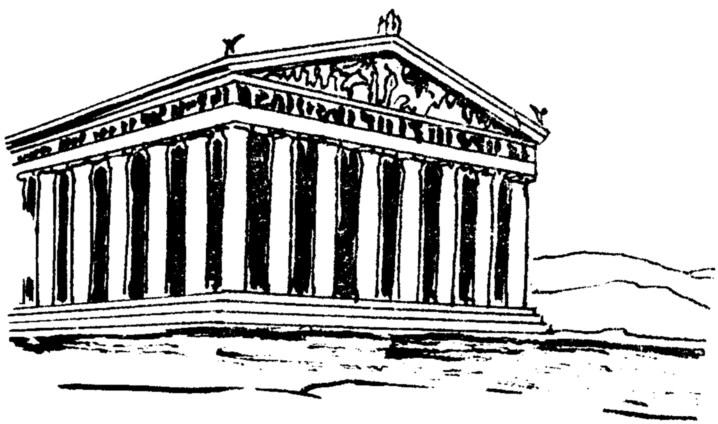
ظلَّ الاعتقادُ سارياً لمدةٍ طويلةٍ بأنَّ القصيدتين هما من نظمِ رجلٍ أعمى يُدعمى هوميروس ، قيلَ إنَّه كان يعيشُ في آسيا الصغرى . لكنَّ معظمَ الخبراءِ في الوقتِ الحاضرِ يشكِّكُون في كونِ القصيدتين من نتاجِ هوميروس أو أيِّ انسانٍ آخرَ بمفردِهِ .

لا يعرفُ أحدٌ كيف كُتِبَتِ القصيدتان تأكيداً . لكن المختصّين يقولون إنه في اليونان الغابرةِ كان العديدُ من الشعراءِ يسافرون من بلدةٍ إلىأخرىلامتاعِ الملوكِ والنبلاءِ العامَّةِ بالقاء القصائدِ القصصية من نَظمِهم أو نظمِ الآخرين . وكان من الموضوعاتِ المفضَّلةِ لهؤلاء الشعراءِ قصائد حروبُ طروادةَ . وكان لكلِّ شاعرٍ قصيدتُهُ الخاصَّةُ في هذا الحدثِ الكبير وطريقتُهُ الخاصّةُ في الحديثِ عنها . وفي ذلكَ الوقتِ لم تكن الكتابةُ قد عُرِفَتْ على الأرجحِ ، فكانت القصائدُ تُحفَظُ عن ظهرِ قلبٍ وتُتلى شفاهاً .

ثم ظهرَ ، حوالى سنة ٨٠٠ ق . م . شاعرٌ عظيمٌ ، ربما كان اسمُهُ هوميروس أو غيرَه ، جمعَ القصائدَ التيتناولت حربَ طروادةَ وألَّفَ منها قصيدةً كبرى سُمِّيتِ الالياذةَ ، نسبةً إلى « اليون » وهو الاسمُ الآخر لمدينةِ طروادةَ .

بعد ذلكَ بقليلٍ أُلِّفَتِ الأوديسة بنفسِ الطريقةِ ، إما بواسطةِ هوميروس أو

غيره . وكانت القصيدتان أجودَ كثيراً من النصوصِ الأخرى التي روَتْ أخبارَ طروادة .



مَا هو اللِبـريشون ؟

اعتَقد الناسُ قديماً بوجودِ كائناتٍ غريبةٍ على الأرض ِ ذاتِ قدرةٍ سحريةٍ . وقد سُمِّيَتْ هذه الكائناتُ بالجنِّ والحوريّاتِ والعفاريتِ وما أشبه ، تبعاً للبلدانِ والأُممِ التي اعتقدت بها . ومن هذه الكائناتِ « اللبريشون » وهم اسكافيّون من الجنِّ في إيرلندا . تقولُ الأساطيرُ إنهم رجالٌ مسنّون تعلوهُمُ التجاعيدُ وأجسادُهُم ضئيلةٌ في حجم أجسامِ الأطفالِ والرضّعِ . وفي اسكتلندا يعتقدون بوجودِ كائناتٍ مماثلةٍ طولُها حوالى (٦٠ سم) تسمى الجراميز .وتعملُ الجراميز في خدمةِ المنازلِ ليلاً ، فهي تختارُ منزلاً ما وتأتيه في الليلِ وتقومُ بتنظيفهِ وكنسِهِ وأداءِ الأعمالِ المفيدةِ لأهلِ البيت . ويأخذُ هؤلاء « الكادحون » لقاءَ أعمالِهم صحناً من القشطةِ أو كسرةَ خبزٍ أبيضَ لا غير !

وفي انكلترا تسمّى الجنيّاتُ الصغيراتُ جداً بِكْسي . وهن يرتدين ستراتٍ خضراءَ وقبعات حمراءَ ويرقُصْنَ على غناءِ الجنادبِ والصراصير . وفي اسكندنافيا تسمى الجنيةُ « الألف الأبيض » . وهي تعيشُ في الحقولِ والغاباتِ . ويظنون أن الكائنَ البشري يقدرُ أن يجدَ طريقةً إلى منازلِهم في إحدى الليالي السحريةِ من السنة ـ تصادفُ هذه الليالي عشيةَ نصفِ الصيف وعشيةَ أيار (مايو) وعشيَّةَ الميلاد ، أو عشية عيد جميع القديسين ـ .

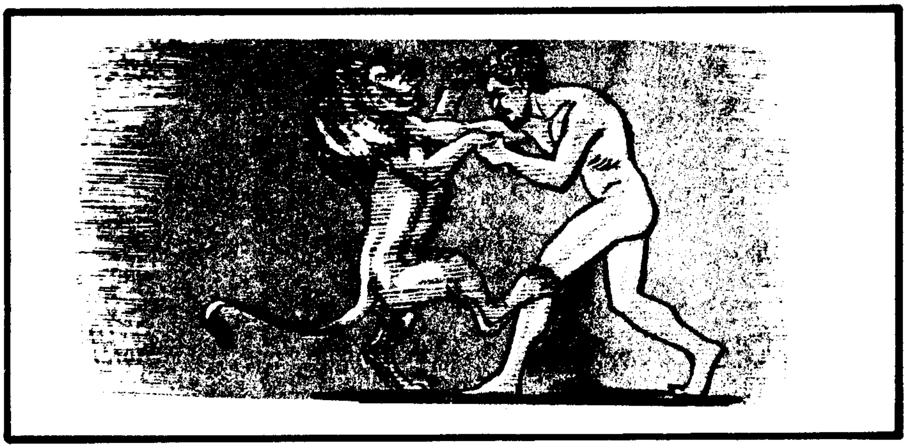
للجنيات الأكبرِ حجماً أسماءٌ مختلفةٌ . فمثلاً ، إذا كان حجمُها ١٨ بوصة أي بحجمِ الأطفالِ الرضَّع فانها تُسمَّى « غوبلن » ، وفي الالمانيةِ تُسمى « الأقزام » ، وفي اسكندنافيا « ترول » . وأحياناً تكونُ في حجمِ الانسانِ . وقد يصعُبُ تمييزُها

عن البشرِ . ومثلُ هذه المخلوقاتِ يسمّيها الالمانُ « نِكس » أو روحَ الماء ؛ وهم يقولون إنَّك إذا لاقيتَ شخصاً أسنانُهُ خضراء فهو « نكس » . ويقولون إن النكسات تعيشُ في الماءِ وعندما تخرجُ إلى اليابسة يظهرُ البلَلُ على أجزاءٍ من ملابسها.

وهكذا يبدو أنَّ كلَّ بلدٍ يتخيَّلُ شكلاً مختلفاً ووظيفةً مختلفةً للجنيّات ، وهذا يتبعُ نمطَ الحياةِ ومجموعَ التقاليدِ والمعتقداتِ في ذلك البلد .



من هو هِـرَقل ؟



كلُّ واحدٍ منَّا يعرفُ أنَّ هرقلَ كان رجلاً قوياً ، لكنَّ الاغريقَ كانوا يعتبرونه أكثرَ من ذلك .. فقد عبدوهُ واتَّخذوا منه ربّاً .

كان هرقل ، تبعاً للخرافةِ ، ابنَ الإله « زيوس » من «ألْكميل»، الأميرةِ البشرية . وقد كَرِهَتْهُ هيرا ، زوجةُ زيوس الالهيّةُ ، فأرسلت إليه وهو في المهدِ ثعبانين لقتلِهِ ، لكنَّ الطفلَ الرضيعَ خنقَهما بيديه . وتزوَّجَ هرقل « ميغارا » ، لكن هيرا أوقعت به مسّاً من الجنونِ فقتلَ زوجَتَهُ وأطفالَهُ .

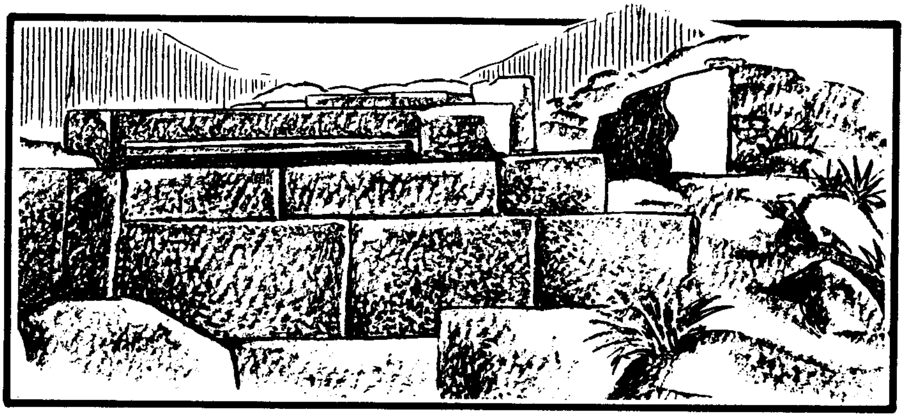
وللخلاصِ من هذه المحنةِ أُمرته كاهنةُ « دِلْف » بتقديمِ خدماتِهِ للملك بورستيوس ، الذي عهِدَ إليه باثني عشَرَ عملاً . وحولَ هذه الأعمالِ الاثني عشر تدورُ أسطورةُ هرقل كلُّها .

أوَّلُ هذه الأعمال خَنْقُهُ أسداً غضنفراً . ثم أُرسِلَ لقتلِ « هيدرة » وهي ذاتُ تسعةِ رؤوسٍ ثمانيةٌ منها فانيةٌ والتاسعُ خالدٌ . وكان هرقل كلَّما قربَ رأْساً نبتَ اثنان في مكانِهِ . لكنَّه استطاعَ أخيراً قتلَ هيدرة .

العملُ الرابعُ هو قتلُ الأيلِ الذهبي القرونِ مع خنزيرٍ بريٍّ . والعملُ الخامسُ هو تنظيفُ حظائر ثلاثة آلافِ ثورٍ تعودُ للملكِ أوغياس ولم تكن قد نُظِّفت منذ ثلاثين سنة . وقد وجَّهَ هرقل مجرى نهرين نحو الحظائر ونظَّفها في يومٍ واحدٍ .

عملُهُ السادسُ كان قتلَ طيورِ ستيمفالوس ، والسابعُ هو القبضُ على الثورِ الكريتي . والثامنُ هو القبضُ على خيولِ ديوميدس البريةِ ، التي تتغذَّى من لحمِ الانسان . وفي عملِهِ التاسعِ استولى على حزامِ هيبوليتا ملكةِ الأمازونات . وفي العاشرِ جلبَ ثيران جيريون من جزيرةٍ في أقصى الغرب . وفي طريقهِ شقَّ أحدَ الجبالِ لفتحِ مضيقِ جبلِ طارق . وكانَ عملُهُ الحادي عشر أخذَ ثلاثِ تفاحاتٍ ذهبيةٍ من هيسبريدس . أما الثاني عشر فهو جلبُ كلبِ المراقبةِ لـ « يوريستيوس » من هادِس (الجحيم) في سبربيروس .

من هم الإنكا ؟



كانت حضارةُ الهنودِ الحمرِ في العامِ الأربعمئةِ من عمرِها حين غزا كولومبس أمريكا . وكانت هناكَ أمبراطوريةٌ متحضِّرةٌ تشمَلُ بلادَ الأنكا التي تضمُّ حالياً بوليفيا والبيرو والأكوادور ، وجزءاً من الأرجنتين والتشيلي . ويتوسَّطُ إمبراطوريةَ « الأنكا » «كوزْكو»، العاصمةُ ، مدينة الشمسِ المقدسةِ . وكانت « كوزكو » مركزاً للعالمِ الذي يعرفُهُ الهنودُ ، تأتيها القوافلُ من كلِّ أنحاءِ الأمبراطوريةِ بالحبوب والذهب والفضّة والأقمشةِ الرقيقةِ ، وأوراقِ الكوكا الخضراء . كان « الأنكا » حكّاماً قساةً لكنهم عادلون . وكانوا متسامحين ، بخلافِ الأوروبيين الذين غزوهم ، فكانوا إذا احتلّوا بلداً أعطوا أهلهُ حريةَ الاعتقادِ وحافظوا على ثقافتِهم وتقاليدِهِم . وقد جعلوا الأسرةَ أساسَ الحكمِ فكان لكلِّ عشرةِ عائلات زعيمٌ. وهذا الزعيمُ يرتبطُ بزعيمٍ أعلى منه يديرُ خمسينَ أسرةً . وهكذا صُعُداً حتى « الانكا » وهو الإمبراطور.

كان كلُّ فردٍ في الانكا يشتغِلُ عدا الأطفالَ والشيوخَ ، وكان لكلٍّ أسرةٍ قطعةُ أرضٍ تزرعُها . وكان الناس ينسجون بأنفسِهم ملابسَهم ويصنعون أحذيتَهم كما يصنعون أوانيهم الفخاريةَ وحاجاتهم الذهبيةَ والفضيّةَ .

ولم يكنْ للشعبِ حريةٌ شخصيةٌ ، فقد كان الأمبراطورُ يقرّر لهم ما يجبُ أن يلبسوا ويأكلوا وما يجبُ أن يفعلوا . وكان المرضى الفقراءُ والعَجَزَةُ يلقَوْن العنايةَ . وكان الانكيون مزارعين مدهشين وقد أنشأوا منظومات ريٍّ لجلبِ الماءِ من الجبالِ وأنتجوا غلالاً وفيرةً . ولا تزالُ الكثيرُ من مبانيهم شاخصةً . وقد أقاموا جسوراً غيرَ اعتياديةٍ من حبالٍ ضخمةٍ مضفورةٍ من أغصانِ الكرومِ والصفصافِ . وكانت لهم مهارةٌ عاليةٌ في صناعَتَيْ النسيجِ والفخّارِ . وكانت أقمشتُهُم القطنيةُ من اللطافةِ بحيثُ ظنَّها الاسبانيون الأوائلُ من الحرير . كما كانوا ينسجون أقمشةً صوفيةً فاخرةً .

بعد قرونٍ عديدةٍ من الرفاهِ ، تقسَّمَتِ الأمبراطوريةُ بين أخَوَيْنِ غيرِ شقيقينِ انهَمَكا في الاقتتالِ حتى أضعَفا نفسيهما . ولما وصلَ الغزاةُ الاسبانُ وجدوا من السهلِ عليهم قهرَ الأخوينِ وتدميرَ الامبراطوريةِ والقضاء على حضارتها المزدهرة، كما قضوا من قبلُ على الحضارةِ العربيةِ في الأندلس. وتكشفُ هذه الحقيقةِ عن حضارةِ الأنكا إذ أن الأوروبيين حين دخلوا أمريكا لم تكنْ في حالةٍ بدائيةٍ كما تقولُ دعايتُهُم. وكان التفوُّقُ الحاسمْ للأوروبيين هناك هو امتلاكُهُم الأسلحةَ الناريةَ التي مكّنتهم من التغلب على السكان الأصليين وإبادتهم.

مَن هـُم الأزاتِكَة ؟

إنَّ أحد أهمِّ شعوب أمريكا القديمةِ هو شعبُ الأزتيك، الـذي عاش في الوادي الذي يضمُّ الآن مدينةَ مكسيكو. وكان لهذا الشعبِ تاريخٌ طويـلٌ يسبقُ الغزوَ الأوروبي . وقد طوَّروا حياةً مساوِيةً تقريباً لحياةِ العديد من شعوبِ أوروبا . ونقشوا تاريخهم على الحجارةِ وبنَوْا المعابدَ والأبراجَ والمساكِنَ من موادَّ صلبةٍ . وكانت لهم مهاراتٌ في الفلكِ والقانونِ والإدارة كما كانت لهم خبـرةً جيّدةً في الفنون والحِرَف. وكانوا أناساً طيّبين ودمِثين إلى حدٍّ كبيرٍ. ومحبِّين للطبيعةِ، لا سيما الطيورَ والازهار. وكانوا كذلكَ من عشّـاقِ الموسيقى والـرقصِ والتمثيلِ والأدب .

وكان الأزاتكةُ محارِبين أشدّاء . وقد حاوَلَ الغربيون تشويهَ سمعتِهم فنَسبوا إليهم مظاهرَ من العنفِ ضدَّ الأسرى من الأعداءِ تقرُّباً لإله الحرب . لكن هذه الإفتراءات قد دُحِضَت مؤخَّراً واتَّضَحَ أنها لا تستندُ إلى أساس .

سُمِّيَت بلادُ الأزتيك أيضاً بلادَ المكسيك ، ومن هذا الاسم ، أو من اسمِ أحدِ الآلهةِ ، جاء الاسمُ الحالي للمكسيك المعاصرةِ . وقد بنى الأزاتكةُ سنة ١٣٢٥ م ـ أي قبل الغزو الاسباني بـ١٦٧ سنة ـ عاصمتهم المسمّاة تِينوختيتلان. وقد أصبحت هذه المدينةُ فيما بعد عاصمةً للاسبانِ الذين اغتصبوها من أهلِها ، ثم عاصمةً لجمهوريةِ المكسيك .

لا يُعرَفُ بالضبطِ من أينَ جاءَ الأزاتكةُ . ويُستَفادُ من الخرافاتِ المتعلّقةِ بهم أنهم جاؤ وا من الشمال . ومن المحتَمَلِ أنهم وصلوا إلى وادي المكسيك في القرن

الثاني عشر أو الثالث عشر . وكانوا يُسَمَّوْنَ في ذلكَ الوقتِ تينوخكاس . وقد واجهوا أياماً صعبةً في الوادي لأنَّ سكانه الأصليين وهم التولتيكيون ، وكانوا شعباً متحضِّراً ، قد اعتبروهم برابرةً . غير أنَّ قدرتَهم تعزَّزَتْ بمرورِ الوقتِ حتى تمَّتْ لهم السيطرة على الوادي كلِّهِ .





من أين جاء الهنود الحمر ؟



يرى العلماءُ أنَّ أوائلَ الهنودِ وصلوا إلى أمريكا الشماليةِ قبل (١٢) ألف سنة . وكانوا حينذاك صيّادين . ومن المحتمل أن يكونَ أصلُهُم من سيبيريا . وقد عَبَروا منها إلى آلاسكا حين كانت آسيا وأمريكا متصلتين بشريطٍ مائيٍّ ضيِّقٍ هو المسمّى الآنَ مضيقَ بيرنغ . وعلى مدى ألوفِ السنين وصلَ المزيدُ من هؤلاء الصيادين إلى شمالِ أمريكا . وكانوا يأتون في أزمنةٍ متفرِّقةٍ على شكلِ مجموعاتٍ عائليةٍ . وقد أدّى ذلك إلى اختلافِهِم عن بعضِهِم البعض على الرغم من أنهم جاؤوا من مكانٍ واحدٍ وانحدروا من أصلٍ واحد . وقد شملَت اختلافاتُهُم اللغة والمظهَرَ والتقاليدَ والمعيشةَ ، والطريقةَ التي تكيَّفوا بها مع البلادِ الجديدةِ .

يشتركُ هؤلاءِ الأقوامُ في الشَّعرِ الأسودِ الأملسِ ، وعظمِ الخدّ الناتىءِ .

وهم معتمو البشرةِ عموماً ، غيرَ أنَّ بينهم فروقاتٍ لونيةً طفيفةً . وقد تميَّزَ بعضُهُم بسحنةٍ محمرةٍ كانت هي السبب في تسميتِهِم هنوداً حمراً . وهم يستعملون أنواعَ الأدواتِ والأسلحةِ نفسِها . ويتبعون الطرائقَ نفسَها في الحصولِ على حاجتِهِم من الطعام واللباس والمأوى . لكنَّ المواد التي يستخدمونَها هي التي تختلف .

وأكبرُ الاختلافاتِ بينهم ناشئةٌ عن اختلافِ الأماكِنِ التي استقرّوا فيها وعاشوا . وكانت هناكَ خمسةُ مراكزَ رئيسيةً لاستقرارهم وهي : الساحلُ الشمالي الغربي ، اقليمُ كاليفورنيا ، ، الجنوبي الغربي ، وودلاند الشرقية ، والسهول .



مَن هو فيثاغورس ؟

أنجبَ الاغريقُ القدماءُ كثيراً من العظماءِ ، ومن أكثرِهِم أهميةً هو فيثاغورس الذي عاشَ في القرنِ السادس ق. م.

كان فيثاغورس معلماً دينياً ، رياضياً ، وفيلسوفاً . وقد اضطرّ بسببِ أفكارِهِ إلى الخروجِ من اليونانِ والعيشِ في جنوبِ إيطاليا .

وما هي هذه الأفكار ؟ اعتقد فيثاغورس بالخلودِ وتناسخِ الأرواح . ويعني ذلك ان أيَّ روحٍ لا تذهبُ إلى السماءِ بعدَ الموتِ ، فإنّها تحلُّ في بدنِ انسانٍ آخر . أو بدنِ حيوان . وبسبب هذا الاعتقادِ حَرَّم على أتباعِه أكلَ الحيواناتِ أو تقديمَها قرابين .

وقد سُمّي أتباعُهُ « الفيثاغوريين » ، وكانوا قد التزموا من بعدِهِ أحكاماً صارمةً في سلوكهم، منها التمسُّكُ بالصمتِ وعدمُ شربِ الخمر . ومع أنَّ بإمكانِنا اعتبارُ بعضِ أفكارِهِ سقيمةً ، كالتناسخِ ، فقد كانت له مساهماتٌ هامَّةٌ في المعرفةِ . فهو الذي اكتشفَ أنَّ الأرضَ كرويةٌ ، وكان يرى أنها تدورُ حولَ نارٍ مركزيةٍ ، لكنه لم يتطرَّقْ إلى تفصيلِ الدّورانِ وما إذا كانَ حولَ الشمسِ أو حولَ النفسِ . وقد عُنِيَ فيثاغورس بالموسيقى والرياضياتِ فتوصَّلَ إلى معرفةِ العلاقةِ الرقميةِ بين طولِ الوترِ الموسيقي ودرجةِ النغمِ . وأقامَ على هذا الأساس نظريتَهُ في التوافقِ (هارموني) واعتقادَهُ بأنَّ العددَ هو المبدأُ الأوّلُ لكلِّ الوجود . وكان اسمُ فيثاغورس يقترنُ بنظريةٍ هندسيةٍ مفادُها أن مربَّعَ الوترِ في المثلَّثِ القائمِ الزاويةِ يساوي مجموع مربَّعَ

القائمين . ثم أوضحتِ الكشوفُ الآثاريةُ أنَّ هذه النظريةَ عُرِفَتْ في مملكةِ أشنونا ، وسطَ العراق ، في القرن الثاني قبلَ الميلادِ ، كما عرفَها الصينيّون في وقتٍ لاحقٍ .



من هـم الفَـايكنغ ؟

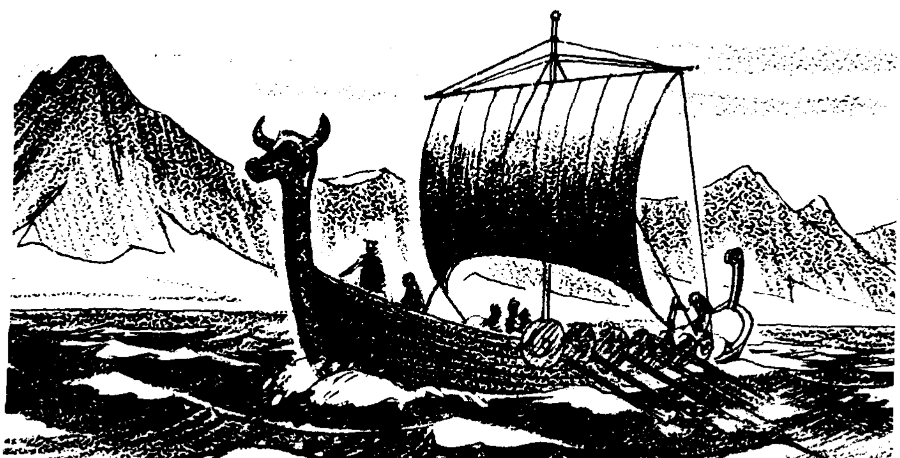


قبلَ حوالى (١٢٠٠) سنة ظهرَ قومٌ من أهلِ الشمالِ جاؤوا من البقاعِ الساحليةِ للنرويج والسويد والدانمارك ، عُرفوا بالفايكنغ نسبةً إلى Vikes وهو الضجيج في لغتِهِم الأم . وكان الفايكنغ بحارةً ومغامرين أشدّاء . وفي وقتٍ كانت أوروبا تتهيبُ فيه البحرَ خاضَ الفايكنغ غمارَهُ بجسارةٍ ، مفضّلين المغامرَةَ على الحياةِ الوادعةِ الهادئةِ .

في عام ٧٩٣ ميلادية قام الفايكنغ بأوّلِ هجومٍ على الساحل الانكليزي . وقد استمرّوا في ذلك حتى القرنِ الحادي عشر . واصلوا غزواتهم لسواحلِ أوروبا الغربيةِ والشرقيةِ . وقد نهبوا انكلترا وإيرلندا وفرنسا واسبانيا ، وبلغوا في إبحارهم حتى الجزائر .

اكتشف الفايكنغ الجُزُرَ الواقعةَ غربَ غرينلاند وشيئاً من قارةِ أمريكا الشماليةِ التي سمَّوْها فنلاند ، وحاولوا إقامةَ مستوطنةٍ هناك لكنّها لم تدُمْ إلا ثلاث سنوات .

كان للفايكنغ حضارتُهُم الخاصّةُ . وقد عُثِرَ في مقابِرِهِم على السفنِ والعرباتِ والأواني المنزليةِ المتوفِّرة بكثرةٍ في أماكِنِهم . وكان الفايكنغ وثنيين يعبدون إلٰهين هما « أودان » و« ثور » . وتعيشُ آلهتُهُم في مكانٍ يُدعى « فالهالاّ » وهو المكان الذي يصعَدُ إليه الأبطالُ الذين يُقتلون في المعاركِ . ولهم أدبٌ يتألَّفُ من القصصِ التي تدورُ حولَ الملوكِ والوُجهاءِ والعوام . وكانت لهم منظومةٌ قانونيةٌ جيّدةٌ تقومُ على العدلِ والروحِ الرياضيةِ . وثمَّةَ اعتقادٌ بأنَّ نظامَ المُحَلَّفين الحالي يرجعُ في أصولِهِ إليهم .



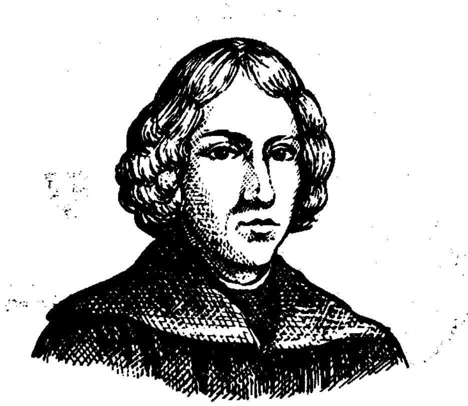
من هو كوبرنيكوس ؟

يحدُثُ أحياناً أن يظهَرَ انسانٌ فيُغيِّرَ مجرى نظرِنا كلِّه إلى الحياةِ والوجودِ من حولِنا . وهذا ما فعلَهُ نيكولاس كوبرنيكوس ، الفلكيُّ البولوني ، الذي عاش من ١٤٧٣ إلى ١٥٤٣ م .

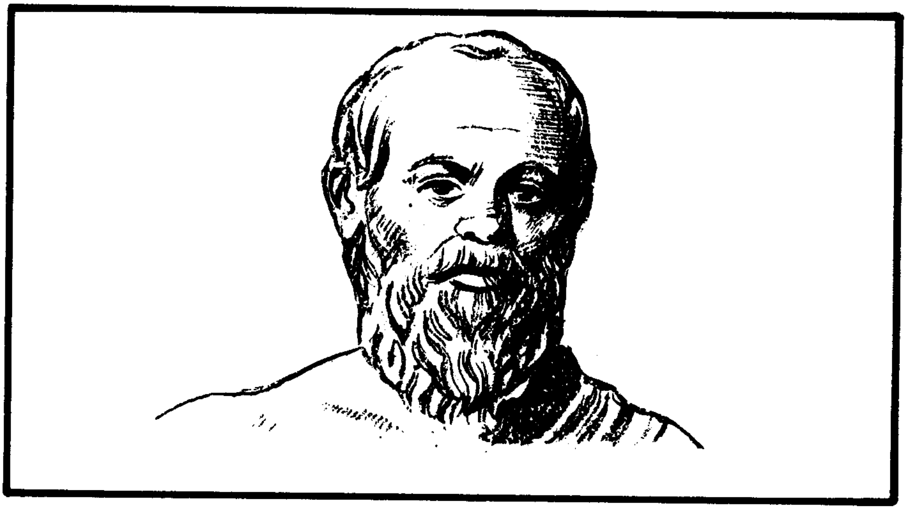
جرى الفلكيون قديماً على الاعتقادِ بأنَّ الأرضَ هي مركزُ الكونِ . وقد ترسَّخَ هذا الاعتقادُ بنظرياتِ بطليموس اليوناني الذي عاشَ في القرنِ الثاني للميلاد وألَّفَ كتاباً ظلَّ مقبولاً مئاتِ السنين . وكان بطليموس يرى أنَّ الأرضَ ثابتةٌ في مكانٍ واحدٍ وتدورُ حولَها كراتٌ مجوَّفةٌ هي الأفلاكُ . لكن كوبرنيكوس ثبَّتَ حقيقةً جديدةً في علمِ الأفلاكِ . وقد أوضَحَ أنَّ بطليموس قالَ بثباتِ الأرضِ ودورانِ الأفلاكِ لأنَّه رصدَ نجومَ الدبِّ الأكبرِ فوجدها تدورُ ببطءٍ ليلةً بعدَ ليلةٍ حولَ النجمِ القطبي . وقالَ كوبرنيكوس إن دورانَ الأرضِ على محورِها هو الذي يُعطي هذا الانطباعَ عن تحرُّكِ الشمسِ والأفلاكِ وقد استنتَجَ أنَّ الأرضَ ، هذا الجزءَ الضئيلَ من الكونِ ، لا تدورُ فقط حولَ محورِها بَلْ أيضاً حولَ الشمسِ مع سائرِ الكواكِبِ وأنها ليست ثابتةً كما توهَّمَ بطليموس وَمَنْ قبلَهُ .

كانَت هذه الفكرةُ قد نوقِشَتْ على نطاقٍ واسعٍ نسبيّاً في أوساطِ الفلكيين الإسلاميين . فأقرَّها فريقٌ منهم ، لكنَّ الأكثريةَ عارَضَتْها ممَّا جعلَ الأفكارَ البطلمية تحتفظُ بمكانَتِها على الرغم من الشكوكِ الجديّةِ التي تعرَّضَتْ لها في علمِ الفلكِ الإسلامي . وبالتالي فحين جاءَ كوبرنيكوس بنظريتِهِ في القرنِ السادسَ عشرَ كان قد وَضَعَ في حسابِهِ ما سيلقاهُ من معارضةِ العلماءِ والكنسيين الذين دأبوا على التمسُّكِ

بمركزيَّةِ الأرضِ ولقد أخَّرَ في نشرَ كتاباتِهِ إلى ما قبلَ وفاتِهِ بقليلٍ . وقد نشرها مشفوعةً ببيانٍ يقولُ إنها لا تزيدُ على كونها فكرةً خطرت لإنسانٍ دونَ أن يجزِمَ بصوابِها . وقد لجأ إلى ذلكَ خوفاً من بطشِ الكنيسةِ . ومن الجديرِ بالذكرِ أنَّ رجالَ الدين المسلمين كانوا بدورِهِم من أشدِّ المعارضين لهذه النظرية عندما أُثيرَتْ في العصور الإسلامية. وعلى أيةِ حالٍ فإنَّ نظريةَ كوبرنيكوس هي الآن أساسُ كلِّ علمِ الفلكِ والبحوثِ والرحلاتِ الفضائيةِ .



مَن هو سقراط ؟



المعروفُ عن سقراطَ انَّه مثالٌ للإنسانِ الحكيمِ على الرغم من أنه كان يرى أنَّ من الحكمةِ أن تعرفَ أنَّ حكمتَك لا تساوي شيئاً ! وقد وُلِدَ في أثينا حوالى سنة ٤٧٠ قبل الميلاد ، ولا يُعرَفُ إلّا القليلُ عن أَبَوَيْه وطفولَتِهِ . ولم يترُكْ كتاباتٍ ، وإنما دوَّنَ مريدهُ الكبيرُ أفلاطون تعاليمَه وأفكارَهُ في صيغةِ حواراتٍ تضمَّنَتْ أيضاً مشاهدَ عديدةً من حياتِهِ .

تبعاً لكتاباتِ أفلاطون ، أمضى « سقراطُ » وقتَه في السوقِ يتكلَّمُ إلى أيِّ إنسانٍ يودُّ الاستماعَ إليه . وكان يعجبُهُ بوجهٍ خاصٍّ أن يعثُرَ على شخصٍ مقتنعٍ بأفكارٍ معينةٍ حولَ موضوعٍ ما ، حيثُ كان يعمَدُ إلى استدراجِ مثلِ هذا الشخصِ

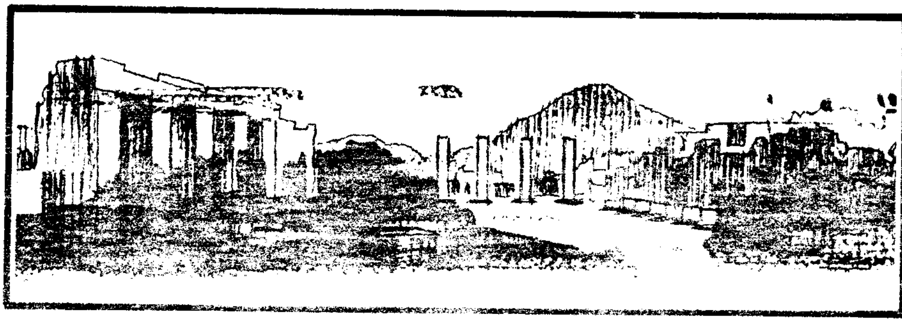
نحو المسائلِ الأساسيةِ ويطلبُ منهُ الإجابةَ عنها ، حتى يظهَر له جهلُهُ بالموضوعِ الذي كان متأكِّداً منه . ومن هنا دُعِيَتْ طريقةُ الجدالِ بإلقاءِ الأسئلةِ « طريقةَ سقراط » ، من شعاراته الرئيسية : « اعرفْ نفسك».

لم يكنْ أهلُ أثينا مرتاحين لسقراطَ لأنَّه شوَّشَ كلَّ أفكارِهِم السابقة. وقالوا عنه انه لا يؤمنُ بالآلهةِ ولا بالعدلِ ولا بالحقِّ .

وقد انتهى به الأمرُ إلى المحاكمة عام ٣٩٩ ق. م. بتهمةِ إفسادِ شبابِ أثينا وإهمالِ واجباتهم . وكانَتْ هذه التهمةُ بلا أساسٍ . وقد ألقى سقراطُ دفاعاً شفوياً جريئاً اشتُهِرَ في التاريخِ بعد أن دوَّنَهُ أفلاطون . ومع انّه كانَ يتوقَّعُ الحكمَ عليه بالموتِ فقد قالَ إنه يجبُ عليه أن يواصِلَ نفسَ الحياةِ مكرِّساً نفسَهُ للبحث عن الحقِّ .

في السجنِ ، أمضى « سقراطُ » يومَهُ الأخيرَ في مناقشةِ أصدقائِهِ حولَ خلودِ النفسِ . ثم أخذَ كوبَ الشَوْكَران ، وهو السُّمُّ الذي أُعطِيَ إليه ، دون مبالاةٍ وشرِبَهُ . وقد أجهَشَ أصدقاؤُهُ بالبكاءِ ، غيرَ أنَّه رجاهُم أن يلزَموا الصمتَ . ثم ماتَ والابتسامةُ على شَفَتَيْهِ . وقد اعتُبِرَ سقراطُ رمزاً للناسِ الذين يُقمعون ويموتون بسببِ اختلافِ آرائِهِم عن الآراءِ السائدةِ .

مَا هي مدينة بومبي ؟



إذا قمتَ بسفرةٍ إلى ايطاليا فإنَّ واحداً من أكثرِ المشاهدِ الممتعةِ التي تراها هناك هي « بومبيي » . « بومبي » ، مدينةٌ عمرُها ٢٠٠٠ سنة ، لَقِيَتْ من العنايةِ والصيانةِ ما لم تلقَهُ مدينةٌ غابرةٌ مثلها . وسببُ ذلكَ هو بركان جبل فيزوف الذي انفجرَ في ٢٤ آب (أغسطس) من عام ٧٩ ق . م . ودَفَنَها بالحممِ والصخورِ والرمادِ مع بلدةٍ أخرى تجاورُها .

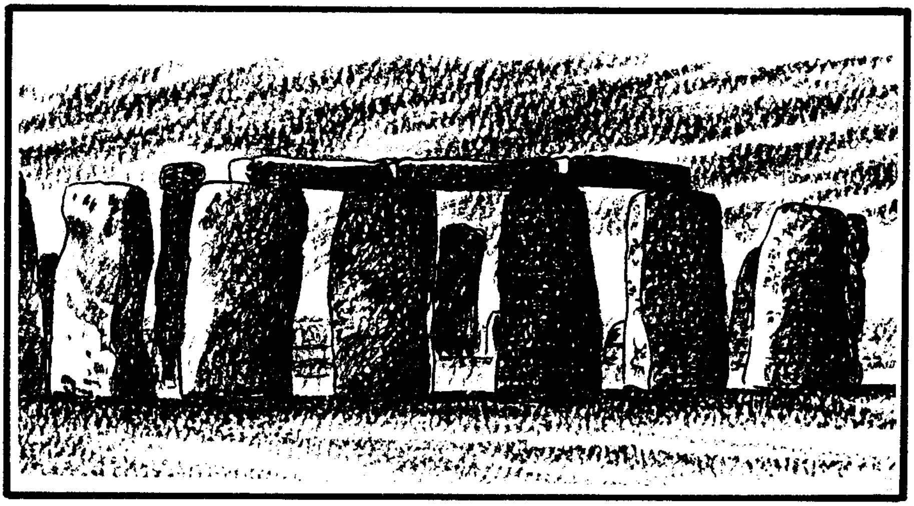
وهذه البلدةُ هي هيرفلانيوم ، على مسافةِ ميلين من بومبيي ، وقد انطمرت تحت سيلٍ من الحممِ والصخور المتصببة من سفحِ الجبل . بينما انطمرت بومبيي ، على امتدادِ الساحِلِ ، تحت وابلٍ من الرمادِ وأفلاذِ الصخورِ البركانيةِ . وقد بلَغَ سمكُ الغطاءِ بين (١٨) إلى (٢٠) قدماً . وكان في حالةٍ جافَّةٍ . ثم جرى عليه الماءُ وحوّله إلى مادةٍ شبيهةٍ بالصلصال واستحالتِ الأشياءُ إلى قوالبَ مضغوطةٍ . وهكذا اختفتِ البلدتان في العالمِ الأسفلِ .

ثم عادَ الناجونَ من المحنةِ إلى البلدتينِ ، واستطاعوا بالحفرِ وشقِّ الأنفاقِ استخلاصَ معظمِ الأشياءِ الثمينةِ بما فيها ألواحُ الرخامِ من المباني الضخمةِ ، ثم غادروها إلى الأبد .

بقيت البلدتان مجهولتان بعد ذلك طوالَ العصورِ الوسطى ، حتى بُدِىءَ عام ١٥٩٤ بحفرِ قناةٍ جوفيةٍ هناكَ فعثرَ الحفَّارونَ على الخرائبِ غيرَ أنَّ التنقيبَ لم يتمَّ فيها حتى ١٧٦٣ ، حيث كُشِفَ عن الموقعِ ، ومع ذلكَ فلا يزالُ نصفُ بومبيي مطموراً .



ما هو السُّتُونهنج ؟



عندما نريدُ أن نتعرَّفَ على منجزاتِ الانسانِ القديمِ فمن المعتادِ أن نبحثَ وننقِّبَ عنها . لكن هناكَ حالةٌ تركَ فيها الإنسانُ القديمُ آثارَهُ شاخصةً في بناءٍ فخمٍ لا نزالُ عاجزين عن معرفةِ كنهِهِ والغرضِ منه أو معرفةِ بانيه .

هذا البناءُ هو الستونهنج الذي يتألَّفُ من أحجارٍ مصفوفةٍ على شكلِ دائرةٍ ويحيطُ بها سدٌّ ترابيٌّ . وهويقعُ في سالزبوري بانكلترا . وفي وقتٍ بعيدٍ يرجعُ إلى عام ١١٣٦ قيل عن هذه الأحجار أنها نُقِلَتْ من إيرلندا بقوةِ ميرلين السحرية . وهذه بالطبع ، خرافة . وقد سادَ الاعتقادُ في وقتٍ متأخِّرٍ أنَّ واضعي هذه الأحجارِ هم الدروديون ، من كهنةِ انكلترا الغابرة . وهو اعتقادٌ لا دليلَ عليه .

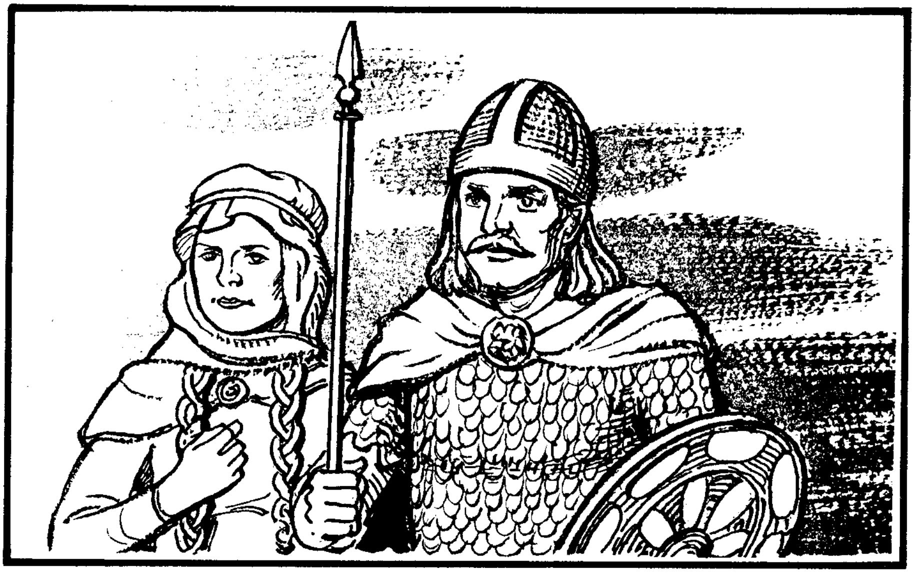
إنّ الستونهنج بناءٌ معقّدٌ نوعاً ما ، ففي داخِلِهِ خندقٌ مستديرٌ يقطعُهُ برزخٌ . ومن وراء الخندقِ ضفةٌ تحتوي من أسفلِها على حلقةٍ من ٥٦ حفرةً . ويفصلُ بين هذه الحلقةِ وبين الأحجارِ في المركزِ حلقتانِ أخريانِ من ٥٦ حفرة .

يتألّفُ طاقمُ الصخورِ من دائرتين وصَفَّيْنِ بشكلِ حدوةِ حصانٍ في الصخورِ القائمةِ . يلي ذلكَ صخورٌ منفصِلَةٌ أُعطِيَتْ أسماءَ ، من قبيلِ صخرةِ المذبح ، صخرة المحطّتين ، وصخرةِ هيل .

كشفَت معظمُ التنقيباتِ في الحُفرِ عن عظامٍ بشريةٍ محروقةٍ . وقد أظهرت دراسةُ الفخّارِ والآثارِ الأخرى ، واختبارات الكاربون المشع أنَّ بعضَ أقسامِ المبنى ترجع إلى ١٨٤٨ ق . م . وربما إلى أقدم من ذلك أو أحدث بـ ٢٧٥ سنة . وقد صُفَّتْ بعضُ الصخورِ بحيثُ تؤدّي إلى بزوغِ الشمسِ في منتصفِ الصيفِ من نقطةٍ معيَّنَةٍ . ولكنْ لا يدري أحدٌ إن كان ذلكَ عملاً مقصوداً .

على أيَّةِ حالٍ فلا يزالُ هذا البناءُ الضخمُ الذي يمكن أن يكونَ عمرُهُ أربعةَ آلافِ سنةٍ سرّاً مثيراً للاهتمام .

مَن هُم الانكلوسكسون ؟

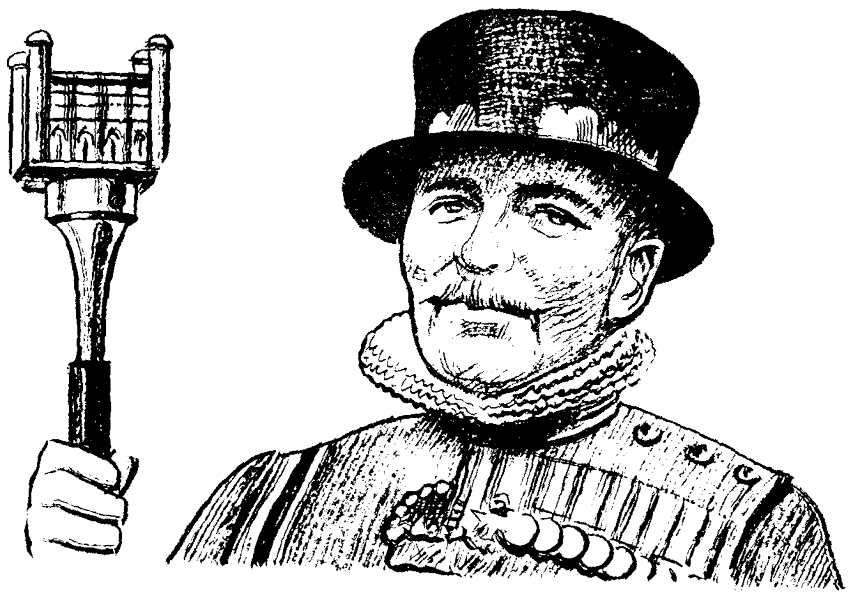


إنَّ كلمةَ انكلو ـ سكسون تعني حالياً الانكليز ، غيرَ أنَّ هذه الكلمةَ كانت في الأصلِ تعني أقواماً لم يعد لهم وجودٌ في الوقتِ الحاضر .

كان الرومانُ قد فتحوا الجزر البريطانية وحكموها حوالى ٤٠٠ سنة . ثم استُدْعِيَ الجنودُ الرومانُ إلى ايطاليا . ويبدو أنَّ خروجَهم جعلَ بريطانيا دونَ سلطةٍ مركزيةٍ ، ممَّا أدَّى إلى اختلالِ الأمنِ فيها . وقد دَفَعَ ذلك بعضَ البريطانيين إلى طلبِ الحمايةِ من جيرانِهِم في الشمال . فأسرعَتْ إليهم ثلاثُ قبائلَ من ألمانيا هي قبائل : الأنكلو ، والسكسون ، واليوتيون .

وسرعانَ ما تبيَّنَ للبريطانيين أن هؤلاءَ الحُماةَ عديمو الرحمةِ وانّهم جاؤ وا يهتفون للحربِ . وكانوا قد عاشوا على سواحِلِ بحرِ الشمال والبلطيق أو قربها . وقد حطَّموا عند نهايةِ القرنِ السادسِ سلطةَ الرومان في بريطانيا وأقاموا بدلاً منها سبعَ ممالك . وكان لكلٍّ من هذه الممالكِ حاكمٌ . ثم توحَّدَتْ عام **٨٢٩** تحت رايةِ أحدهِم . وقد اشتُهِرَ من حكامها بعد التوحيد ألْفريد الكبير الذي حكم من **٨٧١** إلى **٩٠٠** . وانتهى حكمُ الأنكلو ـ سكسون عام **١٠٦٦** بالفتحِ النورماندي .

إن الانكليزيةَ القديمةَ ، أو لغةَ الأنكلو ـ سكسون ، كانت مزيجاً من عدةِ ألسنةٍ يتكلَّمُها الأنكلو والسكسون والبوتيون . وقد نشأتِ الانكليزيةُ الحاضرةُ من لغةِ الأنكلو ـ سكسون ، لكن التماثُلَ بينهما قليلٌ لا يدركُهُ إلا اللغويّون .



ما هي الفنون الجميلة ؟

من غيرِ الممكنِ عمليّاً في الوقتِ الحاضرِ أن نكونَ في مكانٍ ليس فيه أي شكلٍ من الفنِّ . إنَّ الأثاثَ والصحونَ والسجّادَ والسيارةَ والساعةَ والملابسَ وغيرَها لا بدَّ أن تحتوي على فنٍّ ما ، لأنَّ الناسَ لا يحبُّونَ استعمالَ شيءٍ ينفرُ منه الذَّوقُ . غيرَ أنَّ الاستعمالَ هو العنصرُ الغالبُ في هذه الأشياءِ والفنُّ تابعٌ له . أما الفنُّ الذي يرغَبُ فيه الناسُ لأجلِ الجمالِ فقط فهو « الفنُّ الجميل » .

يُعتَبَرُ فنّاً جميلاً كلٌّ من الرسمِ والنحتِ والأدبِ ، والدراما ، والموسيقى ، والرقصِ ، والعمارةِ . والأخيرةُ تُطلَبُ لأجلِ إنشاءِ المباني أي للاستعمال كما تطلَبُ لأجلِ جمالِها .

إنَّ الجهودَ الشاقّةَ التي يبذلُها الفنانُ قد لا تكونُ لها في الحقيقةِ أيّةُ منفعةٍ . لكنَّها تستهدفُ على أيّةِ حالٍ إشباعَ حاجتِنا إلى الجمال . وهكذا فالتمثالُ واللحنُ والصورةُ ، والمسرحيةُ ، والكتابُ ، والرقصُ ، هي أمثلةٌ من مُنتَجاتِ الفنونِ الجميلةِ .

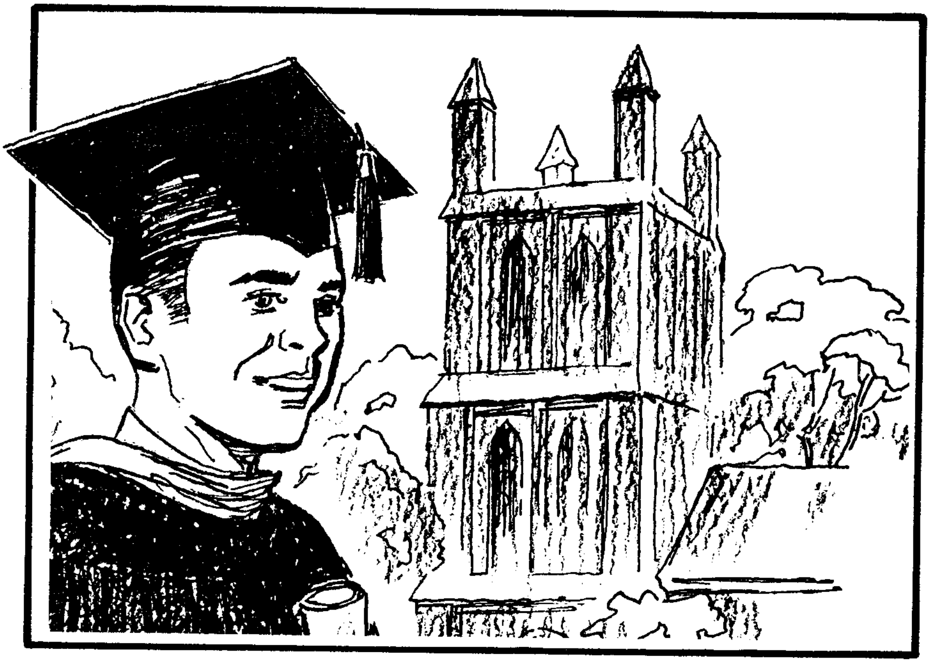
تحقَّقَتْ في هذه الأيامِ تجاربُ وتطوراتٌ مرموقةٌ في حقلِ الفنونِ الجميلةِ ، لكنَّ الطرائقَ والأشغالَ التقليديةَ بقيتْ هي الأساسُ المُشْتَرَكُ. ومن بين ذلك التصميمُ وهو أساسيٌّ في اللحنِ والحجرِ والكلمةِ وموادِ البناءِ والخطوطِ والرسومِ . . . إنَّ العملَ الفنيَّ لا بدَّ أن يكونَ مصمَّماً ، وعلى أساسِ التصميمِ يستخدمُ المبدعُونَ الإيقاعَ والوَزْنَ والتوافُقَ .

ويأتي الإيقاعُ من تكرارٍ أكثرَ أو أقلَّ انتظاماً لأصواتٍ أو ألوانٍ أو أشكالٍ أو

حركاتٍ متماثلةٍ . والوزنُ هو ترتيبٌ تظهرُ فيهِ أعمالُ الفنانِ قويمةً ، بالنسبةِ لنا . أما التوافُقُ فهو وضعُ الأشياءِ مع بعضِها بحيثُ تبدو متعلِّقةً ببعضِها البعض . وهذه ، بالطبعِ ، أفكارٌ أوَّليّةٌ عمّا يسعى الفنّانُ للقيامِ به ، لأنَّ عمليَّةَ الإبداعِ لا تتحدَّدُ بهذهِ المقاييس فقط .



مَا هِيَ دَرَجَةُ البكالوريوس؟



يستلمُ الطلابُ المتخرِّجونَ من كليةٍ أو جامعةٍ درجةَ البكالوريوس . ولا يعرفُ أحدٌ بالضبطِ مصدرَ هذه الكلمةِ وكيف ارتبطَتْ بهذِهِ الدرجَةِ . (ويرى بعضُ الباحثين أنَّها من « إجازة الرواية » عند العرب القدماء وهي الشهادة التي كانت تعطى لمن يكمِلُ دراستَهُ في المدارِسِ الاسلاميّةِ العالية) . والدرجةُ على صنفَيْنِ : بكالوريوس آداب لمن يتخرَّجَ في الموضوعاتِ الثقافيةِ المندرجةِ تحت اصطلاحِ أدب ، وبكالوريوس علومٍ لمن يتخرَّج في الموضوعاتِ العلميَّةِ .

وهذه الدرجةُ ليست نهائيةً وإنّما تليها مرحلةُ الدراساتُ العليا التي يُمنحُ فيها الطالبُ ماجستير آداب أو ماجستير علومٍ في القسمِ الأوَّلِ منها ، ودرجة « دكتوراة فلسفة » في الطورِ الأعلى . ولا يحصُلُ الطالبُ على الدرجةِ الأخيرةِ ما لمْ يقدِّمْ أطروحَةً تشهَدُ له بأنَّهُ أصبحَ قادراً على إجراءِ بحوثٍ مستقلَّةٍ .

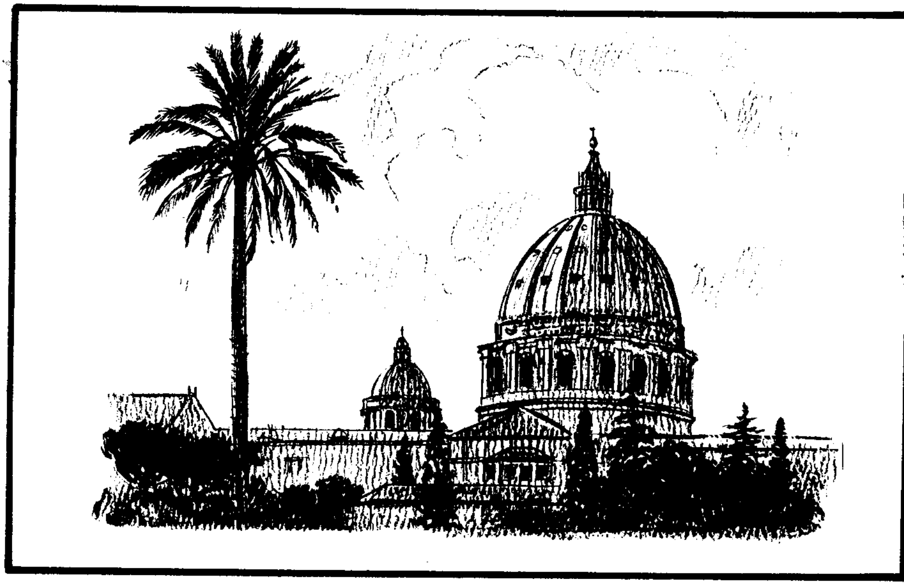
هنالكَ أصنافٌ من الدرجاتِ تُعطى لمن يكمِلُ دوراتٍ مهنيةٍ كالمحاماةِ والطبِّ ، ويحصلُ الطبيبُ على درجةِ « دكتور طب » .

إنَّ النظامَ التربوي الحاليّ يقومُ على التخصُّصِ حيثُ تمنحُ الكلياتُ والجامعاتُ درجاتِها في الزراعةِ والجراحةِ والصيدلةِ وطبِّ الأسنان والتمريضِ والمحاسبة ، والهندسة والعمارة ، والعديد من الاختصاصاتِ الأخرى .

إنَّ الحصولَ على البكالوريوس ليس الغرضُ منها اكتساب الشرف، رغمَ أنَّها انجازٌ مهم . فهي مقدّمة لا بدَّ منها لدخولِ المراحِلِ العليا كالطبِّ والهندسة وغيرِهِما .



ما هو أصغرُ بلدٍ في العالَم؟



أصغرُ بلدٍ في العالمِ هو « الفاتيكان » الذي يقعُ في وسطِ روما ، ايطاليا . ومساحتُهُ الكلية ١٧ ميلاً مربعاً ، وهو مقرُّ حكومةِ الكنيسةِ الكاثوليكيةِ . ويرأسُها البابا الذي يحكُمُ بواسطةِ حاكم مدني .

لدولةِ الفاتيكان عَلَمٌ ودائرةُ بريدٍ ومحطَّةُ سككٍ وعملةٌ . وكذلكَ منظومةُ تلفونٍ ومحطَّةُ إذاعةٍ . وتأتي ماليةُ الفاتيكان من تبرُّعاتِ الكاثوليك في أنحاءِ العالم ، لكنَّها تملكُ مشروعاتٍ وأموالاً طائلةً في أنحاءَ متفرقةٍ من العالمِ تجعلُها من الدولِ الغنيةِ جداً .

تحتوي مدينةُ الفاتيكان على قصرِ الفاتيكان (مسكنِ البابا) ، والحدائقِ ، وكنيسةِ القديس بطرس الكبرى . وهناكَ متاحفُ ومكتباتٌ . ومكتبةُ الفاتيكان ، الكائنةُ في جناحٍ منفصلٍ ، هي إحدى أعظمِ المكتباتِ في العالم ، وتحتوي على ألوف المخطوطات العربية .

لمدينةِ الفاتيكان علاقاتٌ دبلوماسيةٌ مع بقيةِ الأقطارِ كما تستقبلُ مندوبين من عدةِ دولٍ .

كانَ البابوات يسيطرون سياسياً على رقعةٍ واسعةٍ تبلغ مساحتها ، **١٦** ألف ميلٍ مربعٍ وكانت تسمَّى « الولاياتُ البابويةُ » . غيرَ أنَّ الأمة الإيطاليةَ ، استطاعت عام ١٨٧٠ أن تعلِنَ روما عاصمةً لها وتدمج الولاياتِ البابوية في مملكةِ إيطاليا الموحدةِ . وقد قُوبلت هذه الإجراءاتُ بمقاومة ثم بتسوية عـام **١٩٢٩** اعترفت بموجبها الحكومةُ الإيطالية بسلطةِ البابا على المساحةِ الحاليَّةِ التي تشغلُها مدينةُ الفاتيكان .



ما هو أصل قنوات البندقية ؟

إنها لتجربةٌ مثيرةٌ أن يكونَ المرءُ في مدينةٍ معظمُ شوارعِها قنواتٌ ! ولكن ، خلافاً لمعظمِ المدنِ ، فإنّ شوارعَ البندقيةِ كانت موجودةً قبلَ بناءِ المدينة . . !

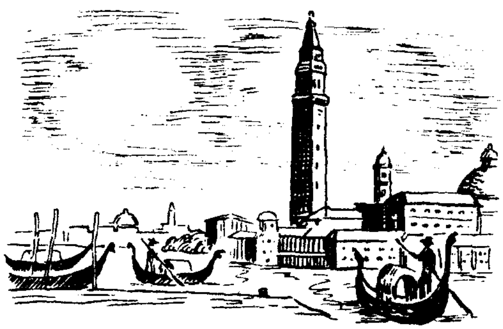
بُنِيَتِ البندقيةُ (فينيسيا) فوقَ مجموعةٍ من الضِّفافِ الطينيّةِ وتشكَّلت منها ١٠ جزيرةٍ صغيرةٍ في رأسِ بحرِ الأدرياتيك . وتقومُ كلُّ الأبنيةِ على دكّاتٍ تغورُ في الطينِ . وتتخلَّلُ الضفافَ طلعاتٌ من البحرِ هي قنواتُ البندقيةِ الشهيرةِ .

يتمُّ التنقل في مدينةِ البندقيةِ إما بالزوارقِ أو على الأقدامِ . ولا يُسمَحُ بالسياراتِ أو العرباتِ داخلَ البلدةِ القديمة . وتتَّصلُ القنواتُ بالعديدِ من الجسورِ والأزقَّة الضيّقةِ . ومن وسائطِ النقلِ الشائعةِ تلك القواربُ الصغيرةُ المسمّاةُ بالجندول ، وهي على غرار المشاحيف في أهوارِ العراق ، تكونُ في الغالبِ طويلةً وفي مؤخّرتها سائقٌ في يديه مجدافٌ طويلٌ يدفعُ به الجندول .

البندقيةُ مدينةٌ قديمةٌ جداً . ففي زمنٍ يسبُقُ كثيراً اكتساحَ قبائلِ الهون الآسيوية لإيطاليا حوالى منتصفِ القرنِ الخامس ، كان هناكَ أناسٌ يعيشون في جزرِ الهورِ الصغيرةِ . وفي وقتٍ لاحقٍ أُنشىء (١٢) حيّاً داخِلَ الهورِ ، وكانت هذه بدايةَ دولةِ البندقيةِ ، التي نمت من خلالِها المدينةُ المعروفةُ حالياً .

كانت البندقيةُ عام ١٤٥٠ على رأسِ أمبراطوريةٍ ضخمةٍ ، والقوةَ البحريةَ الرئيسيةَ في أوروبا . ولكن مع بدايةِ القرنِ السادسِ عشر اكتُشِفَتْ طرقٌ تجاريةٌ جديدةٌ جعلتْ تجارةَ البندقيةِ تضمحلُّ بالتدريجِ . وفي السنواتِ التاليةِ تورَّطتِ

البندقيةُ في حروبٍ عديدةٍ أضعفتها وأدَّتْ إلى زوالِ أمبراطوريتها. وفي عام ١٨٦٦ صوَّتَتِ المدينةُ بالانضمامِ إلى مملكةِ إيطاليا أسوةً بالمدنِ الإيطاليةِ الأخرى والمدينةُ حالياً هي إحدى حواضرِ الفنِّ الكبرى في أوروبا وهي في طريقها لاستعادة مكانتِها كميناءٍ كبيرٍ.



لماذا يتمسَّك الغَجَر بعاداتِهم ؟

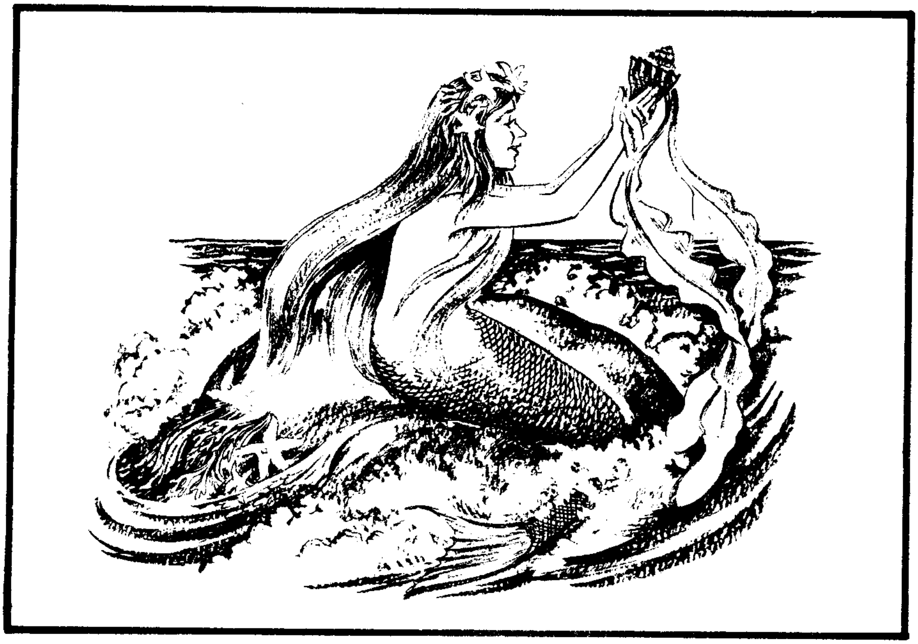


عندما يسكُنُ الناسُ في ناحيةٍ أو بلدٍ ما ، فإنّهم يتَّجهون إلى التّماثُلِ مع الذين يعيشون هناك . لكن الرحّالين من الناسِ يواصلون في الغالبِ مواصفاتهم الخاصة أينما حلُّوا . والغجرُ من هؤلاء . وعلى الرغم من أنّهم قد يستقرّون في بلدةٍ أو مدينةٍ فسرعانَ ما نجدُهُم على الطريقِ مرةً أخرى . وبسببِ اختلافِ أشكالِهم ، وغربتِهم يخشاهم الأوروبيون ويكرهونهم على عادتهم في كرهِ الأجناسِ الأخرى التي تختلف عنهم .أما في العالمِ العربي فإنّ الناس يخافون منهم على أطفالهم لأنَّ هناكَ إشاعاتٍ تقولُ إنهم ينشلون الأطفالَ ليربّوهم على طريقتهم ، ويستخدمونهم فيما بعد لأغراضهم . وهذا من أسبابِ تمسُّكِ الغجرِ بعاداتِهم وعدمِ تبنّيهم لأصولِ العيش في الأماكنِ التي يحلُّون فيها .

هناكَ فئتان من الغجرِ يبدو أنهما أقدرُ على الاستقرارِ من غيرِهما ، هما غجر هنغاريا المسمَّوْن تزيغان وغجرُ اسبانيا المسمَّوْنَ جيتانو . وحينما يستقرُّ الغجرُ وقتاً طويلاً في بلدٍ ما فمنَ المعتادِ أن يدينوا بدين ذلكَ البلد ولكنَّهم يضيفونَ إليه الكثيرَ من عاداتِهم وتقاليدِهِم .

لا يدري أحدٌ بالضبطِ من أينَ جاءَ الغجر . وهناكَ اعتقادٌ بأنهم نزحوا في القرنِ العاشرِ من الهندِ إلى إيران ومنها إلى البلدانِ العربيةِ فأوروبا التي دخلوها عن طريقِ البلقانِ في القرنِ الرابعِ عشر . وهناكَ ما يشيرُ إلى أنَّ أصلَهم من أفغانستان وقد سمَّاهم أهلُ بغداد في القرنِ العاشر الميلادي : الكابليون ، نسبةً إلى كابول عاصمةِ الأفغان ، ومنها تسميتُهُم الحاليةُ في عاميّة العراق وهي : كاوُليّة . وكان الغجرُ قد وصلوا إلى انكلترا في القرنِ السادسَ عشر ، وقد اعتقدَ الانكليزُ أنهم جاؤوا من مصرَ ولذلكَ سمُّوهم « دجبسي » نسبةً إلى «إيدجبت» وهي مصر بالانكليزية . لكنَّ الغجرَ في أوروبا يسمُّونَ أنفسَهم « روم » ويسمون لغتَهم : « رومانية » .

مَـاهي السُعْــلاة ؟



السعلاةُ أو حوريةُ الماءِ مخلوقٌ خياليٌّ تصوَّرَتْها الآدابُ الشعبيّةُ لكثيرٍ من البلدانِ كائنات جميلةً نصفُها بشرٌ ونصفُها سمكةٌ . وهي في الميثولوجيا الاغريقيةِ آفةٌ تُغوي الملاحين ثمَّ تهلكهم . وفي الحكاياتِ الشعبيّةِ للالمانِ تُسمَّى حوريات الماءِ حورياتِ الراين ويزعمون أنها تعيشُ في قلعةٍ بقعرِ النهرِ . وفي الأدبِ الشعبيِّ العربيِّ موادُّ كثيرةٌ عن السعلاةِ . وقد أوردَ الجاحظُ في كتابِ الحيوانِ تفاصيلَ عنها ، وبالطبعِ فهو لم يصدِّقْها وإنّما تناوَلَها كموضوعٍ أدبيٍّ .

توصَفُ حورياتُ الماءِ أو السعالي بكونِها ذاتَ جسمٍ بشريٍّ حتى الخصرِ ، وسمكيٍّ من الخصرِ إلى القدمِ . وللسعالي ذكورٌ تعشقُ الحسناواتِ من البشر وتعملُ على إغوائهنَّ كما تفعلُ الإناث مع الرجال البشريين .

من الصعب أن نعرفَ أينَ نشأَتْ فكرةُ السعالي هذه . من الممكنِ أن تكونَ قد بدأَتْ مع أوائلِ المستكشفين والتجّارِ الذين مخرَوا عبابَ المحيطات . وقد يكونُ البدائيون الذينَ رأوهم لأوّلِ مرةٍ قد اعتقدوا أنّهم جاؤوا من البحرِ . وقد يكونون رأوا نصفَهم الأعلى فقط فظنُّوا نصفهم الأسفل سمكة .

وهناكَ من يرجع نشأتَها إلى رؤيةِ مخلوقاتِ البحرِ التي تحملُ بعض التماثُلِ مع الانسان مثلَ خروفِ البحرِ والفقمةِ ، حيث اعتُقِدَ في وقتٍ ما أنّها كائناتٌ نصفُ بشريةٍ .

وتنتشرُ حولَ السعالي حكاياتٌ كثيرةٌ يقولُ بعضُها إن السعلاةَ تزوِّدُ الانسانَ بقدراتٍ فوقَ الطبيعة . ويتضمَّنُ بعضُها أخباراً عن سعالي عشقن رجالاً فعشن معهم وأنجبن أولاداً . وهناكَ أسرةٌ ذكرَها الجاحظُ في كتابِ الحيوانِ كانت تسمَّى بني السعلاة ، تقولُ الحكاياتُ إن جدَّهم الأعلى تزوَّجَ من سعلاةٍ . ويحدث في بعضِ هذه الحكاياتِ أن تأخذَ السعلاةُ الرجلَ معها ، قسراً أو بالإغواءِ ، لتعيشَ معه في الماء .

الأَمَـــزُونات ، من هُـنّ ؟

يوجَدُ الكثيرُ من الأساطيرِ حولَ العمالقةِ وبعضِ الأجناسِ من الكائناتِ فوقِ البشرية . ومن هذه الأساطيرِ أسطورةٌ عن شعبٍ غريبٍ مكوَّنٍ من النساءِ المسمّاة بالأَمَزُونات ، تقولُ الحكاياتُ إنهن نساءٌ مفتولاتُ العضلاتِ وصلْن إلى آسيا الصغرى من جبالِ القفقاس . وقد أَقَمْن لهن مملكةً تحكمُها امرأةٌ وتديرُ النساءُ جميعَ شؤونها . وكانَ جيشُها من النساءِ اللواتي أنشأْنَ أيضاً مدناً خاصَّةً بهنَّ .

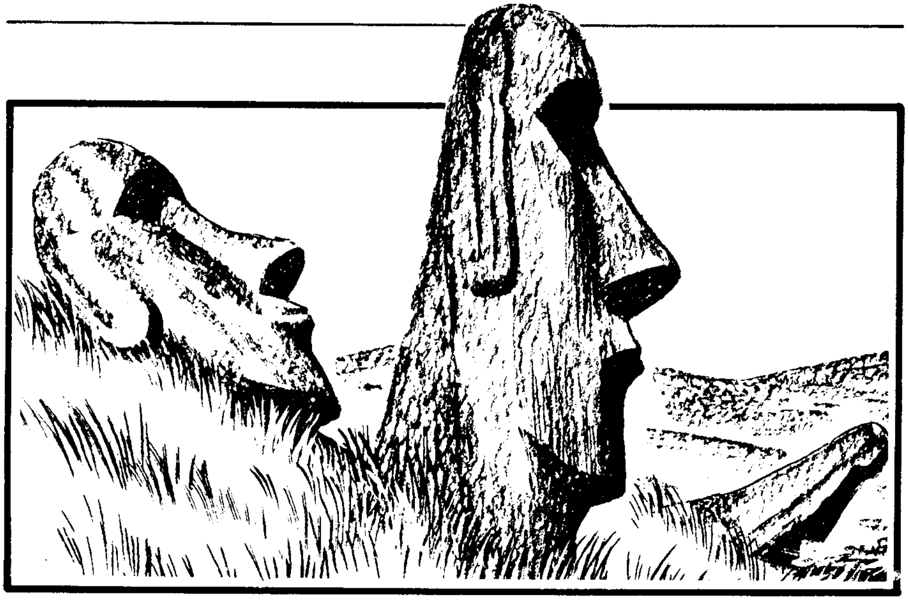
وتقولُ الحكايةُ إنَّ النساءَ قتلنَ أو طَرَدْنَ جميعَ الرجالِ الذين جاؤوا إليهن . وقد بقين على حالهنّ حتّى حاولن غزوَ أثينا فردَّهُنَّ أهلُها على أعقابهنَّ وتشتَّتَ جيلُهُنَّ بأكملِه .

وقد اتَّخذَ الاغريقُ القدماءُ الذين عاشَتْ نساؤهم حياةً هادئةً في البيوت ، من أخبارِ هذا الجيلِ البريّ الشّجاعِ من النساءِ موضوعاً مفضّلاً للفنّ . وكانوا يظهروهن دوماً وهنّ يمتطين صهواتِ الخيلِ مسلَّحاتٍ بالقوسِ والنُّشّابِ وعليهنَّ الدروع .

في عام ١٥٤١ كان مستكشفٌ يُدعى فرنسيسكو دي أوريلانا ، قد وصل إلى نهرٍ عظيمٍ يجري في البرازيل والبيرو . وفي طريقِهِ ، صادفَ محاربين هنوداً طوالَ الشعرِ فظنَّهم نساء ، فأطلَقَ على النهرِ اسمَ الأمازون ! وهكذا فاسمُ الأمازون مأخوذٌ من وهمٍ ظريفٍ وقعَ فيه المستكشفُ الذي يبدو أنه كانَ مؤمناً بالخرافاتِ .



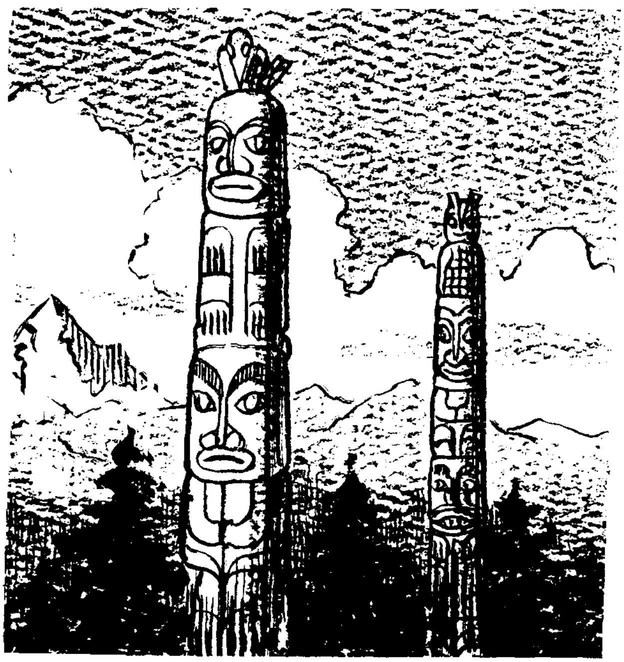
مَا هي تماثيل جزيرة الفِصح ؟



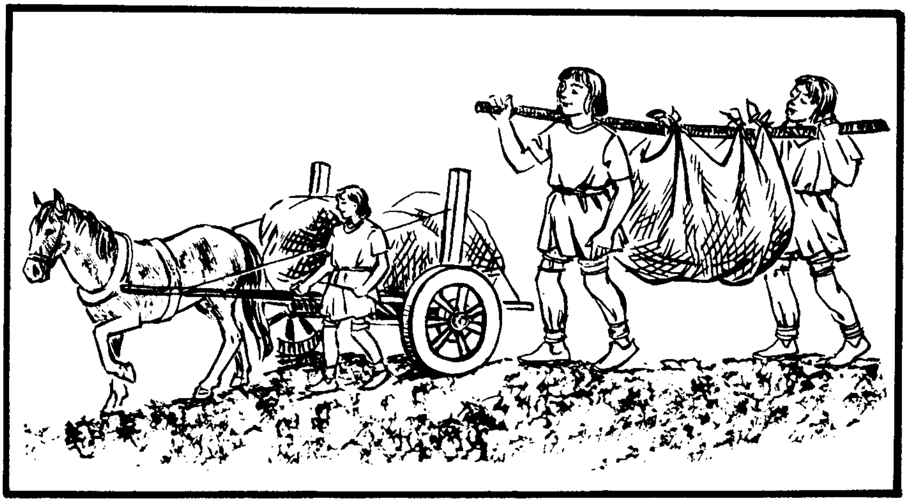
في يوم ِ الفصح ِ من عام ١٧٢٢ وصلَ أميرالٌ ألمانيٌّ يُدعى يعقوب روغيفين إلى جزيرةٍ مكسوَّةٍ بالحشائِش ِ في شمال ِ المحيطِ الهادىء ، فسمَّاها جزيرةَ الفصح ، وكان أوَّلَ أوروبيٍّ يصلُ إليها . كان في الجزيرةِ ألفانِ من البولفيزيين ذوي اللونِ المُعْتِمْ . وأغربُ ما وجدَهُ البحّارُ المذكورُ في الجزيرةِ رؤوسٌ من الصخرِ على طول ِ الساحِلِ تمتازُ بطول ِ الوجهِ والأذنين . وقد رأى لبعضِها أيدي ولبعضِها الآخر قبّعات من الحِمَم ِ الحمراء. ولمَّا توغَّلَ في الداخِل ِ وجدَ أنَّ هذه التماثيلَ لا تقتصرُ على الساحِل ِ بل تتوزَّعُ في أنحاءِ أخرى ، وبعضها منحوت نحتاً جزئياً في المقالع .

إن للبدائيين في مختلِفِ أنحاءِ العالم فنوناً ترتبطُ بدياناتهم، لكنَّ هذه التماثيلَ لا نظيرَ لها في الحقيقة . وهي لا تزالُ سرّاً . كيف أمكَنَ نقلُ هذه الأشياءِ الثقيلةِ التي يزنُ بعضُها ٥٠ طنّاً من المقالِعِ إلى أماكنِها ؟ وأيَّةُ واسطةِ نقلٍ استخدَمَها هؤلاء البدائيون ؟ لا أحدَ يعرف ! كما لم يحصُلْ أحدٌ على إجابةٍ من أهلِ الجزيرة . وإن كان هناك من يعتقدُ أن هذه التماثيلُ قد تكونُ مرتبطةً بالشعائرِ البدائيةِ وتقاليدِ الدفن .

تُدارُ الجزيرةُ حالياً من قِبَلِ شيلي ويُستخدَمُ معظمُ أراضيها لرعي الماشية والأغنامِ وليس هناك سوى شطرٍ ضئيلٍ تُرِكَ للأهالي . وهي لا تزيد عن ١٣ ميلاً طولاً وسبعةِ أميالٍ عرضاً في أوسع نقاطها .



ماذا كانت وسائط النقل الأولى ؟



لو جئت بك مركبةٌ على جزيرةٍ مقفرةٍ وأَرَدْتَ نقلَ شيءٍ ما من مكانٍ إلى آخر، ماذا كنتَ تفعل ؟ كنتَ ستحملُهُ بنفسِكَ ، طبعاً . في المراحِلِ البدائيةِ الأولى من تاريخِ الإنسانِ كانت عضلاتُ البشرِ الوسائطَ الوحيدةَ لنقلِ أيِّ شيءٍ .

فيما بعدُ ، دجَّنَ الإنسانُ بعضَ الحيواناتِ ، وروَّضَها على حَمْلِ الأشخاصِ والأثقالِ . من هذه الحيواناتِ الثورُ ، والحمارُ ، وجاموسُ الناعورةِ والحصانُ ، والجملُ واللاما والفيلُ . وقد اختلَفَ استخدامُ هذه الحيواناتِ باختلافِ المناطق .

اكتفى الإنسانُ بذلكَ آلافَ السنين ، لكنَّه فيما بعدُ ، أرادَ أن يجدَ طريقةً

تجعلُ الحيواناتِ تحملُ المزيدَ من الأثقال . وهكذا بدأَ بتطويرِ مزالجَ وجرّافاتٍ بدائيةٍ يشدُّها إلى حيواناتِهِ. غيرَ أنَّ المزالجَ والجرافاتِ كانت مناسِبةً حيثما وُجِدَ الثلجُ أو الجليدُ ،لكنها كانت تنزلِقُ بصعوبةٍ فوقَ الأرضِ الجافّة . وهكذا توصَّلَ الإنسانُ إلى اختراعِ المِدْحاةِ ، وهي عبارةٌ عن جسمٍ أسطوانيٍّ كجذعِ شجرةٍ مثلاً . كانت المدحاةُ توضَعُ تحت لوحٍ خشبيٍّ . وعندما كان اللوحُ يُجَرُّ تتدحرجُ المدحاةُ تحتَهُ ، وكان هذا أسهلَ من جرِّ اللوحِ أو المزلقةِ فوقَ الأرضِ . لكنْ عندما كان اللوحُ يتحرَّكُ إلى الأمامِ كانت المدحاةُ تتدحرجُ لتصبحَ في مؤخرةِ اللوحِ ، فكانت تُحلُ من جديدٍ لتوضعَ تحت المقدمةِ وهكذا .

بعد مضيِ زمنٍ طويلٍ خطرَ لإنسانٍ ما أن يقطعَ شريحةً رقيقةً من المدحاةِ أو من جذعِ شجرةٍ ويُحدِثَ في وسطِها ثقباً ، وكان هذا هو الدولابُ ، أعظمُ اختراعات الإنسان . وقد تحقَّقَ ذلك لأولِ مرةٍ في بلادِ ما بين النهرين . وعندما جُمِعَ دولابان بمحورٍ وثُبِّتَ المحورُ إلى منصةٍ أو لوحٍ خشبيٍّ ظهرتِ العربةُ البدائيّةُ .

العجلاتُ الخشبيةُ الصلبةُ كانت ثقيلةً وتفتقرُ إلى المرونةِ كما كانتْ تُبلى أو تُحَتُّ بسرعةٍ . وخلالَ آلافِ السنين طوَّرَ الانسانُ الدولابَ وحسَّنَهُ . صارَ يبني الدولابَ من قطعٍ منفصلةٍ كالمحورِ والإطارِ والكابحِ فحصَلَ على عجلةٍ خفيفةٍ مَرِنَةٍ سهلةِ الحركة ، سريعةِ الاستجابَةِ للإنعطافات . ثم صارَ يصنعُ المحاورَ والإطاراتِ من النّحاسِ والحديدِ بحيثُ تدومُ العجلةُ مدةً أطولَ . وتوصَّلَ أخيراً إلى صنعِ إطاراتِ من المطّاطِ تخفِّفُ الإحتكاكَ وأخيراً تطوَّرَتْ صناعةُ المطّاطِ وأُدخِلَتْ إليه موادُّ اصطناعيةٌ مناسبةٌ هي نتيجةُ أبحاثِ العلماءِ

مَا هي القرون الوسطى ؟



قسَّمَ المؤرِّخون الأوروبيون تاريخَ الإنسان إلى ثلاثةِ عصورٍ كبرى : العصورُ القديمةُ ، القرونُ الوسطى ، العصورُ الحديثةُ . وتمتدُّ القرونُ الوسطى بين سقوطِ روما (أو الأمبراطوريةِ الرومانية) وبين بدايةِ العصورِ الحديثةِ في القرنِ الخامسَ عشر . طبيعيٌّ أننا حين ننظرُ في المراحِلِ التاريخيةِ الكبرى لا نستطيعُ أن نحدِّدَ بدءَ المرحلةِ أو نهايتَها بسنةٍ مُعَيَّنَةٍ ، لأنَّ العصورَ تتداخَلُ فتبرزُ بداياتُ العصرِ الجديدِ وملامحُهُ من قلبِ العصرِ السابقِ له . وتحديدُ التواريخ هو تعيينُ الأحداث الكبرى التي أثَّرت بشكلٍ واضحٍ في المراحِلِ التالية لها .

هكذا اصْطُلِحَ على اعتمادِ سنة ٤٧٦ ميلادية كبدايةٍ للقرونِ الوسطى .

هذه السنةُ هي التي تحدِّدُ سقوطَ آخرِ أمبراطورٍ رومانيٍّ عن عرشِهِ . وتنتهي القرونُ الوسطى عام ١٤٥٣ ميلادية ، وهي السنةُ التي سقطت فيها القسطنطينيةُ عاصمةُ الدولةِ البيزنطيةِ (أو الامبراطوريةُ الرومانيةُ الشرقية) في أيدي الأتراكِ العثمانيين.

كيف كانَتِ الحياةُ في القرونِ الوسطى ؟ ما الأشياءُ المهمّةُ التي حدثت خلالَها ؟ وبالطبعِ ينبغي أن نعرفَ أنَّ المقصودَ بذلكَ كلِّه هو أوروبا لأنَّ هذا التقسيمَ ينطلِقُ من أحداثٍ وتواريخَ تهمُّ أوروبا بالدرجةِ الأولى . وهكذا فإنّ أبرز وأعظم وأهمَّ ما حدَثَ في القرونِ الوسطى بالنسبةِ إلى أوروبا كان انتشار الديانةِ المسيحيةِ وانتصارَها الكاملَ على الوثنيةِ هناك . وفي هذه القرونِ سادَ النظامُ الإقطاعيُّ في أوروبا ثم انحَلَّ ، وبدأت ملامح القومياتالحديثةِ وأُسسُها .

وعلى الرغمِ من أنَّ هذه المرحلةَ اعتُبِرَت عصرَ الفروسيةِ ، فقد حفلت بالقسوةِ . وكان النبلاءُ يُعبِّرونَ عن عواطفَ نبيلةٍ ومبادىءَ مثاليّةٍ رومنسيّةٍ بلغةٍ مُنَمَّقةٍ معطَّرةٍ غيرَ أنَّهم كانوا يعامِلُون خدمَهُم وأتباعَهم وعبيدَهم بقسوةٍ لا إنسانيةَ فيها .

وفي تلك العصورِ كان الناسُ يؤمنون إيماناً لا مناقشةَ فيه ولا تساؤلات . ولم يلعب الدينُ في عصرٍ من العصورِ الدورَ الذي لعبَهُ في حياةِ الناسِ في القرونِ الوسطى . فلمْ تكنِ الكنيسةُ حليفةَ الدولةِ ورديفَها وحسب ، بل غالباً ما كانتِ الكنيسةُ هي الدولة . وأبرزُ ما أُثِرَ عن الكنيسةِ في تلك العصورِ هو ما عُرِفَ « بمحاكمِ التفتيشِ » . كانت تلك المحاكمُ دينيةً مدنيةً في آنٍ واحدٍ ، توجِّهُ الاتهاماتِ لدى ظهورِ أدنى بادرةٍ يمكِنُ اعتبارُها مخالفةً للقوانينِ الكنسيةِ ، وتحكُمُ على المُتَّهمين بالحرقِ باعتبارِ أنَّ عدوَّ

الدينِ هو عدوٌّ للدولةِ أيضاً . هذا ولا ننسى أنَّ أوروبا القرونِ الوسطى قد خاضت حروباً دينيةً أبرزُها الحروبُ الصليبيةُ ضدَّ البلدانِ العربيةِ ، وذلكَ بحجَّةِ استردادِ الأراضي المقدّسةِ (فلسطين) . وقد استمرَّتْ هذه الحروبُ حوالى قرنين ، وأقامَ الصليبيون في فلسطين ولبنان وسوريا دويلاتٍ ما تزالُ قلاعُها باقيةً حتى الآن .

في أواخرالقرونِ الوسطى بدأ البابواتُ يفقدون سلطَتَهم في القضايا التي لا تتَّصِلُ بالشؤونِ الدينيةِ .

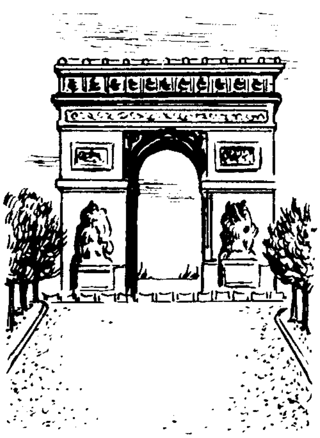
وقد بدأتِ التجارةُ الحديثةُ في أواخِرِ هذه المرحلةِ مع حركةِ الاستكشافِ والبحثِ عن طرقٍ جديدةٍ إلى الهندِ والصين .

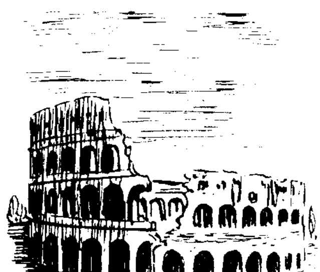
لم تتقدَّمِ العلومُ في أوروبا أثناءَ القرونِ الوسطى ، وعمَّ الجهلُ وانتشَرَتْ موجاتٌ من الأوبئةِ بسببِ القذارةِ .

أمَّا الأدبُ فقد سيطرَتْ عليه في هذه المرحلةِ موضوعاتُ الفروسيّةِ والمعاركِ ، إضافةً إلى موضوعاتِ الحبِّ الخيالي . وأمَّا الهندسةُ فلعلَّها أهمُّ إنجازاتِ هذه المرحلة ، وقد تمثَّلت بالمباني القوطيةِ الشامخةِ المهيبةِ ، ولا سيّما الكاتدرائيات بأبراجِها الدقيقة العاليةِ ونوافذِها ذات اللوحاتِ الزجاجيةِ الملوّنة .

هذا التقسيمُ التاريخيُّ ، وملامحُ مراحله لا تنطبقُ على سائرِ البلدان . ففي الوقتِ الذي سادَتْ فيه القرونُ الوسطى المظلمةُ في أوروبا كانَتْ بلدانٌ أخرى كالصين والبلدانِ العربيةِ والإسلاميةِ عامَّةً تشهدُ نهضةً عظيمةً . بينما بدأ عصرُ الانحطاطِ في البلدانِ العربيةِ لما كانَتْ أوروبا تخرُجُ من القرونِ الوسطى وتشهَدُ تباشيرَ نهضتِها الحديثة .







ما هيَ "النهضةُ" الأوروبية ؟

التسميةُ الفرنسيَّةُ التي تشيرُ إلى هذه النهضةِ والتي اعتمَدَتْها معظمُ اللغاتِ الأوروبيةِ تعني حرفيّاً « الولادةَ الجديدةَ » . هذه « الولادةُ الجديدةُ » حدَثَتْ في أوروبا بينَ القرنينِ الرابعَ عشر والخامسَ عشر.

ففي القرونِ الوسطى التي سبقت هذه النهضةَ كانت أشياءُ كثيرةٌ جدّاً قد أُهمِلَتْ . وفي مرحلةِ النهضةِ عادَتْ حركةُ العلمِ والتعليمِ إلى الحياةِ . وازدهَرَ الرسمُ والأدبُ والعلمُ والموسيقى والتجارةُ . وتغيَّرَ نمطُ الحياةِ الأوروبيةِ تغيُّراً كاملاً .

كانَ معظمُ الناسِ ، قبلَ النهضةِ ، يعيشون في إقطاعاتٍ زراعيةٍ واسعةٍ تُسمَّى واحدتُها « عزبة » . وكانتْ المدنُ قليلةً . الحياةُ الاجتماعيةُ بأسرِها كانَت تدورُ في إطارِ العزبة ، وفي حصنِ النبيلِ الإقطاعي ، أو في قصرِ الأسقُف . وكانَت أوروبا مقسَّمةً إلى عددٍ لا يُحصى من الإقطاعاتِ الصغيرةِ التي يَحكمُ كلاًّ منها أميرٌ أو نبيلٌ .

هذا النمطُ من الحياةِ تغيَّرَ كليّاً في مرحلةِ النهضة . بدأت المدنُ تكبرُ بسرعةٍ مع تطوُّرِ التجارةِ والصناعةِ . واكتَسَبَ التجارُ الكبارُ أهميةً متزايدةً . وشيئاً فشيئاً أخذت تحُلُّ محلَّ الإقطاعاتِ الصغيرةِ العديدةِ وحداتٌ إداريةٌ سياسيةٌ أكبر ، وظلَّتْ تكبُرُ تدريجياً ثم تحوَّلَتْ إلى دُولٍ قوميةٍ . وبدأَ الناسُ استخدامَ النقودِ المسكوكةِ في التبادُلِ .

ومن أهمِّ مظاهِرِ النهضةِ أنَّ الناسَ قد بدأوا يطرحون الأسئلةَ على معتقداتهم. كما صاروا أكثَرَ اهتماماً بشؤونِ حياتِهم الدنيويةِ منهم بشؤون الحياةِ الأخرى . وقد تبلوَرَتْ مرحلةُ الأسئلةِ والمناقشاتِ بتياراتٍ دينيةٍ وسياسيةٍ كان منها حركةُ الإصلاحِ الديني أي « البروتستانتية » التي وقَفَتْ ضدَّ سلطةِ البابا والكنيسةِ الكاثوليكية .

لم تبدأِ النهضةُ الأوروبيةُ فجأةً وبلا أسبابٍ تاريخيةٍ . حدَثت في القرن الرابع عشَر أحداث تاريخيةٌ كبرى كانت لصالحِ أوروبا ،منها سقوطُ القسطنطينيةُ عام ١٤٥٣ في أيدي العثمانيين ، وهجرةُ عددٍ كبيرٍ من الكهنةِ الشرقيين إلى روما . الحدثُ الثاني كان سقوطَ « غرناطةَ » آخرِ معقلٍ عربيٍّ في الأندلس عام ١٤٩٢ ، في أيدي الفرنجة . وقد أدَّى هذا إلى دخولِ الأوروبيين إلى الأندلس التي انتهتْ إليها ثمارُ النهضةِ العربيةِ في المشرقِ والمغرب . وقد تلا ذَلكَ حركةُ ترجمةٍ واسعةٍ من العربيةِ إلى اللاتينيةِ أسهمَتْ ، إضافةً إلى العوامِلِ التاريخيةِ الأخرى ، في حركةِ التنويرِ الأوروبيةِ . وقد تواقَتَ هذان الحدثان مع اختراعِ الطباعةِ عام ١٤٤٠ وتحسُّنِ انتاجِها في النصفِ الثاني من ذلك القرن ، ممَّا ساعدَ على تعميمِ المؤلَّفاتِ المُتَرْجَمَةِ ونشرِ الكتبِ على نطاقٍ واسعٍ .

بلغتِ النهضةُ أَوْجَها في إيطاليا أولاً لقربِها من صقلّية التي احتلَّها العربُ مدةً من الزمن ، ثمَّ في اسبانيا ، وانتشرت بعد ذلكَ إلى البلدانِ الأوروبيةِ بالتدريجِ . ومن أعلام النهضةِ الإيطاليةِ نذكُرُ عدداً من كبارِ الفنّانين أمثالِ بوتيشيلّلي وليناردو دافنشي وميكيل أنجلو ورافاييل وتيسيان وسيلليني وآخرين ممَّن لا تزالُ أعمالُهُم تثيرُ الاعجابَ في متاحِفِ العالمِ .

كيف بدأت الديمقراطية ؟

أوَّلاً ما معنى كلمةِ « ديمقراطية » وما أصلُها ؟ إنَّها كلمةٌ يونانيةٌ معناها الحرفيّ « حكمُ الشعبِ » . لكن عندما نستعملُ في أيامِنا هذه كلمةَ « ديمقراطية » فإنَّنا نعني حكومةً تتيحُ للشعبِ أن يشارِكَ في اختيارِ الحكومةِ ونوعِ سياستِها .

ظهرتِ الديمقراطيّةُ قديماً بشكلين . في الشكلِ الأوَّلِ تمثَّلت بحكومةٍ يجتمعُ فيها الشعبُ بكامِلِهِ ليقرّرَ السياسةَ العامّةَ وينتخبَ ممثلين لتنفيذِها . يُعرَفُ هذا الشكلُ باسمِ « الديمقراطية المباشرة » . في الشكلِ الثاني يَنتخبُ الشعبُ ممثّلين عنه ليقوموا بتنفيذِ أمانِيه . ويُعرَفُ هذا النوعُ باسمِ « الديمقراطيةِ التمثيلية » . وبما أنَّ « الديمقراطية المباشرةَ » لا يمكنُ تحقيقُها على نطاقٍ واسعٍ حيثُ يستحيلُ جمعُ الشعبِ بكامِلِهِ في قاعةٍ للبحثِ واتّخاذِ القراراتِ ، فإنَّ الديمقراطيةَ التي تُمارَسُ في بعضِ البلدانِ هي من نوع « الديمقراطية التمثيلية » .

لا يمكنُ لأيِّ دولةٍ أن تُعتَبَرَ ديمقراطيّةً ما لَمْ تعطِ ضماناتٍ لتوفيرِ مختلفِ الحرياتِ الإنسانيةِ . من هذه الحرياتِ ، حريةُ التعبيرِ ، والحركةِ وتأسيسِ الروابط ، وحريةُ الصِّحافة ، وحريةُ المعتقدِ الديني والعبادة ، والمساواةُ أمامَ القانون .

بدأتِ الديمقراطيّةُ السياسيةُ في العصورِ القديمة . ففي اليونانِ القديمةِ كانت هناكَ مدنٌ كلٌّ منها دولةٌ مستقلّةٌ ، وأشهرُها أثينا . وفي أثينا ظهرَ شكلُ

الديمقراطيةِ المباشرة . مع ذلك فإنَّ الطبقةَ الحاكمةَ في أثينا القديمةِ كانت مؤلَّفةً من جزءٍ صغيرٍ من السكّان . فقد كانت أكثريةُ السكّانِ مؤلَّفَةً من العبيدِ والنساءِ ، ولم يكنْ يحقُّ لهؤلاءِ ولا للغرباءِ أن يصوِّتوا أو يحضروا الاجتماعات . وهكذا يمكنُنا اليومَ أن نجدَ ، حتَّى في هذه الديمقراطيّةِ المباشرةِ أخطاءَ ونواقصَ عديدةٍ .



كيف بدأ النظام الاقطاعي الاوروبي ؟

تنقسمُ أوروبا اليومَ إلى دُوَلٍ عديدةٍ . لكنها كانت نوعاً من دولةٍ واحدةٍ بين القرنِ التاسعِ والقرنِ الخامسَ عشر . غيرَ أنَّ هذه الدولةَ الواحدةَ كانَت مُقَسَّمةً إلى أقاليمَ أو إقطاعاتٍ . والناسُ الذين كانوا يعيشون في هذه الإقطاعاتِ لم يكونوا ينظرون إلى أنفسِهِم كفرنسيين وألمانٍ أو إنكليز . بدلَ ذلكَ كان كلُّ شخصٍ يدينُ بالولاءِ للنبيلِ سيدِ الإقطاعية، وهذا بدورِهِ يدينُ بالولاءِ لسيدٍ أكبرَ منه أو لأميرٍ ، وهذا الأميرُ يدينُ بالولاءِ للملك .

وكان الأمراءُ المحلّيّون الذين يحكمون إقطاعاتٍ أو أقاليمَ لا يرغبون في تحمُّلِ التبعاتِ والمتاعبِ الإدارية والماليةِ التي يتطلّبُها حكمُ الإقليم . يُضافُ إلى ذلك أنَّهم كانوا يحتاجون إلى أشخاصٍ يدعمونهم وإلى محاربين ، كانوا بدورِهِم يُقطعون (أي يمنحون) مساحاتٍ من الأرضِ لأفرادٍ من طبقةِ النبلاءِ على أن يُقسِموا يمينَ الطاعةِ لهؤلاءِ الأمراء . المحاربون النبلاءُ الذين يصلون على الأراضي كانوا يسمّون « الفرسان » . والأرضُ التي تُمنح لفارسٍ يصيرُ اسمُها عزبة . بعضُ الفرسانِ كانوا بلا أرضٍ أو عزبة ، لكنهم كانوا يلتحقون بالإقطاعي أو الأميرِ في حصَّتِه ويعيشون هناكَ على نفقتِهِ .

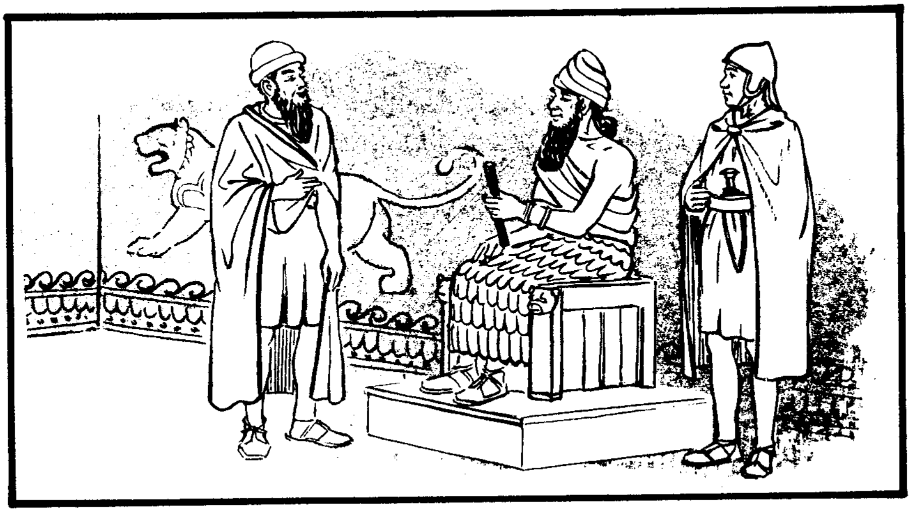
وكان يخضعُ للفارسِ ـ سيِّدِ الأرضِ ـ الأقنانُ والفلاحونَ نصفُ الأحرار. الأقنانُ (أو عبيدُ الأرض) كان عليهم أن يبقَوْا في العزبة . فإذا تمَّ بيعُها أو شراؤها كانوا في جملةِ الصفقةِ وشملَهم البيع . كان الأقنانُ يزرعون أرضَ السيدِ ويتعهَّدونها كليّاً . والسيِّدُ لم يكنْ يطعمُهم أو يكسوهم ، بدلَ ذلك كان

يعطيهم قطعاً صغيرةً من الأرضِ يستغلونَها لتأمينِ معيشتِهم . ولم يكنْ من الممكنِ أو المألوفِ أن تُؤخَذَ هذه الأرضُ منهم ، فكان أولادهم يرثونها ويدفعون عنها الضريبةَ النسبيةَ للسيدِ الإقطاعي . وكان هناكَ إضافةً إلى أقنانِ الأرضِ (أو عبيد الأرض) الفلاحون نصفُ الأحرار . والفارقُ بين هؤلاء وبين الأقنانِ أنَّهم كانوا يدفعون للسيدِ مبلغاً مقطوعاً ثابتاً بدلاً من أن يدفعوا ضريبةً تتناسبُ مع كميةِ المحاصيل .

كانَتِ الاقطاعية أو الإمارةُ تتمتَّعُ باكتفاءٍ ذاتي ، وهذا يعني أنَّ الناسَ لم يكونوا يستوردون أيَّ شيءٍ من الأقطاعيات الأخرى من أجلِ معيشتِهم . وكان سيِّد الإقطاعية يُؤَمِّنُ مطاحِنَ القمحِ والحبوب ، ومعاصرَ النبيذِ ، وحظائـرَ المواشي فيستخدمُها الفلاحون ، لكن يدفعون أجرَها .

وكانَ كلُّ شيءٍ يتوقَّفُ على أخلاقِ السيدِ أو الأمير . فإذا كان صالحاً استطاعَ الفلاحون أن يعيشوا عيشةً معقولةً ، كانوا يكدحون بلا توقّف ، لأنَّ السيِّد في هذه الحالةِ يهتمُّ بمطالبِهم . على أيّةِ حالٍ لم يأتِ تزعزعُ النظامِ الإقطاعي نتيجةً لثوراتِ الفلاحين ، بل نتيجةً لتطوّراتٍ صناعيةٍ تجاريّةٍ اجتذَبَتِ الفلاحين إلى المدنِ وأوجَدَتْ طبقةً وُسطى من أصحابِ الثروات . هذا التجمُّعُ في المراكِزِ الصناعيةِ نتّجَ عنه نشوءُ المدنِ الكبرى والعواصمِ ثمَّ بدأ تمركز السلطات الإقطاعية يضعُفُ لأنَّه باتَ متناقضاً مع سلطاتِ الملوكِ المتَّجهةِ إلى المركزيةِ . ثم نشأتِ البرلماناتُ ، وولدت الدولُ الحديثةُ وتحرَّرَ الأقنانُ .

كيف بدأت القوانين ؟



يظهرُ مفهومُ العدالةِ أو الحقِّ حالَما يبدأُ أي نوعٍ من أنواعِ العلاقاتِ الاجتماعيّة . نفترضُ أن شخصاً ما يعيشُ منفرداً على جزيرة (كروبنسون كروزو مثلاً) ، إنَّه في هذه الحالةِ لا يحتاجُ إلى الحقوقِ أو القانون لأنَّ حريّته لا تمسُّ حقوقَ إنسانٍ آخر ولا حرّيته . لكن حالَما يرافقُهُ شخصٌ آخرُ يصبحُ التناقُضُ والصراعُ بينَ حقوقِ الشخصينِ محتملاً ، ، في هذه الحالةِ يغدو القانونُ ضرورياً .

الغايةُ من القانُونِ هي تنظيمُ العلاقاتِ بين الأفرادِ من جهةٍ ، وبين كلِّ فرد والمجتمع من جهةٍ ثانيةٍ . ويحاولُ القانونُ أن يعطي كلَّ فردٍ منَ الحريةِ

بالقدرِ الذي لا يمسُّ حرّيةَ الآخرين .

تبدأُ القوانينُ عادةً كبلّورةٍ وتطويرٍ لتقاليدِ الشعب . أقدمُ القوانين التي عرَفَها الناسُ هي شريعةُ حمورابي الملكِ البابلي ، وذلكَ حوالى عام ١٧٠٠ قبلَ الميلاد . فقد وضعَ حمورابي منظومةً كاملةً من القوانينِ أو شرعةً تحدِّدُ حقوقَ الفردِ وحقوقَ الملكيَّة، وشكلَ العقودِ المبرمةِ كما تحدّدُ المخالفاتِ والجرائمَ وعقوباتِها .

الأعرافُ والتقاليدُ تتحوَّلُ إلى قوانينَ عندما تدعمُها سلطةُ الدولة . فيما بعد صارَت القوانينُ تنطلِقُ من قراراتِ المحاكِمِ ومن الدراساتِ والاجتهاداتِ التي يتوصَّلُ إليها رجالُ القانون مستندين إلى ما سبق من قوانين وتجارب . كما صارت القوانينُ تنشأُ من بياناتٍ ومراسيمَ وقراراتٍ تصدرُ عن الملوكِ والحكّامِ والمشرّعين .

كان الرومانُ مشرّعين كباراً ، و« مُدَوّنةُ الامبراطور جوستينيانوس » الذي عاش بين ٥٢٧ و٥٦٥ م تتضمَّنُ خلاصةَ ألفِ سنةٍ من القوانين الرومانية .

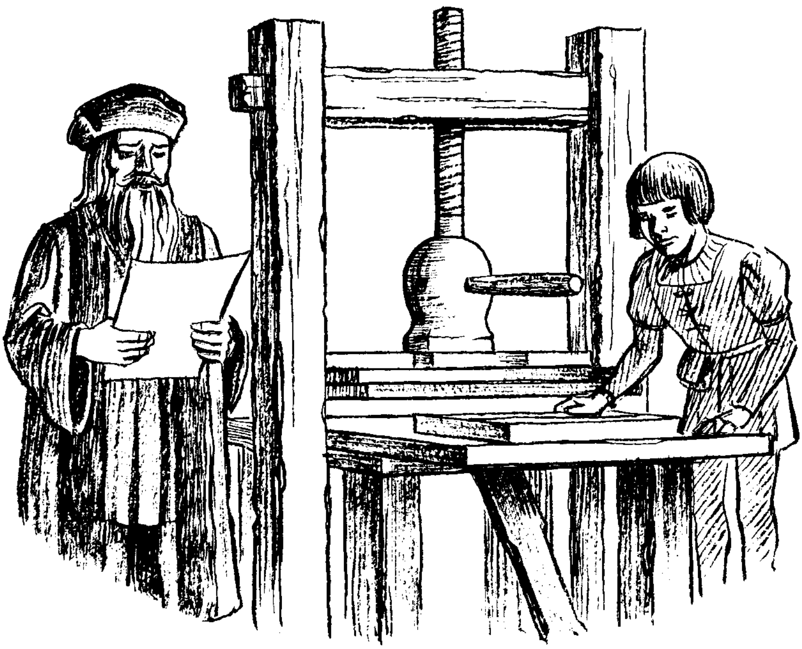
مرَّت مراحِلُ تاريخيّةٌ خضعت فيها الشعوبُ المختلفةُ لقوانين جاءت حصيلةَ معتقداتِها الدينيةِ ونمطِ حياتها . وهكذا خضعت أعمالُ الأوروبيين وتصرّفاتهم ، خلال القرون الوسطى ، لتعاليمِ الكنيسة التي تبلورت في شرعةٍ متكاملةٍ هي « القوانينُ الكنسيّة » . ثم عادت إيطاليا إلى دراسةِ القانونِ الروماني بدءاً من القرنِ الثاني عشر الميلادي ومنها انتشرَ تدريجياً إلى أنحاءِ أوروبا . وهكذا تطوَّرت مجموعةٌ من القوانينِ المرتكزةِ إلى القانونِ الروماني وشكَّلت ما يُدعى بالقوانينِ المدنية ، مقابلَ « القوانين الكنسية » . وكانت محاكمُ انكلترا ، في تلك المرحلة ، تناقشُ القوانينَ وتضعُ الاقتراحاتِ

لتطويرِها واستكمالِها ، وكانت حصيلة ذلك مجموعة من القوانين عُرفت باسم « القانون العام » .

عام ١٨٠٤ أمَرَ نابليون بونابرت بتدوينِ جميعِ القوانينِ المدنيةِ المأخوذِ بها في زمانِه. فشكَّلَت منظومةُ نابليون القانونيّةُ الأساسَ الذي ترتكزُ عليه القوانينُ المدنيةُ في أوروبا وأمريكا الوسطى والجنوبية . بينما شكَّلَ « القانون العام » الذي تطوَّرَ في انكلترا الأساسَ الذي بُنِيَ عليه القانونُ في الولاياتِ المتحدةِ وكندا (باستثناء كيبك) وأستراليا وزيلندة الجديدة .

أمّا البلدانُ العربيّةُ فقد كان القرآنُ الكريمُ والسنَّةُ النبويَّةُ قانونَها الوحيد . ثم جاء الفقهاءُ وأئمّةُ المذاهبِ ووضعوا اجتهاداتِهم المرتكزةَ إلى القرآنِ والسنّة .

القوانينُ في البلدانِ العربيةِ اليومَ ما تزالُ ترتكزُ أساسياً على الشريعةِ الاسلاميةِ لا سيّما فيما يتعلَّقُ بقانونِ الأحوالِ الشخصية . لكنها أخذت بالتطوراتِ القانونية التي بدأت منذُ القرنِ التاسعَ عشر ، أي في العهدِ العثماني . والواقعُ أنَّ كثيراً من عناصرِ القانونِ العثماني ما تزالُ معتمدة، إضافة إلى القوانينِ الأوروبيةِ التي دخلت مع الانتدابِ أو الاستعمارِ . غيرَ أنَّ الحكوماتِ الوطنيةَ التي جاءت بعدَ التحرُّرِ قد أصدرَتْ كثيراً من التشريعاتِ الجديدةِ التي تتَّفقُ مع الأوضاعِ المستجدَّةِ وتُراعي التطوّراتِ الاجتماعيةَ والاقتصاديةَ والإدارية .



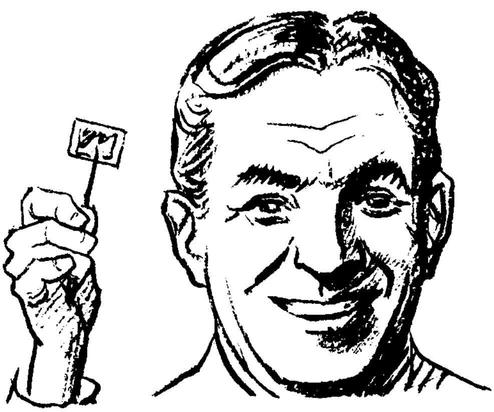
لماذا يتوجَّبُ علينا دفع الضرائبِ ؟

فَرْضُ الضرائبِ هو السبيلُ الذي تلجأُ إليه الدولةُ كي تحصل على المالِ الذي تنفقُهُ على المرافِقِ والخدماتِ العامّةِ . الشعبُ يحتاجُ إلى مدارسَ وشوارع ؛ والبلادُ تحتاجُ إلى جيشٍ لحمايةِ حدودِها وإلى شرطةٍ لحفظِ الأمنِ والنظامِ في الداخِلِ وإلى وحدات إداريةٍ وصحيّةٍ . ولو حاوَلَتْ كلُّ أسرةٍ أن تؤمِّنَ بنفسِها هذا كلَّه لوجَدْنا أنفسَنا في نهايةِ المطافِ بلا مدارسَ ولا حمايةَ حقيقية ولا خدمات .

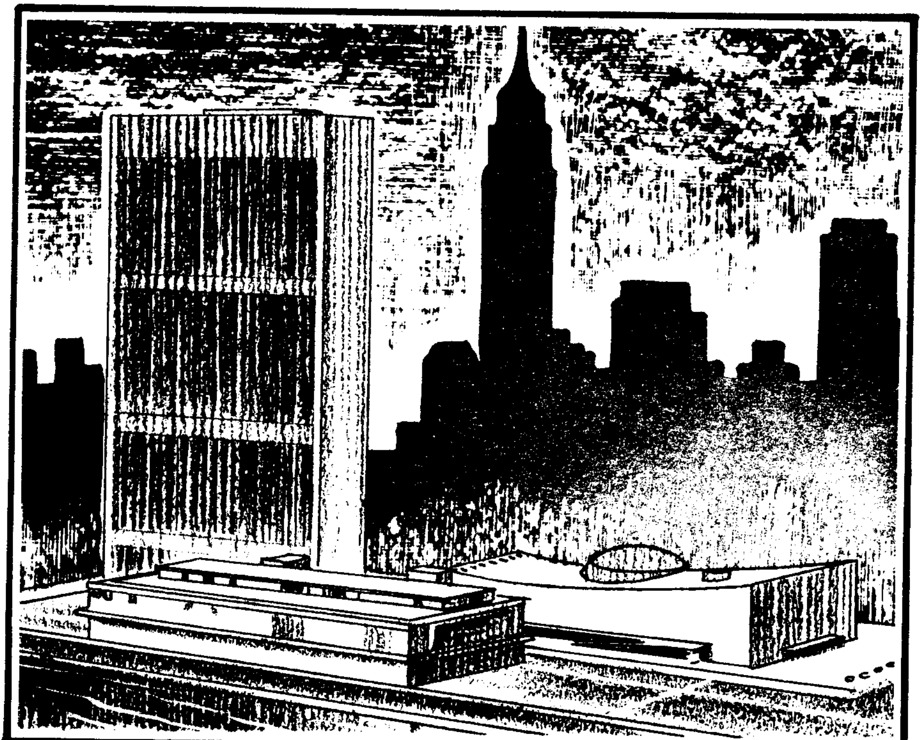
هناكَ أنواعٌ من الضرائب ، منها الرسومُ الجمركيةُ التي تُؤخذُ على البضائعِ المُسْتَوْرِدَةِ من خارجِ البلاد . وهناكَ الضرائبُ المفروضةُ على العقاراتِ أي الممتلكاتِ الثابتةِ كالمباني والأراضي . وهناكَ ضريبةُ الدخلِ وهي ضريبةٌ نسبيةٌ تُؤْخَذُ على الأرباحِ والأُجورِ ، فكلَّما ارتفعَ الدخلُ ارتفعَ المبلغُ المدفوعُ . وبعضُ البلدانِ يطبِّقُ مبدأَ الضريبةَ التصاعُدِيّةِ ، أي أنَّ النسبةَ التي تُؤْخَذُ عن الأرباحِ لا تكونُ واحدةً .وكلَّما ارتفعت قيمةُ الأرباحِ ارتفعت النسبةُ المفروضةُ ، حتى تصلَ ، في حالةِ الأرباحِ الكبرى ، إلى نسبةِ مئةٍ بالمئةِ ، وآنذاكَ تأخذُ الدولةُ كلَّ ما يتجاوزُ حدّاً مُعَيّناً من الربح . بعضُ البلدانِ ، لا سيَّما الدّولُ الغربيةُ كفرنسا والولاياتِ المتّحدةِ تطبّقُ نظامَ ضريبةِ الدخلِ الفردي . وفي هذه الحالةِ ينبغي أن يحسبَ الشخصُ كلَّ مبلغٍ صغيرٍ أو كبيرٍ جناه ، من مصادرَ مختلفةٍ كالراتب وأرباحِ الأسهمِ وبدلِ الإيجارِ ، والساعاتِ الإضافية ، وأن يحسمَ من ذلك النفقاتِ ، كمصاريفِ

المهنةِ ونفقاتِ المكاتب والموظفين أو نفقاتِ التداوي المرتفعة . كما يُسمَحُ للشخصِ بحسمِ مبلغٍ مُعيّنٍ عن كلِّ ولدٍ قاصرٍ من أولادهِ .

هناكَ نوعٌ آخرُ من الضرائبِ غيرِ المباشرة ، هو الطابعُ المالي . يُفرَضُ على الشخصِ أن يشتريَ طوابعَ معينةٍ يلصقُها على المعاملاتِ الرسميّةِ من كلِّ نوعٍ . ثمنُ هذه الطوابعِ هو الرسمُ الذي يدفعه الشخصُ لقاءَ إجراءَ معاملةٍ معيَّنةٍ. وبعضُ الطوابعِ مرتفعُ الثمنِ ، لا سيّما الطوابعُ التي تُلصق على أوراقِ تسجيلِ العقاراتِ ، أو المعاملاتِ القضائيةِ وغير ذلك .



ما هي الأُمَم المتحِدة ؟



في هذه الأيامِ التي يسودُها التوتُّرُ في العلاقاتِ الدوليةِ نسمعُ كثيراً عن الأُمَمِ المتَّحدةِ واجتماعاتِها وقراراتِها . لماذا تأسَّست هذه المنظّمةُ ؟ وماذا تقدرُ أن تفعل ؟

« الأُممُ المتحدةُ » هي منظَّمةٌ تتمثَّلُ فيها حكـوماتُ العـالم . وقد

تأسَّستْ على أملِ تفادي الحروبِ وبناءِ عالمٍ أفضل ، وذلكَ على أساسِ توفيرِ المجالِ لالتقاءِ الأطرافِ المتنازعةِ وبحثِ المشكلاتِ والتعاونِ على حلِّها . ودستورُ « الأُممِ المتَّحدةِ » المعروفُ باسمِ « شرعةِ الأُممِ المتَّحدة » ، قد وقَّع عليهِ ممثِّلو خمسين دولةً ، وذلك بسان فرانسيسكو- الولاياتِ المتَّحدة ، بتاريخ ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ ، أي بعد نهايةِ الحربِ العالميةِ الثانية .

وقد جاءَ في شرعةِ هذه المنظّمةِ الدوليّةِ ، أنَّها تهدف إلى تحقيقِ غاياتٍ رئيسيةٍ أربع : الغايةُ الأولى هي حفظُ السلامِ عن طريقِ حلِّ النزاعاتِ سلميّاً أو عن طريقِ اتخاذِ خطواتٍ لإيقافِ العدوانِ المسلّح . الغايةُ الثانيةُ هي تنميةُ علاقاتِ الصداقةِ بين الدولِ على أساسِ تساوي الناسِ وحقِّهم في اختيارِ نوعِ الحكومةِ التي تناسبُهُم . الغايةُ الثالثةُ هي إقامةُ التعاونِ الاقتصادي بين الدولِ عن طريقِ حلِّ المشكلاتِ الاقتصادية والثقافيةِ والإنسانيةِ . والغايةُ الرابعةُ هي أن تشكِّلَ الملتقى الذي يمكنُ أن تُنَسَّقَ فيه نشاطاتُ الدّول وجهودُها لتحقيقِ الغاياتِ الثلاثِ السابقةِ .

وتضمُّ منظَّمةُ الأُممِ المتَّحدةِ ست هيئاتٍ أو فرقِ عملٍ . الهيئةُ الأُولى هي « الجمعيّةُ العموميةُ للأُممِ المتَّحدة » ، وتتكوَّنُ من جميعِ الدول الأعضاءِ في المنظَّمة ، ولكلِّ دولةٍ من هذه الدولِ صوتٌ واحدٌ . ويُفتَرَضُ أن تكونَ هذه الهيئةُ القاعدةَ التي ترسُمُ سياسةَ المنظَّمة .

الهيئةُ الثانيةُ هي « مجلسُ الأمنِ الدولي » ، المسؤولُ عن حفظِ الأمن . وما يُسمَّى « بالدولِ الكُبرى » لها مقاعدُ دائمةٌ (أو تمثيلٌ دائمٌ) في هذا المجلسِ . هذه الدولُ هي التي خرجت منتصرةً في الحربِ العالميّة الثانية . ولم تنضمَّ إليها الصينُ إلا مؤخّراً . هذه الدول هي : الصينُ ،

وفرنسا ، وبريطانيا ، والاتحادُ السوفياتي ، والولاياتُ المتَّحدة . أمَّا الأعضاءُ الستّةُ الآخرون فيُنتخبون بشكلٍ دوريٍّ مرَّةً كلَّ سنتين . تنتخبُهُم « الجمعيةُ العموميّةُ » . ويتمتَّعُ الأعضاءُ الدائمون وحدَهم ، في مجلسِ الأمنِ بحقِّ « الفيتو » (أو حقِّ النقض) . أي ، يكفي أن ترفضَ دولةٌ واحدةٌ من هذه الدولِ الخمسِ مناقَشَةَ مُشكلةٍ أو عرضَها على التصويتِ حتى يُعتَبرُ كلُّ إجراءٍ بعد ذلكَ باطلاً . وهذا يعني أنَّ المُهيمِنَ الحقيقيَّ على سيرورةِ المناقشاتِ والقراراتِ هو الأعضاءُ الدائمون .

الهيئةُ الثالثةُ هي « المجلسُ الاقتصاديُّ الاجتماعيُّ » بأعضائِهِ الثمانيةَ عشر . ومهمَّةُ هذا المجلسِ تنميةُ رفاهيةِ الشعوبِ ، وخدمةُ حقوقِ الإنسانِ والدفاعُ عن الحرياتِ الأساسيةِ .

الهيئةُ الرابعةُ هي « مجلسُ الوصايةِ » الذي يشرفُ على مصالحِ الشعوبِ الواقعةِ تحت الوصايةِ ويُفتَرَضُ فيه أن يساعدَها على الاستقلالِ .

الهيئةُ الخامسةُ هي « محكمةُ العدلِ الدوليةُ » التي تنظرُ في النزاعِ بين الدولِ وتُصْدِرُ حكمَها بشأنِها .

الهيئةُ السادسةُ هي سكرتاريةُ الأُممِ المتَّحدةِ أي الجهازُ الإداريُّ ومكاتبُ الأُممِ المتَّحدةِ . ورئيسُها الرسميُّ هو « الأمينُ العامُّ للأُمَمِ المتَّحدة » .

مَعَارِك
مِن التَارِيخِ العَرَبِي القَدِيمِ وَالحَدِيث

أيام العرب في الجاهلية

إنَّ المعاركَ التي جَرَتْ في العصر الجاهلي ، لا تُعْتَبرُ معاركَ بالمعنى الصحيح لكلمةِ مَعْركة ، فَلَيْستْ هي إلاَّ أياماً اشْتَمَلَتْ على وَقَائِعَ وأحْداثٍ وهذه الأيامُ يُمكنْ أنْ تُعْتَبَرَ مَصْدراً خَصيباً مِنْ مَصَادرِ التَّاريخ ، لِمَا اشْتَمَلَتْ عليه مِنْ قَصَصٍ ، وَمَا رُوِيَ في أثنائِها مِنْ نَثْرٍ وشِعْرٍ ، وما أُثِرَ عنهَا مِنْ مَأْثورِ الحِكَمِ وبارعِ الحِيَلِ ، واصْطِفاءِ الْقَوْلِ وروائعِ الكلِمِ ، وَرِواياتِ البُطُولاتِ . وَهِيَ إمَّا أَيَّامٌ وَقَعَتْ بَيْنَ العربِ وغيرهم مِنَ الأُمَمِ . كأَيَّامِ العربِ والفرسِ : يومُ الصفقةِ ويومُ ذي قار . وإمَّا أيامٌ وَقَعَتْ بَيْنَ العربِ أَنْفُسِهِم نذكر منها : أيامَ القحطانيةِ فيما بَيْنَهم مثل : يومِ البَرَدان ، ويوم حَلَيْمة . وحروبِ الأَوْسِ والخَزْرَج . وأيامِ القحطانيين والعدنانيين مثل : يومِ طِخْفَة ويومِ خَزاز ويوم فَيْفِ الريحِ ، ويومِ ظَهْرِ الدَّهْناء . وأَيَّامِ ربيعة فيما بينها مثل : حربِ البَسُوسِ . وأَيَّامَ ربيعة وتميم ، مثل : يومِ الوَقِيْط ، ويوم جَدُودِ ، ويومِ الإيادِ . وأَيَّامِ قَيْس فيما بينها ، مثل : يومِ النَّفْروات ، ويوم دَاحِس والغبراءِ ويومِ الرَّقم . وأَيَّامِ قَيْس وكِنانة ، مثل : يوم الكَديد . وحروبِ الفُجار ، وأَيَّامِ قيس وتميم ، مثل : يومِ الرَّحْرحَان ، ويومِ الصرائم . وأَيَّامِ ضبة وغيرهم ، مثل : يوم النِّسار ، ويوم الشقيقة ، وهناك أَيَّامٌ متفرقةٌ . مثل : يوم جَدِيْس ، ويوم ذاتِ الأثل . .

أيام العرب في الإسلام

مثلما كَان للعربِ في جاهلِيتِهم أَيَّامُ حروبٍ ووقائعَ كَذلِك كانَ لَهُمْ في الإِسْلامِ . وَمَعَارِكُ العربِ في الإِسْلامِ هِيَ كِتابُ تاريخٍ مجيدٍ وَقصصٍ رائعٍ وَأَدَبٍ رفيعٍ . وَقَدْ كانَ النبيُّ العربيُّ محمدُ (ص) أَوَّلَ مُقَاتِلٍ في الإِسْلام ، في سبيلِ الدِّفاعِ عَن الدينِ الجديدِ ، وإعلاءِ كَلِمَةِ اللهِ جلَّ جلالُه . وإنَّ العربَ الذين خاضُوا معاركَ الإِسْلام إنَّما خَاضُوها بقُلُوبٍ مُؤْمِنَةٍ فَلَمْ يَهِنُوا وَلَمْ يضعفوا أَمامَ قوى الشَّرِّ وجماعاتِ الشِّرْكِ ، وأَعْداءِ الأُمَّةِ .

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ هذه الحروبُ بَيْنَ حروبٍ دينيَّةٍ ، وَفُتوحاتٍ عربيةٍ ، وإنَّ التَّاريخَ يُسَجِّلُ أَخْبارَ هذهِ المعارِكِ في صَفَحاتٍ ناصِعاتٍ . ونحنُ نذكرُ ههنا مِنْ تِلْكَ الأَيَّام : يومَ بَدْرٍ ، ويومَ أُحُدٍ ، ويومَ الخَنْدق ، ويومَ الحديبية ، ويومَ مُؤْتَة ، ويومَ الفَتْح ، ويومَ حُنين ويوم تُبُوت ، ويوم السَّقيفة ، ويومَ دوْمة الجندل ، ويوم اليرموك ، ويوم القادسية ، ويوم نَهَاوَنْد ، ويوم الجَمَل ، ويوم صِفِّين ، ويوم النَّهْروان ، ويومَ كَرْبَلاء ، ويومَ مرج راهط ، ويومَ خازر ، ويومَ المذَار ، ويوم دير الجماجم ويوم الهاشميَّة . وغيرَها مِنَ الأَيامِ التي يربو عددُها على الأربعين يوماً غير المذكورة ههنا .

وفي التَّاريخِ ، قَدْ سُمِّيَتْ مَعارِكُ الإسلامِ ، بالغزواتِ ، كأنْ نقولُ : غزوة بَدْر ، وغزوة أُحُد . . . . . .

مَعركة بَدر

بَدْرُ ، اسمُ موضعٍ ماءٍ مشهورٍ بَيْنَ مكةَ والمدينة ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ البحرِ ليلةٌ . ومعركة بَدْر ، جَرَتْ في السَّنةِ الثانيةِ من الهجرة ، بَيْنَ محمدٍ رسولِ الله (ص) وقُرَيْشٍ . عَقب غزوةِ العُشَيرة . وكان النبيُّ العَربيُّ ، على رأسِ جَيْشِ المسلمين ، وسُفيانُ بنُ حربٍ على رأسِ جيشِ أعْداءِ محمدٍ من قريشٍ وغيرهم . وكان في عِدادِ المقاتلين الإسلاميين : حَمْزةُ بنُ عبدِ المطلبِ ، وعليُّ ابنُ أبي طالب وعبيدُ بنُ الحارثِ ، وأبو بكر . وفي هذهِ المعركةِ قُتِلَ أكثرُ أشرافِ قريشٍ ، وأسَرَ جيشُ محمدٍ الكثيرَ مِنْ أعْدائه ، وَكَانَ فِدَاءُ المشركين يَوْمَئذٍ نحو أربعةِ آلافِ درهمٍ . إلّا مَنْ لا مالَ لَهُ . فَقَدْ مَنَّ عليه النبي (ص) .

وهذهِ المعركةُ جَرَتْ في الشَّهْرِ الحَرَام ، وَهُو من الأَشْهُرِ التي كانتِ العربُ لا تُقاتِلُ فيها ، وفي هذهِ المناسبةِ نَزلَتْ على محمدٍ الآيةُ الكريمةُ : ﴿**يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتالٍ فيهِ قُلْ قِتالٌ فيهِ كبيرٌ وصَدٌّ عَنْ سَبيلِ اللهِ وكُفْرٌ به والْمَسْجِدِ الحَرَامِ وإخراجُ أهْلِهِ مِنْهُ أكْبَرُ عِنْدَ اللهِ والْفِتْنَةُ أكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ولا يَزَالُونَ يقاتِلونَكُم حَتى يَرُدُّوكُمْ عن دِينِكُمْ إنِ اسْتَطاعوا**﴾ .

سورة البقرة : **٢١٧** .

وبِفضلِ النبيِّ وقِيادتِهِ التي تُوحي الحماسةَ والشجاعةَ استَطاعَ ثلاثمائةٍ مِنَ المسلمينَ أنْ يتغلَّبُوا على ألفٍ مِنْ أهْلِ مَكَّة . وَمَعْركةُ بَدْر ، هي أَوَّلُ انتصاراتِ الإسلام الحاسمةِ .

مَعركَة أُحُد

معركة أُحُد أو غَزْوَةُ أُحُد ، تُنْسَبُ إلى جَبَلٍ صَغِيْرٍ في ظَاهِرِ المدينةِ واسْمُهُ « أُحُد » .٠وَجَرَتْ هذهِ المعركةُ في السَّنَةِ الثالِثَةِ للهجرة ، (سنة ٦٢٥ م) .

لَمْ تُطِقْ قريشٌ ما أَصَابَها يَوْمَ بَدْر . فلمَّا عادَ رجالُها إلى مكَّةَ ، كَلَّمُوا أبا سفيانَ في أمْرِهِم ،وطَلَبُوا اليهِ أنْ يَنْتَقِموا مِنْ مُحَمَّدٍ وجمَاعاتِهِ ،علَّهم يُدْرِكونَ مِنه ثَأْراً بِمنْ أصابَ مِنْهُم ، فاجْتَمَعَتْ قريشٌ ومَنْ والاها مِنْ قبائلِ كِنانة وأَهْلِ تِهامة لمُحَارَبَةِ رَسُولِ الله (ص) .كما بَعَثَتْ قريشْ الشُّعراءَ لِيثِيرُوا حَميَّةَ قبائلِ العربِ ، وهكذا جَمَعت جموعَها بإِذْكاءِ روحِ الثَّأْرِ مرةً والإغراءِ بالمالِ مرةً ثانيةً . والوَعْدِ بالأماني مراتٍ أخرى . . برئاسةِ أبي سفيان . وَنَازَلَتِ المسلمينَ في أُحُد ، وأصابتِ الحجارةُ التي قَذَفَتْها قريشْ جَيْشَ المسلمينَ ، وأُصِيْبَ النبيُّ العربيُّ ، إذْ شُجَّ في وَجْهِهِ ، فَصَرَخَ صَارِخٌ يقولُ : إنَّ محمداً قَدْ قُتِلَ . فآنكَفأَ المسلمونَ وَانْكَفَأَ عَلَيْهِم الكفّارُ . وقُتِلَ من المسلمينَ ، عَدَدٌ كبيرٌ . ووقفَتْ هندُ بنتُ عَتْبَة والنسوةُ اللاتي مَعَها يُمثلنَ بالقتلى مِنْ أصْحاب محمدٍ . . وبَقَرتْ هِنْدُ كَبِدِ حمزة بنِ عبدِ المطلب فَلاَكَتْها ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أنْ تستسيغُها فلفظَتها .

معركة الخندق

معركةُ الخَنْدقِ أو يومُ الخندقِ ، نسبةً إلى خَنْدقٍ حُفِرَ حَوْلَ المدينة (يثرب) . وَقَدْ جَرَتْ هذهِ المعركةُ ، في السَّنَةِ الخامِسَةِ من الهجرة (٦٢٧ م) . وفي تِلْكَ السَّنَةِ تألّبَتْ جموعُ الأحْزَاب ، وَهِيَ تَتَألَّفُ من المكِّيين وأعْوانِهم من البَدْوِ ومرتزقةِ الأَحْبَاشِ واليَهُود ، فَخَرَجتْ قريشٌ وقائدُها أبو سفيان ، وخرجتْ غَطَفان وقائدُها عُيينةُ بنُ حِصْن ، والحارثُ بنُ عوف في بني مُرَّة ، ومِسْعَر بنُ رُخيلة فِيمَنْ تَابَعَهُ من أشْجع الرجال. وخرجَ محمدٌ (ص) في ثلاثةِ آلافٍ المسلمين .

وَأَقامَ الرسولُ على الخندقِ ، وأقامَ عليه المُشْركون نحواً من شَهْرٍ فَلَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ إلّا الرميُّ بالنبالِ والحصارِ . أمَّا قَتْلَى الطَّرَفَيْن فَلَمْ تَتعدَّ العشرينَ نفساً ، وانْسَحَبَ أعْداءُ محمدٍ ، بَعْدَ حِصَارٍ شهرٍ ، وعَادَ محمدٌ بَعْدَ رَحِيلِ أعْدائِهِ . فَحَمل على اليهودِ لِمُعاونتِهم لقريشٍ وحلفائِها . فَعَرَضَ عليهم أنْ يُسلِمُوا فيأمنوا على دمائِهم وأموالِهم وأبنائِهم . فأبى بنو قُرَيْظَة ، فَضُرِبَتْ أعْنَاقُهم وأُجْلِيَ قسمٌ مِنْهُم عن مَسَاكِنِهم أمَّا يَهُودُ خيبر فَقَد أخْرَجَهم النبيُّ من واحَتِهم الخصيبةِ في شمالي المدينةِ سنة ٧ هـ (٦٢٩ م) .

مَعركة اليرموك

مَعْركة اليرموك ، أو يومُ اليرموكِ ، نسبةً الى اليرموكِ وهو وادٍ بناحيةِ الشام ِ ينتهي الى نَهْرِ الأُرْدُن .

وَقَدْ جَرَتْ هذه المعركةُ بَيْنَ جيوشِ البِيْزَنْطيين ، والجيوشِ العربيَّةِ ، سَنَةَ ١٣ من الهجرة .

وكان هرقلُ امبراطورُ الرومُ قد جَيَّشَ جَيْشاً بَلَغَ عددُهُ زُهاءَ خمسينَ ألْفِ مقاتلٍ ، وَوَلَّى عَلَيْه أخاهُ تيودورس .

وأمَّرَ أبو بَكْر الصِّدِّيق خالد بنَ الوليدِ عَلَى جيشِ المسلمينَ فَخَرَجَ في سِتَّةٍ وثلاثين كرَدُوساً (أي فرقة من الخيل) إلى الأربعين وَقَسَّمَ جيشَهُ إلى فِرَقٍ ، فَجَعَلَ القلب كراديسَ وأقامَ فيها أبا عُبَيْدَةَ بنَ الجرَّاح ، وَجَعَلَ الميمنة كراديسَ وعليها عمرو بنُ العاص وفيها شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنة . وجَعَلَ الميسرة كراديسَ وعليها يزيدُ بنُ أبي سفيان . وكانَ كـلُّ كردوسٍ يَبْلُغُ حوالي الألفِ مقاتلٍ .

وَمَرَّتْ شُهُورٌ عندما تَلاقَى الرومُ والمسلمونَ في اليرموك ، حَيْثُ دَارَتْ مُناوشاتٌ بَيْنَ الفريقين الى أنْ كانَتْ المعركةُ الفاصلةُ ، في **٢٠** آب **٦٣٦** م . وكانَ اليومُ حاراً انْعَقَدِتْ فيها سُحُبٌ من الغبارِ الذي أذْرَتْه الرياحُ في بُقْعَةٍ مِنَ الأرْضِ تَكادُ تَلْتَهِبُ مِنْ شِدَّةِ القَيْظَ (الحر) . فالْتَحَمَ القتالُ وتطاردَ الفرسانُ ، ولاحَقَ المسلمونَ الرومَ حتى هَزَمُوهُم . وخرَّ تيودورسُ أخو هرقل صَرِيعاً وَلَمْ

يَسَلم من جيشِهِ إلاَّ القليلِ . وَلمَّا وَصَل خبرُ الهزيمةِ الى هرقل امبراطور الرومِ ، رَحَلَ عَنْ بلادِ الشامِ وفي طريقه الى القُسطنطينية قالَ مُودِّعاً الديارَ الشامية عليكِ يا سوريةُ السلام ونِعْمَ البلدُ.

مَعركَة القادِسِيَّة

معركةُ القَادِسيَّةِ أوْ يومُ القادسيةِ ، نِسْبَةً الى القادسية وهيَ مَوْضِعٌ على مَقْرُبةٍ من الحِيْرَةِ بيْنها وبَيْنَ الكوفةِ خمسةَ عَشر فرسخاً .

جَرَتْ هذه المعركةُ في السَّنةِ الرابعةَ عشرةَ من الهجرة . (آخر أيَّار أو أول حَزِيْران ٦٣٧ م) . وَقَدْ جرَتْ بَعْدَ معركةِ اليرموكِ ، إذْ خَرجَ سَعْدُ بنُ أبي وقّاص على رأس ِ سِتة آلافِ مقاتلٍ من العربِ المسلمين . لمنازلةِ رُسْتُم عاملِ الفرسِ في العراق . واشْتَبَكَ الجَيْشانِ العربيُّ والفارسيُّ في القادسيَّةِ ، وكانَ يومُ المعركةِ يوماً شديدَ الحَرِّ ، حَالِكَ الجوِّ مِنْ الغبارِ الذي أثَارَتْهُ الرِّياحُ ، وهُوَ يومٌ شَبِيْهٌ بيوم ِ معركةِ اليرموك . وقد قُتلَ في هذِه المعركةِ رُسْتُم نفسُهُ وتشتَّت شملُ الجيشِ الفارسي الساساني ، وانْفَتَحَتْ سُهولُ العراقِ أمامَ الجيشِ العَربيِّ ، الذي لَقِيَ ترحيباً مِنْ قِبَلَ الفلاحين الآراميين الذين ذاقوا الأمرَّيْن مِنْ ممَارساتِ أسْيَادِهم . وبِفَتْح العراق ، أخَذَتْ تَتدفَّقُ اليه القبائلُ العربيةُ ، نَظَراً لخصوبةِ أرَاضيهِ ، وَوِفْرَةِ الخيراتِ والغِلالِ التي تُنْتِجُها أرْضُ الرافِدَيْن . وَتُعَدُّ القادسيةُ مِنَ المعارِكِ العربيَّةِ المُهِمَّةِ التي فَتَحَتْ أمامَ العربِ أبْوَابَ فارس (البلاد الايرانية اليوم) إذْ بَعْدَ القادسيةِ ، سَقَطَتْ المدائن (عاصمةُ الفرسِ آنذاك) . وَحَسَبَ مُؤرخو الإسلام عُبُورَ العَرَبِ الى المدائنِ مُعْجِزَةً كبرى ، وهيَ تمثِّلُ في التاريخِ العربيِّ رمزاً من رموزِ أعْظَمِ البطولات العربية .

مَعركَة عَمّورِيَّة

معركةُ عموريَّةَ أوْ وقعةَ عموريَّةَ كما تُعْرَفُ في التاريخ العربيِّ . وَقَعَتْ هذهِ المعركةُ في العامِ ٨٣٧ م . إثْرَ إغارةِ امبراطورِ الروم تيـوفيلوس بن ميخائيلَ على بلدةٍ عربيةٍ تُدْعَى « زِبْطرة » ، حَيْثُ عاثَ الجيشُ البيزنطيُّ في زِبْطَرة فأهْلَكَ أهْلَها وسَبَى النساءَ . واستَرَقَّ الأطفالَ وأحْرَقَ المدينةَ بكامِلِها . وكانَ من بَيْنَ النساءِ اللواتي سِقْنَ الى الأسْرِ ، عَرَبيةٌ قَدْ صَرَخَتْ « وامُعتصماه . . » ونُقِلَ خبرُ الفظائعِ الى المعتصمِ في عاصمتِهِ « سامراء » فَصَاحَ : لَبَّيْكِ . لبَّيْكِ .

زَحَفَ المعتصمُ بجيشٍ كبيرٍ . وقد قسَّمَهُ الى فِرَقٍ وكراديسَ وجهَّزَهُ بأثقلِ العتادِ والزادِ والسلاحِ ، وقَصَد « عمورية » وهيَ من أمْنَع حُصونِ الرومِ البيزنطيين وأحصنُها ، فحاصَرَها مـدةَ خَمسةٍ وخمسين يوماً ، وألَّـحَ عليها بالمجانيقِ والعرّادات ، فَدَكَّ حصونها ، وقوّضَ أبراجهـا ، وأذلّ قوادَها ، وقَتَلَ من أهلِها تِسْعِيْنَ ألفاً ، ثُمَّ عادَ الى « سامراء » عاصِمته ، عَوْدَةِ البطلِ المُنْتَصِر .

أمَّـا امْبراطـور الرومِ تِيُـوفِيلوش فقدْ دَفَعَـهُ الخوفُ على عـاصمتِـهِ « القسطنطينية » مِنَ السُقُوطِ الى أنْ يَسْتَنجِدَ صَاحبَ البندقية ومَلِكَ الافرنجِ كما أنَّه اسْتجارَ بِبِلاطِ الأمويين في الأندلس .

وَقَدْ مَدَحَ الشاعرُ أبو تمَّام (حبيبُ بنُ أوْس) المُعْتَصِمَ بَعْدَ انتصارِهِ في وقعةِ عموريَّةَ بقصيدةٍ عصماءَ ، جاء في مَطْلَعِها :

السَّيْفُ أصْدقُ أنباءً من الكُتُبِ   في حَدِّه الحَدُّ بيْنَ الجدِّ واللَّعِبِ
بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائفِ في   مُتُـونِهِنَّ جَـلاءُ الشـكّ والـريبِ

معركة حطّين

تُنْسَبُ هذهِ المعركةُ الى حِطِّيْن ، وحطين قَرْيةٌ في فَلَسطينَ تَقَعُ الى الغربِ مِنْ بُحَيْرةِ طَبَرِيَّة .

جَرَتْ هذهِ المعركةُ بَيْنَ صلاح الدين الأيوبي ، والصليبيين ، في اليومين الثالثِ والرابعِ مِنْ شَهْرِ تموز سنة ١١٨٧م . وَسَبَبُها أنَّ أمِيْرَ الكركِ الصليبي راجينالد دي شاتيون كان يُوْقِعَ بقوافل الحجّاجِ وَقَوافِلَ التِّجارةِ ، ناقضاً بذلكَ أحْكَامَ الصُّلح الذي عُقِدَ مَعْ صلاحِ الدين ، والذي كانَ مَلِكُ القدسِ غي دي لُوسنيان يَحْرِصُ أشَدَّ الحرصِ على اسْتِمراريتِهِ*.

وَتَأْديباً لِراجينالد ، نَازَلَ صلاحُ الدين الصليبيينَ في سَهْلٍ مُرْتَفِعٍ الى الغربِ منْ بُحيْرة طبرية ، هُوَ سَهْلُ حطين . وكانَ القِتالُ يومَ الجمعةِ ، وهُوَ يومٌ كثيراً ما كانَ صلاحُ الدين يختارُهُ للجِهادِ والقِتالِ ، وفي حطّين أنْزَلَ صلاحُ الدين بالجيوشِ الصليبية هزيمة قاضيةً ، فانْفَتَحَتْ أمامَهُ أبْوابُ مدينةِ بيتِ المقدس - القدس - التي اسْتَسْلَمَتْ لَهْ في شهرِ أيلول سنةَ ١١٨٧م. وفي معركةِ حطين سَقَطَ كثيرٌ من الإفْرَنْج في أيْدي العربِ ، وكانَ من الأسْرى مِلِكُ القدسِ نفسُهُ « غي دي لُوسنيان» الذي أحْسَنَ صلاحُ الدين معاملتَهُ . أمَّا راجينالد ، فقدْ جُوزِيَ على غَدْرِهِ ، إذْ ضَرَبَ صلاحُ الدين عُنُقَهُ ، وفاءً لِعَهْدٍ كانَ قَد قطَعَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، أنْ يَقْتُلَ راجينالد بِيَدِهِ ، وتمّ لَهُ ما أرَادَ .

* أن البطل صلاح الدين الأيوبي كان يريد فتح بيت المقدس والخلاص من الصليبين وتحرير كل الأرض العربية منهم، ومن كل المعتدين.

مَعَارِكُ العَرَبِ في الأندلس

لَا تَقِلُّ معاركُ العربِ في الأنْدلس أهميَّةً عَنْها في بلادِ المشرقِ العربيِّ . فَمُنْذُ تَدَفُّقِ الطوالعِ العربيةِ الأُولى على شِبْهِ الجزيرةِ الإيبيريَّةِ (اسبانية والبرتغال) خَاضَ العربُ مَعَارِكَ طاحِنَةً مَعْ سكانِ البلاد . وأَشْهَرُ تِلْكَ المعارِكِ : مَعْركَةُ « الزلَّاقةِ » التي وَقَعَتْ في اسبانية ، ومَعْرَكَةُ « بِلاطة الشهداءِ » التي وَقَعتْ في فرنسة « غالة قديماً » .

مَعركَة الزَّلاّقة

الزلَّاقةُ (ساكراجاس) ، مَوْضِعٌ في اسبانية ، قُرْبَ غرناطة ، وَقَدْ وَقَعَتْ هذهِ المعركةُ سنة ١٠٨٦م بَيْنَ العربِ بقيادةِ سلطانِ المرابطين « يوسف بن تاشفين » وَبَيْنَ الأسبانِ بقيادةِ ملكِ ليونَ وقشتالةَ ، ألفونسو السادس .

في سنة ١٠٣١م اجتَمَعَ أهْلَ قرطبةَ ، ورؤساؤُها وقرروا إلغاءَ الخلافة الأموية الأندلسيةُ ، بِسَبَبِ الفوضى التي عَمَّتِ البلادَ آنذاك . وَبَعْدَ هذا التاريخِ تَقَسَّمَتِ البلادُ الأندلسيةِ الى اماراتٍ ومَمَالِكَ ، وبَدأ بالاندلس عصرٌ سُمِّيَ بعصرِ ملوكِ الطوائفِ .

وَمَعْ قيامِ دُوَلِ ملوكِ الطوائفِ ، والنزاعِ على كُرسيِّ الخلافةِ ، انْتَهَزَ ملوكُ الإسبانِ الفرصةَ ، وراحوا يحاولونَ اسْتِرْداد ما فَقَدُوه من أراضيهم وفي سَنَة ١٠٨٥م استَطاعَ الفونسو السادسُ مَلِكُ ليونَ وقشتالةَ مِنَ الاستيلاءِ عَلى « طُلَيْطِلَة » وَهْيَ واحدةٌ من أكْبرِ ممالكِ الطوائفِ . وأخَذَ يُهَدِّدُ باقي الممالك .

أمَامَ هذا الخطرِ ، اسْتَنْجَدَ العربُ الاندلسيون بأبناءِ عَمومتِهم أهْلِ المغربِ ، وكانَتْ دولةُ المرابطين قَدْ قَامَتْ وشَمَلَتْ المغربَ العربي وجزءاً من الجزائر ، وموريتانية .

وهَبَّ يوسفُ بنُ تاشفين لنجدةِ الأندلسيين ، وهَزَمَ ألفونسو السادس في معركةٍ كبرى هي « الزلَّاقةُ » سنة ١٠٨٦م ، وبِذَلِكَ أنْقَذَ ما تبقَّى في يدِ العربِ من بلادٍ ، ثُمَّ قضى على دولِ الطوائف وَوَحَّدَ بقيةَ البلادِ الأندلسيةِ تَحْتَ رايتهِ .

مَعركة "بلاطة الشهداء"

يُسَمِّيها المؤرخونَ العربَ معركة « بلاطة الشهداء » لِكَثْرَةِ ما سَقَطَ فيها من قَتْلى في الجيشِ العربيِّ ، وَيُسَمِّيها المؤرخونَ الافرنج معركة « بواتييه » لأنها وقعت في سهلِ « بواتييه » .

وفي هذهِ المعركةِ وَاجَهَ الجيشُ العربيُّ بقيادةِ « عبدِ الرحمن الغافقي » جيوش الافرنجِ بقيادةِ « شارل مارتل » وقَدْ هَزَمَ فيها جيشُ الافرنج ، الجيشَ العربيَّ . حتَّى أنَّ القائدَ العربيَّ . . عبدَ الرحمن الغافقي نفسَهُ قَدْ خَرَّ صرِيعاً في هذهِ المعركةِ سنة ٧٣٢ ويقولُ بَعْضُ المؤرِّخين « لَوْ أنَّ العربَ انتصروا في هذهِ المعركة لانْفَتَحَتُ أمامَهم أبوابُ أوروبة كلِّها » .

مَعركة عَنجر

عَنْجَرُ ، قَرْيةٌ في البقاعِ ، عَلى طَريقِ دمشقَ ، مِنْ أعْمالِ زحلة (لبنان) وَقَعْت على أرضِها معركةُ عَنْجَرَ الشهيرة ، سنةَ ١٦٢٢م، وعِنْدَ بعضِهِم سنة ١٦٢٣م. بَيْنَ الأميرِ فخر الدين المعنِّي الثاني ، ومُصْطفى باشا والي دمشق . وقد خَلَّد هذهِ المعركةَ في لَوْحَةٍ زيتيَّةٍ الفنانُ اللبنانيُّ قيصرُ الجميّل ، وهذهِ اللوحةُ موجودةٌ في إحدى قاعاتِ المدرسةِ الحربية (الفياضية - لبنان) .

وَسَبَبُ هذهِ المعركةِ . أنَّ السلطانَ العثمانيَّ مرادَ الرابع ، اقْتَطَع الأمير فخرَ الدين سنجقي نابلس وعجلون(١٦٢٢)م فَرَفَضَ مُصطفى باشا والي دمشق أنْ يُسَلِّمَهُ السنجقَيْن . لِذَلِكَ نازَلَهُ فخرُ الدينِ في عَنْجَر .

زَحَفَ مصطفى باشا بِجَيْشٍ قوامُهُ اثنا عشرَ ألْف مقاتلٍ . فالتقَاهُ فخرُ الدين بجيشٍ عديدُهُ أربعةُ آلافِ رجلٍ . وهَزَمَهُ شَرَّ هزيمةٍ . حتَّى أنَّ مصطفى باشا نفسَهُ وقَعَ أسِيْراً في قَبْضَةِ جُنْدِ فخرِ الدين . لكنَّ الأميرَ اللبنانيَّ المعنيَّ ، أكرَمَهُ وأخلَى سبِيْلَهُ .

وَقَدْ اعْتَرَفَ السلطانُ العثمانيُّ بَعْدَ ذَلِكَ ، بالأمير فخرِ الدين وَاليَّاً على (عربستان) مِنْ حلب الى مِصرَ . وآتَّخذَ فخرُ الدين لنفسِهِ لَقَبَ : « أمير جبل لبنان وصيدا والجليل » .

مَعركة مَيْسلون

مَيْسلونُ ، مَوْضِعٌ يَقَعُ الى الغربِ من دِمَشْقَ (سورية) جَرَتْ فيهِ معركةٌ شهيرةٌ ، هي معركةُ ميسلونَ بَيْنَ الجيشِ الفرنسي والجيشِ العربيِّ السوريِّ عام ١٩٢٠ .

وسببُ قيامِ هذهِ المعركةِ ، أنَّ فيصلاً بنَ الشريفِ حُسين شريفِ مكةَ ، رَفَضَ الاعترافَ بانتدابِ فرنسةَ على سورية ، وإخضاعِ الخطوطِ الحديديَّةِ ، للرقابة الفرنسيّةِ واقرارِ الورقِ السوري الذي أصْدَرَهُ الجنرالُ غورو نقداً للبلاد ، فما كانَ من الجنرالِ الفرنسي « غورو » إلَّا أنَّ أمَرَ جيوشَهُ بالزَّحْفِ على دمشق في فَجْرِ ٢٤ تموز ١٩٢٠ مُحتجاً بأنَّ مجموعةً من القواتِ النِّظاميَّة العربيةِ قَدْ هَاجَمَتْ جَيْشَهُ في تَلْكَلَخ .

وَهَبَّتِ الجموعُ العربيةُ السوريةُ العزلاءِ في دمشق لمقاومةِ العدوِ المجهّز بالأسْلحةِ الثقيلة الحديثةِ . واشتَبَكَتْ مَعْ قواتِ الاحتلالِ الفرنسي في مَيسلون وَلَمْ تَدُمْ المعركةُ غيرُ المتكافِئَةِ ، التي اسْتُخْدِمَتْ فيها الطائراتُ الفرنسيةُ والدباباتُ ، أكثَرْ منْ ساعاتِ . وَقَدْ اسْتَطَاعَ الفرنسيون من اختراقِ مواقع العرب . فاضُطَّرَ هؤلاءِ للانسحابِ تاركين وراءهُم نحو ٨٠٠ قتيلٍ بَيْنَهُم يوسفُ العَظَمة وزيرُ الحربيةِ في حُكومةِ فيصل . وبَعْدَ هذهِ المعركةِ خرج فيصلٌ من دمشقَ ومَعَهُ حكومتُهُ واسْتَقَرَّ في « الكسوة » ودخلَ الفرنسيون دمشقَ واحتَلُّوا ثكناتِها .

وَتُخَلِّدُ الجمهوريةُ العربيةُ السوريةُ في ٢٤ تموز من كلِّ عامٍ ذِكرى معركةِ ميسلون وفاءً لشهداءِ الكرامة ، والنضالِ ، والبطولةِ العربية .

حَرْبُ فِلَسْطين

في الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩١٧ نَشَرَتْ بريطانيةُ وَعْدَ بلفور ، الذي نادى بانشاءِ وطنٍ قوميٍّ لليهودِ في فلَسْطين .

لكنَّ العربَ مِنْذُ ذلكَ التاريخ رفضوا هذا الوعدَ ، وراح عربُ فلسطين في الرحلةِ الممتدةِ ما بين عامَيْ ١٩١٨ ـ ١٩٤٨ يَقْومُون بمناوشاتٍ داخلَ الوطنِ الفلسطيني ، مقاومين ادعاءاتِ بلفور والصهيونيةِ العالمية .

وَحَصَل أنْ انْتهى في ليلةِ ١٤ ـ ١٥ من شهر أيار ١٩٤٨ مَفْعُول الانتدابِ الانكليزيِّ على فِلسطين فأعْلَنَ المجلسُ القوميُّ اليهوديُّ المؤقَّتُ في فِلسطين قيامَ دولةِ اسرائيل ، على الأرْضِ العربية . وَنَتِيجَةً لهذا الاعلانِ قامَتْ جُيوشُ سبْعِ دُوَلٍ عربيةٍ هي : مصرُ والأردنُ وسوريةُ ولبنانُ والعراقُ والمملكةُ العربيةُ السعوديةُ واليمنُ ، بآقتحامِ الدولةِ الجديدةِ ، فنشَبَتِ المعـاركُ على كل الجبهاتِ . وتواطأ الغربُ معَ اليهودِ ، ضِدَّ العربِ ، وكانَ من نتيجة الضغطِ أنْ نَزَحَ الكثيرُ الكثيرُ مِنْ أبْنَاءِ فلسطين الى الأردنِ وسوريةَ ولبنانَ ومصرَ . وأُوقِفَتِ الحربُ فيما بعدُ ، بِعَقْدِ اتفاقياتِ هدنةٍ، عربيةٍ ـ اسرائيليةٍ ، وظلَّ الفلسطينيون النازحون، خارج بِلادِهِم ، وسُمُّوا « باللاجئين الفلسطينيين » وتكفّلتْ هيئةُ الأُمَمِ المتحدةِ عَبْرَ الوكالةِ الدوليةِ للإغاثةِ « الأنروا » بإعالة الفلسطينيين النازحين الذين يعــيشُونَ في مخيماتٍ منذ عام ١٩٤٨ . لكنْ منذ عام ١٩٦٥ ، تشكَّلَتْ فصائِلُ المقاومةِ الفلسطينية من أجلِ تحريرِ الأرض واستعادة الوطنِ السليبِ ، كما أنَّ حركة المقاومةِ الفلسطينيةِ تقومُ بنضالٍ نشيطٍ داخل الأرضِ المحتلةِ ، من أجلِ

الغاية نفسها .

وتُعتبرُ الحربُ العربية ـ الاسرائيلية نضالاً ضد مؤامرةٍ عالميةٍ سَعَتْ الى اقامةِ دولةِ الكيانِ الصهيوني ، كما تُعتبر القُوى الخارجية والمؤثراتُ الدوليةُ والأوضاعُ المحليةُ والأقليميةُ في منطقةِ الشرقِ الأوسط من أهمِّ العواملِ التي ساهَمت في خَلْقِ دولةٍ يَهوديَّةٍ في فِلَسْطين على حساب الشعبِ الفلسطيني .

إنَّ نُزُوحَ عَرَبِ فِلسطينَ عَنْ أراضيهم في العام ١٩٤٨ ، كانَ نتِيجةَ مُؤامرة دُوَليةِ استَهْدَفتْ العربَ ولا سيما فلسطينُ ، من أجْلِ شَقِّ الصفِ العربيِّ وإقامةِ دَوْلَةِ « الكيان الصِهْيوني » لِتظلَّ شَوْكةً في عَيْنِ العربِ أوْ خِنْجراً في خَاصِرَتِهم .

لكنَّ حقَّ العربِ في فِلسطين حَقٌّ تاريخيٌّ ، وَحَقٌّ قَوْميٌّ ، وَلِذا فإنَّ طَريقَ الكفاحِ الذي اختارَهُ الفلسطينيونَ من أجْلِ استِعادةِ وَطَنهم ، حَقٌّ مشروعٌ ، مِنْ هُنَا حَظِيَتْ مُنظَّمةُ التحرير الفلسطينيةُبتأييدِ عددٍ كبيرٍ من دُوَلِ العالَمِ ، واعْتُرِفَ بها الممثلُ الشرعيُّ والوحيدُ للشعب الفلسطيني .

مَعركة بورسَعيد

في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ ، قامَتِ الثـورةُ المِصْرِيَّـةُ ، وأَعْلنتِ الجمهوريةُ بقيادةِ اللِّواءِ مُحمد نَجيب أولاً ، ثم برئاسة الكولونيل جمال عبد الناصر ، وكان كُلُّ همِّ الثورةِ المصريةِ إقامةَ العدالةِ الاجتماعية - السياسية وردَّ الاعتبارِ الى المواطنِ المصري ، ولا سيما العاملُ والفلاحُ .

وكانَ مِن ثِمارِ الثورةِ الفتيَّةِ ، أنْ أعلنَ الرئيسُ جمالُ عبد الناصر في العام ١٩٥٦ تأميمَ شركةِ قناةِ السويس بِحَيْثُ أصْبَحَت شَركةً وطنيةً مصريةً خالصة .

أَغْضَبَ قرارُ التأميمِ بريطانيةَ وفرنسةَ اللتين كانتَا شرِيكتين في الشركةِ السابقةِ ، فَشَنَّتا حَرْباً بحريةً - جويةً وساعَدَتْهما إسرائيلُ في ذلك ، فَضَرَبَتْ الأساطيلُ المعتديةُ الشواطىءَ المصرية ، وَدَمَّرَتْ مدينةَ بور سعيد التي هَبَّتْ للدِّفاعِ مثلمَا هَبَّ جميعُ الشعبِ المصري بجنودِهِ وعمالِه وفلاحيهِ ، للدفاعِ عن الوطن . لكنَّ الجمهوريةَ الوليدةَ لَمْ تَسْتَطع الثبات أمامَ ضَرَباتِ الأساطيلِ المهاجمة ، والإنزالاتِ العسكرية ، فاحْتُلَّت بعضُ مناطقِ السويس ، غيرَ أنَّ العالَم بِدُوَلِهِ سَعَى الى جَلاء القواتِ المحتلةِ ، فيما بعدُ . وخلالَ هذه الحربِ ، حَقَّقَ العربُ بعضَ الانتصاراتِ والبطولات [نذكرُ منها ، تدمير البارجةِ الفرنسية « جون - بار » على يَدِ الضابطِ البحّارِ السوريِّ : « جول جمال » ، الذي كانَ في بعثةٍ عسكريةٍ بِمَصْرِ أثناءَ وقوعِ تِلْكَ الحربِ] .

واذا كانَ عملُ « جولَ جمال » بطولةً فرديةً ، فإنَّ جماهيرَ الشَّعْبِ المصريِّ

آنذاكَ ، قَدْ أدَّتْ بطولاتٍ ، خصوصاً ، أنَّ هذهِ الجماهيرَ ، كانتْ لا تزال خارجةً حديثاً مِنْ تحتِ وَطْأَةِ الحكمِ الفَرْدي ، الذي قَهَرها ، وأَماتَ فيها كلَّ حِسٍّ وطنيٍّ ، لكنَّ إيمانَ الشَّعْبِ بِقُدَراتِهِ ، وإيمانَه بوطنِهِ . دَفَعَ المصريينَ للذَّوْدِ عَنْ طَلائعِ مُنْجَزَاتِ الثورةِ الفتيةِ . وقَدْ أدْرَكَ قادهُ الثورةِ آنذاكَ أنَّ للشعبِ دوراً في تدعيمِ الأُسُس الوطنيةِ فقاموا الى توعيتِهِ ، والأخذِ بِهِ نحوَ الغدِ المُشْرِقِ .

حَرب حُزيران

تُعْرَفُ هذهِ الحربُ في التاريخِ الحديثِ باسمِ « حَرْبُ الأَيَّامِ السِتَّةِ » وَقَدْ وقعتْ إِثْرَ شنِّ اسرائيلَ أعْمالاً حَرْبِيَّةً ضدَّ سوريةَ ومصرَ والأُرْدنِّ ، صباحَ الخامسِ مِنْ حَزِيْران سَنَةَ ١٩٦٧ .

خاضَ العربُ في أثناءِ هذهِ الحربِ مَعَارِكَ جويَّةً وبريَّةً مَرِيْرَةً ، لكنَّهم مُنِيُوا بِهَزِيْمَةٍ عُرِفَتْ « بنكسةِ حَزِيْران » . فاحْتَلَّ الاسرائيليونَ أراضيَ عربيّة ، كسيناءَ ، ومُرتفعـاتِ الجولانِ ، والضفةِ الغربية ، كما دُمِّرَتْ مُدُنٌ عربيةٌ على خُطوطِ الجَبَهاتِ العسكريةِ مثلُ : مدينةِ الإِسْماعيلية في مصرَ ، والقنيطرةِ في سوريةَ ، وقَلقيلّيةَ في الضفةِ ، كما أنَّ إسرائيل احْتَلَّتِ الشطرَ العـربيَّ من مَدِينـةِ « القدس » .

وَإذا كانتْ هزيمـةُ الخامس من حَزِيْرَان قد حَلَّتْ بالعربِ من جَرَّاء تفسُّخِ العربِ في مرحلةِ الستيناتِ من هذا القرنِ ، كما يفسِّرُ هذا الخبراءُ والمحلّلونَ . فإنَّ النكسةَ نفسَها ، كانَتْ حافزاً لظهورِ الروحِ القوميةِ العربية . فَقَدْ شَاركتْ دُوَلٌ عَرَبِيَّةٌ كثيرةٌ في القِتَالِ خصوصاً ، مِن الدُوَلِ غيرِ المُواجِهَةِ ، مِثْلُ : العِرَاقِ ، والسُودانِ ، والجَزَائرِ ، وإنَّ اشتراكَ هذهِ الدولِ دليلٌ على أنَّ العربَ جميعاً في القضيةِ العربيةِ « فلسطين » سواءٌ .

لذلِكَ راحَ العربُ بَعْدَ هذهِ الحربِ ، يتدارسونَ مواقفَهم ، ومسؤولياتِهم عَبْرَ مؤتمراتِ قِمَّة . واجتماعاتِ جامعة الدولِ العربيةِ ، وعَبْرَ ما ترى كلُّ دولةٍ مِنْ

وَاجباتٍ تِجاهَ هذه القضيةِ ، وأخَذَتِ التعبئةُ القوميةُ الجماهيريه طريقَها الى صفوف الشعوبِ العربيةِ ، مِنْ أجْلِ مُواجهةِ العدوانِ الاسرائيلي بكلِّ أشْكالِهِ . وكانتِ الثمارُ جَيِّدَةً إذْ إنَّ العربَ اسْتَطاعُوا أنْ يَردُّوا عَنْهُم بَعْضَ أذَى العدوانِ في حربِ تشرين ١٩٧٣ .

حَرب تشرين ١٩٧٣

تُعْرَفُ هذِهِ الحَرْبُ في تاريخِ الْعَرَبِ الحَديثِ بِاْسمِ « حَرْب تشرين » أو « حَرْب أكتوبر » أو « حَرْبَ رَمَضان » ، وعِبرانيًّاً ، تُعْرَفُ باسْمِ « حَرْب يومِ الغُفرانِ » .

وَقَعَتْ هذِهِ الْحَرْبُ في شَهْرِ رَمَضان ، ٦ تشرين الأَوَّلِ سنَةَ **١٩٧٣** عِنْدَما شَنَّ الْعَرَبُ ، لا سيَّما مِصْرُ وَسُورِيَّةُ ، حَرْباً مُفَاجِئَةً ضِدَّ اسْرائيل . وكانَتْ حَرْباً صَاعِقَةً ، بَرّاً ، وجَوّاً ، وبَحْراً ، نَزَلَ اليها الْعربُ بِكُلِّ ثِقَتِهِم وإيمانِهِم بِقَضَايَاهُم الوَطَنِيَّةِ والْقَوْمِيَّةِ .

إسْتَطاعَ الْجَيْشُ الْعربيُّ في مصْرَ ، في أَثْناءِ هذِهِ الحَرْبِ ، أنْ يَعْبُرَ أكْبَرَ مَانِعَيْنِ : مَائيٍّ وبَرِّيٍّ في تَارِيخِ الحروب الْحَدِيثَةِ . وهما : قَنَاةُ السّوَيْسِ ، وخط « بارليف » .

إجتازَ الجيشُ العربيُّ المِصْريُّ ، قَنَاةَ السّوَيْسِ ، وحَطَّمَ خَطَّ الدِّفاع الَّذي أقامَتْهُ اسْرَائيلُ على ضَفَّةِ القَنَالِ ، وهذا الخطُّ كان يُعْرفُ « بخطِّ بارليف » أو « جِدارِ بارليف » .

واسْتَطاعَتِ الجيوشُ الْعَربيَّةُ السُّوْرِيَّةُ أنْ تَسْتَعِيْدَ مَدِينَةَ « القُنَيْطرة » الَّتي احْتُلَّتْ في الْعَامِ **١٩٦٧** ، كما اسْتَعادَتْ بَعْضَ الأراضي السَّوريَّةِ المحْتَلَّة .

جَاءَتْ هذِهِ الْحَرْبُ ، رَدّاً على هَزِيمة حَزِيْرَانَ **١٩٦٧** أوْ « نَكْسَةِ حَزِيْرَانَ » لِتُؤكِّدَ أنَّ الْمَقْدِرَةَ الْعَرَبِيَّةَ طاقةٌ جَبَّارَةٌ وأنَّ الْمُقاتِلَ العربيَّ ، قادِرٌ على ردِّ كَيْدِ

العَدوّ ، لأنَّ هذا الْعَرَبيَّ إنَّما يُقاتِلُ في سبيْلِ قضيةِ حَقٍّ ، ولا يَمُوتُ حَقٌّ وَرَاءَهُ مُطَالِبٌ ، وإنَّ قتالَ العربِ للصهاينةِ الاسرائيليين ، ليسَ اعتداءً أو افْتِرَاءً ، لكنَّهُ دفاعٌ عَنْ حقوقٍ مَسْلُوبةٍ ، وأراضٍ مُغْتَصِبَةٍ ، ودَرْءٌ لِخَطَرٍ جَاثِمٍ فَوْقَ الأرْضِ العربيةِ ، ولا يقفُ كفاحُ الْعَربِ عِنْدَ هذا الحدِّ ، بَلْ يَتعدَّى ذلكَ ، الى تخليصِ المقدساتِ المسيحيَّة والاسلاميَّةِ مِنْ أيدي اليهودِ الْمُعْتَدِين .

لِذا كانتْ حَرْبُ تشرين ١٩٧٣ ، إثباتاً لمَشْرُوعيَّةِ الحقِّ العربيِّ في فِلسطينَ ، وتَأْكيْداً لِوُجودِ الشَّعْبِ الفلسطينيِّ المغبونِ حَقُّهُ ، وَقَدْ أبْطَلَتْ هذهِ الحربُ فكرةَ « أسطورية الجيشِ الاسرائيليِّ الذي لا يقهرُ » ، وبَعْدَها أخَذَتِ القضيةُ الفلسطينيةُ بُعْدَاً عالَمياً ، وَدَخَلَتْ في حَيِّزٍ مُباشِرٍ أو غَيْرِ مُباشِرٍ في المحافلِ الدوليَّةِ والمُؤْتمراتِ السياسيَّةِ العالَمِيَّةِ ، وفَرَضَتْ نَفْسَها قَضِيَّةً نِضَالِيَّةً وتَحرُّرِيَّةً بَيْنَ أهَمِّ قَضَايا الْعَصْرِ الْمَطْرُوحةِ .

رِجَالاتٌ عَرَبِيَّة

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم

هُوَ من بَني هاشم مِنْ قُريشٍ كُبرى القبائلِ العربيةِ وأغْناها . ماتَ أبُوه عبد الله قَبْلَ ولادتِهِ ، وَوُلِدَ محمد (ص) سنة ٥٧٠ م . أوْ في عام الفيلِ وهي السَنَة التي هَجَمَ فيها أبْرهةُ الحبشيُّ على مَكَّةَ . وتوفيت أُمُّهُ آمنةُ وهوَ لا يزالُ طفلاً فكفلَهُ جَدُّهُ عبدُ المطلب . ثُمَّ عَمُّهُ أبُو طالب .

كانَ محمدٌ رجلاً أُميّاً ، لكنَّهُ كانَ ذا خُلُقٍ رضيٍّ وسِيْرةٍ حَسَنةٍ ، اشتغَلَ أوَّل أمْرِهِ في التجارةِ لحساب سيدةٍ تُدعى خديجةَ بنت خويلد التي أصْبحتْ زَوْجَهُ فيما بَعْدُ .

تألَّمَ محمدٌ ﷺ لأحوال قومِهِ في الجاهلية، عَلَى ما هُمْ فيهِ من نِزاعٍ وعَصَبيَّةٍ وحَميَّةٍ ، فأخَذَ يتأمَّلُ في إصلاح هذهِ الأحوالِ ، حتى أتاهُ الوحيُ وهو مُعْتَكِفٌ في مكَانٍ بالقربِ من مكةَ يُدعى « غارَ حَرَاء » فَدَعا الناسَ الى الإسلام ، والى الإيمان بالله الواحدِ الأحدِ ، والى عبادتهِ دُونَ الأصْنَامِ والأوْثانِ .

بَدأتْ دعوتُهُ في مكَّةَ ، فاضطهَدَهُ أهْلُها ولا سيما عشيرتُهُ قُرَيْشٌ ، فاضطرَ أن يُهاجِرَ الى يَثرِب (المدينة في الاسلام) وكان ذَلِكَ في العام ٦٢٢ للميلاد ، فأصْبَحَ هذا العامُ بدءَ التاريخِ الاسلاميِّ أوْ الهِجريِّ .

قَاتَلَ محمدٌ ﷺ المشركينَ في بدرٍ في السنة الثانية للهجرة وانْتَصَر عليهِم لكنَّهُ خَسِرَ أمامَهُم معركة أُحُدٍ في السنة الثالثة للهجرة ، ثُمَّ عَادَ وانتصرَ عليهم في معركةِ

الخندقِ في السنة الخامسة للهجرةِ ، إلّا أنَّ يومَ النصرِ الكبيرِ الذي حقّقَهُ محمد ﷺ هُوَ يومُ فَتْحِ مكَّةَ، في السنة الثامنة للهجرة.

مُحمدٌ النَّبيُّ العربيُّ هو أعْظَمُ رِجال العربِ والإسلام . وواحدٌ مِنْ أبْطَالِ الإنسانيةِ الذين غيّروُا مَجْرى التاريخ ، إذْ أنَّ الدعوةَ التي جاءَ بها ، كانَتْ أهم انقلابٍ في تاريخِ العربِ وتاريخِ البشريَّةِ ، إذ اسْتطاعَ أنْ يوحِّدَ كلمةَ العربِ ويجمعَهُمْ في دَوْلَةٍ فَكوَّن أُمَّةً كبيرةً، كانَتْ « خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ » .

نَزلَ الوحيُ على محمدٍ وَهُوَ في الأربعين من العُمرِ ، وظلَ الوحيُ ينزلُ عليه طوال ثلاثٍ وعشرين سنةً، ولَحِقَ محمدٌ بالرفيق الأعلى بعْدَ حجَّةِ الوداعِ سنَة ١١ هـ / ٦٣٢ م .

جُمِعَتِ الآياتُ التي نزلَتْ على محمدٍ ﷺ في كِتَابٍ هُوَ « القرآنُ الكريمُ » وهذا الكتابُ هُوَ كتابُ المسلمين ودسْتُورُهُم وَهُوَ مؤلَّفٌ من ١١٤ سورةً أي فصل ، موزعةً بَيْنَ سورٍ مكيةٍ وسُوَرٍ مدينية ، وأطولُها سُوْرَةُ البقرة . وهذا الكتابُ هوَ رأسُ التشريعِ الاسلاميِّ ، يأتي بَعْدَهُ الحديثُ النبويُّ وهُوَ ما أُثِرَ عن الرسولِ العربيِّ مِنْ قَوْلٍ .

أبو بكر الصِّدّيق

هُوَ عبدُ الله أبو بكرٍ الصِّدِّيق ، لُقِّبَ بالعتيقِ ، إمَّا لجمالِ وجْهِهِ وإمَّا لأنَّهُ أعْتُقَ في الاسلام . وهُوَ والدُ عائِشَةَ زوجةِ النبيِّ العربيِّ .

أبو بكرٍ ، أوَّل خليفةٍ في الاسلام ، وُلِّيَ الخلافةَ بَعد مَوْتِ النبيِّ مُباشرَةً في سَقِيْفَةِ بني ساعدة ، في عَهْدِهِ وقَعَتْ حُرُوبُ الرِدَّةِ التي تَصَدى لها بِحَزْمٍ ودِرَايةٍ وايمانٍ ، وهَزَمَ مسيلمةَ الكذّابَ الذي ادَّعى النبوَّة ، وفي زَمَنِهِ وقَعَتْ مَعْرَكةُ اليرموك التي قادَ بها خالدُ بنُ الوليدِ الجيوشَ العربيةَ ، وحقَّق انتصاراً على الرومِ .

وُلِدَ أبو بكرٍ الصِّدِّيق سنة ٥٧٣ ، وتُوفي بالمدينةِ سَنَةَ ١٣ هـ / ٦٣٤ م ، وقَدْ دامَت خلافتهُ ثلاثَ سنواتٍ وقد مَهَّدَت خلافتُهُ لِخِلاَفةِ عُمَرَ بنِ الخطاب .

عُمَرُ بنُ الخَطَّاب

تَوَلَّى الخلافةَ بَعْدَ أبي بكرِ الصِّدِّيق ، وأوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بأمير المؤمنين ، كانَ شديدَ الولاءِ للنبيِّ العربيِّ ، وعُرِفَ بحزمِهِ ، وَعَدْلِهِ ، وتَقْوَاه وفي أيَّامِهِ ، عَرَفَتْ الدولةُ العربيةُ الاسلاميةُ الفتيَّةُ أعْظَمَ الفتوحاتِ ، ذاكَ أنَّ ولايتَهُ دامَتْ عشرَ سنواتٍ ، استطاعَ العربُ خِلالها الانتصارَ على أكْبر امبراطوريتين في التاريخِ القديمِ هُما امبراطوريةُ الرومِ البيزنطيين وامبراطوريةُ الفرسِ الساسانيين .

أنْشأَ عُمَرُ بنُ الخطابِ « الديوانَ » لدفعِ رواتبِ الجُنْدِ ، وديوانَ « الأمصار » لتحديد قاعداتِ الجيش والمُدُنِ ، وَهَكَذَا تدبيرٌ يَعْني أنَّ صاحِبَهُ عالمٌ بشؤونِ الدولةِ السياسيةِ والعسكريةِ والاداريةِ .

عُرِفَ عمرُ بتسامحه الديني مع نصارى الدولةِ الاسلاميةِ ، الذين عاملَهم معاملةً حسنةً ، كما عُرِفَ بتقشفِهِ وحرصِهِ على « بيتِ مالِ » المسلمين . ويحكي لنا التاريخُ ، أنَّ عمرَ نفسَهُ كان يتجولُ في الأسواقِ والأحياءِ ليراقبَ النا س عن كَثَبٍ وليستمعَ الى شكواهُم .

تُوفي عمرُ بنُ الخطاب غِيْلَةً على يدِ مولىً فارسيٍّ ، سنةَ ٢٣ هـ / ٦٤٤ م .

وخلافتهُ مَهَّدَتْ لِخِلَافةِ عثمانَ بنِ عفانَ .

عثمان بن عفان

هُوَ ثالثَ الخلفاءِ الراشدين ، قُرشِيٌّ مِنْ عَائِلَةِ أُميّة ، أسْلَمَ على يَدِ أبي بكرٍ ، دَامَتْ خِلافتهُ إحْدى عشرةَ سنَةَ ، وقد بُويعَ بالخلافةِ بَعْدَ مَقْتلِ عمرَ بنِ الخطاب .

تزوَّجَ عثمانُ بنُ عفان مِنْ رُقيَّةَ بنت النبيِّ ، ثم من أُمِّ كلثومٍ أخْتها . قَرَّبَ اليه أفرادَ عائلتِهِ . فولّاهم مناصبَ قياديةً في الدولةِ الاسلاميةِ ، وإنّ أكبر أثرٍ يُعَدُّ لَهُ ، هُوَ جَمْعُ « القرآن الكريم » لكنَّ فتنةً وقعتْ في أيَّامِهِ ، فَقُتِلَ سنةَ ٣٥ هـ / ٦٥٦ م ، إثْرَ هذهِ الفتنةِ ، التي كان لها حدث كبيرٌ في تاريخِ الاسْلام .

عليّ بن أبي طالب

هُوَ الامامُ عليٌّ بنُ أبي طالب ، رابعُ الخلفاءِ الراشدين ، ابنُ عَمِّ النبيِّ وربيبُهُ والمجاهدُ تَحْتَ رايتِهِ ، وصهْرُهُ ، على ابنته فاطمة . ومِنْ أبْطالِ الاسلامِ الأُول، الذين شاركوا في حروبِ النبيِّ العربيِّ . إذ شَهدَ بدراً وأُحُداً وخيبراً والخندق ، وحنين ، وكان النبيُّ العربيُّ يُوكِلُ اليهِ أمر المهمَّاتِ الصعابِ والقتالِ الشديدِ .

عُرِفَ عليٌّ بشجاعتِهِ وبأسِهِ ، وايمانهِ وتُقاهُ ، وخلقِهِ الرضيِّ . آلَتْ اليهِ الخلافةُ بَعْدَ مقتلِ عثمان بن عفان ، وكانَ عليٌّ يرىَ أنْ تؤولَ الخلافةُ اليهِ بعْدَ النبيِّ . لكنَّه دَفْعاً للشِّقاقِ والفتنةِ بينِ المسلمين صَبَر وبايعَ مَنْ جاءَ قَبْلَهُ مِنَ الخلفاء . وَبعْدَ عثمانَ نَهضَ عليٌّ الى الخلافةِ ، فأنهى بسرعةٍ العصيانَ في البصْرةِ في وَقْفَةِ الجَمَلِ ، التي وقَفَت فيها عائشةُ ومعَها طلحةُ والزبيرُ ضدَّه . وكاد يُنهي الصراعَ في وَقْعَةِ صِفِّين التي حاربَهُ فيها معاويةُ ومَعَهُ أهلُ الشَّامِ ، لكنَّ حِيْلَةَ عمرو بن العاص حَسَمَتِ الموقفَ فآلتِ الخلافةِ الى معاويةِ بنِ أبي سفيان . وقُتِلَ عليٌّ إثْرَ قبولِهِ بالتحكيم في وقعةِ صفين ، اغتالَهُ رجلٌ خارجيٌّ يدعى عبدَ الرحمن ابنَ ملجم ، سنة ٤٠ هـ / ٦٦١ .

مثلمَا عُرِفَ عليٌّ بالشجاعةِ والبأْسِ ، عُرِفَ بالعلمِ وجودةِ الرأي ، كانَ خطيباً مفوّهاً وحكيماً واعياً ، وشاعراً ، حتى أنَّه يعتبرُ صاحبَ المدرسةِ الأولى في الاسلامِ التي صَدَرَ مِنْها مَجْرَى ثقافيٌّ عريضٌ .

تَرَكَ عليٌّ تراثا أدبياً فذّاً ، وقَدْ جُمِعَ لهُ هذا التراثَ الشريفُ الرضيُّ في القرنِ الرابعِ للهجرةِ ، في كتابٍ ضَخْم أسماهُ « نهج البلاغة » وَهُوَ يضمُّ خُطَبَ عليٍّ وطائفةً كبيرةً من المواعظِ والرسائلِ والحكم . وقَدْ قيْلَ عن عليٍّ : إنه إمامُ البلغاءِ وسيدُ الحُكَماءِ ، وإنَّ كلامَهُ دونَ كلامِ الخالقِ وفوقَ كلامِ المخلوق .

عَبدالملك بن مَروان

هُوَ الخليفةُ الأمويُّ الخامسُ ،وُلِدَ بالمدينة (يثرب) سنة٢٦ هـ / ٦٤٦م . وَهُوَ مِنْ أشْهر خلفاءِ بني أميّةَ ، اسْتَطاعَ أنْ يُوَحِّدَ الدولةَ العربيةَ بَعْدَ قضائِهِ على الفتنِ وعلى الخارجين عن طاعتِهِ ، وأَخْضَعَ الكثيرَ من الثوراتِ مَثْلَ ثورةِ عبدِ الرحمن بن الأشعث . واستطاعَ أيضاً أن يَرُدَّ أذى الأحزابِ عَنْهُ بالمالِ ، مرةً ، وبالمسايرة والدهاءِ والسياسةِ مرةً ثانية .

يُعتبرُ عبدُ الملك بنُ مروان « بركليس » العرب ، لأنَّه إذا كانَ لمعاويةَ فضلُ تأسيسِ الدولةِ العربيةِ الأمويةِ ، فَلِعَبْدِ الملكِ بنِ مروانَ فضلُ نهضتِها وازدهارِها وحضارتِها . فَقَدْ عَمَّمَ اللغةَ العربيةَ في دَواوينِ الدولةِ الاسلاميةِ ، بَعْدَ أنْ كانَتْ تُكْتَبُ بالروميةِ في بلادِ الشَّامِ ، وبالفارسيةِ في العراقِ ، وبالقبطيةِ في مصر . وسَلَّمَ مقاليدَها الى العربِ المسلمين . ولا يَخْفَى ما كانَ لهذا العمل مِنْ التَّأْثيرِ الكبيرِ في تَطوِّرِ الدولةِ الاسلاميةِ ، لأنَّهُ جَعَلَ اللسانَ العربيَّ لساناً عاماً في كلِّ أنحاءِ الدولةِ العربيةِ الأموية .

وَمِنَ الأعمالِ التي تُذْكَرُ لعبدِ الملكِ ، أنَّهُ أنشأَ البريدَ ، وضَرَبَ النقودَ الذهبيةَ بالعربيةِ ، بَعْدَ أنْ كانَتْ رُومِيَّةً وفارسيةً ، ونَقَلَ الطرازَ [والطراز أن يرسم الملوك والسلاطين أسماءهم أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج أو غيرها] الى العربيةِ .

وكانَ عبدُ الملكِ من أكثرِ بَني أُميَّة بَذْلاً للمالِ في سبيلِ تَأْييد سُلطانِهِ ،

وَتَذْكُرَ لنا المصادرُ أنَّ عامِلهُ الحجاجَ بنَ يوسفَ لمَّا حاصرَ الكعبةَ وفيها ابنُ الزُبير أمَرَ رِجالَهُ أنْ يَرْمُوا الكعبةَ بالمجانيقِ فتهيَّبُوا ، فجاءَ بكرسيٍّ وجَلَس عليهِ وقالَ : « يا أهلَ الشامِ ، قاتلوا على أعطياتِ عبدِ الملك ، ففعلوا » .

وَمَهْمَا يكنْ من سِيْرَةِ عبدِ الملك ـ أنَّه كما جاء في بعض المصادر ـ أوَّلُ من غدر في الاسلام . وأوّلُ من نَهى عَنِ المعروفِ ، فإنَّه يَبْقَى مَعْلَماً من المعالمِ العظيمة في تاريخِ العربِ القديمِ ، وَرَجُلاً مِنْ رِجالِ الدولةِ العربيةِ الذين قامَتْ على سَواعِدِهِم حضارةُ العربِ في بلادِ الشَّامِ ، توفي في دمشق ، سنة ٨٦ هـ/ ٧٠٥ م .

الإمام الحسين بن عليّ

هُوَ أبو عَبْدِ الله الحسينُ بنُ عليٍّ بنِ أبي طالب ، أمَّا القابُهُ فكثيرةٌ . نَذْكُرُ مِنْها ، الرشيد ، الطيب ، الزكي ، الوفي ، السيد ، المبارك ، السبط ، وأشهرها لقب الزكي ، وقد قال الرسول فيه وفي أخيه الحسن (إنهما سيدا شباب أهل الجنة) .

وُلِدَ الحُسين ، والنبوةُ تَتَسامى ويكتملُ دورُها ، وتذيعُ في الآفاق ، أرادَ أبُوه الامامُ عليٌّ أنْ يُسمِّيهُ حَرْباً ، لكنَّ جدَّه رسولَ الله (ص) سَمَّاهُ (حُسيناً) ، ويقول الرسولُ (ص) (أنَا مِنْ حُسينٍ وحسينُ مِنِّي) . وُلِدَ الحُسين (ع) في المدينةِ في الخامسِ من شَهْرِ شعبانَ سنة أرْبَع من الهجرة . نَشَأ الامامُ الحُسين في البيتِ النَبويِّ ، وأُحيط برعايةٍ كريمةٍ وربِّيَ تربيةً قدسيةً ، وكانَ النبيَّ نفسُهُ ، يمدُّ الحسين مِنْ وراءِ العاطفةِ كمايمدُّهُ مِنْ وراءِ النبوةِ ويغمرُهُ بِحُبِّهِ وحَنَانِهِ ، ويسقيهِ منْ مَعِينِ القداسة .

أبُوه الامامُ عليُّ بنُ أبي طالب ، وأُمُّه ، السيدةُ فاطمةُ الزهراءُ كريمةُ الرسولِ العربيِ ، وهُوَ ثاني أولادهما .

كانَ الإمامُ الحُسين ، عَلَى بَعْضِ السيماءِ مِنَ الرسولِ الكريم مِنْ خَلْقٍ وخُلُقٍ وأدَبٍ وسيرَةٍ ، لكنَّه في شِدَّتِهِ كانَ أقربَ الى أبيه مِنْهُ الى جدِّهِ ، وكانَ كثيرَ الصلاةِ والصومِ والحجِ ، على تُقىً وإيمانٍ وَوَرَعٍ ، قَلَّ نظيرُها .

رُبِّيَ الحُسين بَيْنَ أفْصَح مَنْ نَطَقَ بالضَّادِ ، الرسولُ العربي (ص) والإمامُ

عليٍّ (ع) ، فلا غَرْوَ إنْ كانَ أفْصَحَ الفصحاءِ وأبْلَغَ البلغاءِ . فَقَدْ كانَ خطيباً وفَقِيْهاً وَوَاعظاً وسريعَ الْبَدِيهَة ، إلى جانب كونِهِ فارساً ومقاتلاً شجاعاً .

ولَقَدَ كانَ سيداً متواضعاً ، وإماماً زاهداً وَمُؤْمِناً وَرِعاً صالحاً ، حَسنَ الخَلْقِ ، كريمَ النَّفْسِ ، حُلْوَ الشمائلِ عفِيفَ اليدِ واللسانِ نبيلَ الأخْلاقِ كريمَ المالِ والمحتد .

وَهُوَ على تَواضِعِهِ وَزُهْدِهِ ، كانَ أبيَّ النفسِ عزيزَ الجانبِ ، « أمَّا إباؤه للضَّيْمِ وَمُقَاومتُهُ للظلمِ واستهانتُهُ الْقَتَلَ في سبيلِ الحقِّ فَقَدْ ضَرَبَتْ به الأَمْثال . » وقَدْ كانَ لا يخافُ الموتَ من إجْلِ إعلاءِ كلمةِ الإسلامِ ونيلِ العزِّ وإحياءِ الحقِّ . لِذَلِكَ خَرَجَ الى العراقِ في سبيلِ رَدِّ الحقِّ الى إهلِهِ ، وتقويمِ إعوجاجِ الذين أساؤ وا الى الاسلام ، فكانَتْ « كربلاءُ » المعركةُ ، أعظمَ ملحمةٍ إسلاميةٍ خَطَّها دَمُ الإمام الشهيد . فالإمام الحُسين يمثِّلُ الايمانَ العظيمِ ، والديمقراطيةَ الصحيحةِ والشورى الاسلاميةِ .

في كَرْبَلاء ، قُتِلَ الحُسين ، وَقُطِعَ رأسُهُ عَنْ جَسَدِهِ وحُمِلَ إلى يزيد ، وَصُلِبَ على بابِ القَصْرِ ثلاثةَ أيَّام .

قُتِلَ الحُسين في ١٠ محرم ٦١ هـ / ١٠ تشرين الأول ٦٨٠ م . ودُفِنَ جَسَدُهُ في كربلاء ، أمَّا رأسُهُ ، فَقَدِ اخْتَلَفَتِ الآراءُ في مَكَانِ دَفْنِهِ .

عَمرو بن العَاص

هو ، عَمْرُو بنُ العاصِّ بنِ وائلٍ أحَدِ أشْرافِ قَرَيْشٍ في الجاهليةِ ، لم تُعْرَفْ سَنَةُ وِلادَتِهِ على وَجْهِ التحديدِ ، على أنَّ الرأيَ الراجحَ أنَّهُ وُلِدَ قَبْلَ الهجرةِ بِنَحْوِ ٤٤ سنة أي ٥٨٠ م .

أدْرَكَهُ الاسلامُ وَهُوَ في الثلاثينات مِنْ عمرهِ ، ولكنَّهُ لم يُسْلِمْ إلاَّ وَقَدْ تجاوزَ الخمسين ، عده بعض المؤرخين واحداً من دُهاةِ عَصْرِهِ ، فقيل : « دُهاةُ العربِ أرْبعةٌ : معاويةُ بنُ أبي سفيان ، وعَمْرو بنُ العاصِّ ، والمُغِيرةُ بنُ شعبةَ ، وزياد . فأمَّا معاويةُ فلِلْحِلْمِ والأناة . وأمَّا عَمْرو فللمُعْضِلاتِ ، وأمَّا المُغِيْرَةُ فللمُبادهة ، وأمَّا زيادُ فللكبير والصغير ».

طوّف في شبابه ، في الشامِ ، واليمنِ ، والحبشةِ ومِصْرَ ، فأكسبَتْهُ أسْفَارُهُ من التجارِبِ ما جَعَلَهُ مُهَيَّأً لكل عملٍ . وأبرزُ ما تحلَّى به عمرو بنُ العاص من صفاتٍ : الصدقُ ، والايمانُ ، والشجاعةُ ، والمبادرةُ ، والذكاء ، والدهاءُ . لذلكَ ، كلَّفَهُ الرسول (ص) بقيادةِ إحدى سرايا المجاهدين ، وساهم في قتال المرتدِّين ، وفتح فلسطين في خلافة أبي بكر ، وَهَزَمَ جيوشَ البيزنطيين في أجنادين (فلسطين) وفتح مِصْرَ وهزمَ الأعداءَ في عَيْنِ شمسٍ ، وبابليون ، وبنى مدينةَ « الفُسْطَاط » وتألَّف عَمْرو قلوب أقباط مِصْرَ . فكان بحقٍّ خير الولاة ، وأحَبَّهُمْ الى الرعيةِ ، وأحْسَنَهُم عدلاً ، وأكثرَهُمْ حرصاً على العمران . وفي عَهْدِهِ عَرَفَتْ مصر عَهْدَ أمَانٍ وسلام .

إشْتَرَكَ عَمْرُو بنُ العاص في التَّحْكِيم الذي عَقبَ مَعْركةَ صِفِّين ، فَرَجَّح بدهائه كفَّةَ معاويةَ . لكنَّ هذا الرجل ، مثَّلَ روحَ الرجولةِ العربيةِ ، وشرفَ النِّضَالِ العربيِّ ، وأعزَّ بِسِيْرتِهِ العربَ والاسلام.

تُوفِّيَ ليلةَ عيد الفطرَ ، سنة ٤٣ هـ / ٦٦٤ م . ودفن بِجَوارِ جَبَلِ المُقَطَّم ، عِنْدَ ضريحِ الإِمام الشافعي ، القائمِ اليومِ ، قُرْبَ القاهرة . . ومهما قيل في أخطائه ، فإنَّهُ رَجُلٌ يُعَدُّ من عُظماءِ الرجالِ .

ابو عبيدة بن الجراح

هُوَ عامرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الجراحِ بنِ هِلالِ بنِ أهيبَ بنِ خَبَّةَ ، بنِ الحارثِ ابن فهيرٍ ، قُرشيّ فِهْرِيّ ، وَهُوَ أَحَدُ صحابةِ الرسولِ العربيِّ (ص) والمقاتلُ الذي خَرجَ من الجزيْرَةِ العربيَّةِ لِيَقُودَ مَعارِكَ الفتحِ ، وَلِيَكُونَ واحداً من الَّذينَ رَفعوا رايةَ العُروبةِ ، ونَشَروا الإِسلامَ عقيدةً وجهاداً في بَرِّ الشَّام .

لَقَّبَهُ رسولُ اللهِ بـ « أمينِ الأُمَّةِ » .

كانَ أبو عبيدةَ بنِ الجراحِ ، واحداً مِنَ المهاجرين الأُولِ الى الحبشة وشَهِدَ معركةَ « بَدْرٍ » وأبلى فيها بلاءً حسناً ، كما أنَّه شَهِدَ غَزوة « ذاتِ السَّلاسِلِ » .

رَفَضَ أبو عبيدةَ أنْ يُبَايعَ بخلافةِ رسولِ الله (ص) . بَلْ دَعَا مَعْ عمرَ بنِ الخطابِ الى مُبايَعةِ أبي بكرٍ الصِّدِّيق .

شَارك أبو عبيدةَ في « حروب الرِّدَةِ » وتَوجَّهَ الى حمص ، فصالحَهُ أهْلُها بَعْدَ قِتَالِهِ ، فكانَ أولَ صلحٍ في الإِسْلام .

وحارَبَ مَعْ خالدِ بنِ الوليد في « اليرموك » فكانَ خيرَ القائدِ الذي يطيعُ أوامرِ رئيْسِهِ ، وبعد « اليرموك » تولى مَنْصِبَ القيادةِ العامَّةِ في أرْضِ الشَّامِ بناءً على أمرٍ من عُمَرِ بنِ الخطَّابِ ، في بداية خلافته ، وبدخولِ أبي عبيدةَ سورية انْهزَمَ الرومُ هزيمةً نكراء في الأرْضِ العِربيّةِ ، وحاصرَ أبو عبيدةَ بيتَ المقدسِ وضَرَبَ عليها حصاراً شديداً ، فصالَحَهُ أهلها .

لقد كانَ أبو عبيدةَ مثالاً للقائدِ المحاربِ المجرَّبِ ، وللأمين المخلص ،

وكفاه فضلاً أن يقول الرسول (ص) فيه ، ما أحدٌ مِنْ أصحابي إلَّا لو شِئتُ أخَذْتُ عليه في خُلُقِه ، لَيْسَ أبا عبيدةَ بن الجراح .

وهكذا كان هذا الرجلُ من أصحاب المثُلِ العليا يَعْمَلُ لنفعِ أمته . وقد كان القائدُ المكيثُ الذي يترفَّقُ في الأمْرِ قبل الإقبال عليه ، ويتباطأ في الإقبالِ عليه وهو يفكر فيه .

ماتَ أبو عبيدة مصاباً بداءِ الطاعون ، وهو في الثامنة والخمسين من عُمْرِهِ ، توفي في عمواس سنة ١٨هـ / ٦٣٩ م ، ودفن في غَوْرِ بيسان ، وقد قال رسول الله (ص) : « المطعونُ شَهِيْدٌ ، والغريُق شهيدٌ ، والحريقُ شهيدٌ ، لذلك ، يُعَدُّ أبو عبيدةً في موْكِبِ الشُّهداءِ . . . » .

المأمون

هوَ عبدُ اللهِ بنُ هارون الرشيدِ ، والخليفةُ العباسيُّ السابعُ ، وُلِدَ سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م . من أمٍّ فارسيةٍ ، جاريةٍ ، تولّى القِسْمَ الشرقيَّ مِنَ الدولةِ العباسيةِ ، إلاَّ أنَّ فتنةً وَقَعَتْ بَيْنَه وبين أخيه الأمين الذي وُلِدَ مِنْ أمٍّ عربيَّةٍ ، فَقَتَلَ المأمونُ الأمينَ واسْتَلَمَ الخلافةَ (١٩٨هـ /٨١٣م) . وفي صِراعِ المأمونِ والأمينِ قَامَ صراعٌ بَيْنَ العربِ والفرس ، إذْ انْتَصَرَ الفرسُ للمأمون وانتصرَ العربُ للأمين .

كانَ المأمونُ رجلَ سياسةٍ وادارةٍ وحربٍ ، مِثْلَمَا كانَ رَجُلَ ثقافةٍ وَعِلْمٍ ، إذِ اسْتَطاع هذا الخليفةُ أنْ يَقْضَي على الخوارجِ في خُراسان ، وحاربَ تيئوفيلَ الامبراطورَ البيزنطيَّ وأجْبَرَهُ على الصُلْحِ سنة ٨٢٠ .

عُنيَ المأمونُ بالثقافةِ والعلومِ والآدابِ والفلسفةِ فأنْشَأَ في بغدادَ داراً للكُتبِ دُعِيَتْ « بيت الحكمة » وقد جَمَعَ في هذهِ المكتبةِ ، الكتبَ اليونانيةَ التي تُرْجِمَتْ الى العربيةِ بالاضافةِ الى الكُتُبِ العربيةِ ، وقَدْ حَوَتْ هذه الدارُ كلَّ العلومِ التي اشْتغَلَ بها العربُ ، إلاَّ أنَّ مكتبةَ بغدادَ « بيت الحكمة » خُرِّبَتْ عِنْدَمَا دَخَلَ التتارُ بغدادَ سنة ٦٥٦ هـ .

وفي زمنِ المأمونِ نَشَطَتْ حركةُ الترجمةِ بتشجيعٍ من الخليفةِ نفسِهِ ، إذ أنَّه كانَ راغباً في الفلسفةِ والعلومِ العقليةِ ، وقد رَوَى إبنُ النديمِ صاحبُ كتابِ الفهرست : « أنَّ المأمونَ كانَ بَيْنَه وَبَيْنَ ملكِ الرومِ مراسلاتٌ ، وَقَدِ اسْتَظْهَر عليه المأمونُ فكَتَبَ الى ملكِ الرومِ يسألُهُ الإذنَ في إنقاذِ ما يختارُ مِنَ العلومِ القديمةِ

المخزونةِ المدَّخَرَةِ ببلدِ الرومِ . فأجابَ الى ذلكَ بَعْدَ امْتِنَاعٍ ، فأخرجَ المأمونُ جماعةً . . فأخَذُوا مما وَجَدُوا ما اختارُوا ، فلمَّا حَمَلُوه إليه أمَرَهُم بِنَقْلِهِ فَنُقِل » .

بالإضافة الى كلٍّ هذا ، اعْتَنَقَ المأمونُ مَذْهَبَ المعتزلةِ وقالَ بسلطانِ العقلِ ، وفي أيَّامِهِ سَرَتِ الدعوةُ القائلةُ « إنَّ القرآنَ مخلوق غيرُ مُنَزَّل » .

وما يميِّزُ عصرَ المأمون أنَّه كانَ عصرَ الحريَّةِ في التفكيرِ والاعتقادِ ، حتى عُدَّ هذا العصرُ من أزْهَى عصورِ الدولةِ العباسية .

تُوفي المأمونُ بالقربِ من « طرسوس » سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣م

زَنوبيـا

زَنُوبيا . مَلِكةُ تَدْمر . وتَدْمُرُ مدينةُ ـ مملكةٌ ، نَشَأتْ في الجُزْءِ الشمالي من سوريةَ ، قَبْلَ الإسْلام .

وزنوبيا . كَلِمةٌ آراميةٌ تَعْني « السيدة المجيدة » وقَد اختَارتْ زنوبيا لنفسِها هذا الاسمَ ، لأنَّهُ يعني لَها ، القوةَ والعظمةَ والثقـةَ . وكانتْ زنوبيا شديدةَ الثِقَةِ بِنَفْسِها ، وتَسْعَى دائماً الى تعزيزِ هذه الثقةِ بمحاولةِ إتقانِ كافةِ الأعْمالِ التي تَعْتَرِضُها .

تَثَقَّفَتْ زَنوبيا ثقافةً واسعةً ، لأنَّها كانت تُدْرِكُ أنَّ العلمَ والثقافة طـريقُ النجاح . فبالاضافةِ الى مُمارساتِها الأعمال الحربية والمشاركةِ في المعارِكِ الى جانب زوجها . كانت تَنْصرفُ الى القراءةِ تحْتَ إشرافِ الفيلسوفِ « لونجينوس » الذي كان يترجمُ لها الكُتبَ مِنَ اللُّغاتِ الأجنبيةِ وخاصةً اليونانية ، فساعَدها بذلكَ على الاطلاع على فلسفة « أفلاطون » وعلى الملاحم الشهيرة مثل : الالياذة والأوذيسة . وكانت تقولُ عن مُعَلِّمها : إنه صديقُ الفكرِ والأدبِ والثقافةِ والحكمةِ .

وَمِثْلَما كانتْ زنوبيا تَهْتَمُّ بتثقِيفِ نفْسِها ، كذلكَ كانتْ مثالَ الأُم التي تهتمُ بشؤونِ منزلها ، لذلك اعْتنت بأولادِها ، وهب اللَّات ، وقيم اللات «وخيران» .

وإلى جَانبِ الثقافةِ والأدبِ ، كانتْ زنوبيا فَارِسةً ماهِرةً ومقاتلةً عَنيدةً وقائدةً مدرَّبَةً واعيةً . خَاضَتْ الى جانبِ زوجِها معارِكَ كثيرةً ولا سيما ضدَّ الفرسِ

والرومِ . وأثْبتت تَدْمُرُ بِفَضْلِها ، أنَّها تُشَكِّلَ قوةً عسكريةً مقاتلةً تَقِفُ بـإزاءِ قوةِ الرومِ والفرسِ في هذهِ المنطقةِ من الشرق .

ثم إنَّ تدمرَ وقَفَتْ في وَجْهِ روما ، وعَمَلَتْ على استقلالِ نفسِها عن النفوذِ الروماني ، إذ إنَّ زنوبيا كانتْ قد صمَّمتْ على حَقِّها وحقِّ أبنائِها في تقريرِ شؤونِ بلدِهِم ، فأصْدرتْ أمراً بِصَكِّ نقودٍ تدمرية خاصة على أن تُنْقَشَ على هذهِ النقودِ صورتها وصورةُ ابنها « وهب اللات » وليّ العَهْدِ . ورَفَضَتْ أنْ يخْضَعَ العربُ لروما ، فخاضتْ معاركَ ضدَّ هذه الدولة .

كانتْ زنوبيا مؤمنةً أنَّ العلمَ ضروريٌ لتدمرَ مثلَما الجيش القوي ضروري لها ولكنَّها كانتْ مؤمنةً أيضاً أنَّ العلمَ يجب أن يرتبط بالعمل .

زنوبيا المقاتلةُ التي قاتلت أعداءَ العربِ قَبْلَ الاسلامِ ، أثْبَتَتْ أنَّ المرأةَ يمكنُ أنْ تُناضِلَ نضالاً شريفاً ، وأنْ تَحْتَلَّ مركزَ الصدارةِ بعزيمتِها وقوةِ صبرِها ومجاهدة نفسها ، وفيها قالَ المؤرخُ اليوناني زوزيموس : « إن سيرةَ زنوبيا سيرةُ بطل وليسَتْ سيرة امرأةٍ » .

ابن الهيثم

هُوَ أبُو عَلِيٍّ الحسنُ بنُ الحسن (أو الحسين) بنِ الهيثم ، وُلِدَ في الْبَصْرةِ حوالى عام ٣٥٤ هـ/ ٩٦٥ م .

كانَ ابنُ الهيثم مِنْ أهَمِّ عُلَماءِ العَرَبِ الذينَ اشْتَغَلُوا في الريَّاضياتِ والطبيعياتِ والطِّبِّ فَهْوُ يُعدُّ نموذجاً لِلْعَالِم الاسلاميِّ في القرونِ الوسْطى . إذْ عُنِيَ بتحصيلِ العلومِ والفلسفةِ مِنْ هندسةٍ وَجَبْرٍ وحساب ، وميكانيك ، وقَرأَ فلسفة أرِسْطُو ، حَتَّى أنَّه يعتبرُ نموذجاً لما زادَ فلاسِفَةُ العربِ المسلمينَ على اليُونَانيِّين . ويقولُ ابن الهيثم : « أنَّا ما مدّتْ لي الحياةُ باذلاً جهدي ، فمُسْتَفْرِغاً قوّتي ، إلا متوخيّاً أموراً ثلاثةً : إفادةُ مَنْ يطلبُ الحقَّ ويؤثرهُ في حياتي وبَعْدَ مماتي ، والأرتياضُ بهذهِ الأمورِ ، وجعلهُ ذَخِيْرَةً وعُدَّةً لزمانِ الشيخوخةِ وأوانِ الهرم » .

ومما يمتازُ به ابن الهيثم ، أنَّهُ طَبَّقَ نظرياتِهِ الرياضيّة . وعلومَه الهندسية على العمل ، كما اسْتَخْدم عِلْمَهَ في أمورٍ اسلاميةٍ .

ذُكِرَ ابنُ الهيثمِ للخليفةِ الفاطمي ، الحاكمِ بأمرِ اللهِ فاستدعاه ، لينظِّمَ لَهُ جرَيان مياه نَهْرِ النيل . لكنَّ ابنَ الهيثمِ ، اضْطَرَ الى التخلي عن هذا المشروعِ .

وأهَمُّ ما يتميزُ بهِ هذا العالِمُ ، وصولُهُ ، الى نتائجَ باهرةٍ في علم البَصَرياتِ : عِلْمِ الضوءِ ، وامتدادِ الضوءِ على السمواتِ المستقيمة ، الأضواءِ العرضيةِ والمنعكسةِ ، وامتزاجِ الألوانِ وانعكاسِ الضوءِ وانعطافه .

قبل وفاته في العام ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م . كان ابنُ الهيثم ، يعيشُ من نسخِ المصَّنفَاتِ . وقد تركَ الكثيرَ من المؤلفاتِ فذكرَ له ابنُ أبي أُصَيْبِعة ما يقربُ من مائتي كتابٍ ورسالةٍ في الرياضياتِ والفلكِ والطبيعياتِ والفلسفةِ والطِّبِّ . نذكر منها : كتابُ المناظرِ ، في كيفياتِ الأظلالِ ، في المرايا المُحْرِقَةِ ، والدوائرِ . وفي أصُولِ المساحة . . .

وهو الى ذلك جميعاً كان « فاضلَ النفسِ ، وافرَ الزهدِ ، مُحّباً للخيرِ » .

سَيفُ الدَّولة الحمداني

وُلِدَ الأَمِيْرُ عَلِيُّ بنُ حَمْدانَ في ديارِ رَبِيْعَةَ سَنَةَ ٣٥١ هـ والِدُهُ هو عبدُ اللهِ بَنُ حمدان الملقَّبُ بأبي الْهَيْجاءِ . .

نَشَأَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ في بِيْئَةٍ تلُفُّها البطولات مِنْ كُلِّ جانبٍ فَتَعَلَّمَ أُصُول الفروسيَّةِ وفنونِ القتالِ ، وقَدْ نَهَضَ الى المعاركِ وَلَمْ يَبْلُغِ العشرينَ مِنْ عُمْرِهِ . كما نَشَأَ أدِيباً مُحبّاً للأدباء والشعراءِ .

في الخامسةِ والعشرين من سنيِّهِ ، اقتحَمَ بلادَ الرومِ عَلَى رأسِ جيشٍ كبيرٍ ، فـوصـل الى قَلْـبِ بـلادِ الأعْدَاءِ ، وأنزلَ بالجـيشِ البيـزنطيِّ هَـزِيْمة سَنة ٣٢٦ هـ . في يومِ عِيْدِ الأضْحى وأخَذَ كرسي الدمستُقِ وسريرَهُ .

خَلَّص بغدادَ من أيْدي « البريديين » بمساعدةِ أخيه « الحسن بن حمدان » فخلَعَ عليهما الخليفةُ العباسيُّ المتقي لَقَبَ ناصر الدولة (الحسن بن حمدان) ولَقب سَيْفِ الدَّوْلَةِ (علي بن حمدان) .

بعْدَ عَوْدَتِهِ من بَغْداد ، جَعَل من مديْنة (حلب) إمارةً لَهُ ، فأصْبَحَ مُلكُهُ يمتدُّ من حدودِ بلادِ الرومِ شمالاً الى أعْمالِ دمشقَ جنوباً . وقد ضمَّت هذه الأمارةُ مُدُناً مثلَ : انطاكِيَّةَ ، وَقِنَّسْرينَ ، ومَنبج . وَمَعَـرَّةِ النعمانِ ، وأفـاميـةَ وحمَاه ، وحمص ، وطرسوس ، وغيرها . هذا عدا عن الثغور وهي مُدُنٌ واقعة على حُدُودِ الإمَارةِ ، مثل : الْحَدَث ، وزِبَطرة .

جَعَلَ سَيْفُ الدولةِ من إمَارتِهِ ، دولة عَسْكَرِيَّةَ ، ودولة ثقافيَّة ، فلكم خاضَ

حروباً ضدَّ الرومِ ، وحروباً ضدَّ الإِخْشِيديين وغيرهم من الفئات الثائِرةِ في ذلك العهدِ ، أمثال : قرامطة البَحْرَيْن . .

وَلَمْ تَقِفْ عَظْمَةُ سيْفِ الدَّوْلَةِ عِنْدَ حدودِ الحربِ والقتالِ والانتصاراتِ والبطولاتِ ، بل تَعَدَّتْ ذلك الى ناحيةِ العظمةِ في الآدابِ والفنون . فلَقَدْ كان قصرُ سيف الدَّوْلة ندوةً للأُدباءِ والشُّعراءِ والفلاسفة وأربابِ اللغة ، حتى أنَّ الثعالبي يذكر أنَّه لم يجتمع بباب مَلِكٍ مِنَ الملوكِ بَعْدَ الخلفاءِ ما اجتمع بباب سَيْف الدَّوْلة من شيوخِ الشِعْرِ ونجومِ الدهر . ويكفي في هذا المقام أن نذكر : المتنبيَّ ، شاعَرَ الأميرِ ، وابنَ خالويهِ مُعَلِّمَهُ والفَارَابي مُطْربَهُ . وقد كانَتْ نَدْوةُ سَيْفِ الدَّولَةِ سبباً في ارتقاءِ الشِعْرِ العربي وتطوُّرِهِ . حيث تخرَّجَ في بلاطهِ كثيرٌ من أرباب الشِعْرِ وعلماءِ العصر .

لَقَدْ كان سيفُ الدولةِ ، قائداً عسكرياً ، وأديباً بالسليقة وراعياً للأدبِ والأدباءِ ، وحاضناً للثقافة، وكل ذلك من أجْلِ إقامة دولة عربيةٍ ، بعدما أنْ عصفت رياح التفرقةِ في الدولـةِ العباسيَّةِ . لقد كان « معجباً برأيه . مُحِبّاً للفخرِ والبذخِ . مُفْرِطاً في السَّخاءِ والكرمِ ، شدِيْد الاحتمالِ لِمُناظِريهِ والعجبِ بآرائِهِ ، سَعِيْداً مُظَفَّراً في حروبِهِ ، جائراً على رعيتِهِ ، اشتدَّ بكاءُ الناسِ عليهِ ومِنْهُ » .

توفي في صفر سنة ٣٥٦ هـ / شباط ٩٦٧ م .

ابن خلدون

هُو أبو زَيْدٍ عَبْدُ الرحمن بنُ مُحمدٍ بنِ خلدون الحَضْرمي المَغْرِبي الملقبُ بولِيِّ الدين ، وأصْلُهُ من قَبِيلةِ كِنْدَة . وَهُوَ غيرُ أخيه يحيى (أبو زكريا) .

وُلِدَ آبْنُ خلدون ، في تُونس سنة ٧٣٢ هـ /١٣٢٢ م . وَهُوَ من أُسْرَةٍ أنْدلسيةٍ ، دَخَلت الأندلسَ بُعَيْد الفتحِ واستوطنتْ « قَرْمُونة » ثم « إشبيلية » وهذهِ الاسرةُ مِنْ أوائلِ الأُسَرِ التي هاجَرَتْ مِنَ اليَمَن الى الأندلسِ في القرنِ الثالثِ الهجري (التاسع الميلادي) . وَقَدْ قالَ المؤرخُ الأندلسيُّ ابنُ حيّان في هذهِ الأُسْرةِ « بنو خلدون ، إلى الآن في إشبيلية نهاية النباهةِ ، ولَمْ تَزَلْ اعلامُهُ بَيْنَ رياسةٍ سُلطانيةٍ ورياسةٍ علميةٍ » .

حَفَظَ ابنُ خلدون القرآن على والدِهِ وعلى أكابِرِ علماءِ تونس . ودَرَسَ النحو واللغةَ والفقهَ والحديثَ ، والشِعْرَ في جامعِ الزيتونة .

حَضَرَ الى تونس ١٣٤٧ م/ ٧٤٨ هـ . فأتمَّ دروسَهُ في المنطقِ والفلسَفةِ والتَّوْحيدِ والشَّـرِيعــةِ .

شَغلَ منصبَ كاتب علامةِ سلطانِ تونس « بفاس » ثم غادَرَها إثرَ الفتنِ والاضطراباتِ الى بِسْكَرَة ، وسُجِنَ فيما بَعْدُ . وبَعْدَ خروجهِ من السِّجْنِ ، ارتحلَ الى الأندلس ، ونَزَلَ « بِجَايَةَ » فاستقبَلَهُ سلطانُها أبو عبد الله الحفصي ، فتولّى مَنْصِبَ الخطيب ، كما تولّى منصَبَ التدريس ، ثم عادَ الى بِسْكَرة مضطراً ، فإلى قلعةِ ابنِ سلامة جنوبي قُسَنْطينة حَيْثُ وَضَعَ مؤلَّفَهُ الشهير « تاريخ ابن خلدون »

وقد أسْمَاه : « كتابُ العبرِ وديوانُ المبتدا والخبر في أيامِ العربِ والعجمِ والبربرِ ومن عاصرَهُم من ذوي السلطانِ الأكبر » . ثم رَحَلَ الى تونس سنة ١٣٧٨ . التي غادرَهَا إثرَ سعاياتٍ ودسًّ الى مِصْرَ سنة ١٣٨٢ .

انصرَفَ ابنُ خلدون في مصرَ إلى التدريسِ والقضاءِ والمَشْيَخَةِ . وفي تلكَ الأثناءِ قامَ بِرِحْلاتٍ الى الحجازِ والقدسِ

عاشَ ابنُ خلدون أيامَهُ الأخيرةَ في القاهرةِ يَقْضي بالمذهبِ المالكي . وتوفي فيها سنة ٨٠٨ هـ /١٤٠٥ م .

أظْهَرَ ابنُ خلدون في حياتِهِ كفايةً إداريةً وسياسيةً فائقةً ، مثلمَا أظهرَ مَقْدِرَةً علميةً فلسفيةً اجتماعيةً ، فهوَ يُعَدُّ بِحقٍّ واضع علمِ الاجتماع عِنْدَ العربِ ، مثلَما يُعَدُّ من الأوائلِ الذين اشْتَغَلوا بفلسفةِ التاريخ . وإنَّ مقدمةَ كتابه المعروفة ، بمقدمةِ ابن خَلدون ، والتي تتناولُ الكلامَ على كلِّ فروعِ المعرفةِ والحضارةِ العربيةِ ، سَتَظلُّ مِنْ أعظمِ مؤلفاتِ عَصْرِه ، بَلْ أهمُّها مِنْ ناحيةِ العمقِ في التفكير والوضوحِ في عرضِ البحوثِ والآراءِ . وسَيَظَلُّ ابنُ خلدون أعظم مفكرٍ وعالمٍ وسياسيٍّ عَرَفْتُه أفريقيةُ والأندلسُ في القرن الثامن الهجري .

عبدالرحمن الداخل

هُوَ عبدُ الرحمنِ بنُ معاويةَ بنِ هشامٍ بنِ عبدِ الملك ، لُقِّبَ بالداخلِ لأنَّهُ دَخلَ الأندلسَ ، ولَقَّبَهُ أبو جعفر المنصور بـ « صقرِ قريش » لأنَّه عبرَ البحرَ وقطعَ القفر ودخلَ بلداً أجنبياً أعجمياً منفرداً بنفسِهِ فمصَّـرَ الامصارَ وجنَّدَ الاجنادَ ودَوَّنَ الدواوين ، وأقامَ مُلْكاً عظيماً بَعْدَ انقطاعِهِ بحسنِ تدبيرِهِ وشدَّةِ شكيمتِهِ .

وُلِدَ عَبْدُ الرحمنِ في إحدى قرى دمشقَ سنة ١١٣ هـ . وماتَ أبوه ، وهو صغيرٌ ، فكفلَهُ جدُّهُ هشام .

كانَ في العشرين من عمرهِ عندما حلَّتِ النكبةُ ببني أمية على أيدي العباسيين وأعوانِهم من الخراسانيين ، فَفَرَّ عبدُ الرحمن ونجا بنفسِهِ ، فرَّ إلى العراقِ ، ثُمَّ الى المغربِ ، وأخيراً تسلَّلَ الى الأندلس وجَمَعَ حَوْلَهُ الأنصارَ من بني أميـةَ ، وقضى على الفتنِ والثوراتِ والولاةِ في الأندلسِ ، وأسَّسَ مُلْكاً جديداً للأمويين ، بناهُ بجهدِهِ وكفاحِهِ طوالَ ثلاثةٍ وثلاثين عاماً قضاها بالنضالِ والعملِ الدائبِ من أجْلِ تحقيقِ أهدافِهِ .

يُعْتَبَرُ عبدُ الرحمن الداخل أوَّلَ مَنْ بَذَرَ بذورَ الحضارة العربيةِ الاسلامية في بلادِ الأندلس ، وإليه يرجعُ الفضلُ في تثبيتِ أركانِ الدولةِ العربيةِ في الأندلس ، إذ نقلَها من طورِ الولايةِ الى دورِ المملكةِ وكلُّ ذلك بفضلِ سياستِهِ وقوّتِهِ ودرايتِهِ . وإليهِ يرجعُ الفضلُ في النهضةِ التي ازْدَهَرَتْ في قُرْطُبة . وَمِن مآثِرِ أعْمالِهِ ، التي لا تزالُ ماثلةً للعيانِ الى اليوم المسجدُ الجامعُ في مدينة قرطبة ، وقد أصبحت هذه المدينة مِنْ بعدِهِ عاصمةَ الدنيا ومركز العلمِ والحضارةِ .

وعبدُ الرحمن الداخل بالاضافة الى كونِهِ رجلَ سياسةٍ وحَرْبٍ ، فَقَدْ كانَ شاعراً مُجيداً وناثراً بليغاً ، وَهُوَ وإن كان مشرقيَّ الولادة والنشأةِ ، فإنّه يُعتبرُ أندلسيَّ الحياة والشعرِ . إذ إنّ كلَّ ما أُثِرَ عَنْهُ مِنْ شِعْرٍ قَدْ قيلَ في الأندلس ، وذكَرَ الرازي أنَّ عبد الرحمن عِنْدَمَا نَزَلَ الرصافة لأولِ مرةٍ شاهَدَ نخلةً أهَاجَتْ حنينهُ ، فتذكَّرَ وطنهَ في بلادِ الشامِ فقال :

تبـدَّتْ لنـا وسطَ الـرصـافـةِ نخلةٌ تناءتْ بأرضِ الغَربِ عن بلدِ النخلِ
فَقُلْتُ شَبيهي في التغـرُّب والنَوى وطولِ ابتعادي عن بنيٍّ وعن أهلي

وقد طعّمَ صقرُ قريشٍ حضارةَ الأندلس بالطابعَ السوريِّ . وهذا دليلٌ على تعلُّقِ هذا الرجلِ بوطنهِ الأصيلِ وأدبهِ وحضارتِهِ وفكرِه .

تُوفي عبدُ الرحمن الداخلِ في جمادي الأول سنة ١٧٢ هـ / تشرين الأول ٧٨٨ م. ودُفن بالروضةِ في قَصْرِ الإمارة .

مُوسَى بن نُصَيْر

وُلِدَ هذا القائدُ العظيمُ ، سنة ١٩هـ / ٦٤٠ م . في عهدِ الخليفةِ الراشدي « عُمَرَ بنِ الخطاب » .

نَشَأَ في بيتٍ وثيقِ الصلةِ بالجنديةِ ، وفي زَمَنٍ كانَتْ تَجْري فيه الفتوحاتُ العربيةُ على نطاقٍ واسعٍ . .

كانَ باديء الأمر من حَرَسِ « معاويةِ بن أبي سفيان » يومَ كانَ معاويةُ أميراً على الشَّامِ ، ثُمَّ أصْبَحَ قائداً لهذا الحرسِ ، فقائداً في بعضِ جيوشِ « معاوية » .

وَلَّاهُ معاويةُ البحرَ ، ووجَّهَهُ الى جزيرة قبرص ، فغزاها ، وبغزوةِ « قبرص » ظَهر « موسى بن نصير » لأوَّلِ مرةٍ على مسرحِ الأحداثِ العامة .

في عام ٨٥ هـ / وليَ موسى أمْرَ أفريقية . وهُوَ آنذاكَ في السادسةِ والستينَ من عمرِهِ ، فأدخَلَ المغربَ تحتَ الرايةِ العربيةِ ، وقد تمَّ له ذلكَ في أربع سنواتٍ (من ٨٦ ـ ٩٠ هـ) . وأخَذَ بتعليمِ البربرِ اللغةَ العربية وأصولَ الدين الجديد .

غزا الأندلسَ بحملةٍ عسكريةٍ بحريةٍ كانَ على رأسِهَا طارقُ بنُ زياد . فأحرزَ طارقُ نصراً عظيماً ، مما جعَلَ ، رئيسهُ موسى ، يَلْحَقُ به ، واندفعَ متوغلاً في اسبانية مُخْضِعاً أقاليمَها الشمـاليةَ مُحتلا « شذونة » و « أشبيليةَ » و « ماردةَ » . وعَصَفَت في صدرِهِ أمنيةٌ كبرى في أنْ يَخْتَرِقَ الجبالَ شمالي الأندلس ، مُقتحِماً

فرنسةَ ثم مُجتاحاً القارةَ الأوروبيةَ كلَّها لِيَبْلُغَ « القسطنطينية » من جِهَةِ الغربِ فَيَصِلُ بالناسِ الى الشَّامِ برّاً .

غادَرَ الأندلسَ ، وعادَ الى دمشقَ بغنائمَ عظيمةٍ مع طارق بن زِياد وسارَ في موكبِ نصرٍ ، وكانَ ذلك في سنة ٩٦ هـ / ٦ كانون الثاني سنة ٧١٥ م . فاستقبَلَهُ الخليفةُ الوليدُ بنُ عبدِ الملك . لكنَّ الوليدَ ماتَ فيما بعد . وعندما اسْتَلَمَ عبدُ الملك بن الوليد أمورَ الخلافة ، عَزَلَهُ ، فكانَتْ تِلْكَ نَكْبَتَهُ ، إذْ قدْ عامَلَتْهُ الخلافةُ بقسوةٍ لا يَسْتحقُّها . لكنَّ موسى بنُ نصير ، أعطى لِأُمَّتِهِ كل ما يملكُهُ فكرٌ قـائدٌ فذٌّ وإذا كانتِ السلطةُ في عهدِهِ قد أساءَتْ اليه ، فإنّ التاريخَ قَدْ أنْصَفَهُ فأعطاهُ خلوداً .

تُوفي موسى بن نصير سنة ٩٧ هـ / ٧١٦ م . في « وادي القرى » وهو في طريقِه الى الحجِّ . وانْتَهت بِذَلِكَ حياةٌ حافلةٌ بجَلِيلِ الأعمالِ .

طارق بن زياد

لا تُعْرَفُ بالضَّبْطِ السنةُ التي وُلِدَ فيها طارقُ بنُ زياد ، ولَعلَّها إحدى خمسيناتِ القرنِ الهجريِّ الأَوَّلِ أو ستِّيناتهِ . وُلِدَ في « المغرب الأقصى » لإحدى القبائلِ البربرية ، ومنذ نشأتِهِ بدت عَلِيه امارات الذكاءِ والشُّجَاعةِ والْفُروسيَّةِ .

تَلَقَّاه القائدُ العربيُّ « موسى بنُ نُصَيْر » فَقَدَّمه على كثير من القادةِ العربِ . وأوْكَلَ اليه مهمةَ فتحِ « الأندلس » .

كانَ طارقُ في الثلاثين من العمر ، عندما عبر بجيشه الممرَّ المائي ما بين طنجة في المغرب العربي ، وشبه الجزيرة الايبرية .

بدأ العبور العظيم من ميناء طنجة يوم الاثنين ٥ رجب سنة **٩٢** هـ / **٢٧** نيسان سنة **٧١١** م . وتمَّ هذا العبورُ في آخر دُفعةِ جُند في شهر رجب نفسه . وفي هذا العبور ، ألقى طارق خطيته الشهيرة في جنده ، عندما نزلوا الى البر الأندلسي : «أيها الناس أين المفر ، البحر من ورائكم والعدوُّ أمامكم . . الخ . . » وبدأت عمليات الفتح ، التي لم يخسر فيه طارق أية معركة ، بل سجل انتصاراً كبيراً على رودريك (لذريق) ملك القوط الغربيين في معركة وادي بكّةَ . واحتل قرطبة ، وطليطلة وإشبيلية . ومالقة ، وغيرها .

حَقَّقَ طارقُ بنُ زيادٍ انتصاراتٍ حَاسِمةً في تاريخِ العربِ العسكريِّ القديمِ ، لا تزالُ مصدرَ فخرٍ واعتزازٍ ، لكنَّ المحاربَ البطلَ يحتاجُ الى الراحة ، لِذَلِكَ عادَ طارقُ مع موسى بن نُصَيْرِ الى سورية فدَخَلَ دمشقَ في موكبٍ من أعْظَمِ

مواكب الأبطال ، يجرُّ مَعَهُ الأسْرى ، ويَحْمِلُ الغنائمَ ، وكانَ ذلك في عهدِ الوليدِ ابن عبدِ الملك عام ٧١٥ م . ولَقَدْ كانَ لِلْفَتْحِ الذي حقَّقهُ هدا القائدُ صَداه عِنْدَ المستشرقين ، إذ قالَ المستشرقُ الهولندي (دوزي) : « وكانَ الفتحُ العربي [للأندلس] عاملاً في تَحْسِينِ أحْوالِ الطبقاتِ المستغلَّةِ وكذلك حسَّنتْ أحوال أرقَّاء الضِياعِ . اذ غَدَوْا من الزُّرَّاع تقريباً . وتَمتَّعوا بشيءٍ من الاستقلالِ والحرية » .

ولقد شيَّدَ العربُ في الأندلس ، حضارة ، وأشاعَوا عدلاً وإخاءً ومساواة ، ولقد ترك طارق اسمه خالداً في البقعة المسماة اليوم : بجبل طارق .

توفي طارقُ بنُ زياد كما هو مُرَجَّح ، سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م . وهو يُلَقَّبُ بـ « فاتِح الأندلسِ » .

صَلاحُ الدِّينِ الأيوبي

اسْمُهُ : يوسُفُ بنُ أيُّوب ، وُلِدَ في تَكْرِيتِ (العراق) . وَلَقَدْ أجْمعَ المؤرخونَ على أنَّ ولادَتَهُ كانتْ في ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م . ثم أمضى سَنتين في قلعةٍ من قِلاعِ الموصلِ ، ثم سبعة أعْوامٍ في قَلْعَةِ بَعْلَبَك (في لبنان) .

في قلعةِ بعلبكَ تعلَّم صلاحُ الدين القراءَة والكتابة ، وكانتْ قصصُ التاريخِ والحروبِ ، أحَبُّ القصصِ الى نَفْسِهِ .

انْتَقل صلاحُ الدين الى دمشقَ عام ٥٤١ هـ . وفي دمشقَ كانْ يصْغي الى مناظراتِ العلماءِ وأقوالِ الحكَماءِ فنشأَ على حُبِّ العِلْمِ وإعزازِ العلماء .

الى جانِب تربيته العلميَّةِ ، نُشِّىَء صلاحُ الدين على الفروسيةِ والقتالِ ، فشارَكَ في المعارك الى جانبِ أقاربِهِ وأنْسِبائِهِ ويحدثُنَا التاريخُ ، أنَّهُ كانَ في الحملةِ التي قادَهَا عمُّهُ أسَدُ الدين في اتجاهِ مِصْرَ ، ولم يكنْ قد تجاوزَ السابعة والعشرين من عمرِهِ .

نازلَ الصليبيين وهو في الثلاثين من عمرِهِ ، وصَمَّمَ على طردِهِم من البلادِ العربيةِ ، وكانَ حلمُهُ الكبيرُ توحيدَ البلادِ العربيةِ من مصرَ الى الشَّامِ .

عَزَلَ الخليفةَ الفاطميَ ، واعْتَرَف بسلطةِ الخليفةِ العباسي في بغداد سنة ١١٧١ . وانْتَصَرَ على الزنكيين واحْتَلَّ سورية والموصلَ . هَزَمَ الصليبيين في معركةِ حطين ، وافتتح بيتَ المقدسِ .

لعلَّ صلاحَ الدين الأيوبي هو أولُ مَنْ وضَعَ مخططَ إرهاقِ العدوِّ أوْ ما يُعْرَفُ اليومَ بحربِ الاستنزاف في مجالِ التطبيقِ العملي ضد الصليبيين . وظلَّ يمارسُ مخططَ الحربِ الطويلةِ الامدِ حتى يتمَّ اقتلاعَ الصليبيين من فوقِ الأرضِ العربيةِ . وقد قالَ فيه المؤرخ ستانلي بول : « لو أنَّ الاستيلاءَ على القدسِ كانَ الحقيقةَ الوحيدةَ التي نَعْرِفُها عن السلطانِ صلاحِ الدين لكانَتْ حقيقة تكفي للدلالة على أنَّ هذا السلطانَ ، كانَ مِنْ أنْبَلِ الفاتحين ، وأكرمِهِم في عَصْرِهِ ، وربما في أيِّ عصرٍ آخر » .

توفي صلاحُ الدين ليلةَ الأربعاء ٢٧ صفَر سنة ٥٨٩ هـ / ٤ آذار ١١٩٣ م إثْرَ مرضٍ أصابَه ، وذلكَ بَعْدَ أربعين عاماً من القتالِ ضدَّ الصليبيين حتى حرَّر الأرضَ مِنْ سَلاسِلِهم ، توفي وكان في السابعة والخمسين مِنَ العمر . ودُفِنَ في دارِهِ بالبستان (بالضفة الغربية منها) . توفي وكلُّ ايمانِهِ ، أنَّ السيفَ وحدَهُ هو المفتاحُ الذي يُؤدي الى طريق القدسِ وتحريرها .

الظاهر بيبرس

لا يُعْرَفُ شيءٌ عن ميلادِ هذا الرجلِ ، وَنَسْتَشِفُّ من المصادر أنَّهُ كان مملوكاً لا يَعرفُ أباً ولا أُماً . لكنَّهُ اجتاز محنته الشخصية فتحرر وأصبح سيد نفسه .

قِيْلَ : إنَّهُ من أصْلٍ تركيٍّ ، من مواليدِ بلادِ القَفْجاق في جنوبي روسية ، وإنَّ التتارَ الذين أغاروا على تلكَ البلادِ قد أسَرُوهُ ، ثُمَّ باعُوه ، وإنَّ الأحوالَ قد تقلَّبَتْ عليه ، وإنَّهُ انتقلَ من تاجرٍ الى آخرَ حتى وصَلَ الى حماه في سورية ، فدمشقَ ، فمصرَ .

استطاعَ الظاهرُ بَيْبَرْس أنْ يحققَ ذاتَه وشخصيتَهُ ، فأصْبَحَ رابعَ سلاطين المماليك البحريين ، بَلْ يُعَدُّ المؤسسَ الحقيقيَّ لسلطانِ المماليك .

كانَ مُنْذُ صِغَرِهِ مميزاً بالحكمةِ والدهاءِ ، وبالقوة وسعَةِ الشخصية والأفـقِ الرحبِ . وكانَ مقاتِلاً عنيداً ومُدافعاً شرِساً عن الأرضِ العربيةِ . خاضَ معاركَ مشرفةً ضدَّ الصليبيين . وكانتْ معركتُهُ الأُولى في « المنصورة » في مصرَ ، ومنها أتَّجه الى معاركَ مكثفةٍ معَ الصليبيين . معْلناً أنَّه يريدُ تطهيرَ الأرضَ العربيةَ مِنَ الصليبيين الاستعماريين . وقَدْ شَبَّهَهَ المؤرخُ الفرنسي « غاستون فبيت » بصلاحِ الدينِ الأيوبي . فقدْ بدأَ كلاهُما بمحاولةِ القضاءِ على الحركاتِ الانفصاليةِ التي ظهرتْ في بلادِ الشَّامِ ، وكلاهُما سَعَى الى وَحْدَةِ مصرَ وبلادِ الشَّام ، وكلاهُما قاتل قتالاً مجيداً ذُوداً عن أرضِ العربِ ، ودفاعاً عن التراث .

حاربَ الظاهرُ بَيْبَرسُ المغول في « عين جالوت » ، وانتصر على التَّتَرِ في الأناضولِ . وهو بالاضافة الى أعمالِهِ العسكريةِ كان يشجعُ العلمَ والعلماءَ ، ويعتني بانشاءِ المدارِسِ ، ولعلَّ المدرسةَ الظاهرية هي من أهَمِّ تلكَ المدارسِ .

تُوفي السلطانُ الظاهر بَيْبَرسُ في ٢٨ محرم سنة ٦٧٦هـ / ٣٠ حزيران سنة ١٢٧٧ م . في دمشق ودُفِنَ في قَرْيَة داريًا بالقربِ مِنْ عاصمةِ الأمويين ، حَسَب وصيتِهِ .

يُعَدُّ الظاهرُ بيبرسُ من رجالِ العربِ ، لأنَّهُ عَمَلَ للوَحْدَةِ العربيةِ وقاتَلَ الانفصاليين وقاتَلَ الغزاة والمعتدين وَهُوَ من العربِ الذين دفعوا الخطرَ عن هذهِ الأمةِ في تاريخِها الوسيطِ ، وقَدْ قالَ فيه المَقْريزي : « كانَ مِنْ خَيْرِ ملوكِ الإِسْلام » .

عَبدُالقَادِرِالجَزائِري

وُلِدَ عبدُ القادرِ الجزائري قُرْبَ مُعَسْكَر (الجزائر) والدهُ محيي الدين أميرُ الجزائريين .

لقَّبَهُ أبوه ، بناصر الدين تَفَاؤلاً به ، ونادَاه الجزائريُّون « بالجزائري » لأنَّهُ كانَ وجْهَ أُمَّتِهِ كلِّها . ومعقدُ آمالِها .

نشأَ هذا الزعيمُ العربيُّ في أُسْرَةٍ مِنَ الأشرافِ وعُنيَ والدُهُ بتربيتِهِ وتعليمِهِ ، فنشأَ تقياً مُؤْمِناً ورَجُلاً نَبِيْلاً .

طوَّفَ في البلاد العربيةِ ، وأدَّى فريضةَ الحجِّ ، وزارَ مصر ١٨٢٧ ، وإنَّ هذا الأميرَ الذي ثُقِّفَ ثقافةً عربيةً أصِيْلَةً . تَرَكَ حَلَقاتِ الأدباءِ وتركَ الكتابَ ، وحَمَلَ السَّيْفَ إذ رأى أنَّ وطنَهُ الجزائرَ يتعرَّضُ للغزو والاستعمارِ الفرنسي ورَأى أنَّ لا مُجِيْرَ للجزائرِ ديناً وقوميةً إلاَّ أهلُها وكفاحُهم وأدركَ أنَّ خيَر رسالةٍ يُؤدِّيها هِي رسالةُ السَّيْفِ التي لا تُغني عنها رسالةُ القلم ، لِذلَك حَمَلَ عبد القادر رايةَ الكفاحِ والجهادِ ، وراَح يقاتِلُ الفرنسيين . فانضَمَّ الى صفوفِهِ الكثيرُ من القبائل ، وانْتَصَر على الفرنسيين في غيرِ معركةٍ حتى العام ١٨٤٢ . إلاَّ أنَّه اضُطر بعْدَ خذلانِهِ سنة ١٨٤٧ الى التسليمِ فنُفِيَ الى فرنسة حتى العام ١٨٥٢ حِيْنَ سُمِح لهُ بمغادرة فرنسة في عهدِ«لويس نابوليون» أو « نابليون ٣ » . فارْتَحلَ الى الآستانةِ في أول شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٩ هـ . ثُمَّ قصدَ بيروتَ ، فتزاحم أهْلُوها لاستقبالِهِ ، ولمَّا خَرَج من بيروت قاصداً دمشق اسْتَقْبَلَهُ أُمراءُ آل أرسلان ، الذين رتَّبوا جموعَهم على طريقه ، حيث استقبلَ بالبارودِ والحفاوة البالغة .

وقد ذَكَرَ بعضُهُم أنَّه لم يدخل دمشق أميرٌ عربيٌّ مُنْذُ مئتين من السنين مثلَ دُخولِ عبد القادر . وزارَ عبدُ القادرِ بيت المقدس وزار المسجدَ الأقصى وصلّى فيه .

وفي فِتنةِ عام ١٨٦٠ في جبل لبنان التي قَامتْ بين الدروز والنصارى عَملَ الأميرُ عبدُ القادرِ على حِماية النصارى في دارِهِ ، وعلى تَهْدِئةِ الفتنةِ ، ضارباً بذلك مثالاً رائعاً في الوعْي والنبلِ والمسؤولية . فكانَ عملُ الأمير مَدْعَاةً لتقدير دُوَلِ الأرض كلِّها .

وإنَّها لشهادةُ حقٍّ في أنَّ شخصيةَ هذا الرجلِ شخصيةٌ نادرةٌ فَهُوَ الأمير المقاتلُ ، والكاتبُ الشاعرُ الذي قاومَ الاستعمارَ دفاعاً عن أرضِ العربِ وتراثِ الاسلام . ورفضَ التعصُّبَ الديني دفاعاً عن التفرقة في الوطن العربي ، ويُعْتَبَرُ هذا الأمير الجدَّ الروحيَّ لثورةِ المليون شهيدٍ الجزائرية ولَعلَّ في سيرتِهِ المجيدة ضوءاً آخرَ لمسيرةِ الأُمَّةِ العربيَّةِ في نضالِها ضدَّ الاستعمارِ والصِّهْيونيَّة ، والتَفْرِقة العُنْصُريَّةِ

وإنَّ هذا الأميرَ القائد العسكريَ الذي استبدلَ القلمَ بالسيفِ تركَ تراثاً أدبياً ، ومؤلفاتٍ منها :

- كتاب « المقراض الحادُّ لقطعِ لسانِ الطاعنِ في دينِ الاسلام ، مِنْ أهلِ الباطلِ والالْحاد » .
- كتاب « المواقف في علمِ التصوُّفَ » .
- وله ديوانُ شِعْرٍ مطبوع ، ولَعَلَّهُ أولُ عربيٍّ جزائريٍّ نَظَم الشِعْرَ .

إنطفأتْ شمعةُ الأميرِ عبدِ القادر الجزائري في دمشقَ يوم السبت ١٩ رجب سنة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٣ م وَدُفِنَ داخلَ قُبَّةِ الشيخِ الأكبرِ محيي الدين بن عربي .

وإنْ كانَ الجزائريُّ قد غابَ عنا بالجسدِ فَهْوُ حاضرٌ بالروحِ رَمْزاً للنضالِ والحريةِ والاستقلال.

عَبْدُ الكَرِيمِ الخَطَّابِي

الأميرُ عبدُ الكريمِ الخَطابي ، أحْدُ أبْرزِ المجاهدين في تاريخِ الأمةِ العربيةِ في العصرِ الحديثِ . لُقِّبَ بِبَطَلِ الريفِ في المغربِ العربي وَهُوَ رجلُ قانونٍ ومن الذين حَمَلوا السيفَ والقلمَ معاً .

وحّدَ عبدُ الكريمِ الخطَّابي قلوبَ القبائلِ في مَوْطِنِهِ ، وحاربَ بمساعدتِهم الاستعمارَ .

وُلِدَ محمدُ بنُ عبدِ الكريم الخطَّابي الذي عُرِفَ في التاريخِ المعاصرِ باسْمِ أبيه « عبدِ الكريم الخطابي » عام ١٨٨٢ .

دَرَسَ الخطابي اللغةَ العربيةَ والعلومَ الشرعيةَ والعلومَ في جامعةِ « القرويين » في « فاس » وَبَعْدَ دراستِهِ اشتغلَ ـ كوالده ـ في القضاءِ الشرعيِّ في مِنْطَقةِ الريف . وكان يُعَلِّمُ الموظفين الاسبان اللغةَ البربريةَ ، وتَعَلَّمَ هو بدورِهِ اللغتينِ الاسبانيةَ والفرنسيةَ . وامْتَهنَ صناعةَ الصحافةِ ، فكانَ يحررُ في جريدةِ « تلغراف الريف » .

قاوَمَ عبدُ الكريم الخطَّابي قواتِ الاحتلالِ الفرنسي بعد انتصاراتِهِ على الاسبانيين ، حتى غدا زَعِيماً لمنطقةِ الرِّيفِ وأخَذَتِ الأنظارُ تَتَّجِهُ إليه في أرجاءِ الوطنِ العربيِّ والعالمِ الاسلاميِّ .

لكنَّ الدولتين الاسبانيةَ والفرنسيةَ ، استطاعتا أن تَجْبُرَ الخطَّابي عَلى الاستسلامِ ، وفي يوم ٢٧ أيار سنة ١٩٢٦ ، سَلَّمَ الأميرُ البطلُ نفسَهُ للعدو ، بَعْدَ ما أمَرَ

بإطلاقِ سراحِ الأسْرى الأوروبيين الموجودين لديه . وإنَّ أعْظَمَ ما يُسَجَّلُ لهذا القائدِ الفذِّ ، أنَّ أعداءَه أنْفُسَهُمْ لم يملكوا إلاّ أنْ يظهروا له الاحترامَ والتعظيمَ .

عُيِّنَ في سنَةِ ١٨٨٧ مدرساً للتاريخ في مَدرسة دارِ العُلُومِ (كلية دار العلوم بجامعة القاهرة اليوم) ، ومُدَرِّسا للغَةِ الْعَربيَّةِ في مَدْرَسَةِ الألْسُنِ .

نُفِيَ بطل الريفِ في العام ١٩٢٦ الى جزيرةِ « ريونيون » في المحيطِ الهادي ، فاستسلَم لمصيرِهِ ، وعاشَ في الجزيرةِ صامتاً ، وكانَ يقضي أوقاتَهُ بين الصلاةِ وقراءةِ القرآن والاعتناءِ بأولادِهِ وبناتِهِ وتدريسهم بنفسِهِ .

قَضَى الخطابيُّ في المنفى سحابة ٢١ سنة ، نُقِلَ بَعْدَها الى « مرسيليا » لكنَّه فَرَّ مع أسرتِهِ من السفينةِ التي كانتْ تَقلُّهم ، عِنْدَ توقُّفِها في قناةِ السويس ، ونزلوا الى الأرض المصريةِ العربيةِ ، وطلبَ « الأميرُ الأسيرُ ، حَقَّ اللجوءِ السياسي » .

وفي أثناءِ حركاتِ التحررِ في دُوَلِ المغربِ العربي : تونس والمغرب والجزائر . كانَ الخَطَّابي هُوَ الموجِّه . وبَعْدَ نضالٍ مريرٍ أدَّتْ خطَّتُهُ الى التحريرِ واستقلالِ تونس والمغرب والجزائر .

تُوفي الأميرُ عبد الكريمِ الخطَّابي يوم ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٦٢ وقد رأى أقْطَارَ وطنِهِ الثلاثةَ تَنْعمُ بالاستقلالِ والحريةِ . تُوفي الأميرُ المناضلُ في مصرَ بعد هَرَبهِ من الأسْرِ ، ولكنَّه بنضالِهِ ووفائِهِ للأرضِ والوطنِ تَرَكَ سِيْرةً ذاخرةً بالمواقفِ الشُّجَاعةَ والنبيلةِ ، وقَدْ كانَتْ هذه السيرةُ نِبْراساً أضَاءَ طريَق المناضلينَ في الوطنِ العربي .

الإمَام محمّد عَبْده

هُوَ محمدُ بنُ عبده بنِ حَسَن خَيْرِ الله مِنْ آلِ التُّرْكماني ، وُلِدَ الأُستاذُ الإمامُ بحصةِ شَبْشِير مِنْ قُرى إقليم الغربية في مِصْرَ . ولكنَّهُ نَشأَ بِقَرْيَةِ « مَحلّة نَصْر » مُديريَّةِ الْبُحَيْرَةِ ـ أمَّا وِلادَتُهُ فكانت سَنَةَ ١٨٤٩ م ـ ١٢٦٦هـ .

نَشَأَ الإمامُ مُحمدُ عَبْده ، في بَيْتٍ منَ الطبقةِ الوُسْطَى ، لكِنَّهُ كانَ من بيُوتاتِ الوجاهَةِ والصَّدارَةِ . وهذا ما دَفع أُسْتاذَنا الإمَام الى القَوْلِ : « نَشأَ عِندي لِذلِكَ الإعْتقادُ بأنَّ الكَرامةَ وَعُلوَّ المُنْزِلَةِ لا يتعلَّقانِ بالثرْوَةِ وَوفْرَةِ المالِ » .

كانَ الاستاذُ الامامُ مُعْجباً بوالِدِهِ وَوَالِدَتِهِ ، لِكَرمِهما ، وتُقاهُما .

تَعلَّمَ الإمامُ مُحَمَّدُ عَبْده ، مَبادىءَ القِراءَة والْكِتَابَةِ في مَنْزِلِ وَالِدِهِ ، ثُمَّ حَفَظَ القرآن الكريمَ عِنْدَ حافظٍ من الحُفَّاظِ في القريةِ . ثُمَّ حَمَلَهُ وَالِدُهُ الى طنطا (مدينة في مصر) سَنَةَ ١٨٦٤ م ، حَيْثُ بَدأت رِحْلَةُ دُرُوسِهِ الدينيَّةِ فَتلقّى شَرْحَ الْكَفْراوي عَلى «الأجرومية» في المَسْجِدِ الأَحْمَدي . وفي منتصف شَهْرِ شوّال ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م قَصَدَ الأَزْهَرَ فَطَلَبَ العِلْمَ على شِيُوْخِهِ ، وفي هذه الأثناءِ كان محافظاً على العُزلَةِ والْبُعْدِ عن النَّاسِ ، وظَلَّ على هذهِ الحالِ ، حتى الْتَقى بالسيِّدِ جمالِ الدينِ الأفغاني . وَقَدْ صاحبه بدءاً من شَهْرِ محرَّمِ سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م . وأخَذَ عَنْهُ بَعْضَ العُلُومِ الرِّيَّاضيَّةِ والفلسفيَّةِ والكلاميَّةِ ، لِيَسدَّ مِما فاتَهُ من عُلُومٍ لم يتعلَّمْها في الأزهر .

في سنَةِ ١٨٧٧ م نال الامامُ شَهادَةَ « الْعالِمِيَّةِ » ، فَغَدا أسْتَاذاً في الأَزْهَرِ .

قالَ عَنْهُ تِلميذَهُ وصديقُهُ السيِّدُ رشيد رضا : « إنَّه سَلِيمُ الفِطْرَةِ ، قُدْسيُّ الروحِ ، كبيرُ النَّفْس ، . . أكْمَلُ مَنْ عَرفتُ مِنَ البَشَرِ ديناً وأدباً ، ونفْساً ، وعَقْلاً وعِلْماً وعَمَلا وصِدْقاً وإخلاصا . . . وكانَ مثلما لَقَّبهُ عباس محمود العقاد : « عبقريَّ الاصلاحِ والتعليم . . . . » .

تَرَكَ الإمامُ مُحَمَّد عَبْده تراثاً فِكْرِيّاً وأدبيّاً ضَخْماً . ومِنْ أهَمِّ مؤلَّفاتِهِ : كِتابُ الإِسْلامِ والنَّصْرانيَّةِ (١٩٠٢) ، والردُّ عَلَى هانوتو (١٩٠٢) وشَرحُهُ لِمقامَاتِ بَدِيعِ الزمانِ الْهَمَذاني ، وشَرْحَ نَهْجِ البَلاغَةِ . تُوفي الأستاذُ الامامُ بالاسْكَنْدرِيَّةِ سَنَة ١٩٠٥ .

نُفِيَ مُحَمَّدُ عَبْدُه ، مِنْ مِصْرَ عام ١٨٨٢ م لاشْتِرَاكِهِ في الثَّوْرَةِ الْعرابيَّةِ ، وكَانَتْ بَيْرُوتُ مَنْفَاهُ . مُدَّةَ ثَلاثِ سنواتٍ ، غادَرَها فيما بَعْدُ الى بَاريسَ ، حيث الْتَقى فيها السيِّدَ جَمالَ الدينِ الأفغاني فأَنشَآ مَعاً مَجَلَّةَ « الْعُرْوَةَ الْوُثْقى » وَهِيَ أوَّلُ صحيفةٍ تَصدَّتْ للاحتلالِ الانكليزي لِمصْرَ (١٨٨٢) . وبَعْدَ سنة أي في العامِ ١٨٨٥ عَادَ محمدُ عَبْده الى بيروت فاشْتَغَلَ بالتدريس . ليعود بَعْدَها في العام ١٨٨٩ الى مِصْرَ حيث عُيِّنَ قاضياً بمحكمةِ الاسْتِئْنافِ (١٨٩١) فعُضْواً بِمَجْلِسِ إدارة الأزْهَرِ (١٨٩٥) ثُمَّ مُفْتياً للدِّيارِ المِصْرية (١٨٩٩)

لَقَدْ عَاشَ الاستاذُ الامامُ حياةً كُلُّها النضالُ مِنْ أجْلِ الْعَرَبِ والاسْلامِ ، وقدْ نَذَرَ نَفْسَهُ مِنْ أجْلِ ثَوْرَة عربيّةٍ ، تُتِيحُ التقدمَ للمجتمعِ العربي ، وآمَنَ بأنَّ الثورةَ يجب أن تكون هادئة مُتَدرِّجَةً . فركَّزَ على :

١ ـ الدَّعْوَةِ الى تَحْريرِ الفكرِ من قُيُودِ التَّقْليد .

٢ ـ إصْلاحِ أساليبِ اللغةِ العربيَّةِ وبَيَانِها .

٣ ـ إصلاحِ الأزْهر .

٤ ـ التمييزِ بين ما لِلحاكِمِ مِنْ حَقٍّ على الشَّعْبِ ، وما للشّعْبِ من حَقٍّ العَدالَةِ على الحُكُومةِ .

عُمَر المختار

هُوَ مِنْ قَبِيْلَةِ « المنْفَة » وهي مِنْ أكبرِ القبائلِ العربيةِ في ليبية . وُلِدَ سنة ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢ م في قريةِ « البطنان » في إقليم برقة .

قرأ القرآنَ والعلومَ الاسلاميَّةَ في وَاحةِ « الجغبوب » على إمامِ السنوسيَّةِ السيدِ محمدٍ المهديِّ . فَظَهَرَتْ عَلَيْهِ دلائلُ النَّجابة ، مِمَّا لَفَتَ نظر المهديّ ، فأحاطهُ بعنايتِهِ .

عَيَّنَهُ المهديُّ شيخاً في « زاوية القصورِ » في الجبل الأخضرِ ، شمالي بَرْقَة ثم عَيَّنَهْ شيخاً « لِزاويةِ عَيْنِ كللك » عَادَ بعدَها الى بَرْقة سنة ١٩٠٢ .

ولما غَزَا الطليانُ ليبيةَ سنة ١٩١١ ، لم يكتفِ « عمر المختار » بدورهِ شيخاً يعلِّمُ ويوجِّهُ ويَسُوسُ ، بل بادَرَ الى الجهادِ ومقاومةِ الطليان في معاركَ بالجبلِ الأَخْضَرِ وكانَ آنذاك في الخمسينِ من العمر ، فالتفَّ حَوْلَهُ الشَّعْبُ ، وصارَ قائدَهُم وزعيمهم .

بَعْدَ معاركَ ضاريةٍ . وفي مطلعِ العام ١٩٢٩ أجْرتِ السلطاتُ المحتلةُ حواراً ومفاوضاتٍ مع زعيم المجاهدين وشيخهم « عمر المختار » من أجْلِ إشاعةِ السلام في البلادِ . وقد فاوضَ عُمَرُ المحتلين من مركزِ القوةِ ، ودافعَ عن مبادئِهِ وعن شَرَفِ بلادِهِ ووطنِهِ دفاعَ الأبْطالِ . بِكلِّ رَأْيٍ سَدِيْدٍ وَحُجَّةٍ قويَّةٍ ومَنْطِقٍ سلِيْمٍ . مُشدِّداً على المساواةِ بين الوطني والايطالي ، وعلى أن تكونَ اللغة العربيةُ معترفاً بها رسمياً ، وألَّا تتدخلَ السلطاتُ في أُمورِ الدين ، وأنْ يكونَ للمواطنين مدارسُهُمْ التي تعلِّمُ علومَ الدين ، وألّا يَقْتَصِرَ التعليمُ العالي على الايطاليين دُونَ الليبيين وأنْ يكونَ لليبيين حُرِّيَّةُ

حملِ السلاحِ وأن تُعِيْدَ السلطةُ ما اغْتَصَبْتَهُ من أمْلاكهم والعفوِ عن جميع المجرمين السياسيين واطلاقِ سراحِ المسجونين وأن يكونَ للأمَّةِ رئيسٌ منها تختاره .

لم تَسْتَجِبِ السلطةُ لهذه المطالبِ ، عِنْدَها رَأى عُمَرُ المختار أنْ لا بُدَّ مِنْ مُتابعةِ الكفاحِ والنضالِ ، ومقاتلةِ المحتلِّ مهما كانَ الثمنُ .

وَقَعَ عمرُ المختار أسيراً بأيدي أعدائِهِ مساءَ ١٠ أيلول سنة ١٩٣١ ، فأُرْسِلَ الى بنغازي يوم ١١ أيلول ١٩٣١ ، وأُوْدِعَ وحيداً في زنزانةٍ بانتظارِ المحاكمة . وعندما سُئِلَ عَنْ سَبَبِ مقاومتِهِ للطليان أجابَ : إنني أحاربُ من أجْلِ ديني ووطني . إلاّ أنَّ الجنرال « غراتسياني » عبْرَ قاضي المحكمة حكَم على عمر المختار بالشَّنْقِ ، وقَدْ وُجِّهتْ اليه تُهمةُ الاعتداءِ على سلامةِ الدولةِ وعلى أمْنِ البلادِ ، وتُهْمَةُ قطعِ الطريق . صدَرَ الحكمُ مساءَ الثلاثاء في ١٥ / ٩ / ١٩٣١ ، ونُفِّذ صباحَ الأربعاء في ١٦/٩/١٩٣١. فلاقى عُمرُ وَجْهَ ربِّه وله من العمر ٦٩ عاماً ،ومُنْذُ تلك اللحظةِ أصْبح عمرُ المختار الذي كان شيخَ المجاهدين ، « شيخَ الشهداء » وكان لاعدامه وقعٌ أليمٌ في نفوس العَربِ والمسلمين ، لكنَّ عمرَ صارَ رمزاً من رموز الكفاحِ العربيِّ على طريق الحريةِ والاستقلالِ والقوميةِ . وقد اعترفَ أعداؤه وغيرهم من رجال العالم الغربي ، بصلابتِهِ وعزيمتِهِ ، ومشروعيةِ كفاحِهِ ، وسُمّو قَصْدِهِ ، ونُبْلِ غايتِهِ . فقدْ كان عُمر المختار نِعمَ المجاهد . ونِعْمَ القائد ، كلُّه الأخلاص والإيمانُ ، والحكمةُ والدِراية والذكاءُ والخصالُ الحميدة ولعَلَّ من أرْوع خصالِهِ ذلك « العَيْب » الذي أخَذَهُ عليه عَدُوُّهِ الألد (الجنرال غراتسياني) الذي قال :

« وَذَنْبُهُ الوحيدُ أنَّه يكرهُنَا جداً ، فهوَ في جميعِ الأحوالِ ، مخالفٌ لنا ولسياستِنَا ، ولا يلينُ أبداً ، ولا يُهادِنُ . إلاَّ اذا كانَ الموضوعُ في صالحِ ليبيا » .

فهذا هو عمَرُ المختار ذو الشخصيةِ القويةِ والكياسة والحكمةِ ورَجاحةِ العقلِ .

حَسَن كامل الصَّباح

حَسَنُ كاملٍ الصَّبّاح ، النَّابِغَةُ اللبنانيُّ ، خَرَجَ مِنْ جنوبيِّ لُبْنان إذ هو ابنُ مدينةِ النَّبطيَّةِ .

وُلِدَ حسنُ سنةَ ١٨٩٤ . أبُوه الحاجُ علي الصَّباح ، وخالُهُ العلاّمةُ اللغويُّ الشَّيْخُ أحْمدُ رضا العاملي .

نشأَ هذا النابغةُ وتَرَعْرعَ في بيئةِ عِلْمٍ وأدَبٍ ، حيثُ نَمَتْ مواهِبُهُ وتَفتَّحَ عقْلُهُ وتغذّتْ مدارِكُهُ العلميَّةُ . وهذه هي أُولى مراحِلِ تعلُّمِهِ ، التي بدأها جدياً في المدرسةِ السلطانية في بَيْروت .

في سنة ١٩٠٤ ، دَخَلَ حسن كامل الصباح الكُلِّية السوريَّة (الجامعة الأميركية في بيروت ، اليوم) الى صَفِّ « الفَرَشْمان » وأرادَ أنْ يتابعَ دراسة الهندسةِ في سنة ١٩١٥ ، لكنَّهُ طُلِبَ الى الخدمةِ العسكرية في الجيشِ العُثْماني سنة ١٩١٦ ، فأُعْطِيَ رتبة ملازم ، وأُلحقَ بسلاحِ الاشارَةِ « التلغراف » فأتقنَ في أثناءِ الخدمةِ العسكريةِ اللغة الالمانيةَ ، بِسَبِب معايشته لابنائها ، الذين قدَّموا له كتبهم العلميَّة فالْتَهَمَ هذه الكتب واستفاد منها .

بَعْدَ الحربِ العالميةِ الأولى ، وفي سنة ١٩١٩ ، عُيِّنَ الصباحُ مُدَرِّساً للرياضياتِ في المدرسةِ السلطانيةِ في دمشق ، وفي عام ١٩٢١ انتقل الى الجامعة الأميركية في بيروتَ ، حَيْثُ درَّس الرياضياتِ للصفوفِ الثانويةِ .

وَيَذْكُرُ الاستاذُ عجاج نويهض ، في مقالة له عن حسن كامل الصباح في مجلة

« العربي » عدد شباط ١٩٨١ ، صفحة ٣٧ ، ان « موشيه دايان » كان طالباً في الجامعةِ وقْتَ أنْ كانَ حسن يدرّس الرياضيات ، وتَتَلْمَذَ في الرياضياتِ عَلَيْهِ وكانَ للصبَّاح مُجادلاتٌ عَنيفةٌ مَعَهُ لا دَخْلَ للدرسِ بها .

تخرَّجَ الصباح مهندسا ، ولما لَمْ يستطعْ أنْ يُشْبِعَ طُمُوحَهُ في لبنان ، قصدَ جامعة « بوسطن » في أميركا سنةَ ١٩٢٢ ، وفي العام ١٩٢٣ التحَقَ بشركةِ « جنِرَال إلِكْتريْك » حيْثُ تألَّق نجمهُ العِلْمِي مما جَعَل العاملين فيها يَذْهـلون لاشعاعِ عقلِهِ وتفوّقِهِ ، إذ سجَّل ما ينيف على ٧٠ اختراعا ، بين حَسَدِ الحاسدين وخصوصاً الصهاينة .

وكانَ كلُّ حلمِ الصباحِ ، أنْ يرى نهضة أُمتِهِ العربيّةِ ، وأُولى مشاريعِهِ أنَّه فكّر في مياه نهر الليطاني ، وتوزيع هذه المياهِ على القرى وتوليدِ الكهرباء . مثلما فكّرَ بالاستفادةِ من الطاقةِ الشمسيّةِ ، من أجْلِ تعميرِ الصحراءِ العربيّةِ . وقد قال فيه أحدُ مهندسِي شركةِ « جنرال الكتريك » : « كان الصباحُ بيننا هُوَ الوحيدُ الذي يتجرّأ على مناقشةِ آراءِ « اينشتين » الرياضية وانتقادها والتحدثِ عن النِّسْبيَّةِ كأنّهُ « اينتشتين » نفسهُ . . » لكن المَنيَّةِ كانت بالمرصادِ لهذا العبقري ، وكان نبوغُهُ سَبَبَ اغتيالِهِ سنة ١٩٣٥ ، على يَدِ ثلاثة صهاينةٍ من مهندسي الشركةِ الأميركية قرب مدينة « مالون » بحادث سيارة .

وهكذا ، فَقدتْ أمتُنَا في ١٩٣٥/٣/٢١ ، « أديسونَ العربِ ، الذي كانت حياتُهُ حقيقة أروعَ من الخيالِ ، وقد كانت آخر كلماته : « أنني أجْتازُ الآن مرحلة صعبة خطيرة . أسألُ الله أن ينجيني منها ، فادعوا لي الآن دعاءكم ورضاكُم قد يُخلّصانني من أعداء ألِدّاءٍ يُكيدونَ لي دائماً ويَسْعُونَ لزِحْزَحتي من طريقِهم » . .

خالد بن الوليد

هُوَ « أبو سليمانَ » خالدُ بنُ الوليدِ بنِ المُغيرةِ ، المَخْزُوميُّ القُرشيُّ ، أحَدُ الصحابةِ ، وبطلُ اليرموك .

كان والدُهُ سيِّداً مِنْ أشْرافِ قُرَيْشٍ وكرمائِها ، وكانتُ لبني مخزومٍ أيَّامَ الجاهليةِ القُبَّةُ التي تُجْمَعُ فيها الأسلحةُ ، وكانت لَهُم أيضاً قيادةُ الفرسان .

وُلِدَ خالدُ بنُ الوليدِ في مكَّةَ المكرمةِ سَنَةَ ٢٥ قَبْلَ الهجرة ، ونَشَأ مفاخراً بنسبِهِ ، مُعْتَزّاً بعشيرَتِهِ ، ومُنْذُ حَداثَتِهِ اسْتَهْوَتْهُ المنازلةُ والمصارعةُ . فَشَبَّ قويَّ الجسمِ مفتولَ العضَلِ ثابتَ الأركان .

نَاهَضَ الإسلامَ في أوّلِ عهدِهِ ، فَشَارَكَ في معركةِ أُحُد ، لكنَّه عَادَ فأَسْلَمَ وكانَ من القوادِ في فتحِ مكَّة أيَّامَ النبيِّ ، فلقَّبَهُ النبيُّ بـ « سَيْفِ الله » وقادَ الجيوشَ في حروبِ الردّةِ أيّامَ الخليفةِ أبي بكرٍ الصِّدِّيق فحقَّقَ نصراً كبيراً ، وسَارَ على رَأْسِ الجيوشِ الاسلاميةِ في فتوحِ فَارس والشّامِ . ونازَلَ البيزنطيين في اجْنَادين سنة ٦٣٤ م ، واليرموك سنة ٦٣٦ م ، وانْتَصَر عليهم .

كانَ مثالاً للجنديِّ المطيعِ وللقائِدِ الحكيمِ الشُّجاع .

كانَ خالدُ بنُ الوليد قائداً خبيراً بفنونِ الحربِ ، فَهُوَ صاحبُ رَأْيٍ وتدبيرٍ ، لذلكَ كانَ يفكر في المعركةِ ، ثُمَّ يَضَعُ لها الخُطَّةَ ثم ينفذُها بكلِّ ثِقةٍ . وكانَ قاسياً مَعَ المحاربين دُوْنَ الشيوخ والنساءِ والعَجَزَةِ . وكانَ مُتشدِّداً في كلِّ ما يخالفُ

كتابَ الله والشريعةَ الاسلامية ، فقد كانَ قائداً دينيّاً حَريصاً على المسلمين حرصَهُ على نفسِهِ .

وكانَ عظيمَ الثِقَةِ بنفسِهِ ، لا يهابُ الأعداءَ ، ولعَلَّ حربَ الكمائِنِ في التاريخِ العسكريِّ العربيِّ القديمِ هي إحدى منجزاته .

لَمْ يتخلَّفْ خالدٌ عَنْ أيَّةِ مَعْرَكَةٍ ، وكَمْ تَمنَّى الشهادة وهوَ يُجاهدُ في سبيلِ الله .

قَبْلَ وفاتِهِ ، كان أميراً على حِمص ، فَعامل أهلَها بالحُسنى لَكِنَّ الفاروق عُمَرَ بنَ الخطابِ أعْفاهُ فيما بعد مِنْ هذا المَنْصِب .

تُوفي خالدٌ في المدينة سنة ٢١ هـ / ٦٤٢ م .

ابن البيطار الصيدلاني العربي

هو ابو محمد عبد الله بن احمد بن البيطار ، ضياء الدين المالقي المتوفي سنة ٦٤٦ هـ . /١٢٤٨ م . اشتغل بالرحلة زمناً طويلاً ، فزار بلاد الروم وتجول في المغرب ومصر رغبة في العلم وجمع الحشائش والنباتات ودراسة كل نبات في زمانه .

دخل في خدمة الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن ايوب ، فوثق به واعتمد في المسائل الطبية والأدوية المفردة والحشائش . استصحبه الملك الكامل في رحلته الى الديار الشامية ، وهناك التقى بابن ابي اصيبعة الذي اعجب به ، ومما قاله عنه : رأيت من حسن عشرته وكمال مروءته وغزارة علمه ودرايته ما يفوق الوصف . وكانا يجتمعان معاً للدراسة ويحضران الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة ككتاب ديسقوريدس وجالينوس والغافقي والأدريسي وغيرهم .

فكان ابن البيطار يذكر اولاً ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني ، ثم يذكر جملة ما قاله ديسقوريدس وجالينوس والمتأخرون وما اختلفوا فيه . وكان لا يذكر دواء الا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريسدس وجالينوس ، وفي اي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة . فقد وقف على هذه الكتب جميعاً واستخلص منها الأدوية والعقاقير المتنوعة .

فكان ابن البيطار اعظم عالم نباتي وصيدلاني ظهر في العصر الوسيط . وكان مؤلفاً خصباً غزير الانتاج . ويعد كتابه « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » من اشهر كتبه ، استقصى فيه ذكر الأدوية المفردة واسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها ، وبيّن الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيه ، حتى لم يوجد في الأدوية المفردة كتاب اجلّ ولا أجود منه . فقد ألفه بعد دراسة طويلة وتحقيقات

مضنية في بلاد الروم والمغرب والاندلس ، واعتمد فيه على كتب عديدة لأكثر من مئة وخمسين مؤلفاً . واسند في كل ذلك جميع الأقوال الى قائلها وعرف طريق النقل فيها بذكر ناقلها . ولم يقف في هذا الكتاب عند حد النقل ، بل اتى فيه بملاحظات خاصة وتنقيحات متعددة ، كما وصف فيه ايضاً اكثر من ١٤٠٠ عقار بين معدني ونباتي وحيواني ، لا يقل الجديد منها عن ٣٠٠ وقد بيّن في هذا الكتاب ايضاً الفوائد الطبية لجميع النباتات التي ذكرها وكيف يكون استعمالها على سبيل الغذاء والدواء . وقد ترجم الكتاب الى اللاتينية والفرنسية والألمانية واعتمد عليه علماء اوروبا اعتماداً كبيراً .

وله ايضاً كتاب « المغني في الأدوية المفردة » ويلي « الجامع » في الأهمية . وهو بحث مختصر في الأدوية الخاصة بامراض الرأس والأذن وعرض للأدوية المجملة والأدوية التي تعالج بها الحمى والسموم ، كما اتى على ذكر اكثر العقاقير شيوعاً في زمانه .

عمر بن عبد العزيز

هُوَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز بنِ مروان ، ثامنُ الخلفاءِ الأمويين . وأقربُهُمْ الى سِيْرةِ الخلفاءِ الراشدين ، وُلِدَ سنة ٦١ هـ /٦٨١ م .

كانَ في سِيْرَتِهِ وخُلُقِهِ الشيءُ الكثيرُ مما عُرِفَ عَن سِيْرَةِ عُمَرَ بنِ الخطاب وخلقِهِ ، ولعلَّهُ كانَ كذَلِكَ ، لقرابتِه منهِ ، إذ أنَّهُ ابنُ حفيدتِهِ .

اشتُهِرَ هذا الخليفةُ بِتَقْواه، وبِتَمسُّكِهِ بالسُّنَّةِ ، كانَ زاهداً عادلاً متسامحاً ، انصرَفَ الى الاصلاحِ الداخلي فأبَطل لَعْنَ عليٍّ على المنابرِ ، فرأى أنَّ ذلكَ لا يوافقُ روحَ الاسلام فأمَرَ بإبْطالِهِ .

كما أنَهُ انْصرفَ الى الإِصْلاحِ الماليِّ ، وَخُصُوصاً مَنْعُهُ الأُمَوِيِّينَ اقْتِنَاءَ الأمْلاكِ ، فَلَمْ تَقَعْ إصْلاحاتُهُ هذا الْمَوْقِعَ الْحَسَنَ عِنْدَ بَني أُميَّةَ ، فخَافُوا إذا طالَ حكمهُ أنْ يُخْرِجَ الخلافةَ مِنْهُم فما كانَ مِنْهُم إلاَّ أنْ دَبَّروا لَهُ مَعْركَةً أودت بحياتِهِ .

أظْهَرَ تسامُحاً مَعَ الموالي والنصارَى والعلويين ، ولعلَّ سيرَتَه تذكِّرُنَا بِسِيْرَةِ عُمَرَ بنِ الخطاب ، تُوفي سنة ١٠١ هـ / ٧٢٠ م .

أظْهَرَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ تَسامحاً مَعَ الْموالي (وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ) ، ومَعَ جميعِ رَعايا الدَّوْلةِ الأمويَّةِ مِنْ مُخْتَلِف الْفِئاتِ والعقائِدِ وأَبْطَلَ سُنَّةً كانَ الأُمَوِيُّونَ يَقُولَون بها ، وَهِي : لا يَقْطَعُ الصَّلاةَ إلاَّ ثلاثَةٌ : حِمارٌ وكَلْبٌ ومَوْلَى . وهْوَ بِحَركَتِه هٰذِهِ فَهِمَ قِيْمَةَ الإِنْسانِ ، مَهْمَا كَانَتْ عَقِيْدَتُهُ ومَهْمَا كانَ

مُعْتَقَدُهُ . وَلَعَلَّ سِيرتَهُ تُذَكِّرُنا بِسِيْرَةِ عُمَرَ بنِ الخَطَّاب الَّذي أظْهَرَ بِدَوْرِهِ تسامُحاً دينياً وإنسانِيّاً عَظِيماً .

تُوفِّيَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَةَ ١٠١ هـ / ٧٢٠ م .

فهـــرس